

الْمَنْهَجُ التَّوْرِيُّ

لِلْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

دَرَسَةُ تَحْلِيلِيَّةٌ

مُحَمَّدٌ خَلِيلُ عَبَّاسِ الْحَسَنَّاوِيِّ



النَّبِيَّانِ

مَوْلَى حَاجَةِ الرَّسُولِ إِلَى رَبِّهِ النَّبِيِّ





الْمِنْهَاجُ الثَّوْرِيُّ
لِلْإِمَامِ مُرْتَبِي الْعَالِيَيْنِ
دَرَسَةُ تَحْلِيلِيَّةٌ



إسم الكتاب: المنهج الثوري للإمام زين العابدين (ع)

المؤلف: محمد جليل عباس الحسنائي

الناشر: الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

التوزيع: الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة: الأولى

التاريخ: ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٦ م

الكمية: ١٠٠٠ نسخة

حقوق الطبع محفوظة

الْمِنْهَجُ الثَّوْرِيُّ

لِلْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

دراسة تحليلية

محمد خليل عباس الحسناوي



الامانة العامة
للجنة الحسينية المقدسة



الإهداء

إلى

زين العابدين وسيد الساجدين

أسوة الثائرين ومناز المتحررين

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام

أهدي عملي هذا راجياً المولى سبحانه أن يتقبله

وينفع به خلقه...

مقدمة الناشر

بسمه تعالى

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، اللهم صل على ذي الثنات ، المحتمل للنوائب المعضلات ، الباكي على أبيه عقب كل صلاة ، أبي محمد زين العباد وسيد السجّاد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كلما دارت الأرض في فلك السماوات..

بفضل من الله (عز وجل)، يستمر الانتاج الفكري والأدبي والتاريخي، تأليفاً وتقديماً في الكتب والبحوث والمشاركات من أغلب دول العالم في مهرجان تراثيل سجّادية، ولا تكفي كلمات الشكر والامتنان لكل الأنامل الطيبة التي كتبت ودعمت وساهمت وقدمت يد العون سواء بتأليف كتاب أو السعي ببحث أو قصيدة أو مشورة أو مساهمة في أي مفصل من مفاصل المهرجان ، أقول جعله الله سبحانه وتعالى في ميزان حسناتنا نحن وإياهم (فما كان الله ينمو) وهذا نابع من قلوب أناس أحبوا الله فذابت في عشق محمد وآله المنتجين صلوات الله عليهم أجمعين.

فكان نتاج المهرجان إضافة للبحوث والقصائد الشعرية للسنتين الماضيتين، [الأولى ١٣ عنوان بـ ١٧ كتاب] و[السنة الثانية ٨ عناوين بـ ٢٢ كتاب] يُضاف إليها كتابين وهما: ترجمة النصوص الخمسون وشرح وافي لرسالة الحقوق للإمام السجاد عليه السلام إلى اللغتين الإنكليزية والفرنسية. وكان المهرجان في السنة الأولى

تحت عنوان (رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام منهج ودستور)، والسنة الثانية (رسالة الحقوق للإمام السجاد عليه السلام بين التشريع والتطبيق).

وهذا العام يُقام المهرجان الثالث يوم وفاة سيّد الساجدين وزين العابدين ٢٥/ محرم الحرام/ ١٤٣٨ هـ الموافق (٢٦ تشرين الأول ٢٠١٦ م). تحت عنوان (رسالة الحقوق للإمام السجاد عليه السلام أسس وقواعد لمجتمع مزدهر). ويستمرّ لمدة ثلاثة أيام يرافقها جلسات بحثية، ومسرحية مستوحاة من رسالة الحقوق، ومعرض للكتاب، ومعرض للصور، وهذا الكتاب بالإضافة للكتب الأخرى التي بين أيديكم هي نتاج هذا العام.

ختاماً، الشكر الوافي لسماحة المتولّي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي لدعمه وإصراره على إقامة المهرجان رغم كل الظروف، وآخر قولنا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وأدعو الله سبحانه وتعالى مخلصاً أن يتقبّل منّا هذا العمل ، إنه سميع مجيب.

جمال الدين محمد علي الشهرستاني

٢٦/شوال/١٤٣٧ هـ

١/آب/٢٠١٦ م

كربلاء المقدسة

مقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالبينات والهدى، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد، والصلاة والسلام على أفضل رسله، وأشرف أنبيائه، أبي القاسم محمد ﷺ، الذي ختم الله به رسله، وكرمه فجعل سيرته أسوة حسنة لكل مؤمن في جميع شؤون الحياة. فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١)، وختم بدينه الشرائع، فجعل رسالته أكمل الرسالات وأوفاهها بحاجات الناس في مختلف بيئاتهم وعصورهم. فقال: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢)، وأتم صلواته وأزكاها على أهل بيته الهداة البررة الذين علم الله فيهم سلامة الفطرة، وصدق العقيدة، وعظيم التضحية، فشرّفهم بحمل رسالة الإسلام إلى أمم الأرض، فبدلوا في سبيلها مهجهم، وفارقوا من أجلها ديارهم، حتى أدوا الأمانة، وبلغوا الرسالة، ونصحوا الله ورسوله، فكان لهم فضل على الإنسانية لا يعرف مداه، ودين في عنق كل مسلم حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فجزاهاهم الله عن ذلك خير الجزاء.

أما بعد:

لقد شغلت دراسة سيرة الرسول الأعظم محمد ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ؛

(١) الاحزاب: ٢١.

(٢) المائدة: ٣.

الباحثين الدارسين كثيرا فكانت خير ما يتدارسونه إذ هي خير معلّم ومثقف، ومهذب ومؤدب، وأصل مدرسة تخرّج فيها الرعيل الأول من المسلمين والمسلمات، الذين قلّما تجود الدنيا بأمثالهم. ففيها ما ينشده المسلم، وطالب الكمال من دين، ودنيا، وإيمان واعتقاد، وعلم، وعمل، وآداب وأخلاق، وسياسة وكياسة، وإمامة وقيادة، وعدل ورحمة، وبطولة وكفاح، وجهاد واستشهاد، في سبيل العقيدة والشريعة، والمثل الإنسانية الرفيعة، والقيم الخلقية الفاضلة.

وقد خرّجت تلك المدرسة العظيمة مدرسة الوحي الإلهي أمثل النماذج البشرية، فكان منهم العالم العامل، والفقير البارِع، والعامل الحازم، والحكيم الذي تتفجر من قلبه ينابيع العلم والحكمة، وكل ذلك كان من ثمرات الإيمان بالله، وبرسوله الأكرم ﷺ، وبهذا كانوا الأمة الوسط، وكانوا خير أمة أخرجت للناس. قال تعالى في حقهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(١)، وإلى ذلك يشير رسول الله ﷺ: «إن مثل ما بعثني الله به من الهدى، والعلم كمثل غيث أصاب أرضا، وكان منها طائفة طيبة فقبل الماء فأنبثت الكلاً والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس وشربوا منها، وسقوا وزرعوا...»^(٢).

وأكرم بها من سيرة انتجت للإنسانية اطهر النماذج البشرية واقدسها، أهل بيت النبوة الطاهرين ﷺ المخلصين الثابتين على الحق فكان منهم صديق هذه الأمة وفاروقها امير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومنهم المجتبي وسيد الشهداء وزين العابدين وياقر العلم وصادقهم وكاظم الغيظ والرضا المرضي وجواد الأئمة وهاديهم وزكيهم ومهديهم (صلوات الله عليهم)، شجرة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين، فكان الإمام علي بن الحسين ﷺ فرع مبارك من تلك الدوحة المحمدية العظيمة، فما هو إلا امتداد للخط الإلهي الأصيل صراط الله المستقيم ونهجه القويم.

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) بحار الأنوار، للمجلسي. ج ١ ص ١٨٤.

إننا إذ نتناول البُعد الثوري للإمام زين العابدين عليه السلام إنما نغرف من بحر لجي عميق عمق الإيمان الأصيل، ونقف أمام طود شامخ كلما حاول البصر أن يلمح بعض صفاته ارتدّ خاسئاً وهو حسير يجر أذيال الخيبة لفشله في معرفة كنهه وأبعاد ذاته القدسية، فالكاتب إذا أراد أن يكتب عن شخصية ما فإنه يجد أنها متميزة في جانب معين دون آخر فيسهل عليه الأمر ويتخذ ذلك مفتاحاً للولوج، فتسهل معرفته، ولكننا عندما نريد أن يكتب في عظيم ك (زين العابدين) فإنه يجده فوق عظمة الأشخاص، فوجوه عظمته متعددة، حتى يعجز المحصي عن الإحصاء، والمستقرئ عن الاستقراء، فلا نغالي إذا قلنا إنه معجزة خالدة من معاجز أهل بيت الرحمة والنبوة عليهم السلام.

ولعلّ أبرز وأوضح مظاهر الأسوة في سيرة إمامنا زين العابدين عليه السلام، مما ينبغي على كل مسلم وداعية إلى الله عز وجل، وعالم بالشريعة، وحامل لفقهها، أن يتدبره ويجعله نصب عينيه، هو الطاعة لما جاء به من سنة شريفة سواء كانت قولية أو فعلية أو تقريرية ليكون له شرف الاقتداء برسوله عليه السلام، وليفتح أمامه باب النجاح في دعوته بين الناس، وباب القبول والرضى من الله جل شأنه، وليكتب له شرف الخلود مع رسوله عليه السلام في جنات النعيم، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١).

وقد رفع الإسلام مكانة القائد بصورة عامة وأعطاهما مكاناً محورياً في مختلف مراحل الحياة الإنسانية وكافة علاقاتها السياسية والفكرية والاجتماعية ونحوها، وجعل منه مفهوماً إلهياً مقدساً لا ينبغي لكل من هبّ ودبّ أن يتقلّده أو يستحوذ عليه فغداً رمزاً إنسانياً للقيم العالية، وطاقة تمدّ الحياة بعناصر الديمومة والبقاء، فالقائد النموذجي هو الذي يسعى إلى حفظ النظام العام ولولاه، لفقدت المجتمعات عناصرها الضرورية في التكون والتكوين، ولآل الوضع إلى حال يتعذر علينا تصوره.

ونحن - أتباع مدرسة أهل البيت (عليه السلام) - قد منَّ الله تعالى علينا إذ هدانا إلى صراطه المستقيم فحبانا بنعمته العظمى (حب محمد وآل محمد)، فقيض لنا قادة لا يمكن لزمان أو مكان أن يوجد بمثلهم، ومن الذين خلدهم التاريخ، ليصبحوا في قمة الهرم هو إمامنا الثائر علي بن الحسين (عليه السلام) فقد ترك بصمة على مسرح الأحداث التاريخية وخلف اثرا يتعذر محوه أو اخفاؤه فنراه حاضرا في ضمائر الاحرار والمخلصين.

حقيقة أن الذي استوقفني أمام هذه الشخصية العظيمة ودعاني إلى كتابة هذا المؤلف هو الظلم والحيث الذي حاق بهذه الشخصية من قبل الكتاب غير المنصفين من جهة والجهال العوام من جهة أخرى فنراهم يحصرون عمل الإمام (عليه السلام) بنشاطات معينة دون غيرها كاعتكاف العمل الجهادي والافتصار على البكاء والدعاء ناسين أو متناسين ان البكاء والدعاء هو بحد ذاته ثورة ضد الظلم والظالمين وسياتي بيان ذلك في طيات الكتاب، وقد زاد في الطين بلة عدم فهم حقيقة النشاطات التي كان يمارسها (عليه السلام) وغياب الافق الواسع عند الكثير ممن تعامل مع هذه الشخصية.

ف«المظلومية التاريخية التي تعرض لها شخص الإمام زين العابدين (عليه السلام) وشخصيته المقدسة وما اصابه من الحيف والتجني من قبل كتاب السيرة والتاريخ يعدُّ من أكثر المظلوميات وأكبرها التي حاقت بشخصية من شخصيات الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام)، فلا يكاد يُعرف عند أغلب العوام إلَّا بـ (عليل كربلاء) لفظ نلتمس وراءه دلالة الضعف والوهن والانكسار، «فقد كان تأثيره العظيم والهائل على واقع المسلمين خفياً ودوره في قيادتهم يكاد يكون من أخفى أدوار الأئمة (عليهم السلام)، فالكثير من الناس لا يعرف الدور الحقيقي الذي مارسه الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في التأثير في واقع المسلمين، فإنهم إما أن يحصروا الإمام زين العابدين ببعض الصفات البارزة فيه والواضحة في الصحيفة السجادية وما اشبه أو انهم يجهلونه كلياً»^(١).

إن الظروف التي رافقت حياة الإمام زين العابدين عليه السلام يمكن أن توصف بالأشدَّ صعوبةً والأكثر خطراً على مدرسة أهل البيت عليهم السلام لتفاقم الانحراف وتفشي آثاره في جميع مفاصل المجتمع الإسلامي، الأمر الذي أدى إلى إراقة دماء أشرف خلْق على وجه الأرض وفي وقت قد تكون «التقية» أولى من كل وقت وعلى العكس من ذلك نجد الإمام زين العابدين عليه السلام يرفع لواء الثورة التي طالما رفعها آباؤه الطاهرون فغدوا مشعلا ومنارا لكل احرار العالم، وليس ذلك بالأمر الغريب.

ف «قد حفل تاريخ الإسلام بالثورات الخالدة ضد البغي والجور، وكانت الشيعة في طليعة المسلمين في نضالها وكفاحها ومناهضتها للحكم الفاسد، فقد قدموا المزيد من التضحيات في سبيل إنقاذ المسلمين من السلطة الجائرة... فالشيعة أول من حمل الثورة الفكرية في الإسلام ضد الطغيان، وفي نظرياتهما تكمن روح الثورة، وأن عقيدة الإمامة التي آمن بها الشيعة حملتهم على انتقاد الطبقة الحاكمة ومعارضتها في جميع مراحل تاريخهم، وجعلتهم يرون كل حكومة غاصبة ظالمة مهما كان نوعها إلا إذا تولى أمرها إمام معصوم، لذلك كانوا في ثورة مستمرة، لا يهدأون ولا يفترون، فهم يقيسون كل حاكم على ما عندهم من مقاييس الإمام المعصوم فيرونها ناقصا غاصبا، وعلى هذا استمروا تأثيرين في السر والعلن على توالي الأجيال»^(١).

قال الذهبي يصف الإمام زين العابدين عليه السلام: «وكان له جلالة عجيبة! وحقَّ له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى، لشرفه وسؤدده وعلمه وتألهه، وكمال عقله»^(٢).

وعن علم الإمام زين العابدين عليه السلام ومدى وثاقة اتصاله بوحى السماء يحدثنا التاريخ أن الزهري سأل علي بن الحسين عليهما السلام عن أمر يخص مفهوم الإمامة وكان يحمل فهما ناقصا مغلوطا عن ذلك فنراه يتساءل: «يا ابن رسول الله هذا الذي أوصيت إليه أكبر أولادك؟

(١) وعاظ السلاطين: علي الوردي، ٣٩٣.

(٢) سير الذهبي ج ٤ ص ٣٩٨.

فقال: يا أبا عبد الله ليست الإمامة بالصغير والكبير، هكذا عهدَ إلينا رسول الله ﷺ، وهكذا وجدنا مكتوباً في اللوح والصحيفة.

قلت: يا ابن رسول الله فكم عهد إليكم نبيكم أن تكون الأوصياء من بعده؟ قال: وجدنا في الصحيفة واللوح اثني عشر أسامي مكتوبة بأسماء آبائهم وأمهاتهم، ثم قال: يخرج من صلب محمد ابني سبعة من الأوصياء فيهم المهدي^(١).

والإمام زين العابدين عليه السلام هو رابع الأئمة الاطهار الذين نصّ عليهم رسول الله ﷺ ليخلفوه في قيادة الأمة الإسلامية ويسيروا بها إلى شاطئ الأمن والسلام الذي قدّر الله لها في ظلال قيادة المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ولقد انحدر ﷺ من سلالة طاهرة مطهرة ارتقت سلّم المجد والكمال وكان أفرادها قمماً شامخة في دنيا الفضائل بعد أن حازت على جميع مقومات الشخصية الإنسانية المتكاملة في مجال الفكر والعقيدة والعقل والعاطفة والإرادة والسلوك، حيث أخلصوا الله تعالى وذابوا في محبته وانصهروا في قيم الرسالة الإسلامية وكانوا ربانيين بحق، وبذلك أصبحوا عدلاً للقرآن الكريم بنصّ الرسول الأمين، والقُدوة الشامخة بعد الرسول الأكرم ﷺ والأمناء على تطبيق الرسالة الإسلامية والقيادة المعصومون المؤهلون لتوجيه الأمة وتربيتها وإدارة شؤونها وتلبية متطلبات تكاملها وتحقيق سعادتها دنياً وآخرة.

لقد كان علي بن الحسين عليه السلام القُدوة الشامخة والأسوة الحسنة، وقد عرف بـ «زين العابدين» و«سيد الساجدين» و«قُدوة الزاهدين» و«سراج الدنيا» و«جمال الدين»، فكان أهلاً للإمامة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتألقه وكمال عقله، كما شهد له بذلك كل من عاصره.

لقد عاش زين العابدين عليه السلام طفلة حياته في مدينة جده رسول الله ﷺ فيفيض

من علمه على الأمة المسلمة، ويرعى شؤون الجماعة الصالحة التي بذرت بذرتها رسول الله ﷺ، وربّاه الإمام علي ثم الإمامان الحسن والحسين ﷺ فأتى ليغذيها من بعدهم مقدّماً لها كل مقومات تكاملها وأسباب رشدّها وسموّها.

وقد عانى الإمام زين العابدين ﷺ من ظلم الأمويين منذ أن ولد وحتى استشهد، فعاصر أشدّ أدوار الظلم الأموي، وتجرّع من غصص الآلام ما يفرد به مثله وعياً وعظمة وكمالاً.

ولكنه استطاع أن يربّي أعداداً كثيرة من الفقهاء والعلماء والمفسّرين حيث كان المسلمون يقصدونه من شتّى بقاع العالم الإسلامي وقد دانوا له بالفضل بشكل لا نظير له، ولم يعيش منعزلاً عن أحداث الساحة الإسلامية وإنّما ساهم بشكل إيجابي في توعية الجماهير وتحريك ضمائرهم وسعى لرفع شأنها وإحياء كرامتها بالبذل المادي والعطاء المعنوي كآبائه الكرام وأجداده العظام ولم يقصر عنهم عبادة وتقوى وصبراً وإخلاصاً فكان قدوة شامخة للجيل الذي عاصره ولكل الأجيال التي تلتّه.

مدخل

إن الثورة الإصلاحية التي قادها الإمام زين العابدين عليه السلام ثورة أساسها توحيد الله والإخلاص في عبادته، وكانت دعائهما توزيع العدالة بين الناس، وتنظيم العلاقة بين الفرد والجماعة، وتربية الضمير الديني ليكون بين يدي الناس ومن ورائهم قانوناً يحكم ويلزم، ويراقب ويحاسب.

وقد حظي علي بن الحسين عليه السلام بمنزلة عالية في اوساط الأمة الإسلامية حتى سارت الركبان بصيته في العلم والتقوى والتمثيل الحق للخط الإسلامي الأصيل فكانت الأمة ترى فيه ما ترى في آبائه الطاهرين عليهم السلام، وقد اتحف الإمام عليه السلام الأمة الإسلامية بعقيدة التوحيد بعد ان انحرفت عن مسارها فغدت مجهولة مغمورة، مظلومة مغبونة، نتيجة لتأثرها بالتيارات المنحرفة التي غزت الإسلام فضلاً عن السياسات الالحادية التي تبنتها السلطات الحاكمة آنذاك والتي حاولت ان تلبسها لباس الدين القويم.

«لقد جسد الفكر الثوري للإمام زين العابدين عليه السلام منظومة إسلامية متكاملة فهو الامتداد الأصيل للرسالة المحمدية الخاتمة كما أنه من أهل البيت عليهم السلام عدل القرآن الكريم، وعلمائه يفسرونه ويوضحونه ويبينونه ويكشفون غرائبه ويستخرجون كنوزه. فكان بحق الأسوة الحسنة والقُدوة الصالحة في الاستقامة، والصبر، وسعة الصدر، وحُسن الخلق، والمنهج الصحيح في الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، والجهاد في سبيله بالنفس والمال، والاستعداد للتضحية بالغالي

والرخص من أجل الدفاع عن الحق والعدل ونصرة المظلومين قال تعالى مادحا لهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١) ﴿٢﴾.

مفهوم الثورة

الثورة عند اللغويين مأخوذة من ثَارَ الغبار يَثُورُ ثُورًا وَثُورَانًا، أي سطح. وأثاره غيره. وثار به الناس، أي وثبوا عليه. والمُثَاوَرَةُ: الموائبة.

ويقال: انتظر حتى تسكن هذه الثورة، وهي الهيج. وَثُورَ فلانٌ عليهم الشر، أي هيجه وأظهره. وَثُورَ الْبَرْكَ واستثارها، أي أزعجها وأنهضها. وثارَت نفسه، أي جشأت. ورأيتُه ثائرَ الرأس، إذا رأيته وقد أشعانَ شَعْرَ رأسه. وثار ثائرُهُ، أي هاج غضبه^(٣).

وِثُورُ الْقُرْآنَ، أي بحث عَنْ علمه. قال ابن الأثير في النهاية في مادة (ثور): ومنه الحديث: «من أراد العلم فليثور القرآن»، أي لينقر عنه ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته ومنه حديث عبد الله: «أثيروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين».

وفيه (صلوا العشاء إذا سقط ثور الشفق) أي انتشاره وثوران حمرة، من ثار الشيء يثور إذا انتشر وارتفع. ومنه الحديث: (فرأيت الماء يثور من بين أصابعه) أي ينبع بقوة وشدة. والحديث الآخر: (يقوم إلى أخيه ثائرا فريسته) * أي متنفخ الفريضة قائمها غضبا^(٤).

و (أثاره) إثارة وإثارا هيجه ونشره وفي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَثَرْنَ

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة: ١.

(٣) منتخب من صحاح الجوهري: ٦٣٣. لسان العرب، لابن منظور ج ٤ ص ١١٠. تاج العروس ج ١٠ ص ٣٤٤-٣٤٥.

الفريضة: اللحمة التي بين الجنب والكتف لا تزال ترعد من الدابة، وأراد بها هنا عصب الرقبة وعروقها، لأنها هي التي تثور عند الغضب.

(٤) تهذيب اللغة مادة (ثور). المعجم الوسيط: ١٠٢.

يَهْ نَقْعًا»^(١)، وَالْأَرْضُ حَرْثُهَا لِلزَّرَاعَةِ وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزُ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا»^(٢)، وَيُقَالُ أَثَارَ الْأَمْرِ بَحْثُهُ وَاسْتِقْصَاؤُهُ وَفِي الْأَثَرِ: (أَثِيرُوا الْقُرْآنَ فَإِنْ فِيهِ خَيْرٌ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ)^(٣).

أما في الاصطلاح السياسي فقد عُرِفَت (الثورة) على: أنها تَغْيِيرٌ أساسي في الأوضاع السياسية والاجتماعية يقوم به الشعب في دولة ما. ومنهم من قال (الثورة): اندفاع عنيف من جماهير الشعب نحو تغيير الأوضاع السياسية والاجتماعية تغييراً أساسياً، فيما ذهب آخرون أنها تحوُّل أو تَغْيِيرٌ أساسي في جانب من جوانب الحياة الاجتماعية أو الفكرية أو الصناعية.

ويقال: ثورة المعلومات / ثورة المعلوماتية ويُراد التقدم الهائل في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، الذي أعطى قدرة فائقة للحركة المعلوماتية على المستوى العالمي بتجاوز كل حواجز القوميات.

وإشارة الرأي العام: هو التعبير بالقول أو بالكتابة عن مظالم الطبقات والجماعات؛ للتأثير على أفكارهم ومحاولة إثارة تَبَرُّمها حتى تنور على أوضاعها. و(الثائر) الَّذِي لَا يَبْقِي عَلَى شَيْءٍ حَتَّى يَذْرُؤَ ثَأْرَهُ. وقيل: متمرد على السلطة القائمة أو النظم. وقيل: الثائر: الغَضبان. يُقَالُ: ثَارَ ثَائِرُهُ، وفار فائِرُهُ، إِذَا غَضِبَ. والثائرُ: الطَّالِبُ. والثائرُ: المَطْلُوبُ. وَيُجْمَعُ الْأَثَارُ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً ثَائِرٍ لَهَا نَفْدٌ لَوْلَا الشُّعَاعُ أَضَاءَهَا

(١) العاديات ٣ - ٤.

(٢) الروم: ٩.

(٣) ينظر مبحث الثورة في اللغة والاصطلاح: منتخب من صحاح الجوهري: ٦٣٣. لسان العرب، لابن منظور ج ٤ ص ١١٠. تاج العروس ج ١٠ ص ٣٤٤ - ٣٤٥. تهذيب اللغة مادة (ثور). المعجم الوسيط: ١٠٢، معجم اللغة العربية المعاصرة: ٣٣٥ - ٣٣٧.

وَيُقَالُ لِلثَّائِرِ أَيْضاً: الثَّارُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ طَالِبٍ وَمَطْلُوبٍ ثَأْرٌ صَاحِبِهِ.
وَالْمَوْثُورُ الثَّائِرُ: طَالِبُ الثَّارِ، وَهُوَ طَالِبُ الدِّمِّ، وَفِي الْأَمْثَالِ: (لَا يَنَامُ مِنْ ثَأْرِ
كَذَا). وَقِيلَ: (لَا يَنَامُ مَنْ! أَثَارُ).

وَمِنَ الْمَجَازِ: ثَوَّرَ عَلَيْهِمُ الشَّرَّ، إِذَا هَيَّجَهُ وَأَظْهَرَهُ، وَثَارَتْ بَيْنَهُمْ فِتْنَةٌ وَشَرٌّ، وَثَارَ
الدِّمُّ فِي وَجْهِهِ. وَأَثَارَ الشَّرَابُ بِقَوَائِمِهِ إِثَارَةً: بَحَثَهُ، قَالَ: يُثِيرُ وَيُذِرِي تُرْبَهَا وَيُهِيلُهُ إِثَارَةً
تَبَاتِ الْهَوَاجِرُ مُحْمَسٍ^(١).

إِنَّ مِنْ سَلِيَّاتِ الْحَدِيثِ عَنْ مُصْطَلَحِ (الثورة) هو عدم تحديد معانيها
ومدلولاتها عند الكثيرين. فهل الثورة هي حمل السلاح فقط؟ إن كان الأمر كذلك
فإن هناك العديد من الثوريين الذين لم يحملوا السلاح وإنما كانوا اللسان الناطق
باسم الذين حملوه، ولولاهم لبقى الثوار في حصار مادي وسياسي ومعنوي قاتل،
أو هل الثورة هي فكرة تختمر وتضجح حتى تصبح مشروعاً حضارياً كبيراً وعملاً
مباشراً قابلاً للإنجاز؟

ولا يمكن أن نقصر مفهوم الثورة على أنها حركة مسلحة لتغيير رأس الحكم،
فهو فهم قاصر وناقص عاجز عن تحقيق آمال الثائرين في الحرية والرفاهية ورفع نير
الظلم والاستبداد، نعم التغيير بهذا المفهوم هو جزء من عملية تغيير كبرى متعددة
الأبعاد والنواحي، فيزيد بن معاوية مثلاً وإن كان هو من أمر بقتل الإمام الحسين عليه
وأهل بيته وأصحابه (رضوان الله عليهم) وهو الذي أمر بسبي العيال من الأطفال
والنساء الثكالي إلا أن من نفذ الجريمة بتفاصيلها وجزئياتها هم خلق كثير تعددت
النوازع فيهم وتنوعت من بغض وحقد وطمع واستهتار، وهذا إن دل على شيء فهو
دالٌّ على مدى الانحطاط والتسافل الأخلاقي الذي يعيش في ضمير تلك الجماعة
الضالة، فلو فرضنا جدلاً نجاح التحرك العسكري للإمام الحسين عليه في إسقاط
رأس السلطة الظالمة، فهل يا ترى يكتفي الإمام الحسين عليه بذلك دون التغيير في
الجانب الاجتماعي والفكري والاقتصادي وغيرها من جوانب الحياة.

لذا يمكن القول أن الثورة بمفهومها الرسالي هي تغيير شامل لوضع قائم ما، وهي أول خطوة على طريق الإصلاح والتغيير، وقد مثلت سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام بكل أبعادها وتفاصيلها القولية والفعلية والتقريرية ثورة حقيقية على اوضاع جاهلية متخلفة في عدد من الميادين الرئيسية.

فإذا ما اردنا ان نقف على حقيقة هذا المصطلح وأبعاده، فإننا لا نجد مثل سيرة مولانا علي بن الحسين عليه السلام تمدنا بالمفهوم الصحيح لمصطلح (الثورة) بمفهومها القرآني الأصيل. فالإمام عليه السلام نموذج إصلاحي حي لمن يريد السير على منهاج النبوة وعهد الاوصياء، ولقد أخلص الله تعالى في مشروعه الإصلاحي فتولى الله توفيقه وأطلق السنة الناس بمدحه والثناء عليه.

فالثورة الإصلاحية التي قادها عليه السلام والاعمال الصادرة عنه سواء في سنته القولية أو الفعلية أو التقريرية ينبغي ان تدرس بشكل دقيق لتفهم فهما صحيحا، فقد يصدر عنه عليه السلام أمراً يكون ضمن التكليف الشرعي العام لعدم وجود ظروف أو ملابسات استثنائية، وقد يصدر عنه عليه السلام أمراً تستدعيه ظروف المرحلة التي يعيشها أو تدعو إليها الاهداف والغايات التي قد لا ندرك عمقها أو نقف على حقيقتها إلا بالوعي الناضج والموضوعية العلمية السليمة.

وقد حمل الإمام زين العابدين عليه السلام بعد أبيه سيد الشهداء عليه السلام لواء الثورة ضد النفوذ الأموي على مقاليد الحكم في الدولة الإسلامية ساعياً لتبصير الأمة بحقيقة الإسلام النبوي ودعوتها للالتزام به، وقد سطر في سبيل ذلك أروع صور الجهاد وضعا للأمة الإسلامية الخطوط العريضة لتبني على أساسها التصدي ومواجهة الصور الزائفة للإسلام.

فتمكن الإمام عليه السلام ان يهز واقع الأمة ويخرجها من سباتها العميق، ويعيد لها هويتها التي سلبت منها ويبعث فيها روح التحدي والمواجهة، فهي بحق ثورة عميقة الجذور، ونهضة شاملة لم تكن في حقيقتها ذات بعد واحد بل هي كالإسلام الذي وصفت به واستلهمت منه تشمل جميع الجوانب المادية والمعنوية في حياة هذه

الأمة حيث لم تتناول تغيير الجوانب المادية فقط بل تغيير النهج الثقافي والتربوي والبنیان الفكري هو هدفها الاسمی.

نعم، لقد انتصرت الحركة الثورية التي قادها سيد الساجدين (ع) وأثمرت بفضل العناية الإلهية فلم تكن مجرد رد فعل آنی ذا تأثير ومساحة محدودة تتحدد آثارها التغييرية بحدود الأوضاع السياسية والاجتماعية، بل طموحها التغيير الجذري في القيم السائدة التي شيد عليها الأميون صرح دولتهم. فهي تمثل حدثاً حضارياً إنسانياً شاملاً يحمل إلى الفرد المسلم رسالة الحياة الحرة الكريمة التي بشر بها الأنبياء (ع) على مدى التاريخ وفاتحا أمام تطلعات الأمة الإسلامية أفقا باسماء بالنور والحياة، والخير والعطاء.

وكان من أولى نتائج تلك الحركة الإصلاحية نشر الوعي الثقافي الذي دفع بالمسلم إلى ولوج ميادين الثقافة والعلوم بشتى فروعها، مما جعل قلوب الكثيرين تنبض بثقافة القرآن وعلوم الإسلام.

لقد مثل تراث الإمام زين العابدين (ع) المتجسد بالصحيفة السجادية ورسالة الحقوق فضلاً عن تعاليمه ووصاياه وسيرته العملية المصدر الأول الذي استلهمت الثورة منه دستوراً ومنهجاً. وكان أهم ما عمل (ع) على ترسيخه في ضمير الأمة هو المبدأ المتمثل في قوله سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١)، وهو لسان حال الثورة ضد الفهم السيئ للإسلام الذي عملت السلطة الحاكمة وعلماء بلاطها على ترسيخه في اذهان الناس والمتمثل في تجريم وتحريم كل ثورة أو انتفاضة ضد الحاكم وان كان جائراً وان كان فاسقاً متهتكاً، فسعى (ع) إلى الإصلاح لتصحيح العقيدة وتقويم الانحراف. ونعني بالإصلاح هنا المفهوم القرآني الأصيل للثورة التغييرية الذي هو أعم وأشمل وأعمق من الإصلاح بمفهوم التحرك العسكري.

طبيعة الثورة:

إن الدعوة الإصلاحية - التي دعا إليها رسول الله ﷺ وقادها أهل بيت النبوة ﷺ وحمل الإمام زين العابدين عليه السلام رايتها في مرحلة من مراحلها - إنما هي دعوة إلى توحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة بكل أنواعها، لله الواحد الأحد، وهي تنديد بالظلم والطغيان وأهلهم، ودعوة إلى اجتناب الأوثان والطواغيت، مهما تعددت أشكالها وألوانها وصورها، ودعوة إلى إسقاط الأقنعة الزائفة التي يتستر وراءها أولئك الذين يتسلطون على رقاب العباد وأمورهم، ويزعمون لأنفسهم حق السيادة عليهم، وحق التشريع لهم والطاعة والاتباع.

وعقيدة الإصلاح، وهو الإيمان بالله سبحانه وبأنه هو وحده الإله الحق الذي ينبغي أن يعبد وأن يطاع وأن يكون له الأمر والنهي، لأنه وحده هو الخالق: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ إِنَّمَا أَمْرٌ أَلَّا تُعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(١)، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(٢).

وأن كل ما عداه، من الآلهة التي يعلق الناس عليها آمالهم ويعكفون حولها، إنما هو زيف وباطل، وأن الله سبحانه هو مالك الملك المتصرف بكل شيء: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبِيدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

وأنه هو وحده القادر الرازق المحيي المميت، مقدر الآجال، وإليه المرجع والمصير، وأن ما عداه، مما يدعوا الناس من آلهة وما يخافون في الأرض من دون الله إنما هو زيف وضلال وغشاء: ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا قُلْ دَرَجَاتٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرْكَ وَمَا لَكُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾^(٤).

وقد سعت ثورة الإصلاح والتصحيح إلى الكشف عن الحقيقة، وإزالة

(١) يوسف: ٤٠.

(٢) الاعراف: ٥٤.

(٣) آل عمران: ٢٦.

(٤) سبأ: ٢٢.

الغشاوة عن العيون، واسقاط الأقنعة التي يختبئ وراءها الطغاة، وتقويض عقائدهم، وكشف زيفهم، فقد مثلت الثورة خطراً عظيماً يهدد سيادتهم، ويقلق أمنهم وراحتهم، ويقلب الأوضاع التي تعارفوا عليها، والقيم والتقاليد الجاهلية، وتنزع منهم السلطان الذي يتسلطون به على رقاب العباد فيذلونهم ويحتقرونهم، ويتسلطون به على أرزاقهم وأموالهم، فيأكلون بالباطل والإثم والعدوان.

وقد رفعت الثورة في كل مجالاتها شعاراً عملياً من خلال ممارستها أن الناس كلهم سواسية أمام الله تعالى، لا يُمَاززون بالأنساب ولا يتخابلون بالألقاب.. السادة والعبيد سواء.. لا يتفاضلون إلا بالإيمان والتقوى ولا يُمَاززون إلا بالسبق والبلاء، فالكل خلقوا من أصل واحد ويعبدون رباً واحداً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (١). ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ﴾ (٢).

أركان العمل الثوري:

كانت الثورة - التي قادها رسول الله ﷺ والأئمة الاثنا عشر (عليه السلام) وجسد الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) أحد أهم فصولها - قد كُتِبَ لها النجاح بكل المقاييس التي يمكن ان تقاس بها الثورات، لأنها جاءت منسجمة انسجاماً تاماً مع متطلبات الواقع الحياتي للأمة الإسلامية، بعد ان شخّص (عليه السلام) مواطن الضعف والوهن، ووقف على اسبابه ومعطياته، بادر إلى وضع العلاجات المرحلية المناسبة المتفقة مع مفاصل الحياة المختلفة.

ويمكن تلخيص طبيعة حركة الإمام (عليه السلام) ومسيرته الثورية في محورين:

الأول: مشترك مع باقي الأئمة الطاهرين (عليه السلام) ويتمثل في المواقف المشتركة

(١) النساء: ١.

(٢) الحجرات: ١٣.

والخطوط العامة في حماية الرسالة الإسلامية والوقوف بوجه محاولا التحريف والتدليس الذي طالها، وكان أهم الاجراءات المتخذة:

- بناء قاعدة فكرية رصينة تستقي من منبع أصلي تمثل درع أمان لحماية الرسالة الإسلامية.

- تعميق المبادئ الإسلامية - التي نادى بها السماء ودعا إليها رسول الرحمة محمد ﷺ - في نفوس المسلمين من خلال توضيح معالم الدين الحنيف.

- رسم الصورة المثالية للإنسان المسلم من خلال إبراز المواقف النموذجية التي من شأنها أن تجعل كأسوة حسنة وميزان للتفاضل يسهم في مواجهة الصعاب والضغوطات التي قد يتعرض لها الفرد المسلم في حياته اليومية.

الثاني: خاص بالإمام ﷺ تبعاً لظروف وملابسات المرحلة التي يعيشها، ومقدار مساحة الحركة التي يستطيع العمل فيها، ولا نعني بذلك أن تلك الظروف والأحداث هي التي تفرض على الإمام ﷺ طبيعة حركته، وإنما نعني أسلوب التعامل مع الوقائع والأحداث ولكن ليس على حساب المبدأ والهدف.

وقد قامت الثورة التصحيحية للأئمة الطاهرين ﷺ على ثلاثة أركان هي:

الركن الأول: الخلفية الروحية (بعث الروح):

ونعني بذلك معرفة أهمية الإصلاح وضرورته وبعث الأمل في النفوس بإمكانية النهوض، وذلك عبر إعطاء التطلع والهمة العالية لتحقيقه، وهذا يُسمى بعث الروح في الأمة. وإن أي ثورة إصلاحية بحاجة إلى هذه الروح. ولعل أول ما سعى الإمام زين العابدين ﷺ إلى زرعها في النفوس حب الحرية ليعطيها زخماً في مواجهة مظاهر الظلم من الاستغلال والاستعباد وانتهاك الحقوق وضياعها التي ما برحت حملاً ثقيلاً على كاهل المجتمع.

الركن الثاني: الخلفية الثقافية (إثارة العقل):

فإذا ما توفر الركن الأول تحتم وجود ثقافة ثورية متكاملة تدعم عقيدة

الإصلاح، فلو لم تكن لدى الشعب ثقافة ثورية متكاملة، وكانت مكانها ثقافة الاستعباد والاستغلال لكانت الروح وحدها لا تغني شيئاً. وهذا يسمى إثارة العقل في الأمة.

الركن الثالث: التفجير الثوري (تعبئة الطاقات):

فإذا ما تكامل ركننا الروح والثقافة تهيأت الأرضية المناسبة لتعبئة الطاقات وتفجير الثورة^(١).

(١) التاريخ الإسلامي (دروس وعبر)، لمحمد تقي المدرسي: ١١٠-١١٢.

الفصل الأول

الإمام زين العابدين (ع) ثائراً

المبحث الأول: شخصيته

المبحث الثاني: مقوماته

المبحث الأول

شخصيته

عاش الإمام زين العابدين (عليه السلام) أقدس وأشد ما يعانيه إنسان معارض وهو يرى بألم عينيه مشاهد وفصول واقعة كربلاء الرهيبة ويبقى يحمل ذكرياتها في ضميره ووجدانه، فقد كان حكام الجور وجلالوتهم يحصون عليه أنفاسه ويراقبون حركاته وسكناته، لما يمثله (عليه السلام) كونه وارث جده وأبيه سادة الأمة وعلمائها. لقد شاء الله تعالى واقتضت حكمته البالغة ان يبقى شاهداً على أفظع جريمة عرفها التاريخ، ترك آثارها في الأمة الإسلامية فأصابته بالذهول، وارتدَّ الناس على أعقابهم لا يلوون على شيء، شاء الله تعالى أن يستكمل ما بدأه آبؤه الطاهرون ومما زاد في بشاعة الظلم والحيث الذي لحق الإمام زين العابدين (عليه السلام) التحريف المتعمد من السلطة الأموية الحاكمة لتشويه صورته والتعظيم على مواقفه وسيرته ووفق الطريقة التي تخدم السلطة الحاكمة، وتبرّر للحكام عزلته أو اعتزاله، بل تفسّر ذلك وتبرره على أنه الموقف السليم من الحكم.

لقد كان الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) نموذجاً حياً للثائر الإلهي القائد لأكبر ثورة تصحيحية بعد استشهاد سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين (عليه السلام) وعلينا ان نتعامل معه باعتباره حركة في الواقع وتجسيداً للمثال، وقدوة حسنة، ونموذجاً حركياً عاش على الأرض وتحرك مع الناس وأنزل المفاهيم السماوية مصاديق

متحركة تمشي على أقدامها في الأسواق ومع الفقراء والعبيد وعوام الناس، لتؤكد للجميع أنّ الإمام شعار وشعور، مفاهيم ومصاديق، أقوال وأفعال، موعظة وسلوك، توجيه وممارسة.

نسبه:

هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ^(١) بن عبد المطلب - واسمه شعبة الحمد - ابن هاشم، - واسمه عمرو - بن عبد مناف - واسمه المغيرة - ابن قصي - واسمه زيد - بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وعدنان ينتهي نسبه إلى إسماعيل الذبيح رسول الله، ابن إبراهيم خليل الله ورسوله، على نبينا وآله، وعليهما وعلى جميع رسله وأنبيائه أفضل الصلاة والسلام ^(٢).

(نسب عليّه مهابة وجلالة بالمصطفى خير الوري أفضى الأرب)
(نسب أضواء الأفق بنور من لولاه ما طلع الهلال ولا غرب)
(نسب رفيع ضم جامع شمله أغنيان سادات الأعاجم والعرب) ^(٣)

كيف لا وجده الأكبر محمد بن عبد الله سيّد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والآخرة. أبو القاسم، وأبو إبراهيم، مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمَاجِي الَّذِي يُمَحِّي بِهِ الْكُفْرُ، وَالْعَاقِبُ الَّذِي مَا بَعْدَهُ نَبِيٌّ، وَالْحَاشِرُ الَّذِي يُخْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيْهِ، وَالْمُقْتَفَى، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَالْفَاتِحُ، وَطَه، وَيَس، وَعَبْدُ اللَّهِ.

(١) الطبقات الكبرى ج ٥ ص ١٦٤، تاريخ ابن عساكر «ترجمة الإمام زين العابدين»: ١٥ ح ١١ - ١٧، المناقب للشيرازي: ٢٥٥، مجموعة نفيسة (تاريخ الأئمة): ٩.

(٢) جوامع السيرة ط العلمية: (ص: ٤). والمقتفى من سيرة المصطفى: (ص: ٢٦).

(٣) المقتفى من سيرة المصطفى: (ص: ٢٧).

سَمَاءُ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ رَسُولًا، نَبِيًّا، أُمِّيًّا، شَهِيدًا، مُبَشِّرًا، نَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا وَرَوْوفا رَجِيمًا، وَمَذْكُرًا، وَجَعَلَهُ رَحْمَةً وَرِيعَةً وَهَادِيًا.

كنيته وألقابه:

كنيته: أبو الحسن، وأبو محمد، ويقال: أبو القاسم، وروى أنه كنى بأبي بكر، وبأبي الحسين^(١).

وأما لقبه فكان له ألقاب كثيرة، كلها تطلق عليه، أشهرها زين العابدين، وسيد العابدين والزكي الأمين...^(٢) وذو الثنات والخالص، والزاهد والخاشع، والبكاء والمتهجد، والرهباني..^(٣)

- قال ابن شهر آشوب: لقبه زين العابدين، وزين الصالحين، ووارث علم النبيين، ووصي الوصيين وخازن وصايا المرسلين، وإمام المؤمنين ومنار القانتين والخاشعين؛ والمتهجد، والزاهد، والعابد، والعدل، والبكاء، والسجادة، وإمام الأمة، وأبو الأمة ومنه تناسل ولد الحسين عليه السلام^(٤).

أمه:

وأمه شهربانويه بنت يزدجرد بن شهريار بن كسرى ويسمونها أيضاً شاه زنان، وجهان بانويه، وسلافة، وخولة، وقالوا: شاه زنان بنت شيرويه بن كسرى إبرويز، ويقال: هي برة بنت النوشجان، وكان أمير المؤمنين عليه السلام سماًها مريم، ويقال: سماًها فاطمة، وكانت تدعى سيّدة النساء^(٥).

(١) الطبقات الكبرى ج ٥ ص ١٦٤، تاريخ ابن عساكر «ترجمة الإمام زين العابدين»: ١٥ ح ١١ - المناقب للشيرازي: ٢٥٥، مجموعة نفيسة (تاريخ الأئمة): ٩.

(٢) مطالب السؤول: ٧٧، كشف الغمة ٢: ٧٤، الفصول المهمة: ١٨٩، البحار ٤٦: ٥ ح ٦، العوالم ١٨: ١٥ ح ٢.

(٣) البحار ٤٦: ١٥ ضمن ح ٣٣، العوالم ١٨: ١٦ ح ٥.

(٤) المناقب ٤: ١٧٥، عنه البحار ٤٦: ٤ ح ٥ والعوالم ١٨: ١٥ ح ١.

(٥) المناقب ج ٤ ص ١٧٦.

وقد عُرف بين المؤرخين والمحدثين بابن الخيرتين؛ لأنَّ أباه هو الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأمه من بنات ملك الفرس كسرى، أُسرت في إحدى الحروب وعُرض عليها الزواج فاختارت الإمام الحسين (عليه السلام) فتزوجها تكريماً لها.

وقد جاء في (ربيع الأبرار) للزمخشري: أنَّ الله في عباده خيرتان: فخيرته من العرب بنو هاشم، وخيرته من العجم فارس، وفي ذلك قال أبو الأسود الدؤلي:

وإنَّ وليداً بين كسرى وهاشمٍ لأكرم من نيطت عليه التمام^(١)

مولده:

ولد علي بن الحسين (عليه السلام)، نهار الخميس، الخامس من شعبان المكرم في سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، في أيام جدّه علي بن أبي طالب (عليه السلام) قبل شهادته بستين^(٢).

وقيل: يوم الخميس في النّصف من جمادي الآخرة، ويقال: يوم الخميس لتسع خلون من شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة قبل وفاة أمير المؤمنين بستين، وقيل سنة سبع، وقيل سنة ست^(٣).

أولاده:

ولد علي بن الحسين (عليه السلام) تسعة بنين وسبع بنات، أعقب منهم ستة: الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) وعبد الله الباهر؛ أمّهما أمّ عبد الله بنت الإمام الحسن (عليه السلام)، وزيد، وعمر الأشرف، أمّهما جيداء، جارية اشتراها المختار ابن أبي عبيدة بمائة ألف درهم وبعثها إلى علي بن الحسين (عليه السلام) فأولدها زيداً وعمر، والحسين الأصغر، وأمّه أمّ ولد رومية - وقيل أمّه أمّ عبد الله - تدعى عنان؛ وعلي بن علي بن الحسين (عليه السلام) أمّه أمّ

(١) ربيع الأبرار ١: ٣٣٤ - ٧٣.

(٢) الكافي ١: ٤٦٦، اثبات الوصية: ١٦٧.

(٣) لمناقب ج ٤ ص ١٧٥، روضة الواعظين ج ١ ص ٢٠١، اعلام الوري ج ١ ص ٤٨٠.

ولد لا خلاف، وهو أصغر أولاده الذين أعقبوا، وهؤلاء الستة من أولاده الذين لهم العقب وإليهم ينتهي أنساب جميع الحسينية^(١).

وقيل: ولد علي بن الحسين عليه السلام خمسة عشر ولداً: محمد المكنى بأبي جعفر الباقر عليه السلام، أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وعبد الله، والحسن، والحسين أمهم أم ولد، وزيد، وعمر لأم ولد، والحسين الأصغر، وعبد الرحمن، وسليمان لأم ولد، وعلي وكان أصغر ولد علي بن الحسين عليه السلام، وخديجة أمهما أم ولد، ومحمد الأصغر أمه أم ولد، وفاطمة، وعليّة، وأم كلثوم أمهن أم ولد^(٢).

شهادته:

وفي اليوم الخامس والعشرين من المحرم سنة أربع وتسعين كانت شهادة زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام.

وقيل: إنه عليه السلام استشهد يوم السبت في الثاني والعشرين من المحرم لخمس وتسعين. ويقال: استشهد بالمدينة يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم. وقيل: في الثاني عشر من المحرم. وقيل: توفي بالمدينة سنة خمس وتسعين من عشر محرم الحرام^(٣). وقيل: وتوفي سنة أربع وتسعين وقيل: اثنتين وتسعين أو سنة ثلاث وتسعين أو أربع وتسعين أو تسع وتسعين أو مائة^(٤).

مدة عمره وإمامته وطواغيت عصره:

عاش حوالي سبعاً وخمسين عاماً، قضى بضع سنين منها في كنف جدّه علي بن أبي طالب عليه السلام ثم نشأ في مدرسة عمّه الحسن وأبيه الحسين عليه السلام سبطي رسول الله ﷺ، واستقى علومه من هذه المصادر الطاهرة.

(١) سر السلسلة العلوية: ٣٢، الأصيلي: ١٤٥.

(٢) الارشاد: ٢٦١، اعلام الوري ج ١ ص ٤٩٣.

(٣) مجموعة نفيسه (تاج المواليد): ٣٧.

(٤) تاريخ ابن عساکر «ترجمة الإمام علي بن الحسين عليه السلام»: ١١٥ ح ١٥١ إلى ١٦٨.

استمرت إمامته أربعة وثلاثين سنة، عاصر فيها مُلك يزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، وتوفي مسموماً - حسب أكثر الروايات التاريخية - في عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان، وذلك في النصف الأول من شهر محرم الحرام سنة خمس وتسعين للهجرة، وقيل قبل ذلك أو بعده بقليل...

- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قبض عليّ بن الحسين عليه السلام وهو ابن سبع وخمسين سنة، في عام خمس وتسعين، عاش بعد الحسين خمساً وثلاثين سنة^(١).

وروي أنه بقي مع جدّه أمير المؤمنين عليه السلام ستين ومع عمّه الحسن عليه السلام اثنتي عشرة سنة، ومع أبيه الحسين عليه السلام ثلاثاً وعشرين سنة وبعد أبيه أربعاً وثلاثين سنة^(٢).

فكانت أيام إمامته ملك يزيد بن معاوية، وملك معاوية بن يزيد، وملك مروان ابن الحكم، وملك عبد الملك بن مروان، وملك الوليد بن عبد الملك^(٣).

أخلاقه:

كان الإمام زين العابدين عليه السلام على خلق عظيم، كما وصفه من عرفه من الاباعد قبل الاقارب. وكان عليه السلام أحلم الناس، وأشجع الناس، وأعدل الناس، وأعف الناس، وكان من أسخى الناس، لا يأخذ مما آتاه الله تعالى إلا قوت عامه فقط، ويضع سائر ذلك في سبيل الله تعالى. لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه.

كما كان أشد الناس حياءً، لا يثبت بصره في وجه أحد. يجيب دعوة العبد والحر. لا يغضب لنفسه، ويغضب لربه، وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه.

(١) الكافي ج ١ ص ٤٦٨ ح ٦، تاريخ ابن عساكر «ترجمة الإمام زين العابدين عليه السلام»: ١١٤ ح

١٤٥، الارشاد: ٢٤٥، المناقب لابن شهر آشوب ج ٤: ١٧٥، كشف الغمة ج ٢: ٨٢.

(٢) الارشاد ٢٥٣، المناقب لابن شهر آشوب ج ٤: ١٧٥ وفيه بعد أبيه خمساً وثلاثين سنة وأضاف

فبقى مع جدّه أمير المؤمنين أربع سنين، ومع عمه الحسن عشر سنين، روضة الواعظين ١:

٢٠١، البحار ٤٦: ١٢ ح ٢٣ عن الارشاد، العوالم ١٨: ١٦٠ ح ١ عن المناقب.

(٣) دلائل الإمامة: ١٩١، اعلام الوری ج ١ ص ٤٨١.

وإلى تلك الصفات الفريدة يشير الفرزدق في قصيدته الميمية المشهورة التي تعرّض بسببها إلى الترهيب والزج في سجون السلطة الأموية، يقول فيها:

والبيت يعرفه والحل والحرم هذا التقى النقي الطاهر العلم أمت بنور هداه تهدي الظلم إلى مكارم هذا ينتهي الكرم عن نيلها عرب الإسلام والعجم ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم فما يكلم إلا حين يتسم كالشمس تنجأ عن إشراقها الظلم من كف أروع في عرينه شمم طابت عناصره والخيم الشيم حلوا الشاميل تحلو عنده نعم لولا التشهد كانت لاؤه نعم بجده أنبياء الله قد ختموا جرى بذاك له في لوحه القلم وفضل أمته دانت له الأمم عنها العماية والإملاق والظلم يستوكفان ولا يعرفهما عدم تزينه خصلتان: الخلق والكرم رحب الفنا أديب حين يعتزم كفر وقربهم منجأ ومعتصم ويسترد به الإحسان والنعم في كل يوم ومختوم به الكلم أوقيل من خير أهل الأرض قيل هم	هذا الذي تعرف البطحاء وطأته هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا علي رسول الله والده إذا رأت قريش قال قائلها يمنى إلى ذروة العز التي قصرت يكاد يمسكه عرفان راحته يغضي حياء ويغضي من مهابته ينشق نور الدجى عن نور غرته بكفه خيزران ريحه عبق مشقة من رسول الله نبعته حمال أثقال أقوام إذا وفدوا ما قال لا قط إلا في تشهده هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله الله فضله قدما وشرفه من جده دان فضل الأنبياء له عم البرية بالإحسان فانتشعت كلتا يديه غياث عم نفعهما سهل الخليفة لا يخشى بواده لا يخلف الوعد ميمون نقيته من معشر جهم دين وبغضهم يستدفع السوء والبلوى بجهم مقدم بعد ذكر الله ذكرهم إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم
---	---

لا يستطيع جواد بعد غايتهم
هم الغيوث إذا أزمة أزمّت
يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم
لا ينقص العسر بسطا من أكفهم
أي الخلايق ليست في رقابهم
من يعرف الله يعرف أولية ذا
ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
والأسد أسد الشرى والبأس محتدم
خير كريم وأبدى بالندى هضم
سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
لأولوية هذا أو له نعم
فالدليل أن من نبيمت هذا ناله

وقد وصفه بعض العلماء فقال: - هو آدم الثاني، هو نوح الثاني، هو إبراهيم الثاني، هو سيّد العباد، وهو العابد السّجّاد، هو زين العبادين وسيّد المجتهدين، وإمام المؤمنين وأبو الأئمة المعصومين وبقية الصّالحين، وأحد البكّائين، وهو المنعوت بذى الثّغنات، والنّاطق له الحجر بالبيّنات وهو ذو الأعلام الباهرات، وصاحب المعجزات والكرامات، سمّي جدّه عليّ وشبيهه في العبادات ويقال له:

قائم اللّيل، صائم النّهار، الرّاغب في الآخرة، الزّاهد في الدّنيا، المصقّر اللّون من السّهر، المنخرم الأنف والجبهة من السّجود، هو حسن الصّحبة وزوّار الكعبة، حليف القرآن، حبيب الرّحمان، صالح أهل بيت الخير، رفيق الملائكة والخضر المغضى من الحياء، المتشوّق إلى الدّعاء - (٢).

- عن الإمام الباقر عليه السلام قال: كان عليّ بن الحسين عليه السلام يصلى في اليوم واللّيلة ألف ركعة كما كان يفعل أمير المؤمنين عليه السلام، كانت له خمسمائة نخلة، فكان يصلى عند كلّ نخلة ركعتين، وكان إذا قام في صلاته غشى لونه لون آخر، وكان قيامه في صلاته قيام العبد الدّلّيل بين يدي الملك الجليل، كانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله عزّ وجلّ، وكان يصلى صلاة مودّع يرى أنّه لا يصلى بعدها أبداً، ولقد صلى ذات يوم فسقط الرّاء عن إحدى منكبيه فلم يسوّه حتّى فرغ من صلاته، فسأله بعض أصحابه

(١) العبر ١: ١٠٤، شذرات الذهب ١: ١٤١، الكنى والألقاب ٣: ١٨. روضة الواعظين، للفتال النيسابوري: ١٩٩ - ٢٠٠. ورواها ابن الجوزي، والسبكي في طبقات الشافعية.

(٢) مجموعة نفيسة «كتاب ألقاب الرسول وعترته»: ٢٠٥.

عن ذلك فقال: ويحك أندري بين يدي من كنت، إنَّ العبد لا يقبل من صلاته إلا ما أقبل عليه منها بقلبه، فقال الرجل: هلكنّا؟ فقال: كلا إنَّ الله عزَّ وجلَّ متمِّم ذلك بالتوافل.

وكان ﷺ ليخرج في اللَّيلة الظَّلماء فيحمل الجراب على ظهره وفيه الصَّرار من الدنانير والدِّراهم، وربَّما حمل على ظهره الطَّعام أو الحطب حتَّى يأتي باباً باباً فيقرعه ثمَّ يتناول من يخرج إليه، وكان يغطِّي وجهه إذا ناول فقيراً لئلاَّ يعرفه.

فلَمَّا توفَّى ﷺ فقدوا ذلك فعلموا أنَّه كان على بن الحسين ﷺ، ولَمَّا وضع ﷺ على المغتسل نظروا إلى ظهره وعليه مثل ركب الإبل ممَّا كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين، ولقد خرج ذات يوم وعليه مطرف خزٌّ فعرض له سائل فتعلَّق بالمطرف فمضى وتركه، وكان يشتري الخزَّ في الشَّتاء، فإذا جاء الصَّيف باعه فتصدَّق بشمه، ولقد نظر ﷺ يوم عرفة إلى قوم يسألون النَّاس فقال:

ويحكم أغير الله تسألون في مثل هذا اليوم إنَّه ليرجى في هذا اليوم لما في بطون الجبال أن يكونوا سعداء [سعيداً] ولقد كان ﷺ يأبى أن يؤاكل أمَّه فقيل له: يا بن رسول الله أنت أبر النَّاس وأوصلهم للرَّحم فكيف لا تؤاكل أمَّك؟ فقال: إنِّي أكره أن تسبق يدي إلى ما سبقت عينها إليه.

ولقد قال له ﷺ رجل: يا بن رسول الله إنِّي لأحبَّك في الله حبًّا شديداً فقال: اللَّهُمَّ إنِّي أعوذ بك أن أحبَّ لك وأنت لي مبغض.

ولقد حجَّ على ناقة له عشرين حجَّة فما قرعها بسوط، فلَمَّا توقَّت أمر بدفنها لئلاَّ تأكلها السَّباع.

ولقد سألت عنه مولاة له فقالت أطنب أو أختصر؟ فقيل لها: بل اختصري، فقالت: ما أتيت به بطعام نهاراً قطُّ وما فرشت له فراشاً بليل قطُّ.

ولقد انتهى ذات يوم إلى قوم يغتابونه فوقف عليهم فقال: إن كنتم صادقين فغفر الله لي، وإن كنتم كاذبين فغفر الله لكم.

فكان ﷺ إذا جاءه طالب علم فقال: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ ثم يقول: إن طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجله على رطب ولا يابس من الأرض إلا سبّحت له إلى الأرضين السابعة.

ولقد كان يعول مائة أهل بيت من فقراء المدينة، وكان يعجبه أن يحضر طعامه اليتامى والأضرّاء والزمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده ومن كان له منهم عيال حمله إلى عياله من طعامه وكان لا يأكل طعاماً حتى يبدأ فيتصدق بمثله.

ولقد كان يسقط منه كلّ سنة سبع ثفّنات من مواضع سجوده لكثرة صلاته، وكان يجمعها فلمّا مات دفنت معه.

ولقد كان بكى على أبيه الحسين ﷺ عشرين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولى له: يا بن رسول الله أما آن لحزنك أن تنقضي؟ فقال له: ويحك إن يعقوب النبي ﷺ كان له اثنا عشر ابناً فغيّب الله عنه واحداً منهم فايضت عيناه من كثرة بكائه عليه، وشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم، وكان ابنه حيّاً في الدنيا وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمّي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني؟^(١)

— عن سعيد بن كلثوم قال: كنت عند الصادق جعفر بن محمد ﷺ فذكر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ فأطراه ومدحه بما هو أهله، ثم قال: والله ما أكل عليّ بن أبي طالب ﷺ من الدنيا حراماً قطّ حتى مضى لسبيله، وما عرض له أمران قطّ هما الله رضا إلا أخذ بأشدهما عليه في دينه، وما نزلت برسول الله ﷺ نازلة قطّ إلا دعاه ثقة به، وما (أطاق) قدر عمل رسول الله ﷺ من هذه الأمة غيره، وإن وصيته [وصية] كان ليعمل عمل رجل كان وجهه بين الجنة والنار يرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه.

ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله والنجاة من النار بما كدّ

(١) الخصال ٢: ٥١٧ ح ٤، عنه البحار ٤٦: ٦١ ح ١٩، العوالم ١٨: ٨٧ ح ١.

بيديه ورشح منه جبينه وإن كان ليقوت أهله بالزيت والخلّ والعجوة، وما كان لباسه إلا الكرايس إذا فضل شيء عن يده من كمّته دعى بالمقراض فقّصه وما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحد أقرب شَبْهاً به في لباسه وفقهه من عليّ بن الحسين (ع).

ولقد دخل أبو جعفر ابنه (ع) عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد فرآه قد اصفّر لونه من السهر، ورمصت عيناه من البكاء، ودبرت جبهته وانخرم أنفه من السجود، وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة.

فقال أبو جعفر (ع): فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء فبكيت رحمة عليه وإذا هو يفكر فالتفت إليّ بعد هنيئة من دخولي وقال: يا بنيّ أعطني بعض تلك الصّحف التي فيها عبادة عليّ بن أبي طالب (ع)، فأعطيته فقرأ فيها شيئاً يسيراً، ثم تركها من يده تضرّجاً، وقال: من يقوى على عبادة عليّ (ع).

- عن قدامة بن عاصم، قال: كان عليّ بن الحسين (ع) رجلاً أسمر، ضخماً من الرجال، وكان ينظر إلى صريمة فيها ظباء فيسبق أوائلها ويردّها على أواخرها^(١).

- عبد الله بن موسى، عن أبيه، عن جدّه قال: كانت أمّي فاطمة بنت الحسين (ع) تأمرني أن أجلس إلى خالي عليّ بن الحسين (ع) فما جلست إليه قطّ إلا قمت بخير قد أفدته. إمّا خشيته لله تحدث في قلبي لمّا أرى من خشيته لله أو علم قد استفدته منه^(٢).

مكانته:

١ - عند الصحابة والتابعين

- كان الصحابي الجليل حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس إذا رآه أو دخل عليه يقول: (مرحباً بالحبيب ابن الحبيب)^(٣).

(١) الارشاد: ٢٥٥، مكارم الأخلاق: ٣٣٤، المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ١٤٨.

(٢) الارشاد: ٢٥٥ عنه البحار ٤٦: ٧٣ ح ٥٩.

(٣) طبقات ابن سعد في ترجمة الإمام زين العابدين، وعنه في تذكرة الخواص: ١٨٣ ط حجرية.

- عن عمر بن عبد العزيز قال يوماً - وقد قام من عنده عليّ بن الحسين - من أشرف الناس؟ فقيل: أنتم لكم الشرف في الجاهلية والخلافة في الإسلام، فقال: كلا أشرف الناس هذا القائم من عندي، فإنّ أشرف الناس من أحبّ كلّ إنسان أن يكون منه، ولا يحب أن يكون من أحد، وهذه صورته ^(١).

- قال الزهري - وهو من أعوان بني أمية -: ما رأيت أحداً كان أفقه من عليّ بن الحسين، لكنه قليل الحديث، وكان من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة، وأحبهم إلى عبد الملك ^(٢)، وقال أيضاً: لم أدرك بالمدينة أفضل منه ^(٣).

- قال يحيى الأنصاري: هو أفضل هاشمي رأيت بالمدينة ^(٤).

- قال مالك: لم يكن في أهل البيت مثله وهو ابن أمة ^(٥).

وقال: بلغني أنّه كان يصليّ في اليوم واللييلة ألف ركعة إلى أن مات ^(٦).

عنه: وكان يسمّى زين العابدين لعبادته ^(٧).

وعنه: أحرم عليّ بن الحسين، فلمّا أراد أن يلبيّ، قالها، فأغمي عليه وسقط من ناقته، فهشّم ^(٨).

- قال حمّاد بن زيد: كان أفضل هاشمي أدركته ^(٩).

(١) شرح نهج البلاغة ٤: ١٠٤.

(٢) تذكرة الحفاظ ١: ٧٥ ط حيدر آباد.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١: ٣٤٣.

(٤) نفس المصدر ١: ٣٤٣.

(٥) نفس المصدر ٥: ٣٣٤.

(٦) تذكرة الحفاظ ١: ٧٥.

(٧) نفس المصدر.

(٨) سير أعلام النبلاء ٥: ٣٣٦.

(٩) تهذيب الأسماء واللغات ١: ٣٤٣.

– قال يحيى بن سعيد: سمعت عليّ بن الحسين، وكان أفضل هاشمي أدركته^(١).

– قال عمرو بن ثابت: لمّا مات عليّ بن الحسين، وجدوا بظهره أثراً ممّا كان ينقل الجُرب بالليل إلى منازل الأرامل^(٢).

– قال رجل لابن المسيب: ما رأيت أورع من فلان، قال: هل رأيت عليّ بن الحسين؟ قال: لا، قال: ما رأيت أورع منه^(٣).

– قال محمّد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلمّا مات عليّ بن الحسين فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل^(٤).

– قال شعبة بن نعمة: لمّا توفي عليّ بن الحسين وجدوه يقوت – يعول – مائة أهل بيت بالمدينة في السر^(٥).

وقد عقّب الذهبي بعد هذا بقوله: قلت: لهذا كان يخلّ، فإنّه يتفق سرّاً ويظن أهله أنّه يجمع الدراهم، وقال بعضهم: ما فقدنا صدقة السر حتى توفي عليّ.

– قال مستقيم – شيخ روى عنه عبد الله بن داود – كنّا عند عليّ بن حسين فكان يأتيه السائل قال: فيقوم حتى يناوله ويقول: إنّ الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل، قال: وأوماً بكفيه^(٦).

– قال عبد الله بن أبي سليمان: كان عليّ بن الحسين إذا مشى لا تجاوز يده فخذ، ولا يخطر بيده. قال: وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة، ف قيل له: ما لك؟ فقال: ما تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجي؟^(٧)

(١) طبقات ابن سعد ٧: ٢١٢ ط مصر.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥: ٣٣٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ٥: ٣٣٥.

(٤) سير أعلام النبلاء ٥: ٣٣٧.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١: ٣٤٣.

(٦) طبقات ابن سعد ٧: ٢١٣.

(٧) طبقات ابن سعد ٧: ٢١٤.

– قال حجاج بن أرطاة عن أبي جعفر أنّ أباه عليّ بن حسين قاسم الله ماله مرتين، وقال: إنّ الله يحب المؤمن المذنّب التواب^(١).

– قال جويرية بن أسماء: ما أكل عليّ بن الحسين بقرابته من رسول الله ﷺ درهماً قط^(٢).

– قال عمرو بن دينار: دخل عليّ بن الحسين على محمّد بن أسامة بن زيد في مرضه، فجعل محمّد يبكي، فقال: ما شأنك؟ قال: عليّ دين، قال: كم هو؟ قال: بضعة عشر ألف دينار، قال: فهي عليّ^(٣).

– قال موسى بن طريف: استطال رجل على عليّ بن الحسين فأغضى عنه، فقال له: إياك أعني، فقال: وعنك أغضي^(٤).

– قال أبو نوح الأنصاري: وقع حريق في بيت فيه عليّ بن الحسين وهو ساجد، فجعلوا يقولون: يا بن رسول الله النار، فما رفع رأسه حتى طُفئت، فقيل له في ذلك، فقال: ألّهتني عنها النار الأخرى^(٥).

– ابن عينة عن أبي حمزة الثمالي أنّ عليّ بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين في الظلمة، ويقول: إنّ الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الربّ^(٦).

– عن المنهال – يعني ابن عمرو – قال: دخلت على عليّ بن حسين فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ فقال: ما كنت أرى شيخاً من أهل المصر مثلك لا يدري كيف أصبحنا، فأما إذا لم تدر أو تعلم فسأخبرك: أصبحنا في قومنا بمنزلة

(١) طبقات ابن سعد ٧: ٢١٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥: ٣٣٥.

(٣) نفس المصدر ٥: ٣٣٧.

(٤) تهذيب التهذيب ٧: ٣٠٦.

(٥) نفس المصدر ٥: ٣٣٦.

(٦) نفس المصدر.

بني إسرائيل في آل فرعون إذ كانوا يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وأصبح شيخنا وسيدنا يتقرّب إلى عدونا بشتمه أو سبه على المنابر. وأصبحت قريش تعدّ أنّ لها الفضل على العرب لأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم منها، لا يعدّ لها فضل إلّا به وأصبحت العرب مقرّة لهم بذلك، وأصبحت العرب تعدّ أنّ لها الفضل على العجم لأنّ محمّداً ﷺ منها، لا يعدّ لها فضل إلّا به، وأصبحت العجم مقرّة لهم بذلك. فلئن كانت العرب صدقت أنّ لها الفضل على العجم، وصدقت قريش أنّ لها الفضل على العرب لأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم منها إنّ لنا أهل البيت الفضل على قريش لأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم منا، فأصبحوا يأخذون بحقنا ولا يعرفون لنا حقاً، فهكذا أصبحنا إذا لم تعلم كيف أصبحنا.

قال - المنهال - : فظننت أنّه أراد أن يُسمع من في البيت ^(١).

- موسى بن أبي حبيب الطائفي عن عليّ بن الحسين قال: التارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ كتاب الله وراء ظهره إلّا أن يتقي تقاة، قيل: وما تقاته؟ قال: يخاف جباراً عنيداً أن يفرط عليه أو أن يطغى ^(٢).

- إبراهيم بن سعد قال: سمع عليّ بن الحسين ناعية في بيته وعنده جماعة، فنهض إلى منزله ثم رجع إلى مجلسه، فقيل له: أمن حدث كانت الناعية؟ قال: نعم فعزّوه وتعجّبوا من صبره، فقال: أنا أهل بيت نطيع الله فيما نحب ونحمده فيما نكره ^(٣).

- قال عبد الله بن عليّ بن حسين: لما عُزل هشام بن إسماعيل نهانا أن ننال منه ما نكره، فإذا أبي قد جمعنا فقال: إنّ هذا الرجل قد عُزل وقد أمر بوقفه للناس، فلا يتعرضنّ له أحد منكم، فقلت: يا أبتِ ولم؟ والله إنّ أثره عندنا لسيّء، وما كنّا نطلب

(١) طبقات ابن سعد ٧: ٢١٧ - ٢١٨.

(٢) نفس المصدر ٧: ٢١١.

(٣) الحلية ٣: ١٣٨.

إلا مثل هذا اليوم، قال: يا بُني نكله إلى الله، فوالله ما عرض له أحد من آل حسين بحرف حتى تصرّم أمره^(١).

- أبو يعقوب المدني قال: كان بين حسن بن حسن وبين عليّ بن الحسين بعض الأمر، فجاء حسن بن حسن إلى عليّ بن الحسين وهو مع أصحابه في المسجد، فما ترك شيئاً إلا قال له، قال: وعلي ساكت، فانصرف حسن، فلمّا كان في الليل أتاه في منزله ففرع عليه بابه، فخرج إليه، فقال له عليّ: يا أخي إن كنت صادقاً فيما قلت لي فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك، السلام عليكم وولّي، قال: فاتبه حسن فالتزمه من خلفه وبكى حتى رثى له، ثم قال: لا جرم لا عدت في أمر تكرهه، فقال عليّ: أنت في حل ممّا قلت لي^(٢).

- ابن عائشة قال: قال أبي: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات عليّ بن الحسين^(٣).

- عن عبد الغفار بن القاسم قال: كان عليّ بن الحسين خارجاً من المسجد فلقّيه رجل فسبّه، فثارت إليه العبيد والموالي، فقال عليّ بن الحسين: مهلاً عن الرجل، ثم أقبل على الرجل فقال: ما ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها، فاستحى الرجل، فألقى عليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنّك من أولاد رسول الله ﷺ^(٤).

- عبد الرحمن بن حفص القرشي قال: عليّ بن الحسين إذا توضّأ اصفرّ لونه، فيقال له: ما هذا الذي يعتارك عند الوضوء؟ فقال: أتدرون بين يدي من أريد أن أقف^(٥).

(١) طبقات ابن سعد ٧: ٢١٨.

(٢) صفة الصفوة ٢: ٥٣ ط حيدرآباد.

(٣) نفس المصدر ٢: ٥٤.

(٤) نفس المصدر ٢: ٥٦.

(٥) تذكرة الخواص: ١٨٧، ط حجرية سنة ١٣٨٥ هـ.

- إبراهيم بن محمد قال: سمعت علي بن الحسين يقول ليلة في مناجاته: الهنا وسيدنا ومولانا لو بكينا حتى تسقط أشفارنا، وانتحبنا حتى تنقطع أصواتنا، وقمنا حتى تبيس أقدامنا، وركعنا حتى تنخلع أوصالنا، وسجدنا حتى تتفقق أهداقنا، وأكلنا تراب الأرض طول أعمارنا، وذكرناك حتى تكلّ ألسنتنا ما استوجبنا بذلك محو سيئة من سيئاتنا^(١).

- محمد بن حرب قال: أوصى علي بن الحسين ﷺ ولده أبا جعفر محمد وقال: يا بني اصبر للنوائب ولا تتعرض للحتوف، ولا تعط نفسك ما ضرّه عليك أكثر من نفعه عليك^(٢).

٢ - عند أصحاب السير المؤرخين.

- ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) حيث ختم ترجمة الإمام فقال: قالوا: وكان علي بن الحسين ثقة مأمونا، كثير الحديث، عالياً رفيعاً ورعاً^(٣).

- محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢هـ) قال في مطالب السؤول: الباب الرابع في علي بن الحسين زين العابدين ﷺ: هذا زين العابدين، قدوة الزاهدين، وسيد المتقين، وإمام المؤمنين، سَمَّته تشهد له أنّه من سلالة رسول الله ﷺ، وسَمَّته يثبت مقام قربه من الله زلفى، ونفثاته تسجل بكثرة صلاته وتهجده، وإعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده فيها، درت له أخلاف التقوى فتفوقها، وأشرقت لديه أنوار التأييد فاهتدى بها، وألفته أوراد العبادة فأنس بصحبته، وخالفته وظائف الطاعة فتحلى بحليتها، طالما اتخذ الليل مطيةً ركبها لقطع طريق الآخرة، وظلماً الهواجر دليلاً استرشد به في مفازة المسافرة، وله الخوارق والكرامات ما شوهد بالأعين الباصرة، وثبت بالأثار المتواترة، وشهد له أنّه من ملوك الآخرة.

(١) نفس المصدر.

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ١٨٨ ط النجف.

(٣) الطبقات ٢: ٢١٩ ط مصر.

– النووي (ت ٦٧٦هـ) قال: وأجمعوا على جلالته في كل شيء^(١).

– الذهبي (ت ٧٤٨هـ) قال: كان علي بن الحسين إذا سار في المدينة على بغلته لم يقل لأحد: الطريق، ويقول: هو مشترك ليس لي أن أنحي عنه أحداً^(٢).

– ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ) قال: وزين العابدين هذا هو الذي خلف أباه علماً وزهداً وعبادة، وكان إذا توضأ أصفّر لونه، فقبل له في ذلك، فقال: ألا تدرون بين يدي من أقف^(٣).

٣. في الأدب العربي

١. أبو الأسود الدؤلي^(٤) مادحاً:

وإن وليداً بين كسرى وهاشم
لأكرم من نيطت عليه التمائم^(٥)

٢. الفرزدق^(٦) مادحاً:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقى النقي الطاهر العلم
هذا علي رسول الله والده	أمست بنور هداه تهتدي الظلم
إذا رأته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١: ٣٤٣ ط المنيرية.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥: ٣٤.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٩٨، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف.

(٤) أبو الأسود الدؤلي هو ظالم بن عمرو بن سفيان الكناني، واضع علم النحو. أدرك حياة الرسول ﷺ، وهاجر إلى البصرة على عهد عمر بن الخطاب وولي إمارتها في أيام علي عليه السلام.

يقال: هو أول من نطقت المصحف. مات بالبصرة سنة ٦٩هـ. ينظر: معجم الشعراء ص ٢٤٠ والأعلام ج ٣ ص ٢٣٦.

(٥) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٩٥.

(٦) الفرزدق: هو شاعر من شعراء العصر الأموي اسمه همام بن غالب بن صعصعة، من بني دارم لقبه الفرزدق؛ أي قطعة العجين أو الرغيف الضخم. ولد في البصرة سنة ٣٨هـ ونشأ فيها وتوفي سنة ١١٠هـ.

.....

يغضي حياء ويغضي من مهابته
ينشق نور الدجى عن نور غرته
بكفه خيزران ريحه عبق
مشتقة من رسول الله نبعته
كلتا يديه غياث عم نفعهما
سهل الخليفة لا يخشى بواده

٣. غانم بن أم غانم مادحاً:

لـك اليوم عند العالمين أسائل
ولا يستوي في الدين حق وباطل
كآخر يمسي وهو للحق جاهل
وإن قصرت عنه النهى والفضائل
وأنت وصي الأوصياء محمد أبوك

٤. بشار بن برد^(٢) مادحاً:

أقول لسجاد عليه جلالة
من الفاطميين الدعاة إلى الهدى
سراج لعين المستضيء وتارة
غدا أريحياً عاشقاً للمكارم
جهاراً ومن يهديك مثل ابن فاطم
يكون ظلاماً للعدو المزاحم^(٣)

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٧٨، والعامري في الشيبان، والطبرسي في إعلام الوري.

(٢) هو مولى لبني عقيل، ويقال مولى لبني سدوس، ويكنى أبا معاذ، ويلقب المرعّث، والمرعّث: الذي جعل في أذنيه الرّعات، وهي القرطة. أحد المطبوعين، الذين لا يتكلمون الشعر، ولا يتعبون فيه، وهو من أشعر المحدثين. وكان بشار هجا المهدي، وذكر شغله بالشراب واللهو، فأمر به فقتل تغريقاً في الماء.

(٣) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٩٥.

المبحث الثاني

مقومات الثائر (زين العابدين)

أمّا مثل الإمام زين العابدين عليه السلام وعناصره النفسية، فهي مما تبهر العقول وتدعو إلى الاعتزاز والفخر لكل مسلم، بل لكل إنسان يدين لإنسانيته ويخضع لمثلها وقيمتها.

لقد تحلى هذا الإمام العظيم بكل أدب، وتزين بكل فضيلة وشرف، وتجرد من كل أنانية، وابتعد ابتعاداً مطلقاً عن جميع زخارف الحياة ومباهجها، وكان من المع نزعاته الانابة إلى الله، والانقطاع إليه، فقد شاعت في عقله وقلبه وجسمه محبة والخوف منه، وأشرقت نفسه بنور اليقين بالله، وامتلأت ذاته رجاء واملأ برحمة الله^(١).

أولاً: الإمامة

إن مفهوم الإمامة جزء تابع وضروري لمفهوم النبوة، والإيمان الصحيح بالمنهج الإلهي لا يكتمل إلّا بالإيمان بالإمامة على أنها جزء مرتبط بالنبوة تماماً مثلما لا يكتمل الإيمان بالتوحيد إلّا بالإيمان بالنبوة، وقد ورد عن الإمام علي الرضا عليه السلام: «أن الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، أن الإمامة خلافة الله

(١) موسوعة سيرة أهل البيت، لباقر شريف القرشي، ج ١٥ ص ٩.

وخلافة الرسول ﷺ ومقام أمير المؤمنين ﷺ وميراث الحسن والحسين ﷺ، إن الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين، إن الإمامة أساس الإسلام النامي، وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحجّ والجهاد^(١). فمهمة الأئمة ﷺ ليست أمراً منفصلاً عن المسيرة النبوية، فالثورة التصحيحية للمصلحين من الانبياء والأئمة ﷺ نشأت ونضجت واكتملت في رعاية الله تعالى، فمما لا شك فيه أن تكون حلقاتها مترابطة يكمل بعضها بعضاً.

والإمامة: مصدر أمّ القوم وأمّ بهم: إذا تقدّمهم وصار لهم إماماً، والإمام وجمعه أئمة: كل من اتّمس به قوم، سواء أكانوا على صراط مستقيم كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(٢). أم كانوا ضالين كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ إِلَى الْكَارِ وَيَوْمَ الْفَيْصَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾^(٣).

ثمّ توسعوا في استعماله حتى شمل كل من صار قدوة في فن من فنون العلم، غير أنه إذا أطلق لا ينصرف إلّا إلى صاحب الإمامة العظمى، ولا يطلق على الباقي إلّا بالإضافة، لذلك عرّف الرازي (الإمام): بأنه كل شخص يقتدى به في الدين.

والإمام الأكبر في الاصطلاح: رئاسة عامة في الدين والدنيا خلافة عن النبي ﷺ، وسمّيت (كبرى) تمييزاً لها عن الإمامة (الصغرى)، وهي إمامة الصلاة وتنظر في موضعها^(٤).

وهذا ما تذهب إليه الإمامية من أنّها رئاسة عامّة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي ﷺ وأنّها لطف إذ يقرب العباد إلى الطاعة ويبعدهم من المعصية، فهي واجبة^(٥).

(١) الكافي ج ١ ص ٢٠٠.

(٢) السجدة: ٢٤.

(٣) القصص: ٤١.

(٤) موسوعة الفقهية ج ٦ ص ٢١٦. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن

ج ١ ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٥) شرح أصول الكافي، للمازندراني ج ١ ص ١٤.

الحاجة إلى الإمامة

الإمامة ضرورة من ضروريات الحياة لا يمكن الاستغناء عنها بحال من الاحوال، فيها يقام ما اعوج من نظام الدنيا والدين، وبها تتحقق العدالة الكبرى التي ينشدها الله في أرضه، ويتحقق الامن العام والسلام بين الناس ويدفع عنهم الهرج والمرج ويمنع القوي ان يتحكم بالضعيف^(١).

فإن قيل: ما الدليل على أن الإمامة واجبة في الحكمة؟
فالجواب: الدليل على ذلك أنها لطف واللفظ واجب في الحكمة على الله تعالى فالإمامة واجبة في الحكمة.

فإن قيل: هل يشترط في الإمام أن يكون معصوماً أم لا؟
فالجواب: يشترط العصمة في الإمام كما تشترط في النبي ﷺ.
فإن قيل: ما الدليل على أن الإمام يجب أن يكون معصوماً؟
فالجواب: الدليل على ذلك من وجوه:
الأول: إنه لو جاز عليه الخطأ لافتقر إلى إمام آخر يسدده ونقل الكلام إليه ويتسلسل أو يثبت المطلوب.

الثاني: إنه لو فعل الخطيئة فإما أن يجب الإنكار عليه أو لا فإن وجب الإنكار عليه سقط محله من القلوب ولم يتبع والغرض من نصبه اتباعه. وإن لم يجب الإنكار عليه سقط وجوب النهي عن المنكر وهو باطل.

الثالث: إنه حافظ للشرع فلو لم يكن معصوماً لم يؤمن عليه الزيادة فيه والنقصان منه^(٢).

زين العابدين ﷺ وقيادة الأمة

استلم الإمام زين العابدين ﷺ مهام الإمامة في اخرج لحظة من تاريخ الأئمة

(١) موسوعة سيرة أهل البيت ﷺ، للقرشي ج ١٠ ص ٩٤.

(٢) النكت الاعتقادية، للمفيد: ٣٩-٤٠.

الاثني عشر، وهي لحظة ارتفاع الاصوات في معسكر الظالمين مستبشرين بقتل سبط رسول الله الإمام الحسين (ع) وقطع راسه ورفع على الرماح، فتتوج علي بن الحسين (ع) إماماً للأمة وسط الاشلاء المقطعة والاجساد المضرجة بالدماء، واصوات الاطفال وعويل الثكالى يكاد يمزق اسماعه الشريفة.

فعاش (ع) عصراً من الاضطرابات السياسية القت بظلالها على مختلف نواحي الحياة الأخرى، واثرت بشكل مباشر بالأسس الفكرية التي قامت عليها الأمة الإسلامية.

إن إمامة الإمام علي بن الحسين (ع) كانت بنص من الله تعالى ونص من رسوله (ص). وبوصية جده أمير المؤمنين (ع) لأبيه الحسين (ع) من بعده، فتصدى للإمامة وكان عمره آنذاك ما يقارب (٢٢) سنة. وتمتد إمامته الشرعية خمسا وثلاثين سنة. وقد ورد النص عليه بالخصوص في عدة روايات:

إن النصوص الدالة على إمامة علي بن الحسين وهي على قسمين:

أ - الأخبار الواردة في الأئمة الاثني عشر عن رسول الله (ص) وأهل البيت (ع).

ب - الروايات التي وردت في إمامة علي بن الحسين (ع) خاصة:

روى علي بن يونس البياضي قال: «قال الحسين (ع): دخلت على جدي وعنده أبي بن كعب. فقال لي: مرحباً يا زين السماوات والأرض، فقال أبي: كيف يكون غيرك زينهما؟ فقال صلى الله عليه وآله والذي بعثني بالحق انه لفي السماء أكبر منه في الأرض وانه مكتوب على يمين العرش: انه مصباح هدى، وسفينة نجاة، وإن الله تعالى ركب في صلبه نطفة كالقمر، يكون من اتبعه رشيداً ومن ضل عنه هويّاً. قال: فما اسمه؟ قال: علي»^(١).

قال الزهري: «كنا عند جابر فدخل عليه علي بن الحسين فقال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخل عليه الحسين بن علي فضمه إلى صدره

وقبله وأقعده إلى جنبه ثم قال: يولد لابني هذا ابن يقال له علي، إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: ليقيم سيد العابدين فيقوم هو»^(١).

- عن الإمام الباقر (عليه السلام): إن الحسين بن علي (عليه السلام) لما حضره الذي حضره، دعا ابنته الكبرى فاطمة بنت الحسين (عليها السلام) فدفع إليها كتاباً ملفوفاً، ووصية ظاهرة، وكان علي بن الحسين (عليه السلام) مبطوناً معهم لا يرون إلا أنه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين (عليه السلام)، ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا... فيه والله ما يحتاج إليه ولد آدم منذ خلق الله آدم إلى أن تفتى الدنيا^(٢).

- وفي رواية أخرى عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: «إن الحسين بن علي (عليه السلام) لما حضره الذي حضره دعا ابنته الكبرى فاطمة بنت الحسين فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة، وكان علي بن الحسين (عليه السلام) مبطوناً معهم لا يرون إلا أنه لما به فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين (عليه السلام)، ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا يا زياد! قال: قلت: ما في ذلك الكتاب جعلني الله فداك؟ قال: فيه والله ما يحتاج إليه ولد آدم منذ خلق الله آدم إلى أن تفتى الدنيا والله إن فيه الحدود حتى أن فيه أرش الخدش»^(٣).

وروي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «إن الحسين صلوات الله عليه لما صار إلى العراق استودع أم سلمة (رضي الله عنها) الكتب والوصية، فلما رجع علي بن الحسين (عليه السلام) دفعها إليه»^(٤).

كما روى محمد بن مسلم قال: «سألت الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) عن خاتم الحسين بن علي (عليه السلام) إلى من صار، وذكرت له إني سمعت أنه أخذ من إصبعة فيما أخذ، قال (عليه السلام): ليس كما قالوا، إن الحسين أوصى إلى ابنه علي بن

(١) كفاية الطالب للكنجي ص ٤٤٨.

(٢) البحار: ٢/٤٦، ٢٠٩ «تاريخ الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)».

(٣) الكافي باب الإشارة والنص على علي بن الحسين (عليه السلام) ج ١ ص ٢٤١ وص ٢٤٢.

(٤) المصدر نفسه.

الحسين عليه السلام وجعل خاتمه في إصبعه وفوض إليه أمره، كما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر المؤمنين عليهم السلام وفعله أمير المؤمنين بالحسن وفعله الحسن بالحسين ثم صار ذلك الخاتم إلى أبي بعد أبيه، ومنه صار إلي فهو عندي، وإنني لألبسه كل جمعة وأصلي فيه. قال محمد بن مسلم: فدخلت إليه يوم الجمعة وهو يصلي، فلما فرغ من الصلاة مد إلي يده فرأيت في إصبعه خاتماً نقشه لا إله إلا الله عدة للقاء الله، فقال: هذا خاتم جدي أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام ^(١).

ثانياً: العصمة

العصمة هي اللطف الذي يفعله تعالى، فيختار العبد عنده الامتناع من فعل القبيح، فيقال على هذا: إن الله عصمه، بأن فعل له ما أختار عنده العدول عن القبيح، ويقال: إن العبد معتصم، لأنه أختار عند هذا الداعي الذي فعل الامتناع عن القبيح.

وأصل العصمة في وضع اللغة المنع، يقال: عصمت فلاناً من سوء إذا منعت من فعله به، غير أن المتكلمين أجروا هذه اللفظة على من امتنع باختياره عند اللطف الذي يفعله الله تعالى به، لأنه إذا فعل به ما يعلم أن يمتنع عنده من فعل القبيح، فقد منعه منه، فأجروا عليه لفظ المانع قسراً - أو قهراً ^(٢).

ومنهم من فسر العصمة بالعدالة المطلقة الموجبة لارتكاب الصراط المستقيم، والنهج القويم، الذي يصل صاحبه بالأنوار القدسية والأسرار الجبروتية، المانعة من الميل إلى جانبي الإفراط والتفريط القاهرة لدواعي الشهوة والغضب الحاكمة من الوقوع على خلاف مقتضاها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده على وفق حكمته وطبق مراده ^(٣).

وحقيقة العصمة لطف يفعله الله في المكلف بحيث لا يكون له مع ذلك داع إلى ترك الطاعة ولا إلى فعل المعصية مع قدرته على ذلك ويحصل انتظام ذلك

(١) البحار ج ١١ ص ٦.

(٢) رسائل الشريف المرتضى، للمرتضى ج ٣ ص ٣٢٥.

(٣) كتاب الأربعين، للماحوزي: ص ٤٩.

اللطف بأن يحصل له ملكة مانعة من الفجور والإقدام على المعاصي مضافاً إلى العلم بما في الطاعة من الثواب، والعصمة من العقاب، مع خوف المؤاخذة على ترك الأولى، وفعل المنسي.

والعصمة من مقومات (الإمام) فيجب أن يكون الإمام معصوماً حتى يجب طاعته ويحرم عصيانه، ولو احتمل في قوله وفعله خطأ خرجاً من أن يكونا حجةً ولذلك يجب أن يكون منصوباً من الله تعالى والنبّي ﷺ أو الإمام السابق لأنّ العصمة أمر خفي لا يطلع عليه إلا من قبل الله تعالى، ويجب أن يكون الإمام أفضل الناس لقبح إطاعة الفاضل المفضول^(١).

وفي ذلك يقول الإمام زين العابدين ﷺ: الإمام منا لا يكون إلا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، ولذلك لا يكون إلا منصوباً. ف قيل له: يا بن رسول الله فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن، لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^{(٢)(٣)}.

ثالثاً: العقل

التفكير والتعقل عماد الإسلام، وركيزته الأساسية في العقائد والأخلاق والسلوك، فهذه الشريعة السماوية لا تبيح للإنسان تصديق ما لا يراه العقل صحيحاً، ولا التحلي بما يستهجنه العقل من السجايا، ولا الإتيان بما يستقبحه العقل من الأعمال.

وانطلاقاً من هذه الرؤية جاءت الخطابات القرآنية وأحاديث الرسول ﷺ

(١) شرح أصول الكافي، للمازندراني ج ١ ص ١٤.

(٢) الإسراء: ٩.

(٣) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٩٤، كتاب الإمامة، باب عصمتهم ولزوم عصمة الإمام ﷺ، الحديث ٥. لمزيد اطلاع يراجع: عصمة الانبياء في القرآن، جعفر السبحاني: ١٩-٣٢.

وأحاديث أهل بيته عليه السلام زاخرة بالمفردات الداعية إلى التفكير والتعقل: كالتفكير والتذكر والتدبر والتعقل والتعلم والتفقه والذكر واللب والنهي^(١).

مفهوم العقل

عُرف العقل على أنه «جوهر ملكوتي نوراني خلقه الله سبحانه من نور عظمته وبه أقام السماوات والأرضين وما فيهن وما بينهن من الخيرات ولأجله ألبس الجميع حلة نور الوجود وبوساطته فتح أبواب الكرم والجود ولولاه لكن جميعاً في ظلمة العدم ولأغلقت دوننا أبواب النعم وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش وهو بعينه نور نبينا عليه السلام وروحه الذي تشعب منه أنوار أوصيائه المعصومين وأرواح الأنبياء والمرسلين سلام الله عليهم أجمعين ثم خلقت من شعاعها أرواح شيعتهم من الأولين والآخرين»^(٢).

وللعقل في القرآن معانٍ بحسب نوع المعقول أي نوع الشيء المُراد عقله وفهمه من هذه المعاني:

١. فهم الكلام. قال تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَلْحَقُونَ بِهِ مِنْ بَعْدِ مَا وَعَقِلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣) وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٤). فبين أن السبب في جعله عربياً هو أن يفهمه ويعقله أولئك المتحدثون بهذه اللغة.

٢. عدم التناقض في القول. قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٥)، فالذي يقول: إن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً كأنه يقول: إن إبراهيم كان سابقاً في

(١) العقل والجهل في الكتاب والسنة، للريشهري: ١٧.

(٢) الوافي ج ١ ص ٥١.

(٣) البقرة: ٧٥.

(٤) يوسف: ٢.

(٥) آل عمران: ٦٥.

وجوده لليهودية والنصرانية لكنه كان أيضاً لاحقاً لهما. وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قِرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيَخْفَوْنَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾^(١).

٣. فهم الحجج والبراهين. قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢)، وقال: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٣).

٤. موافقة القول للعمل. قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٤)، ولذلك قال الله تعالى على لسان نبيه صالح: ﴿قَالَ يَتْلُوا آيَةَ رَبِّهِمْ إِنَّ كُتُبَ اللَّهِ فِي يَمِينِي وَرِزْقِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ لَكُمْ مِنْ مَّا أَنْهَضَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(٥).

٥. اختيار النافع وترك الضار سواء كان مادياً أو معنوياً: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٦)، وقال: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٧).

(١) الانعام: ٩١.

(٢) الروم: ٢٨.

(٣) يونس: ١٦.

(٤) البقرة: ٤٤.

(٥) هود: ٨٨.

(٦) الانعام: ٣٢.

(٧) الانبياء: ١٠.

٦. التضحية بالمصلحة القليلة العاجلة من أجل مصلحة كبيرة آجلة. قال تعالى: ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَآ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(١)، ويؤيد هذا آيات أخرى لم يرد فيها ذكر العقل، منها قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْذَنُونَ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٢).
٧. استخلاص العبر الصحيحة من الحوادث. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةً يُنْذِرُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٣)، يشير سبحانه وتعالى هنا إلى قرى قوم لوط التي قال عنها في آية أخرى مبيناً عدم إدراك الكفار لمغزاها بسبب إنكارهم للبعث: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمُطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَكُونُوا يَنبَرُونَ عَلَيْهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾^(٤).
٨. استخلاص العبر مما جرى في التاريخ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنِيبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٥).
٩. فهم دلالات الآيات الكونية. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٦)، وقال:

(١) القصص: ٦٠.

(٢) التوبة: ٣٨.

(٣) العنكبوت: ٣٥.

(٤) الفرقان: ٤٠.

(٥) يوسف: ١٠٩.

(٦) البقرة: ١٦٤.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِي إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١).

١٠. حسن معاملة الناس ولا سيما الأنبياء. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٢).

وأصل العقل في اللغة المنع والحجر والنهي والحبس، كعقل البعير بالعقل لمنعه من الحركة، ولدى الإنسان قوة تسمى بالعقل، وهي التي تصونه من الجهل وتحميه من الانزلاق فكرياً وعملاً. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «العقل عقل من الجهل»^(٣).

ومرادهم من العقل – تبعاً للنصوص الشرعية – ليس معناه الفلسفي أي قوة درك الكلّيات – فإنه اصطلاح مستحدث منذ عهد نقل الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية، بل المراد منه في النصوص وكلمات الفقهاء مطلق الشعور الباطني، المعبر عنه في كلام صاحب الحقائق بـ«العقل الفطري الخالي من شوائب الأوهام، العاري عن كدورات العصبية»^(٤).

ثم قال (الطريحي): «إن النفس الإنسانية – على ما حققه بعض المتبحرين – واقعة بين القوة الشهوانية والقوة العاقلة، فبالأولى يحرص على تناول اللذات البدنية البهيمية كالغذاء والسفاد والتغالب وسائر اللذات العاجلة الفانية، وبالأخرى يحرص على تناول العلوم الحقيقية والخصال الحميدة المؤدية إلى السعادة الباقية أبد الأبد، وإلى هاتين القوتين أشار تعالى بقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٥)، وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٦).

(١) النحل: ١٢.

(٢) الحجرات: ٤.

(٣) العقل والجهل في الكتاب والسنة، للريشهري: ١٨.

(٤) الحقائق الناضرة: المقدمة العاشرة من مقدمات الكتاب ج ١ ص ١٣١.

(٥) البلد: ١٠.

(٦) الإنسان: ٣.

والعقل أئمن ثروة، وأفضل صديق ومرشد، وأحسن معاقل أهل الإيمان. يرى الإسلام أن العلم بحاجة إلى العقل، لأن العلم بلا عقل مضرة، ومن زاد علمه على عقله كان وبالا عليه.

وإذا ما تتبعنا الروايات الواردة عن الإمام زين العابدين عليه السلام بخصوص العقل نصل إلى نتيجة مفادها أن الإمام عليه السلام يرى أن الاعتناء بالعقل وإعطائه المساحة المناسبة وتجريده من الأهواء والتزعزعات النفسية هو السبيل الوحيد للتكامل المادي والمعنوي، وإعمار الحياة الدنيا والآخرة، والوصول إلى مجتمع إنساني أفضل، وتحقيق الغاية السامية للإنسانية، يكمن في التفكير السليم الصائب، وكل المآسي والنكبات التي منيت بها البشرية جاءت كنتيجة للجهل وعدم تسخير طاقة الفكر. ولهذا يعترف أصحاب العقائد الباطلة يوم القيامة عند الحساب بأسباب ما حل بهم من البلاء، قائلين: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١)(٢).

وعن حقيقة العقل يحدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: العقل نور خلقه الله للإنسان، وجعله يضئ على القلب ليعرف به الفرق بين المشاهدات من المغيبات (٣). وفي خبر آخر: العقل نور في القلب، يفرق به بين الحق والباطل (٤).

ويأتي الإمام الصادق عليه السلام ليبين لنا ما يتركب العقل منه فيقول: خلق الله تعالى العقل من أربعة أشياء: من العلم، والقدرة، والنور، والمشية بالأمر، فجعله قائماً بالعلم دائماً في الملكوت (٥).

وإذا ما وصلنا إلى الإمام زين العابدين عليه السلام فإنه يرى أن العقل والأخلاق هما

(١) المملوك: ١٠ - ١١.

(٢) العقل والبلوغ عند الإمامية، حسين الكريمي: ٨٨.

(٣) عوالي اللآلي: ١/ ٢٤٨/ ٤.

(٤) إرشاد القلوب: ١٩٨، ربيع الأبرار: ٣/ ١٣٧.

(٥) الاختصاص: ٢٤٤.

صنوان يكمل أحدهما الآخر إذ يقول ناصحاً شيعته: آداب العلماء زيادة في العقل... وكف الأذى من كمال العقل^(١).

نعم كان الإمام السجاد (عليه السلام) على بصيرة من أمره بما يمتلكه من عقلية فاقت كل التصورات تلك العقلية التي بشر بها الروايات واكدتها مجريات الأحداث. فلم تكن أفعاله (عليه السلام) مجرد ردود فعل آنية بل كان مصدرها الأول كلام الله المجيد وسنة رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله)، فاستطاع ان يرسم صورة متكاملة لملامح النظام الإسلامي وما ينبغي ان يكون عليه في ظل تلك الظروف التي منيت بها الأمة بعد شهادة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، فالنظام الإسلامي الذي يسعى إليه (عليه السلام) هو النظام الذي يرى القيادة اداة ووسيلة لوضع الأمة على طريق الهدى والصلاح والعمل على تربية الإنسان وبناء شخصيته الرسالية وتنظيم الحياة وتطويرها نحو الخير والكمال. فالنظام الإسلامي المنبثق من وحي السماء هو القوة الكفيلة بحماية المبادئ الدينية والحارس لأهدافها والموكل بتطبيق القوانين وإقامة العدل وهو المسؤول عن كل ذلك أمام الأمة وأمام الله سبحانه وتعالى.

رابعاً: الشجاعة؛

شدّة القلب عند البأس^(٢). والشجاعة الجرأة، والشجاع: الجريء المُقَدِّم في الحَرْبِ ضَعِيفاً كَانَ أَوْ قَوِيّاً، والجرأة: قُوَّةُ القلب الداعية إِلَى الإقدام فِي الحَرْبِ ضَعِيفاً كَانَ أَوْ قَوِيّاً. والجرأة قُوَّةُ القلب الداعية إِلَى الإقدام على المكاره فالشجاعة تنبئ عَن الجرأة^(٣).

والشجاعة هي المقاومة تجاه العدو المهاجم ودفع هجومه بما تيسر، أو

(١) تحف العقول: ٢٨٣.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٣/ ١٢٣٥).

(٣) الفروق اللغوية للعسكري: ١٠٨.

الهجوم على العدو اللدود لدفعه، وكلّما لا يلائم عدوّ كالبلاء وهجران الأصدقاء ومفارقة الأقرباء وترك التمتع بما اشتهاه الإنسان^(١).

فالشجاعة إرادة وتصميم، وإيمان وجهاد، وتضحيات، وأن يملك الإنسان نفسه، وقرارها، والقدرة على التصرف فيها.. وليست الشجاعة هي مجرد امتلاك القدرة على التصرف في قدرات الجسد، في دائرة هوى النفس، وعلى خط تلبية متطلباتها.

بل الشجاعة هي امتلاك القدرة على التصرف في الجسد نفسه، انسجاماً مع مقتضيات الإيمان، وتطبيقاً للمبادئ، وانسجاماً مع القيم، والمثل الإلهية العليا^(٢).

وقد وصف الله خيار الصحابة بها في قوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾^(٣)، وأمر الله نبيه بها بقوله: ﴿وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾^(٤)، إذ الشدّة من لوازمها وآثارها، والأخبار مصرحة باتصاف المؤمن بها^(٥). قال الإمام الصادق عليه السلام: - إن المؤمن أشدّ من زبر الحديد، إن زبر الحديد إذا دخل النار تغير، وإن المؤمن لو قتل ثم نشر، ثم قتل، لم يتغير قلبه^(٦). وقال الإمام الكاظم عليه السلام: - إن المؤمن أعزّ من الجبل، الجبل يستفل بالمعاول، والمؤمن لا يستفل دينه بشيء -^(٧).

ومثل هذه الخصلة النبيلة ضروري أن يتحلّى بها القادة الربانيون، فهي من الكمالات الشريفة، وهي أولى برسول الله ﷺ أهل بيته عليه السلام، أوصياؤه وخلفاؤه من بعده، والمهمة الإلهية التي كلف بها الإمام الحسين عليه السلام اقتضت أن تظهر فيه الشجاعة بأجلى صورها وبشكل مبكر، وخاتمة جليّة^(٨).

(١) منهاج البراعة، لحبيب الله الخوئي ج ٢١ ص ١٢.

(٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم، لجعفر العاملي ج ٢٠ ص ٣٠.

(٣) الفتح: ٢٩.

(٤) التوبة: ٧٣.

(٥) جامع السعادات، للنراقي ج ١ ص ٢٠٨.

(٦) صفات الشيعة، للصدوق: ١٧٩.

(٧) تنبيه الخواطر: ٣٦٤.

(٨) سبطا رسول الله الحسن والحسين عليه السلام: ١٨٨.

والإمام زين العابدين عليه السلام ليس ببعيد عن ذلك كله فهو ابن الحسين ووارثه وعيبة علمه ووصيه على شيعته والممثل الشرعي لثورته المباركة، والمتكفل بحمل اعباء رسالته إلى الأمة، قد ورث حملاً ثقيلاً تنوء الجبال به، ويعجز اعظم الرجال عن تكلفه، فليس له إلا رمز الشجاعة والبطولة الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

والحقيقة، أن الشجاعة لا تُعدّ من الأخلاق الفاضلة، ولا يثاب عليها، إلا إذا تحلّت بالصفات التالية:

١ - الوعي والبصيرة: فالشجاع قبل كل شيء عليه أن يعرف أحكام الجهاد في سبيل الله، متى يكون؟ وكيف شرائطه؟ وما هي حدوده؟ وإلى غير ذلك من الأمور الشرعية، لكي يعرف متى يحمل السلاح؟ ومن يقابل به؟ وإلى من يوجهه؟ ومتى يضعه؟

لهذا كان الإمام زين العابدين عليه السلام يعمل بمقتضى تكليفه الشرعي، فهو يعرف متى يتكلم، ومتى يتحرك، وإلى أين يتجه، وماذا يقول، ويعرف تكليف نفسه وتكليف الناس.

وهو خير من يعرف ماهية الجهاد، وأحكامه الشرعية المتعلقة به، فها هو ذا يسمع إياه الحسين عليه السلام وقد سُئل يوماً عن الجهاد، سنة أو فريضة؟ فقال عليه السلام: «الجهاد على أربعة أوجه: فجهادان فرض، وجهاد سنة لا يقام إلا مع فرض، وجهاد سنة.

فأما أحد الفرضين فجهاد الرجل نفسه عن معاصي الله، وهو من أعظم الجهاد، ومجاهدة الذين يلونكم من الكفار فرض. وأما الجهاد الذي هو سنة لا يقام إلا مع فرض فإن مجاهدة العدو فرض على جميع الأمة لو تركوا الجهاد لأنهم العذاب، وهذا هو من عذاب الأمة وهو سنة على الإمام، وحده أن يأتي العدو مع الأمة فيجاهدهم. وأما الجهاد الذي هو سنة فكل سنة أقامها الرجل وجاهد في إقامتها وبلوغها وإحيائها فالعمل والسعي فيها من أفضل الأعمال، لأنها إحياء سنة،

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من سنَّ سُنَّةَ حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً»^(١).

وهذا البيان المفصل يكشف لنا عن علم محيط بالشرعية، فإذا انطلق الجهاد من هذا العلم كان جهاداً نيراً، وإذا قامت به الشجاعة كانت شجاعة واعية، وكان الإقدام على هدى وبصيرة.

٢ - الهدفية: فالشجاعة ما لم تحمل هدفاً مقدساً وغاية نبيلة فإنها تهوّر وإلقاء بالنفس إلى التهلكة، في حين إذا جاءت عن نية مخلصه لله تعالى، وشخصت الهدف الإلهي، آتت ثوابها، وختمت لصاحبها بالشرف الرفيع، وقبول العمل، أو بكليتهما مع التوفيق للشهادة في سبيل الله عز وجل.

والنية - كما يقول الفقهاء وعلماء الأخلاق - شرط في العبادات كلها، فلا يصح شيء من الأفعال بدون النية.. قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: إنما الأعمال بالنيات^(٢). فإذا ما نوى المرء الرياء فقد حبط عمله، وصارت طاعته معصية.

٣ - الدعوة الحققة: لا نستطيع أن نسمي الهجوم المباغت على المخالف المخاصم شجاعة، ولا نستطيع أن نسمي المقابلة الفضة الغليظة الجافة للناس شجاعة، كذلك لا نستطيع أن نسمي تعبئة الأنصار بلا بيان، ودعوة الناس إلى القتال بلا حجة.. شجاعة.

إنما الشجاعة الكاملة ما جمعت إلى الوعي التوعية، وإلى الشهادة بالحق إشهاد الملاء عليه، وإلى بلوغ ساحة الحرب إبلاغ الأمة بواقعها وتكليفها.

والشجاعة الحقيقية ما اتصفت بالكلمة الموقظة المنبهة المرشدة، المبينة للتكليف الشرعي، والرافعة للهمم والعزائم إلى مستوى الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى.

(١) تحف العقول: ١٧٥.

(٢) كنز العمال/الخبر ٧٢٧٢. وبحار الأنوار ج ٧٠ ص ٢١١ ح ٣٥، عن غوالي اللآلي. وصحيح البخاري - كتاب الإيمان: ٢٣.

٤ - الموقف الكاشف: إن شجاعة الإمام زين العابدين (ع) تمثلت جلياً في مواقفه من الظلم والجهل المطبق على الأمة وابنائها، شجاعة اقترنت الشجاعة بالموقف الرسالي، والدليل الشرعي. فكشف (ع) زيف ادعاءات السلطة الحاكمة، واوقف الأمة على حقائق وبراهين كانت غائبة عن وعيها، بشجاعة فائقة منقطعة النظير لا يمكن لأحد أن يجسدها فس ظروف كالتى عاشها الإمام (ع).

الشجاعة وإمامة الأمة

تتطلب خلافة النبي (ص) أن يكون الخليفة مظهرًا من مظاهر القيادة النبوية التي تأخذ بالأمة إلى ما فيه عزتها وكرامتها.

والشجاعة في أعراف القيادة هي ملكة نفسانية تعني في بعض الأحيان كمال الإدارة في تنفيذ الخطط واعدادها، وفي أحيان أخرى تعني مواجهة الصعاب بقلب راسخ ونفس ثابتة الجنان، وكلا المعنيين يجتمعان ليقدّما معنى الشجاعة والحزم والثبات، وليس الشجاعة هي مجرد القدرة الجسمانية على ابداء حركات يتم من خلالها قتل نفر من العدو فقط، بل هو انتزاع النصر بالخطط والمحافظة عليه للانتقال إلى مراحل أخرى من الفتح العسكري المبرمج ضمن خطة الخليفة الذي يتحرك على أساس منهجية الفتح الإسلامي والتوسعة التبليغية، وقد تضافرت جهود المشركين على محاولات الرد المعاكس والهجمات الفكرية المضادة، فكلما تقدّم الزمن احتاجت القيادة الإسلامية إلى الخلافة الإلهية لصعد محاولات التيار المضاد واحباط عمليات الانقلاب الفكري الذي يكيد بالإسلام والمسلمين.

ومن صور الجهاد في سيرة الإمام زين العابدين (ع) هي:

سيرته القولية:

قال الإمام زين العابدين (ع): «من كَرُمْتُ عليه نفسه هانت عليه الدنيا»^(١).

سمع عليّ بن الحسين (ع) يوم عرفة سائلاً يسأل الناس، فقال له: ويحك،

أغير الله تسأل في هذا اليوم؟! إنه ليرجى لما في بطون الحبالى في هذا اليوم أن يكون سعيداً^(١).

وقال له رجل: لو ركبنا إلى الوليد بن عبد الملك وكان بمكة، لقضى لك في صدقات علي بن أبي طالب، فقال: ويحك، أفي حرم الله أسأل غير الله؟! إني لأنف أن أسأل الدنيا خالقها، فكيف أسألها مخلوقاً مثلي؟!^(٢)

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «ما من قطرة أحب إلى الله عز وجل من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمة في سواد الليل لا يريد بها عبد إلا الله عز وجل»^(٣).

عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام يقول: ما من خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوتين: خطوة يسد بها المؤمن صفا في سبيل الله، وخطوة إلى ذي رحم قاطع، وما من جرعة أحب إلى الله عز وجل من جرعتين: جرعة غيظ ردها مؤمن بحلم، وجرعة مصيبة ردها مؤمن بصبر، وما من قطرة أحب إلى الله عز وجل من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله وقطرة دمة في سواد الليل لا يريد بها عبد إلا الله عز وجل^(٤).

عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: من أحب أن يصافحه مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي، فليزر الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان، فإن الملائكة وأرواح النبيين يستأذنون الله في زيارته فيأذن لهم، فطوبى لمن صافحهم وصافحوه، منهم خمسة أولوا العزم من المرسلين: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين، قلت: لم سموا أولوا العزم؟ قال: لأنهم بعثوا إلى شرقها وغربها وجنّها وأنسها^(٥).

(١) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة للحر العاملي ج ٥ ص ٣٦٦.

(٢) علل الشرائع، للصدوق: ٢٣٠.

(٣) بحار الانور، للمجلسي ج ١٠٠ ص ١٠.

(٤) الخصال، للصدوق: ٥٠.

(٥) عنه البحار ١١: ٥٨، ١٠١، ٩٣، رواه في التهذيب ٦: ٤٨، كامل الزيارات: ١٧٩، وعنه =

سيرته العملية:

وله في ذلك الكثير من المواقف الدالة على شجاعة قل أن توجد إلا في آباءه الطاهرين عليهم السلام، ومن تلك المواقف:

أولاً: حملة السلاح - وهو مريض - ودخوله المعركة، إلى أن يجرح، يحتوي على مدلول بطولي كبير، أكبر من مجرد حمل السلاح! فلو كان حمل السلاح واجبا على الأصحاء، فهو في الإسلام موضوع عن المرضي بنص القرآن، لكن ليس حراما عليهم ذلك، إذا وجدوا همة تمكنهم من أداء دور فيه.

ثانياً: إن وجود الإمام زين العابدين عليه السلام، مع أبيه الإمام الحسين عليه السلام، في أرض كربلاء، حيث ساحة النضال المستميت، وميدان التضحية والفداء، وحيث كان الإمام الحسين عليه السلام يسمح لكل من حوله - وحتى أولاده وأهل بيته - بالانصراف، ويجعلهم في حل، لهو الدليل على قصد الإمام للمشاركة في ما قام به أبوه.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: لما جمع الحسين عليه السلام أصحابه عند قرب المساء، دنوت لأسمع ما يقول لهم، وأنا إذ ذاك مريض، فسمعت أبي يقول: ... أما بعد، فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيراً.. ألا، وإني قد أذنت لكم، فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً.

ثالثاً: مضافاً إلى أن حامل هذه الروح، قبل كربلاء، لا يمكن أن يركن إلى الهدوء بعد ما شاهده في كربلاء من تضحيات أبيه وإخوته وأهله وشيعته، وما جرى عليهم من مصائب وآلام، وما أريق من تلك الدماء الطاهرة. أو يسكت، ولا يتصدى للثأر لأبيه، وهو ثار الله، مع أنه لم ينسهم لحظة من حياته.

فكيف يستسلم مثله، ويهدأ، أو يسالم ويترك دم أبيه وأهله يذهب هدرًا؟ إذ لم يبق من يطالب بثأر تلك الدماء شخص غيره.

الوسائل ١٠: ٣٦٧، أخرجه في مدينة المعاجز: ٢٨٦، المزار الكبير: ١٦٧، مصباح الكفعمي: ٤٩٨، المزار للمفيد: ٥٠.

فإذا كان - كما يقول البعض: - (مصرع الحسين ﷺ) في كربلاء هو الحدث التاريخي الكبير الذي أدى إلى بلورة جماعة الشيعة، وظهورها كفرقة متميزة ذات مبادئ سياسية وصبغة دينية (أكثر وضوحاً وتميّزاً مما كانت عليه في زمان أمير المؤمنين ﷺ وقبله).

(وكان للمأساة أثرها في نمو روح الشيعة وازدياد أنصارها، وظهرت جماعة الشيعة، بعد مقتل الإمام الحسين ﷺ، كجماعة منظمة، تربطها روابط سياسية متينة). فكيف لا تؤثر هذه المأساة في ابن الحسين، وصاحب ثأره، والوحيد الباقي من ذريته، والوريث لزعامته بين الشيعة، ولا تزيد نمو الروح السياسية عنده؟

رابعاً: في الأسر: إن البطولة التي أبداهها الإمام زين العابدين ﷺ بعد كربلاء، وهو في أسر الأعداء، وفي الكوفة في مجلس أميرها، وفي الشام في مجلس ملكها، لا تقل هذه البطولة أهمية - من الناحية السياسية - عن بطولة الميدان، وعلى الأقل: لا يقف تلك المواقف البطولية من هالته المصارع الدامية في كربلاء، أو فجعته التضحيات الجسيمة التي قدمت أمامه، ولا يصدر مثل تلك البطولات ممن فضل السلامة!

نعم، لا يمكن أن يصدر مثل ذلك إلا من صاحب قلب جسور، صلب يتحمل كل الآلام، ويتصدى لتحقيق كل الآمال، التي من أجلها حضر في ميدان كربلاء من حضر، وناضل من ناضل، واستشهد من استشهد، والآن يقف - ليؤدي دوراً آخر - من بقي حياً من أصحاب كربلاء، ولو في الأسر!

إن الدور الذي أداه الإمام زين العابدين ﷺ، بلسانه الذي أفصح عن الحق ببلاغة معجزة، فآثم الحجة على الجميع، بكل وضوح، وكشف عن تزوير الحكام الظالمين، بكل جلاء، وأزاح الستار عن فسادهم وجورهم وانحرافهم عن الإسلام إن هذا الدور كان أنفذ على نظام الحكم الفاسد، من أثر سيف واحد، يجرده الإمام في وجه الظلمة، إذ لم يجد معينا في تلك الظروف الصعبة!.

لكنه كان الشاهد الوحيد، الذي حضر معركة كربلاء بجميع مشاهداتها، من

بدايتها، بمقدماتها وأحداثها وملابساتها وما تعقبها، وهو المصدق الأمين في كل ما يرويه ويحكيه عنها.

فكان وجوده استمراراً عينياً لها، وناطقاً رسمياً معها أن وجوده، وهو أفضل مستودع جامع للعلوم الإلهية بكل فروع: العقيدة، والشريعة، والأخلاق، والعرفان، بل المثال الكامل للإسلام في تصرفاته وسيرته وسنته، والناطق عن القرآن المفسر الحي لآياته، إن وجوده - حياً - كان أنفع للإسلام وأنجع للمسلمين في ذلك الفراغ الهائل، والجفاف القاتل، في المجتمع الإسلامي.

كان وجوده أقص لمضاجع أعداء الإسلام من ألف سيف وسيف، لأن الإسلام إنما يحافظ عليه ببقاء أفكاره وقيمه، والأعداء إنما يستهدفون تلك الأفكار والقيم في محاولاتهم ضده، وإذا كان شخص مثل الإمام موجوداً في الساحة، فإنه - لا ريب - أعظم سد أمام محاولات الأعداء.

ولنصغ إلى الإمام زين العابدين (ع) في بعض تلك المواقف:

الموقف الأول: فمن كلام له (ع) كان يعلنه وهو في أسر بني أمية:

(أيها الناس! إن كل صمت ليس فيه فكر فهو عي، وكل كلام ليس فيه ذكر فهو هباء ألا، وإن الله تعالى أكرم أقواماً بأبائهم، فحفظ الأبناء بالآباء، لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾^(١)، فأكرمهما. ونحن - والله - عترة رسول الله (ص)، فأكرمونا لأجل رسول الله، لأن جدي رسول الله (ص) كان يقول في منبره: «احفظوني في عترتي وأهل بيتي، فمن حفظني حفظه الله، ومن آذاني فعليه لعنة الله، ألا، فلعنة الله على من آذاني فيهم» حتى قالها ثلاث مرات.

ونحن - والله - أهل بيت أذهب الله عنا الرجس والفواحش ما ظهر منها وما بطن...).

وبهذه الشجاعة الفريدة في مثل ظروف مأساوية استطاع (ع) أن يكشف زيف

الظالمين ويكذب أحدوثنهم ويرد على دعاياتهم ومفترياتهم، وبهذه الشجاعة تمكن من قلب المعادلة وإبطال ما كان مخطط له منذ عقود في طمس نور الله المتمثل باهل بيت النبوة ﷺ.

الموقف الثاني: في مجلس يزيد، فقد أوضح فيه عن هويته الشخصية، فلم يدع لجاهل عذرا في الجلوس المريب، وذلك في المجلس الذي أقامه يزيد، للاحتفال بنشوة الانتصار ولا بد أنه جمع فيه الرؤوس والأعيان، فانبرى الإمام زين العابدين ﷺ، في خطبته البليغة الرائعة، التي لم يزل يقول فيها: (أنا... أنا...) معروفاً بنفسه، وذاكراً أمجاد أسلافه (حتى ضجّ المجلس بالبكاء والنحيب).

زين العابدين ﷺ وبطل العلقمي ﷺ

حظي العباس بن علي ﷺ بمكانة خاصة عند الإمام زين العابدين ﷺ تدل على عظمتة وسمو مقامه، ومن تلك المواقف التي حدثنا عنها التاريخ:

موقفه عند استشهاد عمه العباس ﷺ

روي أنّ الإمام الحسين ﷺ لما تفقّد ولده الإمام زين العابدين ﷺ وعاده ليودّعه، سأله عن عمّه العباس ﷺ، فاختنقت عمّته زينب ؓ التي كانت تمرّضه بعبرتها، وجعلت تنظر إلى أخيها كيف يجيبه، لأنّه لم يكن قد أخبره لحدّ الآن بشهادة عمّه العباس ﷺ خوفاً من أن يشتدّ مرضه ؟ فقال ﷺ له وهو يرى انه لا بدّ من أخباره ولا طريق لحجب هذا الخبر المفجع عنه: يا بني ! إنّ عمّك قد قُتل، وقطعوا يديه على شاطئ الفرات، فبكى عليّ بن الحسين ﷺ بكاء شديداً حتّى غُشي عليه^(١). ومعلوم: ان سؤال الإمام زين العابدين ﷺ أولاً وقبل كلّ أحد عن عمّه العباس ﷺ، وكذلك بكاءه لما سمع باستشهاده حتّى الإغماء، دليل عظمة مقام العباس ﷺ عند الإمام زين العابدين (١) ورفيع منزلته لديه^(٢).

(١) الدمعة الساكبة: ج ٤ ص ٣٥١، معالي السبطين ج ٢ ص ٢٢، ذريعة النجاة: ١٣٩.

(٢) الخصائص العباسية: ٣٢٨.

وقوله الإمام زين العابدين (عليه السلام) في حقه: «ان للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة»^(١).

موقفه عند دفن عمه العباس (عليه السلام)

روي أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) لما أراد أن يدفن عمه العباس (عليه السلام) ألقى بنفسه عليه يلثم نحره الطاهر، ويقبل يديه المقطوعتين، وهو يقول (عليه السلام): «على الدنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم! وعليك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته»، ثم قام (عليه السلام) وتولى أمره بنفسه، ولم يشرك أحداً من بني أسد في ذلك، كما فعل بأبيه سيد الشهداء (عليه السلام) ولما أراد بنو أسد إعانته عليه قال لهم: يا بني أسد! إنَّ معي من يعينني. وكفى بهذا التصريح دلالة على عظيم المنزلة ورفيع المكانة التي كان يتمتع بها مولانا العباس (عليه السلام) عند الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) وهو إمام معصوم مفترض الطاعة لا ينطق إلا عن الله سبحانه.

موقفه مع أولاد عمه العباس (عليه السلام):

ذكر أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) وقع نظره يوماً على عبيد الله بن العباس بن علي، فتذكر به عمه أبا الفضل العباس (عليه السلام) فاستعبر ثم قال: «رحم الله عمي العباس، فلقد آثر، وأبلى، وفدى أخاه بنفسه، حتى قطعت يدها، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة»^(٢).

خامساً: الروحية.

لقد شخّص الإمام زين العابدين (عليه السلام) أن ضعف الإيمان السائد في عقيدة الفرد المسلم هو سبب الازمة، فسعى في جهاد متواصل إلى زرع بذور الإيمان في قلوب المسلمين، وسقيها ومداراتها ببرامجه الروحية وسيرته التي عرف بها الإمام (عليه السلام).

لقد أثمرت ثورته (عليه السلام) في علاج الازمة الفكرية من خلال خطوات عملية

(١) رجال الطوسي: ٧٦، رجال العلامة: ١١٨، تنقيح المقال: ج ٢ ص ١٢٨.

(٢) الخصال: ٦٨، الامالي: ٢٧٤، بحار الانوار: ج ٤٤ ص ٢٩٨.

تمثلت في توجهاته وافكاره الرسالية ونتاجاته الفكرية، وممارساته العبادية التي اثرت في نفوس المسلمين وتفاعلت مع ضمائرهم.

كان الإمام زين العابدين (ع) يعطي للأمة أكبر دفعة نحو استرجاع الروح التي أخذت تبتهت في ذاتها، بفعل سياسة الترغيب والترهيب التي أراد بنو أمية أن يربوا الناس عليها، والتي أنتجت جيشاً من المرتزقة والعملاء، وقلبت المقاييس الأخلاقية في المجتمع وشوهت حقائق الدين، فالإمام (ع) كان يعطي للناس الانموذج والقدوة^(١).

وقد حفظ لنا التاريخ بعض المظاهر والنشاطات التي كان يؤديها الإمام علي بن الحسين (ع) والتي تؤكد حقيقة العمل الدؤوب الذي كان (ع) يمارسه في سبيل زرع مظاهر الإيمان وترسيخها في ضمير الأمة، ومن تلك النشاطات والفعاليات العبادية:

- كان علي بن الحسين (ع) يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة كما كان يفعل أمير المؤمنين (ع)، كانت له خمسمائة نخلة وكان يصلّي عند كلّ نخلة ركعتين.

- عن الإمام الباقر (ع): «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ صَلَّوَاُ اللهُ عَلَيْهِمَا إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ كَأَنَّهُ سَاقٌ شَجَرَةٍ لَا يَتَحَرَّكُ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا مَا حَرَّكَهُ الرِّيحُ مِنْهُ».

- وعنه (ع): «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (ع) ... إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ غَشِيَ لَوْنَهُ لَوْنٌ آخَرُ، وَكَانَ قِيَامُهُ فِي صَلَاتِهِ قِيَامَ الْعَبْدِ الدَّلِيلِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ، كَانَتْ أَعْضَاؤُهُ تَرْتَعِدُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَ يُصَلِّي صَلَاةً مُوَدَّعَ يَرَى أَنَّهُ لَا يُصَلِّي بَعْدَهَا أَبَدًا».

- وعنه (ع): «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (ع) يُصَلِّي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَ رَكْعَةٍ».

- وعنه (ع) - لَمَّا قِيلَ لَهُ: مَا أَقَلُّ وَلَدَ أَبِيكَ - : «الْعَجَبُ لِي كَيْفَ وُلِدْتُ! كَانَ أَبِي يُصَلِّي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَ رَكْعَةٍ فَأَيُّ وَقْتٍ يَفْرُغُ لِلدُّنْيَا».

- كذلك روى (ع): «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (ع) ... صَلَّى ذَاتَ يَوْمٍ فَسَقَطَ

الرِّدَاءُ عَنْ إِحْدَى مَنْكِيَيْهِ، فَلَمْ يُسَوِّهِ حَتَّى فَرَّغَ مِنْ صَلَاتِهِ فَسَأَلَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: وَيَحَكَ أَتَدْرِي بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ كُنْتُ، إِنَّ الْعَبْدَ لَا يُقْبَلُ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ مِنْهَا بِقَلْبِهِ».

- وعن الإمام الصادق (ع): «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، فَإِذَا سَجَدَ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حَتَّى يَرْفُضَ عَرَقًا».

- وعنه (ع): «مَا أَشَبَّهُهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا (ع) مِنْ وَلَدِهِ وَلَا أَهْلِ بَيْتِهِ أَحَدٌ أَقْرَبُ شَبَهِاً بِهِ فِي لِبَاسِهِ وَفَقْهِهِ مِنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (ع)».

- ويروي عبدالله بن أبي سليمان: كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (ع) ... إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ أَخَذَتْهُ رَعْدَةٌ، فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: مَا تَدْرُونَ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ أَقُومُ وَمَنْ أَنَا جِي؟.

- كذلك يحدث عبدالله بن مُحَمَّد الْقُرَشِيِّ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (ع) إِذَا تَوَضَّأَ أَصْفَرَ لَوْنُهُ، فَيَقُولُ لَهُ أَهْلُهُ: مَا هَذَا الَّذِي يَغْشَاكَ؟ فَيَقُولُ: أَتَدْرُونَ لِمَنْ أَنَا هَبُ لِلْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيْهِ؟!

- ويصف أبو حازم الإمام زين العابدين (ع): مَا رَأَيْتُ هَاشِمِيًّا أَفْضَلَ مِنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَكَانَ (ع) يُصَلِّي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَ رَكْعَةٍ حَتَّى خَرَجَ بِجَبْهَتِهِ وَأَثَارِ سُجُودِهِ مِثْلَ [كَرْكِرَةِ الْبَعِيرِ].

- وَلَقَدْ دَخَلَ أَبُو جَعْفَرٍ - ابْنُهُ - (ع) عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْعِبَادَةِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ، فَرَأَاهُ قَدْ أَصْفَرَ لَوْنُهُ مِنَ السَّهَرِ، وَرَمِصَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْبُكَاءِ، وَدَبَّرَتْ جَبْهَتُهُ وَانْخَرَمَ أَنْفُهُ مِنَ السُّجُودِ، وَوَرِمَتْ سَاقَاهُ وَقَدَمَاهُ مِنَ الْقِيَامِ فِي الصَّلَاةِ.

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (ع): فَلَمْ أَمْلِكْ حِينَ رَأَيْتُهُ يَتَلَكَّ الْحَالَ الْبُكَاءِ، فَبَكَيْتُ رَحْمَةً لَهُ، وَإِذَا هُوَ يُنْكِرُ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ بَعْدَ هُنَيْهَةٍ مِنْ دُخُولِي فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، أَعْطِنِي بَعْضَ تِلْكَ الصُّحُفِ الَّتِي فِيهَا عِبَادَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع)، فَأَعْطَيْتُهُ، فَقَرَأَ فِيهَا شَيْئاً يَسِيرًا ثُمَّ تَرَكَهَا مِنْ يَدِهِ تَضَجُّراً وَقَالَ: مَنْ يَقْوَى عَلَى عِبَادَةِ عَلِيِّ (ع)؟!

- ويأتي ابنُ شهر آشوب ليصف للأجيال صلاةَ الإمام زين العابدين (ع): كَانَ قَائِمًا يُصَلِّي، حَتَّى وَقَفَ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ (ع) - وَهُوَ طِفْلٌ - إِلَى بَيْتٍ فِي دَارِهِ بِالْمَدِينَةِ بَعِيدَةِ الْقَعْرِ، فَسَقَطَ فِيهَا، فَنْظَرَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ فَصَرَخَتْ وَأَقْبَلَتْ نَحْوَ الْبَيْتِ تَضْرِبُ بِتَفْسِهَا حِذَاءَ الْبَيْتِ وَتَسْتَغِيثُ وَتَقُولُ: يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ، غَرِقَ وَلَدُكَ مُحَمَّدٌ، وَهُوَ لَا يَنْتَنِي عَنْ صَلَاتِهِ، وَهُوَ يَسْمَعُ اضْطِرَابَ ابْنِهِ فِي قَعْرِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهَا ذَلِكَ قَالَتْ حُزْنَا عَلَى وَلَدِهَا: مَا أَقْسَى قُلُوبَكُمْ يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ وَلَمْ يَخْرُجْ عَنْهَا إِلَّا عَنْ كَمَالِهَا وَإِتْمَامِهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهَا وَجَلَسَ عَلَى أَرْجَاءِ الْبَيْتِ وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى قَعْرِهَا، وَكَانَتْ لَا تَنَالُ إِلَّا بِرِشَاءِ طَوِيلٍ، فَأَخْرَجَ ابْنَهُ مُحَمَّدًا (ع) عَلَى يَدَيْهِ يُنَاقِي وَيَضْحَكُ لَمْ يَتَلَّ لَهُ ثَوْبٌ وَلَا جَسَدٌ بِالماءِ، فَقَالَ: هَاكِ يَا ضَعِيفَةَ الْيَقِينِ بِاللهِ، فَضَحِكَتْ لِسَلَامَةِ وَلَدِهَا، وَبَكَتْ لِقَوْلِهِ: يَا ضَعِيفَةَ الْيَقِينِ بِاللهِ، فَقَالَ: لَا تَتَرَبَّعَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ لَوْ عَلِمْتَ أَنِّي كُنْتُ بَيْنَ يَدَيِ جَبَّارٍ لَوْ مِلْتُ بِوَجْهِهِ عَنْهُ لَمَالَ بِوَجْهِهِ عَنِّي، أَفَمَنْ يُرَى رَاحِمًا بَعْدَهُ^(١).

- ومن تلك المظاهر التي سعى فيها الإمام زين العابدين (ع) لبث الطاقة الروحية في مفصلات المجتمع ما رواه الطبرسي في الاحتجاج: عن ثابت البناني قال: كنت حاجاً وجماعة عباد البصرة، مثل: أيوب السجستاني، وصالح المري، وعتبة الغلام، وحبيب الفارسي، ومالك بن دينار، فلما أن دخلنا مكة، رأينا الماء ضيقاً، وقد اشتد بالناس العطش، لقلّة الغيث، ففزع إلينا أهل مكة والحجاج، يسألونا أن نستسقي لهم، فأتينا الكعبة وطفنا بها، ثم سألنا الله خاضعين متضرعين بها، فمنعنا الإجابة، فبينما نحن كذلك، إذا نحن بفتى قد أقبل وقد أكرّبه أحرانه، وأقلقته أشجانه، فطاف بالكعبة أشواطاً، ثم أقبل علينا فقال: (يا مالك بن دينار، ويا ثابت البناني، ويا أيوب السجستاني، يا صالح المري، ويا عتبة الغلام، ويا حبيب الفارسي، ويا سعد، ويا عمرو، ويا صالح الأعمى، ويا رابعة، ويا سعدانه، ويا جعفر بن سليمان).

(١) ينظر للأحاديث الواردة: الصلاة في الكتاب والسنة، للريشهري: ٢٠٢-٢٠٥.

فقلنا: لبيك وسعديك يا فتى، فقال: (أما فيكم أحد يحبه الرحمن؟)

فقلنا: يا فتى علينا الدعاء وعليه الإجابة.

فقال: (ابعدوا عن الكعبة، فلو كان فيكم أحد يحبه الرحمن لأجابه)، ثم أتى الكعبة فخر ساجداً، فسمعته يقول في سجوده: (سيدي بحبك لي، إلا سقيتهم الغيث).

قال: فما استتمّ الكلام حتى أتاها الغيث كأفواه القرب، فقلت: يا فتى من أين علمت أنه يحبك؟ قال: (لو لم يحبني لم يستزرنني، فلما استزارني علمت أنه يحبني، فسألته بحبه لي فأجابني - ثم ولّى عنا وأنشأ يقول -:

من عرف الرب فلم تغنه	معرفة الرب فذاك الشقي
ما ضرفي الطاعة ما ناله	في طاعة الله وماذا لقي
ما يصنع العبد بغير التقى	والعز كل العز للمتقي

فقلت: يا أهل مكة، من هذا الفتى؟ قالوا: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ^(١).

لقد بين الإمام زين العابدين عليه السلام للناس حقيقة مفهوم الروحية في الإسلام ضارباً أروع الأمثال وأصدقها معطياً الأمة الطاقة الروحية، التي تحولت إلى طاقة خلقية ومفهوم خلقي صحيح، وبالتالي تحولت إلى خبرات داخل الأمة الإسلامية. فصلاة الإمام عليه السلام وتلاوته وقراءته للقرآن كان ضرورياً للأمة، التي كانت تستوعب ذلك لمكانته بين ابنائها ^(٢).

سادساً: العبقرية.

إن دراسة حياة الإمام علي بن الحسين عليه السلام تحت أي اسم من شأنها أن تعجز

(١) الاحتجاج، للطبرسي: ١٧٢.

(٢) التاريخ الإسلامي (دروس وعبر) بتصرف: ٥٩.

عن استيفاء جوانب هذه الشخصية العظيمة، ولعل الدراسة التحليلية المتمثلة باستقراء النصوص والآثار الواردة عنه ﷺ وتحليلها وفق اسس علمية تمكنا إلى حد ما من الوقوف على بعض عناصر العبقرية الإلهية والتبوع الرباني الذي تميز بهما، فيساهم ذلك في الكشف عن حقائق ناصعة من صفحات السمو والكمال الخلقي والعقلي والنفسي.

مفهوم العبقرية:

ما هي العبقرية... ومن هو العبقرى؟

عرفت العرب لفظ (العبقرى) قديماً، وأصل النِسْبَةِ إلى عبقر، قيل: هي موضع للجن في بلاد العرب ينسب إليه كل نادر من إنسان وحيوان وثوب، قال تعالى: ﴿وَعَبْقَرِيَّ حَسَّانٍ﴾^(١)، وهو ضرب من الفُرش فيما قيل جعله الله تعالى مثلاً لفُرش الجنة^(٢). لذا فقد استعمل (العبقرى) صفة لكل ما بولغ في وصفه وما يفوقه شيء من عمل جليل دقيق الصنعة إليه كأن الجن تعمله^(٣). وَكَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْأَصْنَافِ الْمَعْرُوفَةِ فِي أَرْضِ الْبَشَرِ، قَالَ زُهَيْرٌ:

بَخِيلَ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ... جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا وَيَسْتَعْلُوا فَشَاعَ ذَلِكَ فَصَارَ الْعَبْقَرِيُّ وَصْفًا لِلْفَائِقِ فِي صِنْفِهِ كَمَا وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الْمَعْرِيُّ بِقَوْلِهِ:

وَقَدْ كَانَ أَرْيَابُ الْفَصَاحَةِ كُلَّمَا رَأَوْا حُسْنَ عَدُوِّهِ مِنْ صَنَعَةِ الْجِنِّ فَصَرَبَهُ الْقُرْآنُ مَثَلًا لِمَا هُوَ مَأْلُوفٌ عِنْدَ الْعَرَبِ فِي إِطْلَاقِهِ^(٤). فقال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبْقَرِيَّ حَسَّانٍ﴾^(٥). كما وضع على لسان النبي ﷺ قوله في بعضهم:

(١) الرحمن: ٧٦.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الاصفهاني: ٣٥٩.

(٣) مجمل اللغة لابن فارس: ٦٧٦.

(٤) التحرير والتنوير ج ٢٧ ص ٢٧٥.

(٥) الرحمن: ٧٦.

«لم أرَ عَبْقَرِيًّا مثله»^(١). ويطلق (العبقري) أيضاً على سيد القوم، وقيمهم، وأعقلهم^(٢).

لذا فهو صفة مدح لكل ما يتعجب من كماله وقوته وحذقه، ولشدة الذكاء، التفوق المبرز، والقدرة على الإبداع والابتكار^(٣). و (العبقرية) صفة العبقري وحاله وهي مصدر صناعي^(٤).

إذن العبقرية ليست ملكة بسيطة، بل هي في الحقيقة مجموعة قوى أو ملكات متحد بعضها ببعض. هذه القوى والملكات يمكن إرجاعها إلى ثلاث رئيسية هي:

(أ) قوة خالقة.

(ب) عقل قوي مفكر ناضج.

(ج) إرادة قوية حازمة.

ونحن لا يمكننا أن نعرف الفكر الخالق إلا من خلال ما يصدر عنه من أعمال، ولا يمكن أن تفصل العبقرية عن القوة الخالقة التي توجد بالضرورة في الإرادة القوية هذه العناصر السيكلوجية لازمة بالضرورة للعبقرية، ولا بد أن توجد كلها عند كل عبقري، ولكنها تختلف في واحد عنها في آخر، بمعنى أنها توجد بنسب

(١) الحديث عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بينا أنا نائم رأيتني على قلب عليها دلو، فتزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فتزع بها ذنوبا أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم استحالت عزبا، فأخذها ابن الخطاب، فلم أرَ عبقرياً من الناس يتزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن. أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ٢٢/٧، ومسلم برقم ٢٣٩٢، وانظر: شرح السنة ٨٩/١٤. كما ينظر: فاسألوا أهل الذكر، للشيخاني: ٣٠٨، ٤٢٦، إذ بين مدى تهافت الحديث وتناقضه، وينظر: السيف والسياسة، لصالح الورداني: ٦٦. حيث بين انتحال الحديث وعدم نسبته الصحيحة لرسول الله ﷺ. وأنه من موضوعات السياسة. وما نستفاده من الحديث رغم كونه موضوعاً هو تركيز صفة المدح للفظ (العبقري) وعدم استعماله في معنى آخر بعيد عن هذا المفهوم.

(٢) المعجم الوسيط ج ٢ ص ٥٨١.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة ج ٢ ص ١٤٥٢.

(٤) المعجم الوسيط ج ٢ ص ٥٨١.

متفاوتة باختلاف العباقره وإن وجدت فيهم جميعاً، فليس هناك عبقرى ينقصه أى عنصر منها بل تتحد كلها فيه وإن ساد عنصر من تلك العناصر على بقية العناصر الأخرى عند عبقرى معين، وساد عنصر آخر عند عبقرى آخر وهكذا، فهى لازمة كلها لإنتاج الأعمال العظيمة التى تحتاج إلى عبقرية خاصة، سواء أكانت تلك الأعمال إنتاجاً فنياً أم اكتشافاً علمياً أم صناعياً أو غير ذلك^(١).

فالعبرى: هو الأصيل الرأى، البعيد النظر، الذى لا يفوقه أحد فى حل المشكلات، من غير تعمّل، ولا تكلف^(٢).

ولم يتعد المفهوم الاصطلاحي للفظ (العبرى) عن معناه اللغوي بل انحدر منه وتطور فيكون هو ذلك الذى شحذ ملكاته كلها بموهبة خارقة، وجعلها بحيث تكون حالة من حالاته الدائمة، وحالة من حالاته الشمولية، لأنه دائم السمو والإبداع والخلق، ولأنه شامل فى كل هذا، فهو سامى بكل ما تعنى كلمة سمو، فى الروح والعقل والبدن، وبهذا الاعتبار كان عدد العباقره معدوداً على الأصابع، ونادراً كندرة الكبريت الأحمر!^(٣)

وقد تعاملت دوائر المعارف مع العبقرية على أنها: (لغة الكامل فى كل شيء)^(٤)، فمن ثم نرى أن المعاني كلها تلتقى عند معنى الإلهام، وأنه إلهام بغير نبوة، وهو ما يعرف بـ (العبرى)، فمرجعها إلى الإلهام وإلقاء الصواب فى النفس من غير تعمّل وتكلف، فالعبقرية إذا تليق بملهم محدث على ما اتصف به من قوة الإيمان، وحسن السيرة، وسمو الأخلاق. ويأتى الاستاذ (محمد فريد وجدي) فى موسوعته المعرفية (دائرة معارف القرن العشرين) ليضع النقاط على الحروف فيقول فى تعريفه للعبقرية: (هبة إلهية ثمرتها فوق القدرة البشرية يمنحها الله لبعض الأفراد لتبرز على ألسنتهم أو على أيديهم أمور لا يستطيع العقل البشرى أن يستقل بإيجادها)^(٥).

(١) مجلة الرسالة (٤٨٣/ ٢٣).

(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ج ١ ص ١٨.

(٣) إدرىس الحسينى المغربى ص ٢١١-٢١٢.

(٤) سبل الهدى والرشاد، الصالحى الشامى ج ١ ص ٣٠.

(٥) سبل الهدى والرشاد، الصالحى الشامى ج ١ ص ٣٠.

وهذا ما يتبناه الكاتب فالعبقرية عطاء إلهي يختص به الله تعالى من يشاء من عباده دون غيرهم لحكمة يرتضيها، فعبقرية الإمام زين العابدين عليه السلام عبقرية إلهية تؤيدها العناية الربانية، تمكنه من إدارة الأمور بشكل يجعله قادراً على مواجهة كل الظروف، والاحتمالات بشكل يجعل العقل يقف عاجزاً أمام عظمة هذه العبقرية النبوية.

مجال العبقرية

مجال العبقرية هو السريرة الإنسانية حيث أرادت الإصلاح، ومتى أرادته... فهو المجال الذي منه يبرز وفيه تعمل، وعليه تعتمد في الإصلاح، وبه تناط معجزاتها الأدبية، فالعبقرية حين تتصدى لإصلاح البشر إنما تعتمد إلى تغيير سرائرهم فتغير إحساسهم وتفكيرهم ونظرات بعضهم بعضاً لبعض، ونحو الحياة عامة، والوجود بصورة أعم، فإذا أفرغت العبقرية قواها في السرائر الإنسانية التي تتصل بها غيرتها، فتغيرت طوعاً لذلك الاجتماعية وكل ما فيها من نظم.

وبهذا المقياس وحده يقاس أثر العبقرية، وعلى هذا النحو ينبغي أن يمتحن إعجازها الأدبي، إذ أن مناط هذا الإعجاز ما في العبقرية من قوة دافعة إذا مست السرائر الإنسانية جاشت فيها بواعث الحياة وبواعث الواجب وبواعث الشعور وبواعث التفكير وكل ما ركب في البنية الإنسانية من قوى الوعي والحركة^(١).

وإننا لنجد أن علم الإمام زين العابدين عليه السلام ومعرفته قد أهله ليطلع على الميول الإنسانية وخبايا النفس البشرية في إطار مبادئ منتظمة وسلوكيات واعية استعملها في رسم صورة متكاملة الملامح خلقت قاعدة رصينة للجنبنة المعنوية حيث عمل جاهداً على إثارة الوعي الباطني والحس الوجداني مستفيداً من تلك الاستجابات باتجاه العمل الدؤوب لمواجهة الازمات وردع الاخطار الناتجة عنها وهو بذلك يقف على القوة الذاتية الكامنة في مجاهل النفس الإنسانية المعروفة بالدافعية والتي تعدّ الموجه لحركة الفرد ضمن دائرة الحياة الواسعة.

(١) مجلة الرسالة (٨٨٣ / ٢٣).

والعبقري دائماً صاحب رسالة، وعمله تبليغها إلى الناس، وهو لا يبلغها حتى يكون مثلاً حياً مجسداً، وحتى يكون مثلاً مغرياً ليحمل الناس على التأسّي به فيها، وهو لن يغري الناس بتقليده والإيمان به حتى تكون شخصيته محببة جذابة، وسيرته رضية وممثلة لرسالته، فيجبرهم بجمال شخصيته وسيرته على الإعجاب به والاطمئنان إليه، ثم التسليم برسالته؛ ولن يتاح ذلك ضرورة إلا بأن يصحبهم ويصحبوه^(١).

وعلى هذا النحو الذي انتقلت به الرسالة من سيرته إلى سرائر أصحابه تنتقل من سرائرهم إلى سرائر من وراءهم في الزمان والمكان، وبأشخاصهم وسيرتهم الممثلة لهذه الرسالة كما تظهر خلال صلاتهم الشخصية المباشرة بالناس يستحذون على إعجابهم وثقتهم وإيمانهم.

عبقريّة التسمية

ولعل أول ما يصادفنا من عبقريّة الإمام زين العابدين (ع) هو الاشارة المبكرة بهذا الأمر من قبل جده سيد المرسلين محمد (ص)، فقد روى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري أنّه كان جالسا عند رسول الله (ص)، والحسين بن علي في حجره وهو يداعبه، فقال (ص): يا جابر يولد له مولود اسمه علي، إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقيم سيد العابدين فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فإذا أدركته يا جابر فاقرأه مني السلام^(٢).

كما روي في ذلك أن الزهري كان: (إذا حدث عن علي بن الحسين قال: حدثني زين العابدين علي بن الحسين، فقال له سفيان بن عيينة: ولم تقول له زين العابدين؟ قال: لأنني سمعت سعيد بن المسيب يحدث عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال: إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين فكأنني أنظر إلى ولدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يخطر بين الصفوف)^(٣).

(١) مجلة الرسالة (٨٨٣ / ٢٤).

(٢) الصواعق المحرقة: ٣٠٥.

(٣) علل الشرائع: ١ / ٢٢٩.

وقد حاولت الاقلام المأجورة والمغرضة تحريف هذه الفضيلة عن حقيقتها، فقالوا: (سمي زين العابدين لفرط عبادته) ^(١)، واوغل بعضهم في غيه حتى نسب هذه التسمية إلى ابليس فاستبدلوا رواية أشرف خلق الله برواية أخبثهم، حيث روى بعضهم: إن الشيطان ظهر لعلي بن الحسين وأراد أن يلهيه عن صلاته فلم يستجب له ولعنه فسماه زين العابدين ^(٢).

عبقرية الموقف

ان عدم معرفة الدور الرسالي للأئمة المعصومين عليهم السلام هو الذي يجعل البعض ينتقص من قدرهم، ويقلل من شأن عملهم، حيث تغيب عن هؤلاء حقيقة وحدة الاستراتيجية العامة عند الأئمة وأنه لا تناقض بين مواقفهم، هذا من جهة ومن جهة أخرى عدم معرفة طبيعة النهج الذي يتبناه المعصوم واداءه بأساليب تقتضيها طبيعة الظروف.

فالظروف - مثلاً - التي أتاحت للإمام الحسين عليه السلام للقيام بثورته العسكرية لم تكن متاحة لغيره من الأئمة عليهم السلام ومنهم الإمام زين العابدين عليه السلام.

إن الحركة الرسالية التي يقودها أي إمام من الأئمة عليهم السلام لا تقتصر على شخصه المقدس فقط، بل هي منظومة متكاملة يمثل الإمام فيها رأس الهرم فيما تتكون أركانه من مجموعات تقوم بأنشطة مختلفة تعمل على تلبية احتياجات المجتمع. من فقه، وعقيدة، وسياسة...ألخ، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يعد لكل ركن المجموعة المناسبة القادرة على القيام بالدور الموكول إليها، وهذا منتهى القدرة في القائد ^(٣).

إن نظرة الإمام زين العابدين عليه السلام حول الثورة التصحيحية هي انها ثورة شاملة

(١) تهذيب التهذيب: ٣٠٦/٧.

(٢) كشف الغمة: ٢/٢٦٠، والبحار: ٥/٤٦.

(٣) التاريخ الإسلامي: ٤٦-٤٧.



لا تقتصر على جانب دون آخر، وأن الانتصار المسلح غير كافٍ لإقامة دعائم الحكم الإسلامي المستقر بل يتوقف ذلك على اعداد جيل عقائدي يؤمن بالإمام في كونه خليفة الله في أرضه ويؤمن بعصمته إيماناً مطلقاً، ليمثل الدعامة والركيزة الأساسية التي يستند إليها الإمام في تحقيق اهدافه ويدعم تخطيطه في مجال الحكم ويحرس ما حققه للأمة من مصالح أرادها الله تعالى لها.

لذلك الإمام (ع) كان يقود الثورة التحريرية التصحيحية ضد نظام بني امية، ولكنه لم يدخل معهم في صدام عسكري مباشر، لأنه كان يقود ثورات من نوع آخر، فكان يقود الثورة الثقافية الفكرية، والثورة الاجتماعية، والثورة العلمية، مع قيادته للثورة السياسية.

وقد تمكن الإمام زين العابدين (ع) من كشف النقاب عن الحقيقة البشعة للأمويين واثبت بما لا يقبل الشك انهم لا يصلحون لقيادة الأمة نظراً لمخالفتهم الصريحة للشريعة الإسلامية، فنجح في ان يزرع في وعي المجتمع الإسلامي مسألة ضرورة التغيير وأخذ هذا الأمر ينمو شيئاً فشيئاً إلى أن تحول إلى قناعات ارتكزت عليها الأمة بعد ذلك في نهضتها اتجاه ذلك الحكم الفاسد وكانت أول الثمار ثورة أهل المدينة وثورة المختار وما تلتها من ثورات كثورة زيد وابنه يحيى التي اتت على آخر انفاست الدولة المروانية فأصبحوا خيراً بعد عين، كل ذلك لم يكن لولا العبقرية الربانية التي تعامل بها الإمام زين العابدين (ع) والتي اطلعت الأمة على النهج الذي ينبغي ان يلتزم به.

سابعا: الوفاء:

الوفاء بالعهد فضيلة من فضائل الكمال الإنساني، وإذا دلت على شيء إنما تدل على بلوغ صاحبها مرتبة من مراتب التكامل الأخلاقي، هذا والوفاء مع الصديق والقريب والمؤلف ممن هو جدير بهذا الأمر، فكيف إذا كان الوفاء بالعهد مع الد الأعداء وأكثرهم خطراً، وهذا ما نجده مجسداً في سيرة الإمام زين العابدين (ع) الممثلة لما يتبناه من فكر إسلامي أصيل، وهو القائل لما سئل عن جميع شرائع

الدين: قول الحق، والحكم بالعدل، والوفاء بالعهد^(١). فنراه اشد حرصاً على الوفاء بالعهد حتى مع اشد خصومه بني امية، جاعلاً خير خواتيم الأمور الوفاء^(٢)، فيتكفل عشرات الأسر من عيال الد أعدائه في أحداث المدينة التي عرفت بـ (واقعة الحرّة)، فالإمام زين العابدين عليه السلام حريص على التمسك بشرف الكلمة حتى مع من يغتنم الفرص للفتك به بل وحتى مع من يجاهر بعدم التزامه بأي عهد أو ميثاق.

ثامناً: الحلم؛

الحلم هو الأناة والثبات في الأمور يحصل بالاعتدال في القوة الغضبية ويمنع النفس من الانفعال عن الواردات المكروهة المؤذية والجزع عند الأمور الهائلة والطيش في المؤاخذه وصدور حركات غير منتظمة وإظهار للمزية على الغير والتهاون في حفظ ما يجب حفظه شرعاً وعقلاً وهو أرفع وأعظم ما يوجب العز في الآخرة برفع الدرجات وفي الدنيا عند الخلائق بوجوه الاعتبار ولذلك نجد الإمام زين العابدين عليه السلام تحفل يدي إعجابه بالمؤمن المتخلق بخلق الحلم: إنه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه^(٣). كما نراه عليه السلام يعتبر الحلم بالنسبة للمؤمن أمر ضرورياً في اقترائه بالعلم، وما لذلك من اثر على الجانب الإيماني: المؤمن خلط علمه بالحلم، يجلس ليعلم، وينصت ليسلم، وينطق ليفهم، لا يحدث أمانته الأصقاء^(٤).

وتحدثنا كتب السيرة والتاريخ عن الكثير من المواقف التي يتعامل بها الإمام زين العابدين عليه السلام مع خصومه من الأقارب والاباعد بهذا الخلق العظيم إلى درجة انه عرف به واشتهر فقد اتخذه عليه السلام شعاراً له. ومما ينسجم وهذه الفضيلة ما قصّه الرواة من حلم الإمام زين العابدين عليه السلام، فقد كان عنده أضياف، فاستعجل خادماً له

(١) الخصال: ١١٣/٩٠.

(٢) البحار: ٢١/١٦١/٧٨.

(٣) الكافي: ٣/١١٢/٢.

(٤) البحار: ١٤/٢٩١/٦٧.

بشواء كان في التنور، فأقبل به الخادم مسرعاً، فسقط منه على رأس بُنيّ لعلي بن الحسين (ع) تحت الدرجة، فأصاب رأسه فقتله، فقال علي للغلام وقد تحير الغلام واضطرب: أنت حرّ، فإنك لم تتعمّده، وأخذ في جهاز ابنه ودفنه^(١).

تاسعاً: الصبر:

– الصبر قوة خلقية من قوى الإرادة تمكن الإنسان من ضبط نفسه لتحمل المتاعب والمشقات والالام وضبطهما عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع والسأم والملل والعجلة والرعونة والغضب والبطش والخوف والطمع والاهواء والشهوات والغرائز^(٢).

وهذه الفضيلة ينبغي توافرها في كل إنسان ليستعين بها على مواجهة مصاعب الحياة وهي أليق بمن يقع على عاتقهم مهمة الدعوة إلى الهداية والصلاح، فالصبر شعار المصلحين فهم لا ينتظرون نتيجة عملهم في القريب العاجل.

إن طريق الدعوة والإصلاح والتغيير طريق طويل ملئ بالمعوقات والعراقيل، فلا بد وأن يتحلى من تنباه بصفة الصبر، ولا بد وأن يتحمل التكاليف المترتبة عليه، وأن يصبر على ردود الأفعال الاجتماعية والدوافع النفسية التي تدعوه إلى الراحة والهدوء

والصبر أساس الابتلاء في حياة الفرد والجماعة. وهو حبس النفس، ويقال: صبرت نفسي على ذلك الأمر أي حبستها. وعن هذا المعنى يحدثنا الإمام زين العابدين (ع): إذا جمع الله الأولين والآخرين ينادي منادٍ: أين الصابرون ليدخلوا الجنة جميعاً بغير حساب – إلى أن قال – قالت الملائكة لهم: من أنتم؟ قالوا: الصابرون، قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبرنا على طاعة الله وصبرنا من معصية الله^(٣). فعندما يقف المسلم داعياً إلى الله تعالى، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويصدع بالحق

(١) بحار الانوار ج ٤٦ ص ٩٩ ح ٨٧.

(٢) الأخلاق الإسلامية، عبد الرحمن الميداني ج ٢ ص ١١٨ بيروت – دار القلم [د. ت.].

(٣) البحار: ٨٢/١٣٨/٢٢.

الذي آمن به؛ فيتعرض للأذى والعذاب، وتنزل به المحن والخطوب، فلا بد من الصبر والثبات أو الانحراف والفساد. يقول تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿١﴾.

الفصل الثاني

الثورة

تغيير - تجديد - إصلاح - احياء

ركائز الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله سبحانه واجب على كل مسلم ومسلمة كل حسب طاقته وقدرته، وظروفه، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١).

وقد هيأ الله سبحانه لهذه الأمة أئمة طاهرين، كان لهم الدور الأكبر في الحفاظ على بنية الإسلام من مبادئ ومرتكزات، فأثمرت جهودهم وآتت اكلها ولو بعد حين. يقول الله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا لِمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢)، فهذه الآية العظيمة من كتاب الله العظيم تبين أن ركائز وأساسيات الدعوة إلى الله ثلاث وهي:

أولاً: الدعوة إلى الله وحده: لا شريك له، فيكون هدف الداعية هو مرضاة الله سبحانه ونيل الأجر والمثوبة منه وحده وليس للأغراض الدنيوية مكان في نفسه فهو لا يدعو من أجل ربح مادي ولا سمعة ولا رياء، ولا من أجل جماعة أو دولة أو غير ذلك، وعليه فلا بد من اتباع ما أمر الله به، وعلى من يريد ارتياد طريق الدعوة أن يتزود بأمور:

- الإيمان بالله وحده لا شريك له، الإيمان الصادق الحي وما يتضمن من تقوى الله رجاء في ثوابه، وخوفاً من عقابه، وقد اكد الإمام زين العابدين عليه السلام على ذلك في دعائه الشريف: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَمْلَأَ قَلْبِي حُباً لَكَ، وَخَشْيَةً

(١) يوسف: ١٠٨.

(٢) فصلت: ٣٣.

منك، وتصديقاً لك، وإيماناً بك، وفرقاً منك، وشوقاً إليك^(١). فالتقوى نعمة من الله تعالى تأتي بمجاهدة للنفس، يعين على تحصيلها قراءة القرآن بتمعن والتدبر والتفكير في سنن الله وملكوته، والتقرب إلى الله بالطاعات وبالبعد عن المعاصي، وهذه القوة مستمدة من الإيمان والارتباط بالله سبحانه واتخاذهِ وكيلاً وعدم الغفلة عن ذكره، وفي ذلك يقول الإمام زين العابدين (ع): لا كرم إلا بتقوى^(٢).

- العلم النافع المستمد من كتاب الله وسنة نبيه (ص) وأهل بيته الطاهرين (ع)، لهذا نجد الإمام زين العابدين (ع) يناجي ربه في أن يعينه على التمسك بأسباب العلم: اللَّهُمَّ... اجعلنا من الذين تمسكوا بعروة العلم وأدبوا أنفسهم بالفهم^(٣). ويظهر أثر هذا الإيمان وهذا العلم على المؤمن بالسكينة والوقار والخشوع والتواضع وحب الناس وتمنى الخير لهم والعطف عليهم، والنصح لهم. وهذا ما بينه (ع) في بيان صفات المؤمن: المؤمن خلط علمه بالحلم، يجلس ليعلم، وينصت ليسلم، وينطق ليفهم، لا يحدث أمانته الأصدقاء^(٤).

ثانياً: العمل الصالح: العمل الصالح والإيمان مترابطان تمام الارتباط؛ فكلاهما مؤثر ومتأثر بالآخر. وكان سيد الساجدين (ع) يقول: إني لأحب أن أداوم على العمل وإن قل^(٥). وإني لأحب أن أقدم على ربي وعملي مستو^(٦). وينبغي لصاحب العمل الصالح أن يكون على بصيرة من أمره يقول الله سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٧).

(١) إقبال الأعمال: ٥٣.

(٢) البحار: ١٧/٢٨٨/٧٠.

(٣) البحار: ١٩/١٢٧/٩٤.

(٤) البحار: ١٤/٢٩١/٦٧.

(٥) الكافي: ٢/٨٢/٢.

(٦) الكافي: ٥/٨٣/٢.

(٧) يوسف: ١٠٨.

والى هذا المفهوم يحدثنا الإمام زين العابدين عليه السلام: مكتوب في الإنجيل: لا تطلبوا علم ما لا تعملون ولما عملتم بما علمتم، فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزد من الله إلا بعداً^(١).

ثالثاً: الولاء للإسلام: ﴿وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢)؛ فانتماؤه للإسلام ودعوته للإسلام واعتزازه بالإسلام، فقال إننى من المسلمين ولم يقل إنني من هذه الجماعة أو تلك، وليس في قلبه ولاء لغير الله ورسوله ودينه الذين ارتضى بل يؤكد قولاً وفعلاً أنه من المسلمين. لهذا فقد أكد الإمام زين العابدين عليه السلام على حقيقة الهوية الإسلامية من خلال صفات وخصائص ينبغي توافرها ليصدق عليه أنه مسلم كامل الإسلام إذ يقول: أربع من كن فيه كامل إسلامه، ومحصت عنه ذنوبه، ولقي ربه عز وجل وهو عنه راض: من وفى لله عز وجل بما يجعل على نفسه للناس، وصدق لسانه مع الناس، واستحيا من كل قبيح عند الله وعند الناس، وحسن خلقه مع أهله^(٣).

فإذا اجتمع في الناصر المصلح الداعي إلى الحق إيمان صادق وإخلاص لله وعلم نافع وعمل صالح وولاء لله وحده فلا بد أن يكون قوله هو أحسن الأقوال وحاله أحسن الأحوال، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

أهداف الثورة

ان الثورة الإصلاحية التي قادها الأئمة الطاهرون عليهم السلام وكان للإمام زين العابدين عليه السلام دوره المفصلي والمحموري في ترسيخ ركائز الثورة وإدامة زخمها، فقد عمل الأئمة عليهم السلام وفق منهج إلهي مقنن لتحقيق جملة من الأهداف التي تتلخص في إعادة الإسلام إلى نهجه القويم بعد ما أصاب الانحراف الأمة بعيد شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ الانحراف شيئاً فشيئاً يتنامى حتى طغى على البنية

(١) البحار: ٢/ ٢٨/ ٦.

(٢) فصلت: ٣٣.

(٣) البحار: ٧٥/ ٩٣/ ٦.

الأساسية للمنظومة الإسلامية مما تطلب وقفة جادة لا يستطيع القيام بها إلا من اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فالانحراف لم يكن في مفصل دون أخرى بل تفشى إلى درجة اصاب الأمة بالشلل الذي نتج عنه القبول بالذل والخنوع، وأدى إلى نتائج وارهاسات وخيمة جرت ويلاتها إلى يوم الناس هذا، وما ذبح الحسين عليه السلام في ثلة من أهل بيته وأصحابه في صحراء كربلاء وما حرق الكعبة وهدمها إلا أحد تلك النتائج الوخيمة لذلك الانحراف.

ويمكن اجمال أهم الاهداف التي سعت ثورة الإصلاح إلى تحقيقها ضد الظلم والظالمين بالاتي:

- كشف زيف ادعاءات السلطة الحاكمة بانها تمثل الخط الإسلامي الأصيل، فعملوا عليه السلام على تجريدهم عن كل ما يدعونه ليظهروا للأمة مدى انحرافهم وزيف دعوتهم وبطلان أحدوئتهم، وقد اتخذ هذا الأمر - أي كشف الادعاءات - اساليب متنوعة بحسب ما تقتضيه حكمة المعصوم عليه السلام، فنجد تارة الصدام العسكري المباشر كما حصل مع الإمام علي والإمام الحسين عليه السلام، وتارة بعقد المعاهدات وبيان مدى بطلان وكذب التزام الجانب الآخر بها بنقضها والعمل بخلافها مما يفضي إلى فقدان المصادقية الأخلاقية ورفع الغطاء الشرعي الذي يتسترون به واسقاط القناع الذي يخفون وراءه، كما حصل مع الإمام الحسن عليه السلام.

- حماية الشريعة والحفاظ عليها من الانحراف والتحريف ووضع الاليات المناسبة لذلك، كتعليم العلوم الدينية المستقاة من منبعها الأصيل وبثها بين افراد المجتمع المسلم، فضلا عن إعداد وتربية الكوادر العلمية المتخصصة في مختلف الميادين المعرفية.

- تأصيل وتجذير الاسس الأخلاقية التي دعت إليها الشريعة المقدسة، لتصبح الأمة حصنا متيعا يصعب اختراقه والنيل منه.

- التأكيد على الوحدة الإسلامية وتماسك الاواصر والروابط والعلاقات القائمة بين طبقات المجتمع المختلفة، من خلال تعميق الفهم السليم للدين والعمل

على ابراز القواسم المشتركة بين المسلمين وتمحورهم حولها، نبذ الفرقة ومواجهة دعوات الفرقة والتناحر والتباغض.

- العمل على طرح الانموذج المثالي للقائد الأسوة ضمن اطار الحياة اليومية الواقعية من خلال الفعاليات والممارسات والظواهر المتميزة للإمام (عليه السلام) مما يسهم في ديمومة المنهج الإسلامي وانتشاره في أكبر مساحة ممكنة.

هوية الأمة المسلمة

لكل أمة من الأمم (ثوابت) تمثل القاعدة الأساسية لبناء الأمة. وفي طليعة هذه الثوابت تأتي (الهوية) باعتبارها المحور الذي تتمركز حوله بقية الثوابت، والذي يستقطب حوله أفراد الأمة. ولا تستحق أمة من الأمم وصف (الأمة) حتى تكون لها هويتها المستقلة والمتميزة عن غيرها من الأمم. وإذن فالأمة بنيان يتجمع فيه الأفراد حول (هوية) ثابتة، تكون هي الصبغة التي تصبغ الأمة، وتحدد سلوك أفرادها، وتكيف ردود أفعالهم تجاه الأحداث، ولا شك أنه كلما شعر أفراد الأمة بهويتهم، كلما تعمق انتماءهم إلى أمتهم، وتأكد الولاء بينهم، وتيسر تعاونهم في سبيل حمل رسالة الأمة والدفاع عنها أمام هجمات الأمم الأخرى.

ومتى ما فقدت الأمة (هويتها)، أصبحت بلا محتوى فكري أو رصيد حضاري، فتتفكك وأصغر الولاء بين الأفراد، وتنهار شبكة العلاقات الاجتماعية في الأمة، وتموت، فهذا ما يحدث للأمة في ظل فقدان الهوية.

فإذا أراد أحد إحياء هذه الأمة (الميتة)، فإنه لا سبيل أمامه إلا أن يكشف عن هوية هذه الأمة، ويجلي أبعاد خصوصيتها بين الأمم، ليساعد ذلك في الدفع النفسي والشعوري إلى إحياء مجد الأمة التليد، والمساهمة الفعالة في السبق الحضاري من جديد. لهذا نرى ان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يؤكد على هذا المفهوم فيعمل على تفهيم الأمة حقيقة الإسلام والدعائم الأساسية التي قام عليها فيقول: إن المعرفة

بكمال دين المسلم تركه الكلام فيما لا يعنيه، وقلة المراء، وحلمه، وصبره، وحسن خلقه^(١).

ولا شك أن هويتنا الأصيلة هي الإسلام، الذي يمثل الهوية الراسخة في نفوس أفراد الأمة، والتي تهدي رؤيتهم إلى مختلف القضايا، وتعطيهم الوعي الصحيح والرؤية الواضحة والزاد الحقيقي في مواجهة أعداء الأمة الإسلامية.

إن الإسلام وحده هو (هوية الأمة الإسلامية) وهو عصب حركتها ومحور اجتماعها، وهو القوى الدافعة التي تفجر طاقات الأمة وتقوي وقفتها في مواجهة أعدائها. ويوم أن كان الإسلام هو هوية هذه الأمة، كان المسلمون هم سادة الأرض بحق وصدق وعدل، وبغيره ستظل الأمة تلهث وراء المظاهر الحضارية تحسبها التقدم، وهي القشور والخداع.

لقد بلور الإسلام (هوية الأمة الإسلامية)، ومنح أفرادها (الجنسية) الإيمانية، فاجتمعوا حول الإسلام وربط بينهم حبل الله كارتباط الجسد الواحد.. ولم يستطع الغزو العسكري أو الفكري أن يحكم الأمة الإسلامية بغير الإسلام إلا في ظل سياسة العصا الغليظة، والاستبداد السياسي، والظلم الاجتماعي، والأنظمة الجبرية.. حيث تلغى إنسانية الإنسان، وتطارد حريته، وتصادر هويته!!

واليوم يبقى الإسلام هو (وحده) المنهج الذي يمثل خصائص الأمة ومنطلقاتها الاعتقادية وأهدافها الحضارية.. ذلك أنه هو (هوية الأمة الإسلامية).

واجبنا تجاه المنهج الإسلامي

ونحن كمسلمين ندعي التزامنا بالخط الرسالي الأصيل ينبغي لنا ان يصدق عملنا قولنا، فتتعاهد المنهج الإسلامي الذي دعا له رسول الله ﷺ وعمل أهل البيت والنبوة على ترسيخه في ضمير الأمة فبدلوا لأجله الغالي والنفيس، ولعل من الأمور التي يجب الأخذ بها...

١. الانكباب على دراسته ومعرفته حق المعرفة، لا أن نأخذه مجرد وراثة دون وعي.
 ٢. التسليم بما جاء في مصدريه: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام)، دون أدنى شك في النفس أو تردد أو مشاورة للنفس التي ينازعها ضعفها وشهوتها والشياطين من جميع أطرافها؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (١).
 ٣. بذل الجهد في نشره بين الناس؛ إذ إنه ليس خاصاً بنا وحدنا؛ قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢)، وكما أنك سعدت به وتلذذت بالعيش تحت كنفه فمن الواجب عليك تأدية زكاته بتبليغه لتلك البشرية المتعطشة له والتي تتخبط في جاهليتها.
 ٤. الذود عنه أكثر من الذود عن حظ نفسك وأهلك وشرفك ومالك، قال (ص): «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» (٣).
- إن سفينة هذا المنهج سائرة، قائدتها محمد ﷺ متحدية الأمواج بحفظ من الله تعالى شعارها قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٤).

سمات الثائر الرسالي

إن من أعظم منن الله تعالى على حملة لواء الإصلاح أن يهيئ لهم الأسباب، ليكونوا من حملة هذا الدين، وممن يبذلون الغالي والنفيس، لإقامة حكم الله في الأرض، وتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، تلك المنزلة التي هي أشرف المنازل، وأعلى المقامات، منزل المرسلين وسبيلهم.

(١) الأحزاب: ٣٦.

(٢) ص: ٨٧.

(٣) امالي الصدوق: ٤١٤.

(٤) آل عمران: ٨٥.

ولا شك أن الثائر المصلح إذا علم الله تعالى فيه الاخلاص وصدق النية اصطفاه الله وجعله من وخيرة خلقه، نعم فقد أحب الله فهو أحب أهل الأرض إلى الله، وأجاب دعوة الله ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه، فعمله أفضل الأعمال وأزكاها، وكلامه أعذب الكلام وأطيبه، لأن كلمة الدعوة هي أحسن كلمة تقال في الأرض وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء، وقد ذكر ربنا ذلك في أوجز عبارة وأصدق بيان: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١).

ولأن الأمر بهذه المنزلة وبهذا السمو؛ نجد الإمام زين العابدين (ع) يولي هذا الأمر أهمية خاصة فيتحدث عنه واضعاً النقاط على الحروف مبيناً أهم ما ينبغي بالثائر ان يتصف به من خلال حديثه عن أمة ثائرة تكون في اخر الزمان، وان اوضح ما يميز حركتهم انهم يخرجون في طلب الحق، وطالب الحق يفترض به ان يكون صاحب نية سليمة خالصة فضلاً عن كونه ذا دراية ومعرفة بالحق وكيفية تحصيله، وهذا يتطلب قوة وإرادة وإيمان، ومن اجل ترسيخ هذا المفهوم يتمنى الإمام (ع) ان يدرك تلك الأمة الثائرة لله وفي سبيل الله فيقول: «من ثبت على ولايتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد، مثل شهداء بدر واحد»^(٢)، وفي حديث آخر يقول (ع): إذا قام قائمنا أذهب الله عن شيعتنا العاهة، وجعل قلوبهم كزبر الحديد، وجعل قوة الرجل منهم قوة أربعين رجلاً، ويكونون حكام الأرض وسنامها»^(٣).

فإنه لا بدّ لأيّ مصلح يريد وجه الله والدار الآخرة أن تتضح عنده أمور، حتى يكون المسار سليماً، والعمل مثمراً، ومن هذه الأمور ما يلي:

أولاً: سلامة القصد والغاية:

فمقصود الثائر المصلح وغايته: إعلاء كلمة الله، وتحكيم شريعة الله في

(١) فصلت: ٣٣.

(٢) البحار: ١٣/٥٢/١٢٥.

(٣) مشكاة الأنوار: ٧٩.

الأرض، وليس لشخصه ولا لقومه، أو جنسه، أو عشيرته، أو قبيلته، حظٌ في ذلك ولا نصيب، وإنما الأمر لله، والعمل من أجل الله، ولهذا نلحظ في كتاب الله التركيز على هذا الأمر. قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾^(١)، وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾^(٢).

وينبغي بدعوة الثائر ان تكون دعوته إلى الله وفي سبيل الله فحسب، دعوة تبيّن للبشرية غاية خلقهم، وتعرفهم بربهم وخالقهم ورازقهم، وتبين لهم كيف يكون الإنسان شريفاً بعبوديته لله، وكيف يكون ذليلاً عندما يكون عبداً لغير الله، تبين لهم كيف تكون الحرية والسودد والرفعة والمجد عندما يتحاكمون إلى شرع الله، وكيف يكون الكبت والذل والصغار عندما يرضون بحكم الجاهلية، وقوانين البشر، وتخرصات أهل الزيغ والضلال، من الفلاسفة والعقلانيين والوضعيين وغيرهم.

ثانياً: سلامة الوصول والطريق الموصول إلى الغاية:

وطريق الثائر المصلح ووسيلته الفضلى هو الاهتداء بهدي رسول الله وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم)، فإنه أمروا الخلق بكل ما أمر الله به، ولم يأمرُوا بشيء من عندهم ولا نهوا عن شيء من تلقاء انفسهم، بل كل دعوته بإذن الله، قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٣). لهذا فقد أمر سبحانه بطاعتهم وقرن ذلك بطاعته فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٤).

ثالثاً: البصيرة في الدعوة إلى الثورة:

لكي يحقق الثائر غايته ومقصوده، ويسلم سبيله في الدعوة من الالتواءات

(١) يوسف: ١٠٨.

(٢) فصلت: ٣٣.

(٣) الأحزاب: ٤٥.

(٤) النساء: ٥٩.

والانحرافات، ولكي يسلك سبيل الله ويدع السبل المتفرقة، فلا بد من العلم والبصيرة في الدعوة إلى الله تعالى وإلى ذلك يشير سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١).

والبصيرة هي العلم، علم بالله وبسنة رسوله وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم)، علم يجعل صاحبه طالباً للحق مذعناً له متى ظهر وإن خالف هواه، علم يجلو القلوب من أصدائها ويزرع فيها تقوى الله وخشيته وحب الله وحب رسوله، وحب عباده المؤمنين وحب العمل الذي يقرب إلى حب الله ورسوله.

رابعاً: الفقه في الدعوة إلى الله:

وتمثل ذلك بأمور....

١. معرفة أحوال المخاطبين والمدعويين، فإن معرفة أحوالهم مما يعين على اختيار الطريق المناسب، ووضع الأمور في مواضعها، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمُ الْبَالِغَ إِلَى أَحْسَنُ﴾ (٢).

ففي الناس من تكون الحكمة أبلغ في دعوته من سواها، والحكمة شأنها عظيم، وقد جاءت في الآية السابقة مستقلة واضحة كالشمس لا تحتاج إلى مزيد بيان وتوضيح، بخلاف الموعظة والجدال، فقد جاءا موصوفين، الموعظة بأنها الموعظة الحسنة، والجدال بأنه بالتي هي أحسن، ومن المهم أن نعرف أن الشدة في بعض الأمور ولبعض الناس هي من الحكمة، وفي الحكمة سر عظيم، وخير عميم، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٣).

٢. أن يكون عنوان التأثير هو: طلب الحق، فإن وفق إليه لزمه وانتصر له، وإن تبين له مجانبة الصواب في أي مسألة من مسائل الشرع، أو أي أسلوب أو منهج،

(١) يوسف: ١٠٨.

(٢) النحل: ١٢٥.

(٣) البقرة: ٢٦٩.

قِيلَ النَّصْحَ وَعَادَ إِلَى الصَّوَابِ، مَرَّتَاحَ الْبَالِ مَطْمَئِنِّ الضَّمِيرِ، فَإِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(١).

٣. أن يكون الثائر على علم بواقعه، وعلى دراية بحجم الجاهلية وقوتها وتبجحها واستهتارها، وأن يدرك المكر الذي يكره أعداء الله ليلاً ونهاراً، لإخماد أي جذوة أو بصيص من نور تظهر في أي بقعة من العالم لإعلاء كلمة الله.

٤. أن يكون صريحاً في كلامه، واضحاً في منهجه وسلوكه، متميزاً عن الجاهلية، معترفاً بدينه، مترفعاً عن أن يساوم بشيء من دينه، مستقلاً تماماً عن أنظمة الجاهلية، معرضاً عن الأنظمة المشبوهة، متميماً لأولياء الله، موالياً للمسلمين، متبرئاً من المشركين.

الثورة إصلاح

إن أسمى مراحل تكامل الإنسان هو أن يكون عبداً صالحاً.

ما معنى الصلاح؟! وبعبارة أجلى: ما معنى أن يكون الإنسان صالحاً؟!

معناه: أن يكون جديراً بالاعتقاد والإيمان، جديراً بالعمل، جديراً بالقول، جديراً بالأخلاق!

أما ما يقابل الصالح فهو الفاسد، ونعرف أن - الفساد في الأرض - تعبير يشمل جميع أنواع الظلم والأعمال السيئة.

وفي القرآن الكريم يستعمل الصلاح - أحياناً - في مقابل الفساد، ويستعمل - أحياناً - في مقابل السيئة، وتعني - الذنب - وما لا يليق^(٢).

إن الدعوة الإسلامية التي حمل لواءها خاتم الأنبياء ﷺ، وتكفل بها من بعده

(١) الأحزاب: ٣٦.

(٢) الأمل، مكارم الشيرازي، ج ١٢ ص ٣٧٢.

أهل بيته المعصومون عليهم السلام لم تكن دعوة إلى إصلاح جزئي يعالج انحرافاً معيناً وقع فيه المجتمع فاحتاج إلى عملية ترقيع أخلاقية أو اجتماعية تنقذه من الهاوية التي تردى فيها أو أشرف على الهبوط فيها، عندما ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس.

ولكن هذه الدعوة الخاتمة، جعلها الله تعالى دعوة تغيير شامل لما بالنفس والمجتمع، لينشئ بذلك أمة خيرة فاضلة. قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (١).

وجعلها أمة فائدة رائدة وشاهدة على الأمم الأخرى، لأنها هي الأمة الوسط العدل في عقيدتها ومنهجها، وفي ذلك يقول الإمام زين العابدين عليه السلام لما سئل عن جميع شرايع الدين: قول الحق، والحكم بالعدل، والوفاء بالعهد (٢).

بناء الأمة:

هذه الأمة التي تبث الخير، وتحمل الحق إلى العالم كله، ليشوب إلى دين الله الواحد، لم تكن عملية بنائها وتربيتها عملية سهلة، هينة لينة، ولم يكن الطريق إلى ذلك قفزات سريعة، يستعجل فيها الداعون الوصول إلى الهدف المنشود. ولكنها كانت عملية بناء متكامل، يبذل فيها المسلمون الجهد والعناء، ويصبرون على أشواك الطريق الذي يسرون عليه بخطى متدبرة، كل خطوة تسلمهم إلى تاليتها ليكونوا بذلك على الجادة المستقيمة من الطريق بعد تلك المجاهدة والمصابرة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣).

ولم يكن عجباً أن يسير الإمام زين العابدين عليه السلام على نهج آبائه الطاهرين في تربية الأمة كلها بتربية أفرادها أولاً، فالفرد هو الخلية الأولى في بناء المجتمع، فليكن هو نقطة البدء في الإصلاح والبناء.. فإن إصلاح مجموعة من الأفراد في كل

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) الخصال: ٩٠ / ١١٣.

(٣) العنكبوت: ٦٩.

بلدة، إصلاحاً يجعلهم أئمة في الهدى والخير والاستقامة هو الذي يؤدي إلى استقامة شؤون البلدة كلها ونظافة حياتها الاجتماعية..

تفاعل الإصلاح بين الفرد والمجتمع:

ومن سنة الله تعالى في الحياة الاجتماعية أنه لا يتم تغيير ما بالمجتمع حتى يبذل المرء جهده في عملية التغيير النفسي أولاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١)، وهذا التغيير والتزكية للنفس هو مفتاح الفلاح وسبب الفوز قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(٢)، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾^(٣).

فلا صلاح لمجتمع إلا بصلاح أفراد، ولا صلاح للفرد إلا بتهيئة المناخ الطيب النظيف، فهناك علاقة متبادلة بين هذا وذاك، ولعل في هذا إشارة إلى واحدة من الحكم الكثيرة التي تتجلى في دعامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لتكوين الرأي الفاضل والمجتمع النظيف، الذي يعرف المعروف ويدعو إليه، وينكر المنكر ويحذر منه.

الإصلاح العملي

أن الخطوة الأولى الطريق العملي للإصلاح الأخلاقي يتمثل في بناء النفس وإصلاحها، القائم على شعور الإنسان بعبودية الله عز وجل الخالصة، فيمتلئ قلبه محبة وإجلالاً لله، ليدفعه ذلك إلى طاعته واتباع أوامره واجتناب نواهيه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤). وقال: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا دُؤُوبَكُمْ أُولَئِكَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾^(٥).

(١) الرعد: ١١.

(٢) الشمس: ٧-١٠.

(٣) الليل: ٥-٧.

(٤) البقرة: ٢١.

(٥) الأعراف: ٣.

أما الخطوة الثانية في هذا المجال فيكون بإصلاح القلب ليكون سبباً لصلاح الفكر والشعور والجسد، فيكون قلباً سليماً يخلق ضميراً حياً في النفس، يشعرك بالمسؤولية، ويدفعك إلى القيام بالواجب.

وتأتي الخطوة الثالثة بعد أن صفا قلبك بإخلائه من الشوائب والادراغ لتفضي عليه من عطاء الله تعالى فتجمله بالمعاني الفاضلة وتحمله عليها فينبثق ينبوع العطاء ففيض على الآخرين من حولك. فإن الإصلاح لا بد أن يظهر أثره في الأقوال والأعمال، لينعكس على سلوك الإنسان ومعاملاته.

الإصلاح والهدفية

إن الحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان هي: أن لكل إنسان هدفاً رسمه في حياته حتى يبلغه، ويسعد بنواله، لذا: كان من البديهي أن يسعى المرء ويجتهد في حياته للوصول لما يصبو إليه، فالهدف إذن ضرورة لا بد منها في هذه الحياة، ولأ لتخبط الإنسان وسار سير الأعمى، فالهدف هو بمثابة البوصلة التي تهديه لسلوك الطرق الصحيحة، والسفينة بدون بوصلة في عرض البحر تكون معرضة للهلاك.

إن الله سبحانه أراد لهذه الإنسانية الارتقاء والعلو، لذلك حدّد لها الهدف الذي من أجله خلقت، وبيّن لها أن الخير كل الخير في السير على هذا الطريق الذي يصل إلى الغاية الكبرى، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

وقد جُبلت الخليقة على الهدفية في وجودها وسيرتها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢)، فتحقيق غاية العبودية بمفهومها الشامل هو الغاية والهدف في الحياة، فلا يمكن أن نتصور الحياة للفرد المسلم بلا ضابط، وفكره بلا محتوى، وحياته بلا هدف، ففقدان الهدف أو ضابيته وعدم تحديده من أشد الأمراض فتكا للبنية الفكرية للأفراد والمجتمعات، فلا بد من وضوح الهدف،

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) الآية السابقة.

وخلافه يؤدي إلى ضعف الإيمان في قلوب أفراد الأمة وغلبة الجهل وضياح الاسباس
السليمة للتربية الصحيحة السليمة وخلط المفاهيم واستحالة امكانية التغيير
والإصلاح.

غياب الهدف:

ولعدم تحديد الهدف من الحياة الناشئ عن خطأ في أصل التصور
الصحيح للحياة؛ نشأت مشكلات عديدة جعلت البشرية تجترّ آلامها، وعلى
رأسها المشكلات النفسية الناشئة من انعدام التصور الصحيح لهذه الحياة وعدم
معرفة سبب وجودنا فيها ومهمتنا الموكولة إلينا في هذا الوجود، ومصيرنا
ومصير الكون، والغاية من هذا التنظيم الرائع للكون، ومن هذا الإبداع العجيب
الدقيق المحكم للإنسان ولسائر الأحياء والكائنات، لماذا وُجد كل ذلك بهذه
الدقة والإحكام؟!.

العمل الصالح وضوابطه

في توجه العبد المؤمن إلى ربه، وفي سيره وانقطاعه إليه يحتاج إلى ما يضبط
سلوكه ويزن أفعاله حتى لا يحد عن الطريق ولا يخطئ الجادة، ومن خلال استقراء
نصوص كتاب الله المجيد والسنة الشريفة لرسول الله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام
يمكن ان نقف على شروط وضوابط للعمل الصالح وبدون هذه الشروط والضوابط
يكون العمل معرضاً للخلل والنقصان؛ بل والرد على صاحبه فلا يجني من عمله إلا
التعب والمشقة.

ونذكر فيما يلي أهم هذه الشروط:

الأول: الإخلاص لله عز وجل. فلا بد من إخلاص النية لله في أي عمل يعمل به
العبد. وتظهر أهمية الإخلاص واثره في أدعية مولانا علي بن الحسين عليه السلام التي تعد
بحق دستوراً حياتياً متكاملًا: اللَّهُمَّ صل على محمد وآل محمد، واجعلنا ممن
جاسوا خلال ديار الظالمين، واستوحشوا من مؤانسة الجاهلين، وسموا إلى العلو

بنور الإخلاص^(١). نعم فالإخلاص خير وسيلة للسمو إلى معالي الدرجات. كما يحدثنا الإمام الباقر عليه السلام عن أهمية الاخلاص واثره: «ما أخلص عبد الإيمان بالله أربعين يوماً أو قال ما أجمل عبد ذكر الله أربعين يوماً إلا زهده الله في الدنيا وبصره داءها ودواءها وأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه ثم تلا ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾^(٢).

الثاني: متابعة الرسول الأكرم عليه السلام. فلا بد في إخلاص العمل من أن يكون هذا العمل مما شرعه الله على لسان رسوله عليه السلام يقول تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٣). والعمل بما شرع الله تعالى يحصن المؤمن من الوقوع في المبتدع من الأعمال ويغنيه عنه. وعلامة حب الله تعالى متابعة الرسول عليه السلام وإلى ذلك يشير الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام فيقول: وفي متابعة الرسول محبة الله عليه السلام ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، وفي متابعة أهل البيت الحشر معهم عليهم السلام ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾^(٤).

الثالث: القصد. فأحب الأعمال إلى الله ما كان على وجه السداد والاقتصاد والتيسير دون ما كان على وجه التكلف والاجتهاد والتعسير، والعمل بالسداد، وهو القصد، والتوسط في العبادة فلا يقصر فيما أمر به، ولا يتحمل منها ما لا يطيقه. وعلى ذلك يؤكد الصادق عليه السلام: القصد إلى الله بالقلوب أبلغ من القصد إليه بالبدن، وحركات القلوب أبلغ من حركات الأعمال^(٥).

الرابع: المداومة. فعن رسول الله عليه السلام: المداومة على العمل في اتباع الآثار والسنن وإن قل أَرْضَى الله وأنفع عنده في العاقبة من الاجتهاد في البدع واتباع الأهواء...^(٦).

(١) البحار: ٤٥٦/٩٥.

(٢) الوافي، الكاشاني ج ٤ ص ٣٧٦.

(٣) آل عمران: ٣١.

(٤) مناقب ال أبي طالب، ابن شهر اشوب ج ٣ ص ٤٤٤.

(٥) بحار الانوار ج ٦٠ ص ٦٠ ح ٤٠.

(٦) الكافي، الكليني ج ٨ ص ٨.

مقومات نجاح الإصلاح

يمكن إيراد بعض المقومات التي يمكن استنباطها واعتبارها أساساً لنجاح السياسات الإصلاحية في المجتمعات كما يلي:

١. خلفية الإصلاحات:

من المعلوم أن لكل سياسة إصلاحية خلفية عقائدية فكرية تشكل أساساً لها وتتحكم في صورة أهدافها، ووسائلها، ونوعية الأشخاص الذين يقومون بها، وسمات العمليات الإدارية التي تمر بها من تخطيط وتنفيذ ومراقبة ومتابعة.

والإصلاحات الإسلامية تنطلق من عقيدة القرآن والسنة، والنظرة الشاملة للإنسان والكون والحياة، وشمولية التغيير والإصلاح، وسعة الأهداف التي تتخطى حاجز المكان والزمان المقيّد بالدنيا وحواجزها، كما تتميز بوسائلها الشرعية الطاهرة، وصفات المتولين لتنفيذ سياستها؛ وهذا بالضبط ما يجعلها تنفرد عن غيرها من خلال اتصالها بالله واتصافها بالربانية التي نحميها من قصور البشر وأهوائهم وجهلهم وأخطائهم، ولا تحصر نفسها في معالجة الأسباب المادية الظاهرة فقط؛ بل هي تعترف بالأسباب المعنوية المتمثلة في تقصير البشر في الأخذ بالأسباب والاستقامة على أمر الله وارتكابهم للمعاصي.

والقائمون على الإصلاحات الإسلامية الشاملة يستمدون العون من الله؛ ولذا فهم لا يرجون إلا الله، ولا يخافون إلا الله، ولا يسعون لإرضاء أحد أو يخشون غضب أحد إلا الله، يعبدونه ويعبدون الناس له، ولذا تراهم من أكثر الناس عبادة، وأزهدهم في الدنيا، وأشدّهم طلباً للآخرة، وأوفرهم نشاطاً وعملاً وسهراً وتعباً.

ومن خطبة للإمام زين العابدين عليه السلام خطبها في الشام في مسجد الجوامع بعد أن جيء به وأهل بيته على صورة يقصر البيان عن وصفها فتصدى لطاغية عصره بعد أن اذن له في الخطبة فقال: «يا معشر الناس: فمن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه نفسي، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن مروة والصفاء، أنا ابن محمد المصطفى...

أنا ابن من علا فاستعلی، فجاز سدره المنتهى، وكان من ربّه قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى بملائكة السماء مثنى مثنى، أنا ابن من أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن خديجة الكبرى، أنا ابن المقتول ظلماً، أنا ابن المجزور الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتى قضى، أنا ابن صريع كربلاء، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء، أنا ابن من بكت عليه ملائكة السماء، أنا ابن من ناحت عليه الجنّ في الأرض والطير في الهواء، أنا ابن من رأسه على السنان يُهدى، أنا ابن من حرّمه من العراق إلى الشام تُسبى.. أيّها الناس إنّ الله تعالى - وله الحمد - ابتلانا أهل البيت ببلاء حسن، حيث جعل راية الهدى والثقى فينا، وجعل راية الضلالة والردى في غيرنا...»^(١).

وقد بينت خطبته ﷺ الخط السياسي الذي انتهجه، فكان كلامه ﷺ «أكثر تأثيراً من قعقة السيوف وطعن الرماح مع ما يستبطن من فضح وكشف واحتمال تصفية وقتل... كما كشف مالم يكشف وفضح ما تمّ التكتّم عليه أو يُراد له ذلك، فذكر الناس أولاً بنسبه الشريف واتصاله بالإسلام ونبى الإسلام، وأشار إلى العديد من الحوادث التاريخية والجنايات التي ارتكبتها جيش الأمويين باسم الإسلام وتجاوزت حدود الدين وتعاليمه المعروفة، كالتمثيل بالقتلى مثلاً: «أنا ابن المجزور الرأس من القفا»، والوحشية في التعامل مع الخصم: «أنا ابن العطشان حتى قضى» والتطاول على حرمة بيت النبوة، وبنات المصطفى والمرضى اللواتي «من العراق إلى الشام تُسبى...» وأكثر من كل ذلك وبصريح القول والعبارة: «أنا ابن المقتول ظلماً»^(٢).

٢. القدوة الصالحة

يحدّثنا القرآن الكريم عن نوعين من القدوة والاقتداء:

الأول: النوع الحسن (الأسوة الحسنة)، وهي الأسوة التي تقوم على المثل والقيم والالتزامات الأخلاقية، مثل الأسوة بإبراهيم ﷺ والذين معه ومحمد ﷺ،

(١) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب المازندراني ٤: ١٨٢.

(٢) الإمام علي بن الحسين ﷺ دراسة تحليلية.. مركز الرسالة: ٢٢.

والأنبياء والرسل ﷺ. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ ^(١). وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ ^(٢)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ ^(٣)، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْ لَهُمْ أَقْصَدَةٌ﴾ ^(٤).

الثاني: النوع السيئ (الأسوة السيئة)، وهي التي تقوم على أساس القوة والقدرة والهيمنة الخارجية، وهي الأسوة بالجبايرة والطغاة وأئمة السوء وأصحاب الجاه والمال. قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ^(٥)، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ ^(٦).

حيث إن الإنسان يقع عادة تحت تأثير أحد هذين العاملين الأساسيين في قضية (الأسوة) أو (القدوة) وهما:

- عامل الفطرة الإنسانية السليمة، ومنابع الحق والعدل والوجدان في النفس الإنسانية.
- عامل الهوى والشهوات والخوف والطمع، ومواقع الضعف والنقصان في النفس الإنسانية.

وقد حث أهل البيت ﷺ أتباعهم على استنفار العامل الأول والاستفادة منه في الوصول إلى هذا الموضوع الاجتماعي والإنساني ^(٧).

(١) الاحزاب: ٢١.

(٢) الممتحنة: ٤.

(٣) الممتحنة: ٦.

(٤) الانعام/ ٨٩-٩٠.

(٥) الزخرف: ٢٢.

(٦) الأحزاب: ٦٧.

(٧) دور أهل البيت ﷺ في بناء الجماعة الصالحة، لمحمد باقر الحكيم ج ١ ص ١٠٥-١٠٦.

وقد عمل الإمام زين العابدين (عليه السلام) على اشاعة مفهوم القدوة الصالحة والأسوة الحسنة بين أصحابهم وأتباعهم ليأخذوا دورهم القدوة في المجتمع الإسلامي وبين أفراد الجماعة المسلمة، والعمل للوصول إلى المثل الأعلى ضمن الجماعة؛ بحيث يكون هؤلاء الأفراد موضع الثقة والطمأنينة بين أفراد المجتمع الإسلامي. وقد شدد الإمام زين العابدين (عليه السلام) على أن يكون مفهوم القدوة منسجماً ومطابقاً لمصادقه إذ يقول في ذلك: إن أبغض الناس إلى الله من يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي بأعماله^(١). فلا شك أن الأخلاق والمثل والقيم والالتزامات السلوكية المنسجمة معها هي التي يمكنها أن تعطي هذا الدور في المجتمع الإسلامي، وتجسيد القدوة والأسوة الحسنة بين الناس في السلوك الفردي والاجتماعي العام.

ومن ذلك يتضح أن تأكيد الإمام زين العابدين (عليه السلام) على شيعته للاهتمام بالصفات الأخلاقية القومية وضرورة اشاعتها بين اوساط المجتمع الإسلامي والالتزامات تأكيداً يجسد جانب الاقتداء والأسوة في الأمة وبين الناس باعتباره قضية ذات علاقة خاصة بدور هذه الجماعة الصالحة في المجتمع الإسلامي، وما يمكن أن يكون لهم من تأثير في تحقيق الأهداف العامة من وراء إيجاد هذه الجماعة انطلاقاً من الدور العظيم المؤثر الذي تؤديه القدوة الحسنة في المجتمع الإنساني، على ما سوف نشير إليه مستقبلاً.

٣. التوعية:

اهتم الإمام زين العابدين (عليه السلام) بتوعية الأمة ونشر العلم فيها، وإن ذلك يجب أن يستند على تعريفها بدينها أولاً، ثم بمتطلبات عصرها بما لا يتعارض مع دينها، على أن لا تكون هذه التوعية مقصورة على الواجبات دون الحقوق، ولا تكون مرتبطة بظروف تجبر عليها، بل تكون سياسة دائمة نحو تربية الأمة ورفع قدراتها لتؤدي دوراً حاضراً مؤثراً في واقع حياتها.

فجاءت أدعيته الشريفة في صحيفته الخالدة ورسالة الحقوق متناغمة مع هذا

(١) البحار ٧١: ١٧٨، ح ٢٥.

المفهوم بعد ان وقف الإمام ﷺ على أمراض الأمة وآفاتها فكانت ملية لاحتياجات مختلف مستويات المجتمع الإسلامي.

مقومات نجاح المصلح

تمتع الإمام زين العابدين ﷺ بين شرف النسب وشرف الفعل، فكانت تعرف فيه النجابة من صغره، وتلوح على محياه مخايل الذكاء الذي يحبه إلى كل من رآه كما عرف عنه ﷺ منذ إدراكه رجحان العقل، وأصالة الرأي، واشتهر بحسن المعاملة، والوفاء بالوعد، واستقامة السيرة، وحسن السمعة.

ومن خلال تتبع السيرة العملية للإمام زين العابدين ﷺ في اقواله وافعاله وتقريراته يمكن الوقوف على السمات التي ينبغي للمصلح الرسالي ان يتصف بها، فيجعله نصب عينه ليتخذ منها منهجا في حركته الإصلاحية، ومن تلك السمات.

– صحة العلم ووفرته واتساعه فإن من مهمات الإصلاح إحياء العلم الشرعي، ونشر العمل بالسنة، وتعليم الناس دينهم، والذين يتصدون لذلك لابد أن يكونوا على جانب من العلم متين، إلى جانب معرفة أوضاع الحياة المدنية وما يناسبها.

– صدق العمل وإخلاصه فالمصلح صاحب إرادة في التغيير فاعلة وثابة، فهو ينطلق بالأمة من واقعها المرفوض المنحرف آخذا بيدها في طريق الصلاح والنجاح.

– الإدراك الواعي لحال هذه الأمة وما تعانيه.

– الإرادة القوية المصممة على التغيير والإمضاء الفعلي لهذه الإرادة لتحقيق الاهداف المتوخاة.

ثم عمل على تركية نفوس الناس وأخلاقهم وبيئاتهم من الأمراض والنقائص الاجتماعية والخلقية، وإعانتهم على السمو والارتفاع بشتى الوسائل، فكانت مجالسه عامرة بالعلم والتربية، ومن ثم تفشى ذلك في الناس، ولم يأل جهداً في نشر العلم وإحياء السنة، ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام.

وحارب المفساد الموروثة والعصبية المقيتة، وحارب البدع المحدث والآراء الضالة كبعدة القدرية والخوارج والمرجئة والمعتزلة، وحث على تدوين السنة النبوية الشريفة، فكلّف بعض تلامذته بكتابة حديث الرسول ﷺ، وكان لهذه الإصلاحات آثار عميقة في المجتمع الإسلامي.

- كما ينبغي بالمصلح أن يكون أكثر إحساساً بالمعاني الإنسانية النبيلة، وامتلاءً بالعواطف الرحمة نحو اليتامى أو الفقراء أو المعذّبين، وأكثر عملاً لإنصاف هذه الفئات والبر بها والرحمة لها، وكل مصلح ثائر يحتاج لأن يكون لديه رصيد كبير من العواطف الإنسانية النبيلة التي تجعله يشعر بالآلام الضعفاء والبائسين.

- ضرورة أن يعيش المصلح في جو أقرب إلى الفطرة، وأبعد عن الحياة المعقدة، فإن ذلك أدعى إلى صفاء ذهنه، وقوة عقله وجسمه ونفسه، وسلامة منطقته وتفكيره، ولذلك فقد اختار الله سبحانه محمد وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم) ليكونوا أئمة الصلاح والإصلاح كونهم أصفى البشرية نفوساً، وأسلمهم تفكيراً، وأقومهم أخلاقاً، وأكثرهم احتمالاً للمكاره في سبيل إعلاء كلمة (لا إله إلا الله).

- العلم الإلهي الذي يفيضه الله تعالى على عباده الذين اصطفى هو من أهم السمات التي ينبغي توافرها في الثائر المصلح ليكون مؤهلاً لمركز الدعوة وقيادتها، وعدم توافر ذلك يجعله من أبعد الناس جدارة عن القيادة الفكرية، أو الإصلاحية، أو الروحية.

- الاستقلالية المالية أمر ضروري ينبغي أن يتصف به المصلح فلا يعتمد في معيشتة صدقات الناس وأعطياتهم، وأية كرامة تكون له في نفوس قومه، فضلاً عن تأمينه لاحتياجات الخط الرسالي في بعده المالي.

- إن استقامة المصلح الثائر وحسن سيرته أدعى إلى نجاحه في دعوته إلى الله تعالى، وإصلاح الأخلاق، ومحاربة المنكرات، إذ لا يجد في الناس من يغمزه في سلوكه الشخصي قبل قيامه بالإصلاح، وكثيراً ما حدثنا التاريخ عن أناس قاموا

بدعوة الإصلاح، وبخاصة إصلاح الأخلاق، وكان من أكبر العوامل في إغراض الناس عنهم ما يذكرونه لهم من ماض ملوث، وخلق غير مستقيم، بل إن الماضي السيء يكون مدعاة للشك في صدق هؤلاء الدعاة، بحيث يهتمون بالتستر وراء دعوة الإصلاح لمآرب خاصة، أو يهتمون أنهم ما بدؤوا بالدعوة إلى الإصلاح إلا بعد أن قضوا بُبانتهم من ملذات الحياة وشهواتها.

- إن تلاحم القائد المصلح مع جماهيره، والتعرف على عوائد المجتمع وأوضاعه ومشكلاته، له أثر كبير في نجاح دعوته الإصلاحية، وهو ادعى للتأثير في نفوسهم وشحذ هممهم.

- يجب على داعية الإصلاح أن يتمتع بروحية تتصل فيها روحه بالله جل شأنه، وتصفو فيها نفسه. وإعطاء الجانب الروحي الأولوية في النشاط الديني له اثر إيجابي في إيقاظ الشعور بالمسؤولية اتجاه قضايا الأمة المصيرية وتعميق الإيمان في نفوس ابنائها، فينتج عن ذلك قوة ودفعاً لرفد روح المقاومة والتحدي إمام الانحراف المتفشي في مفاصل النظام الإسلامي.

الثورة تجديد

إن مجرد هداية فرد إلى الله تعالى، ووصله بحبل الله المتين، وإنقاذه من الكفر والشرك يعد هدفاً بذاته ومكسباً عظيماً، وثورة الإصلاح الحقيقية تقوم على أساس تجديد ما يندرس من سنن الشريعة ومعالمها ونشرها بين اوساط المجتمع.

والتجديد يعني جعل الشيء جديداً، فتجديد الدين يعني إعادة نضارته ورونقه وبهائه وإحياء ما اندرس من سننه ومعالمه، ونشره بين الناس. ولا يكون ذلك إلا بعد اضمحلال الحق وتفشي الظلم، فيأتي المصلحون ليعيدوا للناس الثقة بدينهم، ويعلموهم ما جهلوا من شأنه. وهكذا يبدو جلياً أن التجديد لا يعني بحال من الأحوال إضافة شيء جديد إلى الدين، كما أنه لا يعني بحال من الأحوال اقتطاع شيء منه ونبذه. فهذا وذاك ليسا في الحقيقة تجديدًا، فأى حركة تستهدف تغيير معالم

الدين بحجة تجديده تكون في حقيقتها هدماً له وقضاء عليه، وإن بدا أنها تدعو إليه، أو تحقق له بعض المكاسب الآنية.

والحركة التجديدية المنبثقة من التيار الرسالي الأصيل ينبغي أن تستهدف إصلاح الأمة بكاملها وعلى كافة مستوياتها، فهي ليست حركة محدودة تقف عند أهدافه وطموحات معينة لا تتعداها. فالإسلام لم ينزل ليكون ديناً لفئة أو جانب معين من الحياة، بل جاء لإنقاذ للبشرية - كلها - من ظلمات الكفر بأنواعه في الدنيا، ومن ظلمات النار والسعير يوم القيامة.

مظاهر التجديد

إن أهم المظاهر والاجراءات التي يمكن ان تتمثل فيها الحركة التجديدية للإمام زين العابدين (ع) هي:

١. حفظ نصوص الدين الأصلية صحيحة نقية بإحياء الحركة العلمية في مجال النظر والاستدلال.
٢. نقل المعاني الصحيحة للنصوص وتخليص العقيدة من الإضافات البشرية.
٣. إحياء الفهم السليم لها بإحياء الفرائض المعطلة.
٤. السعي للتقريب بين واقع الإسلامي المعاش، وبين المجتمع الذي دعت إليه الشريعة المقدسة المحاكي للفتوة الإنسانية السليمة.
٥. تصحيح الانحرافات النظرية والفكرية والعملية والسلوكية وتنقية المجتمع من شوائبها وإزالة ما علق بهذا الدين من الآراء الضالة والمفاهيم المنحرفة.

مجالات التجديد:

إن التجديد الذي تبنته الثورة التصحيحية التي قادها الإمام زين العابدين (ع) ومن قبله آبائهم الطاهرون لا تنحصر في مجال واحد فحسب، بل تمتد امتداداً آخر ليشمل تجديد الدين كله: فيشمل:

أولاً: التجديد في مجال العقيدة: ولا يمكن أن نتصور أن التجديد يعنى إضافة شيء آخر إلى العقيدة الإلهية الحقّة، كلا بل التجديد هو تخليص العقيدة من تلك الإضافات البشرية التي طرأت عليها نتيجة السموم التي عملت على بثها التيارات المنحرفة فيأتي التجديد ليجعل منها نقية صافية ليس فيها أثر لصنع البشر وآرائهم وفلسفاتهم خالية من آثار الانحراف الذي اصابها من قبل المحرفين والمنحرفين.

ومن التجديد في مجال العقيدة ربط آثارها الواقعية بها، لإحياء الآثار القلبية النابعة من صدق الإيمان، كالحب والبغض والخوف والرجاء والرغبة والرغبة والإنابة والخشوع.

ولذا نجد أن الله تعالى بعد ما أثنى على المؤمنين بتصديقهم بيوم الدين، اتبع ذلك بذكر إشفاقهم من عذاب الله، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَصَّدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ (١).

وقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام نموذجاً حياً في صدق اللجأ إلى الله تعالى، وعمق الصلة به، وبقظة الضمير، فعمل عليه على توجيه الناس لالتزام الأوامر واجتناب المناهي تربيةً للضمير وإحياءاً للمشاعر القلبية الصادقة التي تقف كالحارس اليقظ الساهر الذي يمنع تسلل الضعف أو التقصير.

ومن التجديد المطلوب في مجال العقيدة: عرض الانحرافات الجوهرية التي كانت يعيشها المجتمع الإسلامي مما له تعلق بجوانب الاعتقاد، مع بيان خطرها وتأثيرها، والتحذير منها.

فالحديث عن موالاته أصحاب العقائد المنحرفة وحكمها وتأثيرها على النفوس، والخطر الزاحف بسببها سواء على مستوى الفرد أو الجماعة أو المجتمع.

كذلك الحديث عن قضية الحكم بغير ما أنزل الله، وحكمه، وضرورة رد

الأمر كلها إلى شرع الله لأن هذا هو مقتضى الإسلام والتسليم، وشرط الإيمان الذي لا يكون إلا به. وتربية الأفراد والمجتمعات على الولاء لشرعة الإسلام، بحيث يصبح الإيمان المطلق بشرعة الله قناعة راسخة لدى كل مسلم.

ثانياً: التجديد في مجال النظر والاستدلال، وإحياء الحركة العلمية التي تهدف إلى دراسة القضايا الشرعية كلها دراسة مبنية على الدليل الشرعي الصحيح بعيداً عن الأهواء والعصبيات. وذلك لضمان سير منهج التفقه والاستنباط سيراً سليماً بعيداً عن الانحراف أو الفوضى التشريعية.

ثالثاً: التجديد في السلوك الفردي والاجتماعي بالعمل على صياغة حياة المسلمين بتفصيلاتها صياغة إسلامية شرعية، والإفادة من المعاني الوجدانية التلبية التي يفترض أنها بدأت تستيقظ في النفوس، بربط الأحكام التفصيلية بها.

لقد ركز الإمام زين العابدين (ع) في الكثير من أحاديثه على أن الانحراف السلوكي في حياة المسلمين يرجع إلى أحد سببين:

١. الجهل بحكم الله تعالى وسنة رسوله (ص). لهذا كان الإمام زين العابدين (ع) كثيراً ما يدعو: اللهم... اجعلنا من الذين تمسكوا بعروة العلم وأدبوا أنفسهم بالفهم^(١)، كما كان يدعو: واجعلنا من الذين... غسلوا أوعية الجهل بصفو ماء الحياة^(٢).

٢. ضعف الإيمان وضعف الإرادة بحيث تغلب الإنسان شهوته، أو تغلبه ظروفه فيقع في المحذور. فكان (ع) يعلم الناس في أدعيته الشريفة الحلول الناجعة لمواجهة آفة الشهوات: واجعلنا من الذين اشتغلوا بالذكر عن الشهوات... حتى جالت في مجالس الذكر رطوبة السنة الذاكرين^(٣). وقوله (ع) واعظاً: اعلموا أنه من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الحسنات، وسلا عن الشهوات،

(١) البحار: ١٩/١٢٧/٩٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

ومن أشفق من النار بادر بالتوبة إلى الله من ذنوبه، وراجع عن المحارم^(١).
فمعالجة الجهل هي بالتعليم والتفهيم وربط الناس بالنصوص الشرعية،
ومعالجة الضعف الداخلي هي بمخاطبة القلوب والتأثير عليها.

رابعاً: فضح المناهج والاتجاهات والأوضاع والمبادئ والسبل المخالفة
للإسلام ليحیی من حي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة. ولقد كان من مهام الثائر
الرباني كشف طريق الضلال لئلا يلتبس بطريق الحق. فكان الإمام زين العابدين عليه السلام
لا يفوت فرصة إلا ووضح فيه المفاهيم الإسلامية الصحيحة من خلال ازالة اللبس
وتفقيح المقال، ومن ذلك ما روي أن رجلاً قال لعلي بن الحسين عليه السلام: إني لأحبك
في الله حبا شديداً، فنكس عليه السلام رأسه، ثم قال -: اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك
وأنت لي مبغض، ثم قال له: أحبك للذي تحبني فيه^(٢).

الثورة تغيير

إن منهج الإسلام في بناء المسلم عقيدة وسلوكا يسعى إلى خلق فرد رسالي
يؤمن بقضيته الكبرى الإسلام، فيغدوا مسلماً قلباً وقالباً، لهذا كانت دعوة الإسلام
رامية دائماً إلى الإصلاح والإصلاح معاً، ولن يكون إصلاح البتة إلا بتحقيق الإصلاح
الذاتي وتمكنه. يقول تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣)، ويقول: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ
وَأَصْطِرْ عَلَيْهَا﴾^(٤)، فالإصلاح ضرورة لا تستقيم حركة الحياة بغيره.

وإلى أهمية هذه الفريضة العظيمة يشير الإمام زين العابدين عليه السلام فيقول:
«التارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالناذب كتاب الله وراء ظهره إلا أن

(١) تحف العقول: ٢٨١.

(٢) تحف العقول: ٢٨٢.

(٣) التوبة: ٧١.

(٤) طه: ١٣٢.

يتقي تقاةً، قيل: وما تقاته؟ قال: يخاف جباراً عنيداً أن يفرط عليه أو أن يطغى»^(١).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يترتب عليه آثار واقعية تتجسد فيها جميع الغايات والاهداف المتوخاة في الإصلاح، ففيه بقاء النوع الإنساني والنظام، وإنفاذ الشرائع والأحكام.

ولما كانت غاية (تغيير المنكر) عظيمة، وكانت فريضةً وضرورة حياة، فإن الإمام الباقر (عليه السلام) وسيراً على هدي آبائه الطاهرين (عليهم السلام) قد بين منهاج التغيير وآلياته ووسائله، والضوابط والآداب، حتى لا تضل الأمة في قيامها بتلك الفريضة، فتسلك بها غير السبيل القويم، أو تتخذ وسيلة غير التي تكون لها. وفي ذلك يقول (عليه السلام): «فأنكروا بقلوبكم، والفظوا بألسنتكم، وصكوا بها جباههم، ولا تخافوا في الله لومة لائم، فإن اتعظوا وإلى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيعون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم، هنالك فجاهدوهم بأبدانكم وأبغضوهم بقلوبكم، غير طالبيين سلطانا، ولا باغين مالا، ولا مرتدين بالظلم ظفرا، حتى يفيئوا إلى أمر الله ويمضوا على طاعته»^(٢).

وبيانه (عليه السلام) لوسائل (تغيير المنكر) وضوابطه، يقيم الأمة على المحجة البيضاء ولا ييقي لها عذراً في التقاعس أو التكاثر عن القيام بهذه الفريضة، فكان البيان شافياً شاملاً، لا يكاد يفلت منه واحد من الأمة، مهما كان موقعه في الحياة، ومهما كانت قدرته واستطاعته، مما يدل على أن منزلة (تغيير المنكر)، من مقومات شخصية المسلم، الذي به قيام الأمة المسلمة.

والتغيير يقال على وجهين:

أحدهما: لتغيير صورة الشيء دون ذاته.

الثاني: لتبديله بغيره، نحو غيرت غلامي ودابتي، إذا أبدلت بهما غيرهما.

(١) نفس المصدر ٧: ٢١١.

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري ج ٣ ص ١٩٥٢.

فالأصل في التغيير استبدال شيء مرغوب فيه، بشيء مرغوب عنه، فهو ليس تركاً وإزالة فحسب، بل يتبعهما إقامة غيره مقامه، فيكون التغيير أخص من الإزالة، وأخص من النهي عن الشيء.

والحديث الشريف المذكور آنفاً قد جاء بالأمر بتغيير المنكر بعدة الألفاظ مراعيًا مراتب التغيير فجاء بـ (فأنكروا)، و (الفظوا)، و (صكوا)، وهي تهدي إلى أن تمام الفريضة وكمالها بإقامة معروف مقام ما يزال من المنكر، حتى لا ندع للمنكر مجالاً للعود.

وإذا نظرنا إلى وسائل التغيير وآلاته ألفينا دلالة التغيير، تتجدد بتجدد ما تعلق بها فغير خفي، أن التغيير باليد ليس هو التغيير باللسان، وكذلك القلب، فحقيقة تغيير المنكر، تختلف باختلاف وسيلته، وباختلاف المنكر الذي يقع عليه ذلك التغيير، وباختلاف من يقوم بذلك التغيير.

والتغيير بهذا المفهوم عبادة، خصوصاً إذا كان صاحب التغيير والمتبني له لا يتغنى به غير الله تعالى، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾^(١)، والله سبحانه وتعالى، قد بين لعباده غناه عن الشركاء في حديثه القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»^(٢).

وقد تعهد الله سبحانه بانه سوف يُعينُ القائم لهذا التغيير، ويهيئ له الأسباب تهيةً قلبية وعقلية ونفسية، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾^(٣).

التغيير والعلم

ان تقدير درجات المنكر في حادثات الحياة ونوازلهما، وما بينها من مراتب،

(١) البينة: ٥.

(٢) المحلى، ابن حزم ج ٩ ص ١٨٤.

(٣) المائدة: ١٠٥.

بحاجة إلى بصيرة نافذة في دقائق فقه الدين، وفي فقه نوازل الحياة، الذي هو أساس فقه التدين، وبحاجة أيضاً إلى الحكمة البالغة، وإخلاص النصيح في تحقيق ما اشتبه، وتحرير ما اشتجر، وذلك جهد بالغ لا يقوم به إلا صفوة أهل العلم.

فينبغي للتغيير المفضي للإصلاح ان لا يكون إلا عن علم ومعرفة، وهو شرط لمعرفة كيفية التغيير، وفقاً لهدي الشريعة، وهذا يستوجب معرفة أسباب المنكر المراد تغييره معرفة كاشفة، ومعرفة آثاره العاجلة والآجلة في الأمة. لهذا نجد الإمام زين العابدين (عليه السلام) في تعريفه لمفهوم المؤمن يؤكد على هذه الحقيقة: المؤمن خلط علمه بالحلم، يجلس ليعلم، وينصت ليسلم، وينطق ليفهم، لا يحدث أمانته الأصديقاء^(١).

فضلا عن معرفة ما يحيط بوجود المنكر، وانتشاره في الأمة من ملاسبات، وما يعين على بقائه أو تجدد، أو إغراء الناس بالانشغال به، أو التلبس والتردي فيه، أو السكوت على أهله، أو إجلالهم، أو الخوف من تغييره أو إنكاره.

ويستوجب معرفة ما يترتب على تغييره، بأي سبيل من آثار إيجابية، أو سلبية، والموازنة بين هذه الآثار، فيما يحسن اختيار المنهج، والزمان، والمكان والمقدار، الذي هو أنفع للأمة، عنده تغييره.

ويستوجب معرفة السبيل القويم، إلى تغيير هذا المنكر، تغييراً نافعاً، فيختار ما هو أكثر نفعاً، وأقل ضرراً على الأمة، وما هو أقدر على القيام به، وأصبر على إنفاذه.

الثورة جهاد

الجهاد في سبيل الله من الواجبات والعبادات المهمة التي تحدث عنها القرآن الكريم في مواضع عديدة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَرِ شَيْءٍ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ * تَوَكَّلُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ * وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

(١) البحار: ٦٧/٢٩١/١٤.

(٢) الصف: ١٠-١١.

والجهاد بذل لكل ما يمكن من الجهود في سبيل الله، ومدافعة أعداء الله وأعداء رسوله بكل ما يستطيع من القوة، قوة البدن، وقوة السلاح، وقوة المال، وقوة العلم والمعرفة.

وليس شيئاً من شعائر الإسلام يثير الرعب في قلوب أعدائه مثل الجهاد، لهذا بذل الحكام والسلاطين إلى تشويبه على هذه الفريضة العظيمة؛ وتفرغ قلوب وعقول المسلمين منه بحرفها عن مسارها الذي رسمها الله تعالى لها وتحجيم دوره في مقارعة الاخطار الخارجية دون الالتفات إلى حقيقة الخطر الداخلي ومدى تعاظمه وضرورة الوقوف بوجهه وقفة جادة إذ أخذ ينخر في جسد الأمة فينش في اسسها ومتبنياتها الفكرية والعقائدية، فجعلت المسلمين ينظرون إلى الجهاد نظرة تعكس ضعفهم ورضاهم بالواقع، متمثلاً في ذلك خداعهم لأنفسهم وخنوعهم واستجابتهم لوساوس الشيطان. قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخَائِنِينَ﴾ (١).

مفهوم الجهاد (٢)

للجهاد مفهوم واسع في الإسلام والقرآن الكريم، حيث إنه مأخوذ من الجُهد وهو الوسع والطاقة فيكون الجهاد هو بذل الوسع في المدافعة والمغالبة من أجل الله، وبذل الطاقة في سبيل نشر الإسلام والدفاع عنه (٣). فكل ما يتحملة الإنسان من عناء وتعب وكل ما يقدمه من عطاء وفداء في سبيل الله يكون جهاداً، سواء كان ذلك نفسياً أو بدنياً، وسواء كان في الحديث أو التأليف أو المال أو طلب العلم والمعرفة النافعة أو في إصلاح ذات البين أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فضلاً عن بذل النفس والقتال في سبيل الله.

(١) النساء: ٩٥.

(٢) ينظر: دور أهل البيت (عليه السلام) في بناء الجماعة الصالحة، لمحمد باقر الحكيم: ٤٣٣-٤٥٠.

(٣) معجم ألفاظ القرآن: ٢١٦.

وأصل مفهوم الجهاد: هو استفراغ الوسع في المدافعة بين طرفين ولو تقديراً. ثم خصص به «قتال الكفار لإعلاء كلمة الله، والمعاونة على ذلك، ولفظ الجهاد إذا أطلق فالمراد به قتال الكفار لإعلاء كلمة الله تعالى، ولا ينصرف إلى غير قتال الكفار إلا بقرينة تدل على المراد»^(١).

وهكذا؛ كل الأحاديث التي تدل على فضائل الجهاد المراد بها الجهاد الحقيقي؛ وهو قتال الكفار لإعلاء كلمة الله تعالى، وكذلك تبويب أهل العلم في كتبهم للجهاد؛ المراد به جهاد الكفار لا مجاهدة النفس.

واختار الإسلام كلمة «الجهاد» للقتال، وجعلها مصطلحاً خاصاً به بدلاً من الكلمات القديمة الشائعة بين الأمم كالحرب مثلاً؛ لما اشتملت عليه من معان سامية؛ من تحرير الإنسان في هذه الأرض من العبودية للعباد، ومن العبودية لهواه وشهواته إلى العبودية لخالقه ورازقه. والجهاد ليس له أي علاقة بحروب البشر وأغراضها وأهدافها^(٢).

وقد فرض الله تعالى هذا النوع من الجهاد على الإنسان المسلم في ظروف معينة، وأباح له بل أوجب عليه أن يعرض نفسه للقتل وللموت دفاعاً عن النفس والإسلام والمظلومين. قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ...﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتْلُونَ بِإِنْفِهِمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صُلُوبُهُمْ وَيَبْغُوا وَصَلَوْتُ إِلَيْكَ وَالْحَمْدُ أَكْثَرُ لَكَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ إِنَّكَ اللَّهُ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾^(٤).

(١) مقدمات ابن رشد، ج ١، ص ٣٦٩.

(٢) مبادئ الإسلام ومنهجه في قضايا السلم والحرب، الدكتور أبو بكر ميقا، ص ٧٦، ٧٨.

(٣) البقرة: ٢١٦.

(٤) الحج: ٣٩-٤٠.

أهمية الجهاد وفضله

وللجهاد فضل عظيم للإنسان والأمة المجاهدة، وأهمية كبرى في تحقيق الأهداف المقدسة التي وضعها الله تعالى أمام الإنسان في حركته التكاملية التي لا يبلغها إلا من خلال البأساء والضراء، وتفسر البأساء بالقتال.

وقد نص القرآن الكريم على ذلك في آيات عديدة مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (١).

وقوله تعالى بعد ذكر الجهاد: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

كما ورد عن النبي ﷺ وأهل بيته الكرام ؑ تؤكد أهمية الجهاد ودوره العظيم في المحافظة على الإسلام والعزة والكرامة والإنسانية وقوة المجتمع الإسلامي، وتحقيق الأهداف التكاملية للحركة الفردية والجماعية للإنسان.

وإلى هذا المعنى يشير الإمام الباقر ؑ حيث يقول: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: إني راغب نشيط في الجهاد، قال: فجاهد في سبيل الله، فإنك إن تقتل كنت حياً عند الله ترزق، وإن مت فقد وقع أجرك على الله وإن رجعت خرجت من الذنوب إلى الله (٣).

كما روى معمر عنه ؑ قال: - الخير كله في السيف وتحت السيف وفي ظل السيف - قال وسمعتة يقول: - إن الخير كل الخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة - (٤).

(١) البقرة: ٢١٤.

(٢) الصف: ١٢-١٣.

(٣) ميزان الحكمة ج ١ ص ٤٤٥.

(٤) الوافي ج ١٥ ص ٤٣.

وفي نفس السياق يعطي الإمام الباقر (عليه السلام) مفهوم (الجهاد) نطاقاً أوسع حين يؤطره بإطار اجتماعي ذي بُعد تربوي فيذكر في بيان أشد الناس اجتهداً لما قال له رجل: إني ضعيف العمل قليل الصلاة قليل الصوم، ولكن أرجو أن لا أكل إلا حلالاً، ولا أنكح إلا حلالاً؟ فقال: وأي جهاد أفضل من عفة بطن وفرج؟! (١)

هدفية الجهاد

إن الهدف الرئيس هو تعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد، وإزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعاً، وإخلاء العالم من الفساد؛ ذلك لأن خضوع البشر لبشر مثلهم وتقديم أنواع العبادة لهم من الدعاء والنذر والذبح والتعظيم والتشريع والتحاكم؛ هو أساس فساد الأجيال المتعاقبة لأنه انحراف بالفطرة السوية عما خلقها الله عليه من التوحيد.

والجهاد هدف سام متضمن لإعلاء كلمة الله وهي الإسلام، وإقامة سلطان الله في الأرض، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وإخلاء العالم من الفساد الأكبر الذي هو الشرك، وما ينتج عنه، وإزالة الطواغيت الذين يحولون بين الناس وبين الإسلام ويُعبّدونهم لغير الله؛ هو ما يجب أن يسعى إليه المجاهدون في كل مكان وزمان؛ لا تأخذهم في الله لومة لائم.

ويمكن إجمال تلك الاهداف:

١. رد اعتداء المعتدين على المسلمين، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَسُدُّوا إِلَيْكَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٢).
٢. إزالة الفتنة عن الناس، وسواء ما يمارسه الكفار من أشكال التعذيب والتضييق على المسلمين ليرتدوا عن دينهم، أو الأوضاع والأنظمة الشريكية، وما ينتج

(١) نفس المصدر: ج ١ ص ٤٥٩.

(٢) البقرة: ١٩٠.

عنها من فساد في شتى مجالات الحياة، أو فتنه الكفار أنفسهم وصددهم عن استماع الحق وقبوله.

٣. حماية الدولة الإسلامية من شر الكفار، وحقيقتها حماية العقيدة والمنهج، وكلما امتد الإسلام إلى أرض وأزال عنها أنظمة الشرك صارت داخله في الدولة الإسلامية.

٤. إرهاب الكفار، وإخزاؤهم، وإذلالهم، وإيهان كيدهم، وإغاثتهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ. عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (١).

وللجهاد أهداف سامية، ومصالح كريمة، وفوائد عظيمة تتحقق للمسلمين في ذوات أنفسهم متى مارسوا الجهاد، ومنها:

١. كشف المنافقين: فإن المسلمين في حال الرخاء والسعة ينضاف إليهم غيرهم؛ ممن يطمعون في تحقيق مكاسب مادية ولا يريدون رفع كلمة الله على كلمة الكفر، وقد يتصنعون الإخلاص فيخفي أمرهم على كثير من المسلمين، وأكبر كاشف لهم هو الجهاد؛ لأن العبد يبذل فيه أغلى ما يملك غير عقيدته وهو روحه، والمنافق ما نافق إلا ليحفظ روحه، والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (٢).

والمنافقون هم العدو الداخلي، وكثيراً ما يفوق العدو الخارجي، فإذا عُرِفوا مُنِعُوا من الغزو مع المسلمين، ولا يستمع المسلمون لما يعرضونه عليهم من أراجيف وتبليط، ومن أقاويل يلبسونها ثياب النصح والإصلاح. وواجب

(١) الانفال: ٦٠.

(٢) محمد: ٢٠.

المؤمنين حيثُ هو كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ﴾ (١).

٢. تمحيص المؤمنين من ذنوبهم: كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكُفْرِينَ﴾ (٢).

٣. تربية المؤمنين على الصبر والثبات والطاعة وبذل النفس؛ إذ الركون إلى الراحة والدعة، وعدم ممارسة الشدائد والصعاب؛ تورث العبد ذلاً وخمولاً وتشبثاً بمتاع الحياة الدنيا.

أقسام الجهاد

وينقسم الجهاد إلى عدة تقسيمات بلحاظ أنواعه أو أحكامه أو موارده (٣).

التقسيم الأول: جهاد العدو الخارجي وجهاد النفس.

وقد ورد التعبير في الرواية المعتمدة عن رسول الله ﷺ تسمية جهاد النفس بالجهاد الأكبر، وتسمية جهاد العدو الخارجي بالجهاد الأصغر.

فقد روي أن النبي ﷺ بعث سرية، فلما رجعوا قال: «مرحباً بكم قضاة الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر. قيل: يا رسول الله، وما الجهاد الأكبر؟ فقال: جهاد النفس» (٤).

ولا ينبغي أن نتوهم أن جهاد النفس بديل عن جهاد العدو الخارجي، وأنه مكنه الاستغناء به عن جهاد العدو لا سيما وأنه أكبر منه. بل الصحيح أن جهاد النفس

(١) التوبة: ٧٣.

(٢) آل عمران: ١٤٠-١٤١.

(٣) ينظر: دور أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة، لمحمد باقر الحكيم: ٤٣٣-٤٥٠.

(٤) وسائل الشيعة، للعالم ج ١١ ص ١٢٢-١٢٤.

هو أشمل وأعم من جهاد العدو الخارجي، والجهاد الأصغر هو شعبة من شعب الجهاد الأكبر ومصادق من مصاديقه فلا يتحقق الجهاد الأكبر بدونَه عند تحقق شروطه.

التقسيم الثاني: الجهاد الابتدائي والجهاد الدفاعي. أو (جهاد فرض، وجهاد سنّة).

فقد روي عن حفص بن غياث قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الجهاد أسنّه هو أم فريضة؟ فقال: الجهاد على أربعة أوجه، فجهادان فرض، وجهاد سنّة لا تقام إلّا مع الفرض، وجهاد سنّة، فأما أحد الفرضين فمجاهدة الرجل نفسه عن معاصي الله عز وجل وهو من أعظم الجهاد، ومجاهدة الذين يلونكم من الكفار فرض، وأما الجهاد الذي هو سنّة لا يقام إلّا مع فرض، فإن مجاهدة العدو فرض على جميع الأمة ولو تركوا الجهاد لأتاهم العذاب وهذا هو من عذاب الأمة، وهو سنّة على الإمام وحده أن يأتي العدو مع الأمة فيجاهدهم، وأما الجهاد الذي هو سنّة فكل سنّة أقامها الرجل وجاهد في إقامتها وبلوغها وإحيائها فالعمل والسعي فيها من أفضل الاعمال - لأنها إحياء سنّة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء»^(١).

- **الجهاد الدفاعي:** هو الذي يجب على جميع المسلمين رجالاً ونساءً وفي جميع الأحوال، مع وجود الإمام العادل أو عدم وجوده.

- **الجهاد الابتدائي:** هو الذي يجب على الرجال بشروط معينة، من أهمها وجود الإمام العادل، ووجوب الدعوة إلى الإسلام وإبلاغها قبل القتال. وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سألت عن رجل دخل أرض حرب بأمان فغزا القوم الذين دخل عليهم قوم آخرون، قال: على المسلم أن يمنع نفسه ويقاتل

على حكم الله وحكم رسوله، وأما أن يقاتل الكفار على حكم الجور وستتهم فلا يحل له ذلك»^(١).

وفهم من الآيات الكريمة الدالة على وجوب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة والصبر على أداء الرسالة وبلاغها ومن سيرة النبي ﷺ أن القتال الابتدائي لنشر الإسلام لا يلجأ إليه المسلمون إلا بعد استنفاد جميع الوسائل الأخرى الممكنة بحيث تقام الحجة البالغة ولا يبقى إلا الحاجز النفسي لدى الأعداء من قبول الدعوة والرسالة فيكون القتال الابتدائي لكسر هذا الحاجز النفسي المعبر عنه بالجحود. ولعل هذا هو السر في اشتراط الجهاد الابتدائي بحضور وإجازة الإمام العادل لأن تشخيص هذه الحالة يحتاج إلى خبرة ودراية ومعرفة كاملة بالأوضاع الاجتماعية وتقوى عالية وعدالة كاملة.

موارد الجهاد

ويمكن تلخيص موارد الجهاد التي يمكن استنباطها من القرآن الكريم والسنة الشريفة، والتي تبرر القتال واستخدام السلاح في مواجهة الأعداء، بالأمور التالية:

الأول: الدفاع عن الإسلام عندما يتعرض الدين وبيضة الإسلام إلى الخطر، سواء من قبل الكفار أو المرتدين من أبناء الإسلام.

الثاني: الدفاع عن النفس، سواء كان دفاعاً عن الفرد أو الجماعة المسلمة التي تتعرض إلى القتل أو الفتنة، بل في حال الدفاع عن المال والعرض أيضاً. فقد روي عن أبي عبد الله الصادق قال: «قال رسول الله من قتل دون مظلومه فهو شهيد»^(٢).

الثالث: مقاومة الظلم والطغيان الذي تتعرض له الأمة بدرجة عالية، بحيث يستهتر فيها الحكم بكل القيم الإنسانية ويصادر فيها حرية الإنسان وكرامته وحقوقه الأساسية: ﴿إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذِيحُ

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق: ٩٢، ح ٨.

أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿١﴾

الرابع: تحرير المظلومين والمستضعفين من أيدي الطغاة والظالمين، كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ (٢). كما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من سمع رجلاً يقول: يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم» (٣).

الخامس: مقاتلة البغاة من المسلمين، سواء أولئك الذين يخرجون على الحاكم العادل الجامع للشرائط كما في حروب الإمام علي عليه السلام ضد أصحاب الجمل (الناكثين)، ومعوية (القاسطين) والخوارج، أو البغاة من الجماعة المسلمة التي تعتدي على جماعة أخرى حيث يجب السعي للصالح بينها، فإن أصرت الفئة الباغية على عدوانها وبغيها وجب على المسلمين أن يقاتلوا ويقفوا في وجه العدوان والظلم، ومن مصاديق مجاهدة البغاة مجاهدة مقاتلة أولئك الطغاة الظالمين من أبناء المسلمين الذين يحكمون المسلمين بالجور والظلم والعدوان، كما شهد بذلك موقف الإمام الحسين عليه السلام ضد يزيد بن معاوية.

فقد ورد عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال - في تفسير موقفه من يزيد -: «أيها الناس، إن رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله. ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرّموا حلاله» (٤).

(١) القصص: ٤-٥.

(٢) النساء: ٧٥.

(٣) الكافي، للكليني ج ٢ ص ١٦٤، ح ٥.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٣٠٧، ط ٢ - بيروت.

مرتكزات الجهاد

وبعد هذا الاستعراض يمكن أن نخرج بخلاصة تكون النظرية الإسلامية في الجهاد. يمكن أن نتحدد في النقاط التالية:

١. إن الجهاد من العبادات المهمة التي يقوم بها حفظ الإسلام والمجتمع الإسلامي ومقاومة الطغيان والظلم والفساد والعدوان وبه تتحقق العزة والكرامة للمسلمين.
٢. إن الجهاد وسيلة من وسائل نشر الرسالة الإسلامية في ظرف خاص وبصورة استثنائية وذلك ما إذا تم استفاد جميع الوسائل الأخرى من الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وإبلاغ الرسالة وإقامة الحجة البالغة والصبر عليها بحيث لا يبقى عذر لمعتذر ويكون المانع لقبول الرسالة هو الحاجز النفسي والجهود بعد وضوح الهدى وبلوغ الحجة. فيستخدم الجهاد لكسر هذا الحاجز النفسي إذا اقتضى الحال.
٣. إن القاعدة العامة في الجهاد تقوم على أساس الدفاع عن النفس في مقابل العدوان المباشر الفعلي على الإسلام أو الجماعة المسلمة أو العدوان على وحدة المجتمع الإسلامي أو النظام الإسلامي.
- أو في مقابل الاخطار والتهديدات التي يمكن أن يتعرض لها الإسلام أو المجتمع الإسلامي فيكون الجهاد وقاية ضد هذه التهديدات وهو (الجهاد الوقائي). ولا بد من الاستعداد في مثل هذه الحالة إذا وجدت قرائن ودلائل على وجود هذه الاخطار.
٤. إن جهاد الحكام المنحرفين المسلمين إنما يكون إذا استخدم الحاكم المنحرف القوة لمنع المسلمين من إبلاغ الرسالة أو لفرض الحكم غير الإسلامي على المسلمين ولم يترك لهم حرية الرأي أو حرية الاختيار وذلك بعد إبلاغ الحجة.

٥. إن وجوب القتال لا بد أن يكون مع توفر القدرة عليه وتحقيق الهدف منه ولو على المدى البعيد وإلا فلا بد من اعداد القوة وانتظار الفرصة المناسبة، كما لا يجوز تفويت الفرصة أو اضعاف القوة.
٦. إن القتال لا بد أن يكون تحت نظر الإمام العادل وهو في هذا العصر المجتهد العادل الخبير المتصدي للعمل السياسي والاجتماعي العارف بالظروف السياسية والاجتماعية الشجاع القادر على تشخيص الموقف واتخاذ القرار المناسب تجاهه وفق الحكم الشرعي.

الفصل الثالث

المنهج الثوري للإمام زين العابدين (ع)

المبحث الأول: ثورة الدعاء

المبحث الثاني: ثورة البكاء

المبحث الثالث: الثورة الفكرية

المبحث الرابع: الثورة العلمية

المبحث الخامس: الثورة العبادية

المبحث السادس: الثورة السياسية

المبحث السابع: الثورة الأخلاقية

المبحث الثامن: الثورة الاجتماعية

الثورة والمنهج

المنهج مأخوذ من مادة نهج، ينهج نهجاً، وهو الطريق البين الواضح، ويطلق على الطريق المستقيم. والمنهج، والنهج، والمنهاج: بمعنى واحد. وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(١).

فالمنهج هو الطريق المؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم؛ بواسطة طائفة من القواعد العامة؛ والتي تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته؛ حتى يصل إلى نتيجة معلومة.

وبعبارة أخرى: هو القانون، أو القاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية، وفي أي مجال. ومن ثم تختلف المناهج باختلاف العلوم التي تبحث فيها؛ فلكل علم منهج يناسبه، مع وجود حد مشترك بين المناهج المختلفة، وقد تتعاون - وهو الغالب - مجموعة من المناهج لخدمة ومعالجة فن واحد^(٢).

أهمية المنهج

إن مشكلة المنهج هي مشكلة العلم في صميمه؛ ذلك أن شرط قيام العلم وتقدمه، أن تكون هناك طريقة صحيحة تطوى تحتها شتات الوقائع، والمفردات المبعثرة هنا وهناك، بغية تفسير ما قد يوجد بينها من روابط أو علاقات، تنظمها قوانين محددة. وإن تأخر العلوم ناشئ - في العادة - عن تأخر المناهج؛ بمعنى أن لا

(١) المائدة: ٤٨.

(٢) انظر: العلم والبحث العلمي لحسين عبد الحميد رشوان، ص ١٤٣-١٤٥، ومنهج البحث العلمي عند العرب لجلال محمد عبد الحميد مرسى ص ٢٧١-٢٧٣.

تكون هناك مناهج محددة وواضحة، ومتفق عليها؛ فيسير كل عالم - في فنه - على غير هدى وبصيرة يخبط خبط عشواء، دون أن يصل إلى نتيجة مفيدة؛ فتتعارض القضايا، وتضطرب المسائل.

فتقدم العلم وتأخره مرتين بمسألة المنهج، يدور معها وجوداً وعدمًا، ولذا يمكن أن يقال: إن المنهج يحفظ للعلم نظامه واتساقه، كما إنه يضبط العقل البشري، والأعمال الذهنية، بقواعد ثابتة، بحيث تعينه على الوصول إلى الحقيقة فيما يبحثه من موضوعات.

وتتضح أهمية المنهج في ضبطه للعلوم، وتحديد أهدافها، وطرائقها، بحيث لا تضطرب القضايا، وتتعارض المسائل، مما يساعد على تقدم العلوم، وحفظها من الدخيل والشاذ، وصونها من الضياع والاختلاف، كما ويشترط أن يكون المنهج واضح المعالم بين القسّمات، بحيث يسير الباحث على هدى، وبصيرة؛ يعرف أين يقف، وإلى أين يتجه.

التقويم والمنهج؛

التقويم هو العملية التي يقوم بها الفرد أو الجماعة لمعرفة مدى النجاح أو الفشل في تحقيق الأهداف العامة التي يتضمنها المنهج وكذلك نقاط القوة أو الضعف في المنهج حتى يمكن تحقيق الأهداف المرجوة بأحسن صورة ممكنة.

فالتقويم ليس فقط تشخيصاً للواقع بل هو أيضاً علاج لما به من عيوب. إذ لا يكفي أن نحدد أوجه القصور في المنهج وإنما يجب العمل على تلافيها والتغلب عليها حتى لا تتكرر الأخطاء.

ومن أهم مجالات التقويم بمفهومه الصحيح هو ذلك الذي يركز على جميع جوانب النمو الفرد، كما يتعرض لجميع جوانب العملية التربوية والعوامل المؤثرة فيها.

ويعدّ التقويم جزءاً أساسياً بالنسبة للمنهج حيث أن المنهج بمفهومه الشامل يتضمن ثلاثة جوانب رئيسية:

أولاً: تحديد الأهداف التربوية.

ثانياً: وضع الخطط والبرامج اللازمة لتحقيق هذه الأهداف عن طريق اختيار الطرق والأساليب المختلفة.

ثالثاً: عملية تقويم نتائج العملية التربوية بكافة أبعادها.

والتقويم يعد جزءاً أساسياً في العملية التربوية. إذ هو يتأثر بالمنهج ويؤثر فيه. والتقويم الناجح هو الذي يؤدي إلى تغيير بعض الأهداف التربوية وتعديل بعض الأهداف الأخرى. كما يؤدي أيضاً إلى تغيير في الطرق والوسائل والأساليب التي تتبع.

والتقويم الناجح هو الذي يلقي الضوء على الصعاب والمشكلات التي تواجه عند القيام بعملية التربية، كما يلقي الضوء على جوانب القوة والضعف فيها بحيث يؤدي ذلك في النهاية إلى تدعيم جوانب القوة ومعالجة جوانب الضعف، وبذلك يكون التقويم أداة هامة من أدوات تطوير المنهج. وهذا الجانب بالذات يغفل عنه الكثيرون.

الهدف والمنهج

من الأدوات الأساسية في تحسين وضعية الفرد أن يكون له هدف يسعى إلى تحقيقه. ونرى أن حيوية وجود هدف واضح في حياتنا تنبع من اعتبارات عديدة، أهمها:

١. إن وجود هدف أو أهداف في حياتنا، هو الذي يجعلنا نتحسس باستمرار الظروف والأوضاع المحيطة؛ مما يجعلنا في حالة دائمة من اليقظة، وفي حالة من الاقتدار على التكيف المطلوب.
٢. إن وجود هدف في حياة الواحد منا يجعل وعيه بالزمن أعظم، ويجعله يستخدمه في تغيير أوضاعه. فإنه يستطيع أن يفعل الكثير؛ وذلك بسبب وجود خطة، واستهداف للمعالجة، وهما دائماً يقومان على عنصر الزمن.

٣. السيطرة على الحاضر، وضبط إيقاعه، واستغلال إمكاناته، من خلال مجموعة من الآمال والأهداف والطموحات، وبهذا تكون وظيفة الهدف في حياتنا هي استثمار اللحظة الماثلة على أفضل وجه ممكن.

سمات مطلوبة في الهدف:

١. المشروعية:

إن الذين لا يأبهون لشرعية الأهداف التي يسعون إلى تحقيقها يحيون حياة مضطربة ممزقة، تختلط فيها عوامل البناء مع عوامل الهدم، وينسخ بعضها بعضاً الآخر.

إن الهدف غير المشروع، قد يساعد على تحقيق بعض النمو في جانب من جوانب الحياة، لكنه يحطّ من التوازن العام للشخصية، ويفجّر في داخلها صراعات مبهمة وعنيفة.

وليس المقصود بشرعية الهدف أن يكون محدوداً في (المباحات) فحسب، وإنما المقصود أن يكون مندمجاً على نحو ما في الهدف الأسمى والأكبر الذي يحيا المسلم من أجله على هذه الأرض، ألا وهو الفوز برضوان الله تبارك وتعالى وهذا يعني أن الأهداف المرحلية والجزئية للواحد منا يجب ألا تتنافر معه في وضعيتها أو مفرزاتها أو نتائج تفاعلها.

ولعل من علامات الانسجام بينها وبين الهدف الأكبر شعور المرء أنه يحيا (حياة طيبة) وهي لا تولد من رحم الرخاء المادي، ولا من رحم التمتع بالجاه أو الاستحواذ على أكبر كمية من الأشياء، وإنما تولد من ماهية التوازن والانسجام بين المطالب الروحية والمادية للفرد، ومن التألق الذي يشعر به من يؤدي واجباته.

٢. الملاءمة:

الهدف الملائم، هو ذلك الهدف الذي يتحدى ولا يعجز. ومعنى التحدي دائماً: طلب تفجير طاقات كامنة أو استخدام موارد مهملة، لكنها جميعاً ممكنة. حين

يكون الهدف سهلاً فإنه لا يؤدي إلى حشد إمكاناتنا الذاتية، ولا إلى تشغيل أجهزتنا النفسية والعقلية، في المقابل فإن الهدف الكبير جداً يصد صاحبه عن العمل له.

إن كل هدف صغير يقطع جزءاً من الهدف الكبير، ويؤدي إلى قطع خطوة في الطريق الطويل؛ وعدم وجود أهداف صغيرة، يجعل الهدف النهائي يبدو دائماً كبيراً وبعيداً، وهذا يسبب ألاماً نفسية مبرحة، ويجعل المرء يظهر دائماً بمظهر الحائر العاجز. إنه لا يأتي بالأمل إلا العمل، وقليل دائم خير من كثير منقطع.

٣. المرونة:

حين يرسم الإنسان هدفاً، فإنه يرسمه على أساس من التقييم للعوامل الموجودة خارج طبيعة عمله، وخارج إرادته، وهذه العوامل كثيراً ما يتم تقييمها على نحو خاطئ، كما أنها عرضة للتغير.

٤. الوضوح:

هذه السمة من السمات المهمة للهدف الجيد، حيث لا تكاد تخلو حياة أي إنسان من الرغبة في تحقيق بعض الأمور، لكن الملاحظ أن قلة قليلة من الناس، تملك أهدافاً واضحة ومحددة، ولذا فمن السهل أن يتهم الإنسان نفسه أو غيره بأنه لم يتقدم باتجاه أهدافه خطوة واحدة خلال عشرين سنة، مع أنك لا تراه خلال تلك المدة إلا منهمكاً ومتابعاً بما يعتقد أنه هدف يستحق العناء!

زين العابدين عليه السلام والمنهج الثوري

لا يمكن ان نفهم الثورة على انها حركة مسلحة لتغيير رأس الحكم، فهو فهم قاصر وناقص عاجز عن تحقيق آمال الثائرين في الحرية والرفاهية ورفع نير الظلم والاستبداد، نعم التغيير بهذا المفهوم هو جزء من عملية تغيير كبرى متعددة الأبعاد والنواحي، فيزيد بن معاوية مثلاً وان كان هو من أمر بقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه (رضوان الله عليهم) وهو الذي أمر بسبي العيال من الاطفال والنساء الثكالى إلا ان من نفذ الجريمة بتفاصيلها وجزئياتها هم خلق كثير تعددت النوازع فيهم وتنوعت من بغض وحقد وطمع واستهتار، وهذا ان دل على شيء فهو دال

على مدى الانحطاط والتسافل الأخلاقي الذي يعيش في ضمير تلك الجماعة الضالة، فلو فرضنا جدلاً نجاح التحرك العسكري للإمام الحسين (ع) في إسقاط رأس السلطة الظالمة، فهل يا ترى يكفي (ع) بذلك دون التغيير في الجانب الاجتماعي والفكري والاقتصادي وغيرها من جوانب الحياة.

ولا بد لكل ثورة أو حركة من منهج تعتمد عليه وترتكز في تحقيق أهدافها، ولكل منهج خصوصيته التي تقف وراءها شخصية القائد وفلسفته وطبيعته رؤيته للأمور. كما للمنهج طابعه المميز الذي يتميز به عن باقي الحركات أو الثورات فهو وسيلته المثلى لإبراز مبتغياته علمياً وعملياً.

ولعل أهم ما يميز العمل المنهجي عن غيره هي الثمرات المتوخاة منه والمتمثلة في حماية التراث الحضاري والحفاظ عليه فضلاً عن الإثراء المعرفي وكشف مكوناته إضافة إلى تلبية متطلبات العصر والعمل على تفسير وتبسيط النتائج والمشكلات^(١).

كما ينبغي للمنهج أن يرتبط بالزمن لكي يستوعب المستقبل ويتطلع إلى آفاقه المرتقبة اذن بالمنهج نستطيع أخذ العبر من الماضي وان نستوعب الحاضر الجميل من اجل المستقبل. كما يمكن فهم المنهج على انه عملية تربوية تعليمية شاملة متكاملة تأخذ في الحسبان كل الأبعاد والمعطيات.

ان الثورة التصحيحية - التي قادها رسول الله (ص) والأئمة الاثنا عشر (ع) وجسد الإمام زين العابدين (ع) أحد أهم فصولها - قد كُتِبَ لها النجاح بكل المقاييس التي يمكن ان تقاس بها الثورات، لأنها جاءت منسجمة انسجاماً تاماً مع متطلبات الواقع الحياتي للأمة الإسلامية، بعد ان شخص مواطن الضعف والوهن، ووقف على اسبابه ومعطياته، بادر إلى وضع العلاجات المرحلية المناسبة المتفقة مع مفاصل الحياة المختلفة.

وقد كان الإمام زين العابدين (ع) في حركته الثورية على بصيرة من أمره،

(١) مناهج البحث العلمي، عبد الله محمد الشريف: ٢٢.

متدرعا بكل عناصر الفهم والوعي الكامل لما سوف يقدم عليه مدركا ان ثورته بعين الله تعالى، وانه صاحب مهمة لا يستطيع أحد القيام بها ينبغي انجازها على اكمل وجه مهما كانت النتائج ومهما بلغت التضحيات، وكان من أهم ما حققته ثورته المباركة ان زلزلت عروش الطغاة الظالمين جذور الانحراف والفساد التي ما فتئت تنخر في جسد أمة رسول الله ﷺ.

وقد سخر ﷺ طاقاته في هذا المجال لخدمة القرآن الكريم من خلال تضمين أدعيته وآثاره الشريفة الكثير من المفاهيم القرآنية لفظاً ومعنى فتحت منافذة عديدة على البحث القرآني وما يتصل بطريقة التعبير، فضلا عن الأسلوب البلاغي الفائق الروعة الذي اختطه في حكمه ومناظراته وأدعيته الشريفة حيث نجده ﷺ يعمل على استيفاء جمال العبارة واستنطاق ما فيها من معاني واسعة، كما نجده يخضع الأصول البلاغية باعتبارها نماذج حية للتطبيق العملي تتضح بها معاني الألفاظ في صورها البيانية وجوانبها الفنية التي ترسم المواقف وتصور المشاهد وتشخص العقليات.

المبحث الأول

ثورة الدعاء

الدعاء مفتاح كل حاجة ووسيلة كل رغبة، باب الله الذي خوّله سبحانه لعباده لينالوا به عظيم رحمته وخزين مغفرته. وما قول رسولنا الأكرم محمد ﷺ: «الدعاء سلاح المؤمن»^(١)، إلا إشارة إلى أن الدعاء يحيي النفوس بروح الامل الذي نستمد به العون على مواجهة الصعاب فتبعث فينا الطمأنينة مما يعكس آثاراً واضحة على النشاط الفعلي لحركة الفرد وهو بذلك يوفر لنا خصائص قل أن يوفرها غيره كالثقة بالنفس والاستعداد للهداية واستقبال الشدائد بمعنويات عالية، ولعل أهم ما ننشده في حياتنا هو السعادة ذلك المفهوم الذي لا يمكن له أن يجتمع مع الخوف، والقلق، والاضطراب فيأتي هنا دور الدعاء ليزيل هذه العوامل لتصفية الأجواء والتمهيد لسعادة خالصة تدوم بدوام التواصل مع هذه العبادة.

لا ينبغي لنا أن نتصور الدعاء على أنه مجرد ألفاظ يطرحها اللسان بل هي انعكاس لمبدأ داخلي لا يتعد كثيراً عن النفس الإنسانية فهي نوع من التوعية والإيقاظ للقلب والعقل يتعلق بروح الداعي وأبعاد وجوده مولداً لإحساس عميق بالفقر والخضوع والابتعاد عن آفة الغرور والتعالي مرسخاً لشعور أن الله تعالى هو

منبع النعم ومصدرها مما يجعل التحرك في هذا المسار انفتاحاً نحو ما جبلت عليه نفوسنا من الطلب للكمال المنشود والاستجابة للفطرة الإنسانية السليمة.

كما لا ينبغي للبعض أن يعتقد أن الدعاء هو ترك للأخذ بالعوامل الطبيعية وتعطيل لمسيرة الحياة، فطلب الحاجات يُعدُّ حافزاً للعمل على توفير شروط القبول من خلال التوسل بتلك العوامل كالعمل بالمواثيق الإلهية والابتعاد عن كل فاسد والجد والاجتهاد في الطلب فكلّما باعدتنا الأهواء عن ساحة قدسه سبحانه تأكّدت الحاجة لرأب الصدع وتقليص المسافة.

وللدعاء آداب وشروط لا بد من الأخذ بها وفي مقدمتها الإخلاص فهو جوهر العبادة وخلاصتها فثمرة العمل تكمن فيه.

ولعلَّ خير مَنْ وصف ذلك أمير المؤمنين لإبنيه الحسن (عليه السلام) في وصية قال فيها: «إعلم أنَّ الذي بيده خزائن ملكوت الدنيا والاخرة قد أذن لدعائك، وتكفل لإجابتك، وأمرَك أنَّ تسأله فيعطيك، وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه مَنْ يحجبُ عنه، ولم يلجئكَ إلى مَنْ يشفع لك إليه... ثم جعل في يدك مفاتيح خزائنه بما أذن فيه من مسألته - فمتى شئت استغفني بالدعاء أبواب نعمته، واستمطرت شآبيب رحمته، فلا يقنطنك إبطاء إجابته، فإنَّ العطية على قدر النية»^(١).

آداب الدعاء^(٢)

١. يستحبُّ رفع اليدين بالدعاء.

قال الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: «فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ» التَّضَرَّع رفع اليدين.

وسأله زنديق: ما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء، وبين أن تخفضوها

(١) نهج البلاغة، لصبحي الصالح: ٣٩٨.

(٢) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة (عليهم السلام) للحر العاملي ج ٣ ص ١٠٣-١٠٨.

إلى الأرض؟ فقال: ذلك في علم الله وإحاطته سواء، ولكنّه عزّ وجلّ أمر أوليائه وعباده برفع أيديهم إلى السّماء نحو العرش لأنّه معدن الرّزق.

وقال الرضا (عليه السلام): إنّ الله استعبد خلقه بضروب من العبادة، استعبدهم عند الدّعاء والطلب والتّضرّع ببسط الأيدي ورفعها إلى السّماء.

٢. يستحبّ للدّاعي من وظائف اليدين عند أقسام الدّعاء.

قال الصادق (عليه السلام): الرّغبة تبسط يديك وتظهر باطنهما، والرّهبة تظهر ظهرهما، والتّضرّع تحرك السّبابة اليمنى يمينا وشمالا، والتّبتّل تحرك السّبابة اليسرى ترفعها في السّماء رسلا وتضعها، والابتهاال تبسط يديك وذراعيك إلى السّماء، والابتهاال حين ترى أسباب البكاء.

وقال (عليه السلام): الرّغبة أن تستقبل بطن كفّيك إلى السّماء، والرّهبة أن تجعل ظهر كفّيك إلى السّماء، والتّبتّل الدّعاء بإصبع واحدة تشير بها، والتّضرّع تشير بإصبعك وتحركها، والابتهاال رفع اليدين وتمدّها.

وقال (عليه السلام): هكذا التّضرّع وحرك أصابعه يمينا وشمالا، وهكذا التّبتّل ويرفع أصابعه مرّة ويضعها مرّة، وهكذا الابتهاال ومديدة تلقاء وجهه إلى القبلة، ولا تبتهل حتّى تجري الدّمة.

وقال (عليه السلام): التّعوذ تستقبل القبلة بباطن كفّيك، والدّعاء بالرّزق تبسط كفّيك وتقضي بباطنهما إلى السّماء، والتّبتّل إيماء بإصبعك السّبابة، والابتهاال رفع يديك تجاوز بهما رأسك، والتّضرّع تحرك إصبعك السّبابة ممّا يلي وجهك وهو دعاء الخيفة.

وروي: البصبة أن ترفع سبّابتك إلى السّماء وتحركهما وتدعو.

وروي في الدّعاء على العدو: أنّه يرفع يديه ويضعهما على منكبيه ثمّ يبسطهما ثمّ يدعو بسبّابته.

٣. يستحبّ مسح الوجه والرّأس والصّدر باليدين عند الفراغ من الدّعاء في غير الفريضة لما مرّ.

وقال الصادق (عليه السلام): ما أبرز أحد يديه إلى الله العزيز الجبار إلا استحيي الله أن يردّها صفراً حتّى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء، فإذا دعا أحدكم فلا يردّ يده حتّى يمسح على وجهه ورأسه. وفي خبر آخر: على وجهه وصدره.

٤. يستحبّ حسن النية وحسن الظنّ بالإجابة.

استسقى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يسقوا، ثم استسقى فسقوا، فسئل عن ذلك، فقال: إنّي دعوت وليس لي في ذلك نية، ثم دعوت ولي في ذلك نية. وقال (عليه السلام): ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

وقال الصادق (عليه السلام): إذا دعوت فاقبل بقلبك وظنّ أنّ حاجتك بالباب.

٥. يستحبّ الإقبال بالقلب حالة الدعاء لما مرّ.

قال الصادق (عليه السلام): لا يقبل الله دعاء قلب ساه.

وقال عليّ (عليه السلام): لا يقبل الله دعاء قلب لاه.

وقال (عليه السلام): إذا دعا أحدكم للميت فلا يدعوه له وقلبه لاه عنه ولكن ليجهده له في الدعاء.

وقال الصادق (عليه السلام): إنّ الله لا يستجيب الدعاء بظهر قلب قاس.

٦. يكره العجلة في الدعاء وتعجيل الانصراف واستبطاء الإجابة.

قال الصادق (عليه السلام): إنّ العبد إذا عجل فقام لحاجته يقول الله عزّ وجلّ: أما يعلم عبدي أنّي أنا الله الذي أقضي الحوائج؟

وقال (عليه السلام): إنّ العبد إذا دعا لم يزل الله في حاجته ما لم يستعجل.

وقال (عليه السلام): لا يزال المؤمن بخير ورجاء رحمة من الله ما لم يستعجل فيقنط ويترك الدعاء، قيل: كيف يستعجل؟ قال: يقول: قد دعوت منذ كذا وكذا وما أرى الإجابة.

٧. يستحبّ مراعاة الإعراب وتجنّب اللحن في الدعاء المستحبّ لما مرّ.

وروي: أَنَّ الدَّعَاءَ المَلْحُونِ لَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٨. يحرم القنوط وإن تأخرت الإجابة.

قيل للصَّادِق (ع): يُسْتَجَابُ لِلرَّجُلِ الدَّعَاءُ ثُمَّ يُوَخَّرُ؟ قال: نعم عشرين سنة.

وقال (ع): كَانَ بَيْنَ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ وَبَيْنَ اخْتِذَاكَ فِرْعَوْنَ أَرْبَعِينَ عَامًا.

وقال رجل لأبي الحسن (ع): إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ حَاجَةً مِنْذُ كَذَا وَكَذَا سَنَةٍ، وَقَدْ دَخَلَ قَلْبِي مِنْ إِطْأَتِهَا شَيْءٌ، فَقَالَ: إِيَّاكَ وَالشَّيْطَانُ أَنْ يَكُونَ لَهُ عَلَيْكَ سَبِيلٌ حَتَّى يَقْنَطَكَ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾.

٩. يستحب الإلحاح في الدعاء لما مرّ.

قال الباقر (ع): وَاللَّهُ لَا يُلَاحِظُ عَبْدًا مُؤْمِنًا عَلَى اللَّهِ فِي حَاجَةٍ إِلَّا قَضَاهَا لَهُ.

وقال الصَّادِق (ع): إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ إِلْحَاحَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْمَسْأَلَةِ وَأَحَبَّ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ.

وقال (ع): سَلْ حَاجَتَكَ وَأَلَحَّ فِي الطَّلَبِ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِلْحَاحَ الْمَلْحِينَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

١٠. يستحب معاودة الدعاء وكثرة تكراره مع تأخر الإجابة بل معها أيضاً لما مرّ.

قال الباقر (ع): إِنْ الْمُؤْمِنُ لِيَسْأَلَ اللَّهَ حَاجَةً فَيُوَخَّرَ عَنْهُ تَعَجُّيلَ إِجَابَتِهِ حَبًّا لَصَوْتِهِ وَاسْتِمَاعَ نَحْيِهِ.

وقال (ع): يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ دَعَاؤُهُ فِي الرَّخَاءِ نَحْوًا مِنْ دَعَائِهِ فِي الشَّدَةِ لَيْسَ إِذَا أُعْطِيَ فِتْرَ.

وقيل للصَّادِق (ع): رَبَّمَا دَعَا الرَّجُلُ بِالْدَّعَاءِ فَاسْتَجِيبَ لَهُ ثُمَّ أَخَّرَ ذَلِكَ إِلَى حِينٍ، قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: وَلَمْ ذَاكَ، لِيَزْدَادَ مِنَ الدَّعَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ.

وقال ﷺ: إنَّ العبد ليدعو فيقول الله للملكين: قد استجبت له ولكن احبسوه بحاجته فإنِّي أحبُّ أن أسمع صوته، وإنَّ العبد ليدعو فيقول الله: عجلوا حاجته فإنِّي أبغضُ صوته.

١١. يستحبُّ الدَّعاء سرًّا وخفية واختياره على العلانية لما مرَّ في المقدمات.

قال الرضا ﷺ: دعوة العبد سرًّا دعوة واحدة تعدل سبعين دعوة علانية. وروي: دعوة تخفيها أفضل عند الله من سبعين دعوة تظهرها.

١٢. يستحبُّ للدَّاعي الصَّبْر، والعمل الصَّالح، وطلب الحلال، وصلة الرَّحم، ولا يسأل محرَّمًا ولا ممتنعًا لما مرَّ.

قال الصادق ﷺ: من سرَّه أن تستجاب دعوته فليطبِّب مكسبه.

وقال الرضا ﷺ: لا تملَّ من الدَّعاء فإنَّه من الله بمكان وعليك بالصَّبْر، وطلب الحلال، وصلة الرَّحم، وإيَّاك ومكاشفة النَّاس.

وقال عليّ ﷺ: يا صاحب الدَّعاء لا تسأل ما لا يحلُّ ولا يكون.

وسئل ﷺ: أيُّ دعوة أضلُّ؟ قال: الدَّاعي بما لا يكون.

أوقات الدَّعاء^(١)

وهي كثيرة جدًّا بل جميع الأوقات يستحبُّ فيها الدَّعاء ونذكر من الأوقات المختارة له اثني عشر.

١. زوال الشَّمس.

قال عليّ ﷺ: تفتح أبواب السَّماء في خمسة مواقيت: عند نزول الغيث، وعند الرِّحف، وعند الأذان، وعند قراءة القرآن، ومع زوال الشَّمس، وعند طلوع الفجر.

وكان عليّ بن الحسين ﷺ: إذا كانت له إلى الله حاجة طلبها عند زوال الشَّمس.

(١) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام، للحر العاملي ج ٣ ص ١٠٨-١١٠.

وقال الصادق عليه السلام: أطلبوا الدعاء في أربع ساعات: عند هبوب الرياح، وزوال الأفياء، ونزول القطر، وأول قطرة من دم القاتل المؤمن، فإن أبواب السماء تفتح عند هذه الأشياء.

وقال عليه السلام: إنّه إذا زالت الشمس، فتحت أبواب السماء، وهبت الرياح، ونظر الله إلى خلقه، وإنّي لأحبّ أن يصعد لي عند ذلك عمل صالح.

وقال عليه السلام: إذا زالت الشمس، فتحت أبواب السماء، وأبواب الجنان، وقضيت الحوائج العظام، قيل: من أيّ وقت؟ فقال: مقدار ما يصلّي الرّجل أربع ركعات مترسّلاً.

٢. السّحر.

قال عليّ عليه السلام: من كانت له إلى الله حاجة فليطلبها في ثلاث ساعات: ساعة في يوم الجمعة، وساعة تزول الشمس، وحين تهبّ الرياح، وساعة في آخر اللّيل عند طلوع الفجر، واطلبوا الرّزق فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

وروي: خير وقت دعوتكم الله فيه الأسحار. وروي: إذا كان آخر اللّيل يقول الله سبحانه: هل من داع فأجيبه.

وقال الباقر عليه السلام: إنّ الله يحبّ من عباده المؤمنين كلّ دعاء، فعليكم بالدّعاء في السّحر إلى طلوع الشمس فإنّها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، وتقسم فيها الأرزاق، وتقضى فيها الحوائج العظام.

٣. ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس.

٤. قال الصادق عليه السلام: إنّ في اللّيل لساعة ما يوافقها عبد مسلم يصلّي ويدعو الله فيها إلّا استجاب له في كلّ ليلة، قيل: وأيّ ساعة هي من اللّيل؟ قال: إذا مضى نصف اللّيل إلى الثّلث الباقي.

وفي رواية: وهي السّدس الأوّل من أوّل النّصف الباقي.

وقيل له ﷺ: إِنَّ النَّاسَ يَرَوْنَ أَنَّ فِي اللَّيْلِ سَاعَةً لَا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجِيبَ لَهُ، قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَتَى هِيَ؟ قَالَ: مَا بَيْنَ مُتَنَاصِفِ اللَّيْلِ إِلَى الثَّلَاثِ الْبَاقِي، قِيلَ: لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي أَوْ كُلُّ لَيْلَةٍ؟ قَالَ: كُلُّ لَيْلَةٍ.

٥. قبل طلوع الشمس.

وسئل الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْهَوْا بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾؟

قال: هو الدعاء قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وهي ساعة إجابة.

وقال عليه السلام: إِنَّ الدَّعَاءَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا سَنَةٌ وَاجِبَةٌ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَالْمَغْرَبِ.

٦. قبل غروب الشمس.

٧. الليل.

أوحى الله إلى موسى: كَذِبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَحِبُّنِي فَإِذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ نَامَ عَنِّي، أَلَيْسَ كُلُّ مُحِبٍّ يَحِبُّ خُلُوةَ حَبِيبِهِ؟ يَا بَنَ عِمْرَانَ هَبْ لِي مِنْ قَلْبِكَ الْخُشُوعَ، وَمِنْ يَدِكَ الْخُضُوعَ، وَمِنْ عَيْنِكَ الدَّمُوعَ، وَادْعُنِي فِي ظِلْمِ اللَّيَالِي فَإِنَّكَ تَجِدُنِي قَرِيبًا مُجِيبًا.

قال الباقر عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ يَنَادِي كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى آخِرِهِ: أَلَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يَدْعُونِي لِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَأُجِيبُهُ؟

٨. ليلة الجمعة.

٩. يوم الجمعة.

١٠. ليلة القدر.

١١. شهر رمضان.

١٢. يوم عرفة.

حالات الدعاء^(١)

وهي أيضاً كثيرة جداً ونذكر من مختارها اثنتي عشرة:

(١) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام، للحر العاملي ج ٣ ص ١١١-١١٦.

١. عند هبوب الرياح لما مرّ في أحاديث الزوال.
٢. عند قراءة القرآن خصوصاً بعد قراءة مائة آية.
- قال عليّ (عليه السلام): اغتتموا الدّعاء عند أربع: عند قراءة القرآن، وعند الأذان، وعند نزول الغيث، وعند التقاء الصّفّين للشّهادة.
- وقال (عليه السلام): من قرأ مائة آية من أيّ القرآن شاء، ثمّ قال: يا الله سبع مرّات، فلو دعا على الصّخرة لقلعها إن شاء الله.
- وقال الصادق (عليه السلام): ثلاثة أوقات لا يحجب فيها الدّعاء عن الله عزّ وجلّ: في أثر المكتوبة، وعند نزول القطر، وظهور آية معجزة لله في خلقه.
٣. عند نزول الغيث.
٤. عند قتل الشهيد والتقاء الصّفّين.
٥. عند الأذان.
٦. عند ظهور الآيات.
٧. عقيب الصّلوات.
٨. عند رقة القلب والإخلاص والخوف.
- قال الصادق (عليه السلام): إذا رقّ أحدكم فليدع، فإنّ القلب لا يرقّ حتّى يخلص.
- وقال (عليه السلام): إذا اقشعرّ جلدك، ودمعت عينك، ووجلّ قلبك، فدونك دونك فقد قصد قصدك.
- وقال (عليه السلام): إنّ الله لا يستجيب دعاء بظهر قلب قاس.
- وقال عليّ (عليه السلام): بالإخلاص يكون الخلاص، فإذا اشتدّ الفزع فإلى الله المفزع.
٩. عند حصول البكاء أو التّبكي.
- قيل للصادق (عليه السلام): أكون أدعو فأشتهي البكاء ولا يجيئني، وربما ذكرت بعض من مات من أهلي فأرقّ وأبكي، فهل يجوز ذلك؟ قال: نعم، فتذكرهم فإذا رقت فابك وادع ربّك.

وقال ﷺ: إن لم يكن بكاء فتبأك.

وقال له رجل: إني أتباكى في الدعاء وليس لي بكاء، قال: نعم، ولو مثل رأس الذباب.

وقال ﷺ: سل حاجتك وتباك ولو مثل رأس الذباب.

١٠. عند اجتماع المؤمنين على الدعاء.

قال الصادق ﷺ: ما من رهط أربعين رجلاً اجتمعوا فدعوا الله في أمرٍ إلا استجاب لهم، فإن لم يكونوا أربعين فأربعة يدعون الله عشر مراتٍ إلا استجاب الله لهم، فإن لم يكونوا أربعة فواحد يدعو الله أربعين مرةً فيستجيب الله له.

وهكذا في العشرات بل المئات من المقطوعات المأثورة والبيانات الصريحة التي تعبر عن اندكاكه بهوم الأمة ولوعته في مناشدة الضمائر الحية لمقارعة أهل الظلم والجور أياً كانوا وحيثما وجدوا.

ومما يؤكد حرص الإمام على إنزال الدعاء من السماء إلى الأرض، وشده بين واجبات الإنسان على الأرض وتطلّعه نحو السماء، إنه لم ينفك يدعو إلى التواصل والجمع بينهما من أجل توفير الحالة الدينية المسؤولة، وتعبئة الأمة لحفظ هذا التواصل وإذكاء جذوته وإبقائه في نفوس الناس...

فلا يكاد المرء يستمع إلى مواعظه إلا ويستشعر نكهتها التربوية والاجتماعية والسياسية، ودورها في تهذيب النفوس وتنقيتها، فهي من جانب تدعو إلى التسامي والترفع، ومن جانب آخر إلى التصدي للظالمين والثورة عليهم، وتؤكد كذلك على مسؤولية الإنسان في هذه الحياة الدنيا ودوره فيها.. الأمر الذي يعطي العبادة دورها في إحياء المجتمع والفرد من خلال فتح الأبواب إلى مضامينها وأهدافها التي قد لا يدركها إلا القليل ممن تذوق روح الشريعة الإسلامية وأبصر أبعادها.

ولعلّ أروع ما دونه الإمام السجاد في معرفة النفس الإنسانية وسبره أغوارها وتفريقه بين زيفها وصدقها، وكشفه الفاصلة بين الواقع والادعاء، والظاهر والباطن،

هو المقطوعة البليغة التالي، هكذا كان الإمام (عليه السلام) في تشخيصه لنوازع وزوايا النفس البشرية المعتمدة، وهكذا كان دعاؤه وعبادته ومواعظه، غوص بارع في العمق، وتضميد هادئ للجرح، إشارة دقيقة مركزة هنا، واسترسال هادف هناك، ينتزع أدق الاشواك، ويداعب أغلظ الاوتار، ويقطع الطريق على أكثر المرائين قدرة على التمثيل والتنطع والرياء.

من هنا يمكن الإشارة إلى بعض الأهداف التي استطاع الإمام إيصالها إلى المجتمع عن طريق تدرّعه بالدعاء^(١):

اختار الإمام الدعاء سلاحاً بوجه أعداء الدين والإسلام؛ لأنه راح يعدّ العدة لإعداد المجموعة الصالحة المؤهلة لحمل رسالة جدّه المصطفى (صلى الله عليه وآله) في تلك الاجواء العابثة الملبّدة، وكان عليه أن يُشعر السلطة الظالمة قبل غيرها، أنه ابتعد عن معترك الصراع السياسي، واعتزل الحياة العامة، منشغلاً بعبادة ربّه، منصرفاً عن مشاغل الدنيا ومتاعبها.. فكان (أن ضرب له بيتاً من الشعر خارج المدينة وتفرّغ فيه للعبادة والابتغال)^(٢).

إشعار الناس والمجتمع أن العمل السياسي ليس هو وحده الكفيل بتشكيل النخبة المغيرة القادرة على قيادة المشروع الإسلامي المغيب من قبل السلطات الظالمة، وخاصة في زمن ارتجاج المقاييس واهتزاز الثوابت لدى القاعدة الجماهيرية الشعبية التي يعول عليها تنفيذ عملية التغيير المطلوبة هذه...

ترسيخ أو بناء مفهوم جديد للعلاقة مع الله تعالى عبر الدعاء والمناجاة، وإملاء الفراغ الروحي الناشئ عن حالات الإحباط وخيبة الأمل التي خلّفتها سياسة دموية عابثة تلفّعت بشعارات الإسلام، ولكنها لم تنتج إلّا الهوس والسعار، والركض وراء الشهوات والملذّات وزوايا المتعة والمجون، إذ نسمعه يناجي ربه قائلاً: «الهيّ، كم

(١) ينظر: الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) دراسة تحليلية: ٥٤ وما بعدها.

(٢) الإمام زين العابدين - عبد الرزاق المقرّم -: ٤٢.

من نعمة انعمت بها عليّ قلّ لك عندها شكري، وكم من بليّة ابتليتني بها قلّ لك عندها صبري، وكم من معصية أتيتها فسترتها ولم تفضحني، فيا من قلّ شكري عند نعمه فلم يحرمني، ويا من قلّ صبري عند بلائه فلم يخذلني، ويا من رآني على المعاصي فلم يفضحني^(١).

تذكير الناس بالله تعالى واليوم الآخر، وإيجاد بدائل لسعادة روحية غيّبها الصراع المادي والسياسي للسلطة الحاكمة، وخلق أجواء حميمة لعلاقات صادقة وصفاء روحي قائم على الحبّ في الله والبغض في الله... فنجدّه يجسّد ذلك الشعور في دعائه لجيرانه ومواليه، وإخوانه العارفين بحقه فيقول: «اللّهُمَّ صلّ على محمد وآله... واجعلني اللّهُمَّ أجزي بالإحسان مسيئهم، وأعرض بالتجاوز عن ظالمهم، واستعمل حسن الظنّ في كافّتهم، وأتولى بالبرّ عامتهم، وأغض بصري عنهم عفة، وألين جانبي لهم تواضعاً، وأرقّ على أهل البلاء منهم رحمة، وأسّر لهم بالغيب مودة، وأحبّ بقاء النعمة عندهم نصحاً، وأوجب لهم ما أوجب لحامتي وأرعى لهم ما أرعى لخاصتي.

وهذا يعني أن السعادة الروحية يمكن أن تكون أعمق من السعادة المادّية، وأن التنافس المحموم على المادّة يمكن تعويضه بسعادة روحية حميمة تقوم على العلاقات الدافئة الحبيبة بين الإخوان المتحابين في الله.

تسفيه أحلام الحكام الأمويين والتنديد بتكالبهم وتسابقهم على ملذّات الدنيا، عبر إشعارهم بأن السعادة والكرامة لا يتأتّيان دائماً عبر المال والجاه والسلطة، وإنّما عبر الزهد والسموّ والترفع على الدنيا وحطامها، بل إنّ السعادة الروحية أركز وأمتن، وأجلّ في نفوس أهلها من السعادة المادية المعروفة. زد على ذلك إشعار أزلام السلطة أو إيهامهم بأنّه لا يعارضهم ولا يغني غائلة بهم، علّمهم يخفّفون عنه عيون الشرطة والمرترقة والمأجورين... ولا نرى أنفسنا مبالغين حين نقول: إنّ (زبور آل محمد) جاء مجموعة متماسكة من ذرى رفيعة ينتقل عبرها الداعي من عالم مادي رمادي مظلم إلى

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤/ ١٧٨.

عالم معنوي مشرق نوراني شفاف، يستلهم القارئ من كلماتها وألفاظها ومعانيها ونصوصها آفاقاً جديدة في المعرفة والعرفان، حتى ليُخيل للمرء أنها كتلة نورانية مشعة تنبعث عنها طاقة هائلة من معاني وإشراقات يفجرها الإمام ببيانهِ وبلاغته وصدق مناجاته، ويحشدُها حشداً على امتداد أدعية الصحيفة وكلماتها.

كان لا بدّ للإمام عليه السلام وهو يرى انتشار وباء التكالب على الدنيا وشهواتها، وانتشار ظواهر التحلل والميوعة والفساد، أن يبحث عن لقاح مضاد نافع لكبح تيار الانحلال هذا، وتعليم الناس أنّ الدنيا ليست كلّ شيء وإنّما وراءها يوم آخر غيّبته السياسة، وأنّ ذلك اليوم هو خير وأبقى لمن ألقى السمع وهو شهيد، فكان عليه السلام يقتنص الفرصة تلو الفرصة لتأكيد هذا المعنى في نفوس الناس.

وعند هذا العظيم - الإمام زين العابدين - نشأ ترعرع عظيم آخر إمامنا الباقر عليه السلام فنراه يروي واصفاً عبادة أبيه: «لم يذكر أبي نعمة الله إلّا سجد، ولا قرأ آية فيها سجدة إلّا سجد، ولا دفع الله عنه سوء إلّا سجد، ولا فرغ من صلاة إلّا سجد، ولا وفق لإصلاح بين اثنين إلّا سجد...»^(١).

وغير ذلك من تضرّع ومناجاة وتبتّل، كانت لها أكبر الآثار في شدّ الناس بالله تعالى وتذكيرهم بعظمته وجبروته، وتحذيرهم من الكفر به وتجاوز حدوده... خاصة إذا كان مثالها مصداقاً عملياً للدعاء الصادق أو التبتّل الطاهر الذي لا يرجو صاحبه بدعائه وتبتّله ومناجاته إلّا رضا الله تعالى وتحكيم دينه في دنيا الناس، رافةً بهم وحباً لهم.

لقد سعى إلى الارتفاع بالنفس المؤمنة في مدارج الكمال عبر بلورة المفاهيم الأخلاقية التربوية من خلال نسجها بشكل دعاء فيه من الضراعة والخشوع لله تعالى واستمداد العون منه في شحذ النفس بالتعلق بأخلاق السماء، والتعالي عن كل وضيع، والارتفاع عن كلّ دنيء.

فأرسل الإمام عليه السلام عبر أدعيته في مختلف مظانها مناهج التغيير الذاتي، بمحاكاته العقل والوجدان الإنساني وتربيتهما رسالياً، وهذه مهمة الأنبياء والمصلحين الإلهيين الكبار، فهي إلى جانب شد الإنسان وربطه بالسماء، تجعله في الأرض بؤرة خير ورحمة، شديد البأس في ذات الله لا يرضى بظلم، ولا يرضخ إلى باطل، قوي العزيمة، وإنك لتلمس هذا المنهج بين طيات دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضيه الأفعال.

المبحث الثاني

ثورة البكاء

لم تكن ثورة أبي عبد الله الحسين عليه السلام وليدة اللحظة ولم تكن كرد فعل عفوي أني لفعل فردي بل هي ثورة إلهية رسم خططها رسول الله صلى الله عليه وآله وأدى أدوارها الأئمة الطاهرون، وكان الحسين عليه السلام بطلها في بعدها المأساوي الدموي شاء الله تعالى له ذلك. وجاء الإمام زين العابدين عليه السلام ليكمل مسيرة أبيه الحسين الجهادية يخطو خطاه ويرتشف من نعيم عذب عطائه الفياض.

فكانت ظاهرة البكاء على الإمام الحسين عليه السلام التي أسس لها رسول الله صلى الله عليه وآله وجذر أصولها ورسخها الإمام زين العابدين عليه السلام قد أصبحت سنة تعاضدها الأئمة الطاهرون عليهم السلام أدت إلى تشيع في اوساط المجتمع الإسلامي لتصل الينا بهذا الحجم الكبير وبهذه المراسيم المتعارفة مما ساهم في ابقاء جذوة الثورة متوقدة حية فاضحة للمنحرفين والطغاة الظالمين.

لقد استطاع الإمام زين العابدين عليه السلام أن يستخدم البكاء كظاهرة تحولت بعد ذلك إلى ثورة ضد الظالمين اقض مضاجعهم وخيب آمالهم، فحوّل حدثا حصل في صحراء نائية في اطراف الكوفة إلى حدث هز العالم الإسلامي واقام قيامته مزلزلا عروش الطغاة ليؤدي إلى زوال حكمهم بعد حين وانطماس اثرهم فأصبحوا خبرا بعد عين بعدما أرادوا ذلك لأهل بيت النبوة عليهم السلام.

وقد تركز دوره ﷺ في جعل ملحمة كربلاء ملحمة بطولية ذات أبعاد ثورية واضحة، والعمل على ترسيخ أحداثها وتفصيلها في الأذهان لتحدث أثراً مؤلماً يتسع في النفوس مولداً ردّ فعل يتسع ليتحول بعد ذلك إلى ثورة تهز أركان الظالمين وتزلزل عروشهم.

لم يكن البكاء على الإمام الحسين ﷺ مجرد تفجع وتوجع وتألم، كيف وهو القائل لعدوه: ...الموت لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة^(١) - بل كان بكاءه ﷺ أحياء للنفوس ونماء للعواطف وتقوية لروح الثورة وعنفوانها.

والإمام ﷺ يتعامل مع البكاء على أنه سلاح ذو تأثير كبير في تحريك المشاعر وتوجيهها باتجاه معين يخدم أهداف ثورته المباركة.

إن مفهوم البكاء عند أعداء الإمام زين العابدين ﷺ هو مفهوم مغلوط لا يمثل لديهم سوى عاطفة جياشة وارتباط للبكي بالمفقود المتفجع عليه لأسباب القرابة والصداقة ونحوها، بل قد يصل بهم الأمر إلى النظر إلى البكاء على أنه ضعف ووهن وانكسار يصيب الباكي يترجم بالنوح والبكاء، وقد استفاد الإمام ﷺ من هذا الأمر فأخذ يوسع دائرة ثورته البكائية دون أن يتعرض لأي ضغط يذكر من قبل السلطة الحاكمة التي كانت تعد الأنفاس على الإمام زين العابدين ﷺ، بينما كان يتعامل مع البكاء على أنه تجسيد حي للفاجعة التي حصلت في كربلاء أمام جمهور الناس فهو اعلان للآخرين واستعداد لهم لما فعله الأمويون بآبيه الحسين ﷺ، كذلك هو أسلوب يلفت الانظار ليشير التساؤلات عن الأسباب الداعية له والاصرار العجيب من قبل الإمام ﷺ على ممارسته حتى عُدت ظاهرة متميزة في حياته بل تطور الأمر ليصبح رمزا من رموز البكاء فعُدَّ من البكائين الخمسة^(٢) الذين اشتهروا في تاريخ البكاء والنياحة، فقد بكى على الحسين ﷺ عشرين سنة أو أربعين وما وضع طعام بين يديه إلا بكى حتى قال مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف عليك

(١) الانتصار للعالم ج ٨ ص ١٣١.

(٢) البكاؤون الخمسة هم: (آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة الزهراء، وعلي بن الحسين).

أن تكون من الهالكين، قال: - إنما أشكو بشي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون -، إنني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خفقتني العبرة^(١).

نعم، لقد نجح الإمام زين العابدين (ع) في ثورة البكاء إيما نجاح إذ استطاع أن يشد القلوب إليه ويكسب تأييد شريحة كبيرة من المجتمع عن طريق إثارة الجانب العاطفي الذي كان أكثر استجابة وأوسع تأثيراً من الخطب والمواعظ الكلامية.

لم تكن ثورة البكاء عنده (ع) غير واضحة المعالم بل نجده لا يترك مناسبة إلا واستغلها في بيان فلسفة بكائه داعياً من خلال سلوكه العملي محبيه وشيعته إلى الاقتداء به في بكائهم على سيد الشهداء الإمام الحسين (ع)، وقد أسس بذلك سنة حسنة سار عليها من بعده الأئمة الطاهرون (ع) وشيعتهم المخلصون الذي بذلوا مهجهم في سبيل استمرار هذه الشعيرة.

وإذا ما اردنا أن نستقري النصوص الروائية المتعلقة ببكاء الإمام زين العابدين (ع) لوقفنا حينها على مدى حجم هذه الثورة ومساحتها ضمن الثورة التصحيحية التي قادها (ع)، ومن تلك الروايات:

- عن الإمام الصادق (ع): - أن زين العابدين بكى على أبيه أربعين سنة، صائماً نهاره، قائماً ليله، فإذا حضر الافطار جاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه فيقول: كل يا مولاي، فيقول: قتل ابن رسول الله (ص) جانعا، قتل ابن رسول الله عطشاناً، فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبل طعامه بدموعه، ويمزج شرابه بدموعه، فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل^(٢). كما روي عنه (ع) قال: بكى علي بن الحسين (ع) عشرين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله، إنني أخاف أن تكون من الهالكين، قال: إنما أشكو بشي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون، إنني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خفقتني العبرة.

(١) مكارم الأخلاق، للطبرسي: ٣١٦.

(٢) وسائل الشيعة (آل البيت)، للحر العاملي ج ٣ ص ٢٨٢.

- وعن بعض مواليه قال: خرج يوماً إلى الصحراء فتبعته، فوجدته قد سجد على حجارة خشنة، فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكائه، وأحصيت له ألف مرة وهو يقول: لا إله إلا الله حقاً حقاً، لا إله إلا الله تعبدوا ورقاً، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً، ثم رفع رأسه من سجوده، وأن لحيته ووجهه قد غمرا بالماء من دموع عينيه، فقلت: يا سيدي، ما أن لحزنك أن ينقضي؟! ولبكائك أن يقل؟! فقال لي: ويحك، إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم كان نبياً ابن نبي، وكان له اثنا عشر ابناً، فغيب الله واحداً منهم، فشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم والههم، وذهب بصره من البكاء، وابنه حي في دار الدنيا، وأنا رأيت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويذهب بكائي؟! ^(١).

- روي عن بشر بن حذلم أن الإمام زين العابدين عليه السلام لما جاء من الأسر وأراد دخول المدينة وجَّهه إليهم فعنى الإمام الحسين عليه السلام، قال: فلم يبق في المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزن من خدورهن وهن بين باكية ونائحة ولا طمة، فلم ير يوماً أمر على أهل المدينة منه، وسألوه: من أنت؟ قال: فقلت: أنا بشر بن حذلم، وجَّهني علي بن الحسين، وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبد الله ونسائه، قال: فتركوني مكاني وبادرني، فضربتُ فرسي حتى رجعت إليهم، فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع، فنزلت عن فرسي وتخطَّيت رقاب الناس حتى قربت من باب الفسطاط، وكان علي بن الحسين داخلاً فخرج ويده خرقة يمسح بها دموعه، وخادم معه كرسي، فوضعه وجلس وهو مغلوب على لوعته، فعزَّاه الناس، فأوماً إليهم أن اسكتوا، فسكنت فورثهم فقال عليه السلام: - الحمد لله رب العالمين، مالك يوم الدين، باري الخلائق أجمعين، الذي بُعد فارتفع في السماوات العلى، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظام الأمور، وفجائع الدهور، وجليل الرزء، وعظيم المصائب.

أيُّها القوم، إن الله - وله الحمد - ابتلانا بمصيبة جليلة، وثلمة في الإسلام

(١) وسائل الشيعة (آل البيت)، للحر العاملي ج ٣ ص ٢٨٢.

عظيمة، قُتِلَ أبو عبد الله وعترته، وسبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان، من فوق عالي السنان.

أيها الناس، فأَيُّ رجالات منكم يُسْرُونَ بعد قتله؟ أم أية عين منكم تحبس دمعها وتضنّ عن انهماكها؟ فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار والسموات والأرض والأشجار والحيتان والملائكة المقربون، وأهل السماوات أجمعون.

أيها الناس، أَيُّ قلب لا ينصدع لقتله؟ أم أَيُّ فؤاد لا يحنّ إليه؟ أم أَيُّ سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام؟

أيها الناس أصبحنا مطرودين مشرّدين مذودين شاسعين عن الأمصار، كأنّا أولاد ترك أو كابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إن هذا إلّا اختلاق، والله لو أن النبي ﷺ تقدّم إليهم في قتالنا كما تقدّم إليهم في الوصاة بنا لما زادوا على ما فعلوه، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون^(١).

- وقيل: إنه بكى حتى خيف على عينيه وكان ﷺ إذا أخذ إناء يشرب ماء بكى حتى يملأها دمعاً، فقيل له في ذلك فقال: وكيف لا أبكي وقد منع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش؟ وقيل له: إنك لتبكي دهرك، فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا، فقال: نفسي قتلتها وعليها أبكي^(٢).

ويأتي إمامنا الصادق ﷺ ليؤكد تفرد علي بن الحسين ﷺ بالبكاء كثرة على الطغاة والظالمين إذ يقول في ذكره لمن عُرِفَ بالبكاء: البكاؤون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين ﷺ فأما آدم: فبكى على الجنة حتى صار في خذيّه أمثال الأودية، وأما يعقوب: فبكى على يوسف حتى ذهب بصره، وحتى قيل له: ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يُوْسُفَ حَتَّى تَكُوْنَتْ حَرَضًا أَوْ تَكُوْنُ مِنْ آلِهِ لِكَيْتَ﴾^(٣)، وأما يوسف: فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن

(١) مثير الاحزان، لابن نما ص ٩٠-٩١.

(٢) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٠٣.

(٣) يوسف: ٨٥.

فقالوا: إما أن تبكي بالنهار وتسكت بالليل، وإما أن تبكي بالليل وتسكت بالنهار، فصالحهم على واحد منهما، وأما فاطمة بنت محمد ﷺ: فكبّت على رسول الله ﷺ حتى تأذى بها أهل المدينة، وقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى المقابر مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف، وأما علي بن الحسين ﷺ فبكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة^(١).

وفي نفس السياق يروي مولى لعلي بن الحسين ﷺ يقال له أشرف انه دخل في سقيفة له ﷺ فوجده ساجدا يبكي، فقال له: يا علي بن الحسين، أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فرفع رأسه إليه فقال: ويلك أو ثكلتك أمك، والله لقد شكنا يعقوب إلى ربه في أقل مما رأيت حين قال: ﴿يَا سَعْدُ عَلَى يُوسُفَ﴾^(٢)، وإنه فقد ابناً واحداً، وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبحون حولي.

قال: وكان علي بن الحسين ﷺ يميل إلى ولد عقيل، فقيل له: ما بالك تميل إلى بني عمك هؤلاء دون آل جعفر؟ فقال: إني أذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين بن علي ﷺ فأرق لهم^(٣).

– وتحدثنا مصادر التاريخ أن الإمام زين العابدين ﷺ اتخذ من الأدب وسيلة له للتعبير عن آلامه وما نزل باهل بيته الطاهرين ﷺ إذ يروي عنه قوله:

نَحْنُ بَنُو الْمُصْطَفَى ذُو غَصَصٍ	يَجْرُ عُهُا فِي الْأَنَامِ كَاطْمُنَا
عَظِيمَةٌ فِي الْأَنَامِ مَحْتَنَّا	أَوَّلْنَا مَبْتَلَى وَأَخْرُنَا
يَفْرَحُ هَذَا الْوَرَى بِعِيدِهِمْ	وَنَحْنُ أَعْيَاذُنَا مَا تَمُنَّا

(١) الخصال، للصدوق، ٢٧٢.

(٢) يوسف: ٨٤.

(٣) كامل الزيارات، لابن قولويه ص ٢١٣-٢١٤.

والناس في الأمن والسرور وما
يأمن طوّل الزمان خائفنا
وما خصصنا به من الشرف ال
طائل بين الأنعام أفتنا
يحكم فيما الحكم فيه لنا
جأحدنا حقنا وغاصبنا^(١)

- وذكر أنه ﷺ كان كلما اجتمع إليه جماعة، أو وفد من وفود الأقطار يردد عليهم تلك المأساة ويقص عليهم من أخبارها، ويخرج إلى السوق أحياناً، فإذا رأى جزاراً يريد أن يذبح شاة أو غيرها يدنو منه، ويقول: هل سقيتها الماء؟ فيقول له: نعم يا بن رسول الله إنا لا نذبح حيواناً حتى نسقيها ولو قليلاً من الماء فيبكي عند ذلك، ويقول ﷺ: لقد ذبح أبو عبد الله عطشاناً^(٢).

ويقول الشاعر الحاج محمد علي آل كمونة في ذلك:

ويل الفرات أبداً الله غامرُهُ
ورد واردَه بالرغم لهفاننا
لم يطف حراً غليل السبط باردَه
حتى قضى في سبيل الله عطشاننا
لم يذبح الكبش حتى يرو من ظمأ
ويذبح ابن رسول الله ضماننا
فيا سماء لهذا الحادث انفطري
فما القيامة أدهى للورى شانا^(٣)

كما روي أن أبا حمزة الثمالي دخل يوماً على الإمام زين العابدين ﷺ فرآه حزيناً كثيراً فقال له: سيدي، ما هذا البكاء والجزع؟ ألم يقتل عمك حمزة؟ ألم يقتل جدك علي ﷺ بالسيف؟ إن القتل لكم عادة، وكرامتكم من الله الشهادة، فقال له الإمام: شكر الله سعيك يا أبا حمزة، كما ذكرت، القتل لنا عادة، وكرامتنا من الله الشهادة ولكن يا أبا حمزة، هل سمعت أذنك أم رأيت عينك أن امرأة منا أسرت أو هُتكت قبل يوم عاشوراء؟ والله يا أبا حمزة، ما نظرت إلى عمّاتي وأخواتي إلا وذكرت فرارهن في البيداء من خيمة إلى خيمة، ومن خباء إلى خباء، والمنادي ينادي أحرقوا بيوت الظالمين^(٤).

(١) بحار الانوار، للمجلسي ج ٤٦ ص ٩٢.

(٢) الأئمة الاثنا عشر، هاشم معروف ج ٢ ص ١١٥.

(٣) رياض المدح والثناء، للقديحي ٦٤٩.

(٤) ارشاد الخطيب، لجاسم حسن شبر: ٣٣.

وفي هذا المعنى يقول الشاعر حيدر الحلبي:

وحائرات أطار القوم أعينها رُعباً غداةً عليها خدرها زهم حَرَمَ
يكاد من هية أن لا يطوف به حتى الملائك لولا أنهم خَدَمَ
فغودرت بين أيدي القوم حاسرةً تُسبى وليس ترى من فيه تعصمُ
نعم لوت جيدها بالعتبِ هاتفةً بقومها وحشاها ملؤهُ ضَرَمَ
عَجَّت بهم مذ على أبرادها اختلفت أيدي العدو ولكن من لها بهم
نادت ويا بُعْدَهُم عنها مُعَاتِبَةٌ لهم ويا ليتهم من عَنَيْهَا أُمَمَ
قومي الأولى عُقِدَتْ قَدَمًا مَارِزُهُم على الحمية مَاضِيَمُوا وَلَا اهْتَضَمُوا

ومن الصور المؤلمة التي تروى في اتخاذها البكاء كظاهرة رفض وشجب لما آلت إليه أمور الأمة الإسلامية أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) سمع ذات يوم رجلاً ينادي في السوق: أيُّها الناس، ارحموني، أنا رجل غريب، فتوجّه إليه الإمام (عليه السلام) وقال له: لو قدّر لك أن تموت في هذه البلدة فهل تبقى بلا دفن؟ فقال الرجل: الله أكبر! كيف أبقى بلا دفن وأنا رجل مسلم وبين ظهرائي أمة مسلمة؟! فبكى الإمام زين العابدين (عليه السلام) وقال: وا أسفاه عليك يا أبتاه، تبقى ثلاثة أيام بلا دفن وأنت ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) (٢).

وهذا ابن طاووس يروي بإسناده إلى جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: قال لي أبي محمد بن علي: سألت أبي علي بن الحسين عن حمل يزيد له فقال: حملني على بعير يطلع بغير وطاء، ورأس الحسين (عليه السلام) على علم، ونسوتنا خلفي على بغال فأكف، والفارطة خلفنا وحولنا بالرماح، إن دمعت من أحدنا عين قرع رأسه بالرمح، حتى إذا دخلنا دمشق صاح صائح: يا أهل الشام هؤلاء سبائا أهل البيت (٣).

- وفي رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: سألت أبي علي بن الحسين (عليه السلام) عن كيفية دخولهم على يزيد لعنه الله، فقال: أوقفونا أولاً على باب من أبواب القصر

(١) رياض المدح والثناء، للقدحجي ٨١.

(٢) الأئمة الاثنا عشر، هاشم معروف ج ٢ ص ١١٥.

(٣) إقبال الاعمال، لابن طاووس ج ٣ ص ٨٩.

ثلاث ساعات في طلب الإذن من يزيد، ثم أدخلونا عليه ونحن مربطون بحبل واحد مثل الأغنام، وكان الحبل في عنقي وعنق عمتي زينب وأم كلثوم وباقي النساء والبُنيات، وكلّما قصرنا عن المشي ضربونا حتى أدخلونا على يزيد لعنه الله^(١).

وفي ذلك يقول الشاعر ابن العرندس:

ولهفي لزين العابدين وقد سرى
وأل رسول الله تُسبى نساؤهم
أسيراً عليلاً لا يُفكُّ له أسرُ
سبائاً بأكوار المطايا حواسراً
وَمِنْ حَوْلِهِنَّ السِّتْرُ يَهْتَكُ والخدرُ
يلاحظهنَّ العبدُ في الناسِ والحرُّ
ورملةٌ في ظلِّ القصورِ مصونةٌ
يُنَاطُ على أقراطها الدرُّ والتبرُّ^(٢)

لقد استطاع الإمام زين العابدين (ع) بجدارة ونجاح منقطع النظير ان يرتقي بشعور عاطفي متفجع هو البكاء إلى ظاهرة لها ركائزها ومقوماتها لتصبح بعد ذلك بُعداً مفصلياً من مفاصل ثورة التصحيح التي قادها أئمة أهل البيت (ع) ضد الانحراف الذي اصاب النظام الإسلامي فترك الأمة مشلولة مغلوبة على أمرها واهنة تتلاعب بها ايدي الالهواء.

نعم لقد ارتقت هذه الظاهرة لتصل إلى مصاف الشعائر الإسلامية الأصيلة في التشريع الديني، لقد كان زين العابدين (ع) بطل هذه الثورة وفارس ميدانها، وقد عمل (ع) مع الأئمة الطاهرين (ع) من بعده على ترسيخ ظاهرة البكاء كفكر إيجابي يمكن ان يمد الثورة بالشيء الكثير فكانوا ان عالجوا هذه المسألة من جوانب متعددة منها:

١. ثواب البكاء على الإمام الحسين (ع)^(٣).

– روي عن أبي جعفر الباقر (ع)، قال: كان علي بن الحسين (ع) يقول: – أيما

(١) وفيات الأئمة (ع)، مجموعة من علماء البحرين والقطيف: ١٦٦.

(٢) الغدير للأميني ج ٧ ص ١٦.

(٣) ينظر في ثواب البكاء على الإمام الحسين (ع) كتاب: كامل الزيارات، لابن قولويه: ٢٠١-٢٠٨.

مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعة حتى تسيل على خده بوأه الله بها في الجنة غرفا يسكنها أحقابا، وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا لأذي مسنا من عدونا في الدنيا بوأه الله بها في الجنة مبوأ صدق، وأيما مؤمن مسه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده من مضاضة ما أؤذي فينا صرف الله، عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنارا

- عن الربيع بن منذر، عن أبيه، قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: من قطرت عيناه فينا قطرة ودمعت عيناه فينا دمعة، بوأه الله بها في الجنة غرفا يسكنها أحقابا.

- عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ان البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليه السلام، فإنه فيه مأجور.

- عنه عليه السلام في حديث طويل له: ومن ذكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينيه من الدموع مقدار جناح ذباب، كان ثوابه على الله عز وجل، ولم يرض له بدون الجنة.

- عن أبي عمارة المنشد، قال: ما ذكر الحسين بن علي عليه السلام عند أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام في يوم قط فرئي أبو عبد الله عليه السلام في ذلك اليوم متبسما إلى الليل.

- عن مسمع البصري قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مسمع أنت من أهل العراق أما تأتي قبر الحسين عليه السلام، قلت: لا أنا رجل مشهور عند أهل البصرة، وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة وعدونا كثير من أهل القبائل من النصاب وغيرهم، ولست آمنهم ان يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيمثلون بي.

قال لي: أفما تذكر ما صنع به، قلت: نعم، قال: فتجزع، قلت: أي والله واستعبر لذلك حتى يرى أهلي اثر ذلك علي فامتنع من الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي، قال: رحم الله دمعتك، أما انك من الذين يعدون من أهل الجزع لنا والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا آمنا، أما انك ستري عند

موتك حضور آبائي لك ووصيتهم ملك الموت بك وما يلقونك به من البشارة أفضل، وملك الموت ارق عليك وأشد رحمة لك من الام الشفيقة على ولدها.

قال: ثم استعبر واستعبرت معه، فقال: الحمد لله الذي فضلنا على خلقه بالرحمة وخصنا أهل البيت بالرحمة، يا مسمع ان الأرض والسماء لتبكي منذ قتل أمير المؤمنين (ع) رحمة لنا، وما بكى لنا من الملائكة أكثر وما رقات دموع الملائكة منذ قتلنا، وما بكى أحد رحمة لنا ولما لقينا إلا رحمة الله قبل ان تخرج الدمعة من عينه، فإذا سالت دموعه على خده فلو ان قطرة من دموعه سقطت في جهنم لطفأت حرها حتى لا يوجد لها حر، وان الموضع قلبه لنا ليفرح يوم يرانا عند موته فرحة لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتى يرد علينا الحوض، وان الكوثر ليفرح بمحبنا إذا ورد عليه حتى أنه ليذيقه من ضروب الطعام ما لا يشتهي ان يصدر عنه.

يا مسمع من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا ولم يستق بعدها ابدا، وهو في برد الكافور وريح المسك وطعم الزنجبيل، أحلى من العسل، وألين من الزبد، وأصفى من الدمع، وأذكى من العنبر، يخرج من تسنيم ويمر بأنهار الجنان، يجري على ضراض الدر والياقوت، فيه من القدحان أكثر من عدد نجوم السماء، يوجد ريحه من مسيرة الف عام، قدحانه من الذهب والفضة وألوان الجوهر، يفوح في وجه الشارب منه كل فائحة حتى يقول الشارب منه: يا ليتني تركت هاهنا لا أبغي بهذا بدلا ولا عنه تحويلا.

أما أنك يا كردين ممن تروي منه، وما من عين بكت لنا إلا نعمت بالنظر إلى الكوثر وسقيت منه من أحبنا، وان الشارب منه ليعطي من اللذة والطعم والشهوة له أكثر مما يعطاه من هو دونه في حبنا، وان على الكوثر أمير المؤمنين (ع) وفي يده عصا من عوسج يحطم بها أعداءنا، فيقول الرحل منهم: اني اشهد الشهادتين، فيقول: انطلق إلى إمامك فلان فاسأله ان يشفع لك، فيقول: يتبرأ مني إمامي الذي تذكره، فيقول: ارجع إلى ورائك فقل للذي كنت تتولاه وتقدمه على الخلق فاسأله إذا كان خير الخلق عندك ان يشفع لك، فإن خير الخلق حقيق ان لا يرد إذا شفع، فيقول: اني أهلك عطشا، فيقول له: زادك الله ظمأ، وزادك الله عطشا. قلت: جعلت

فذاك وكيف يقدر على الدنو من الحوض ولم يقدر عليه غيره، فقال: ورع عن أشياء قبيحة وكف عن شتمنا أهل البيت إذا ذكرنا، وترك أشياء اجتري عليها غيره، وليس ذلك لحبنا ولا لهوى منه لنا، ولكن ذلك لشدة اجتهاده في عبادته وتدينه ولما قد شغل نفسه به عن ذكر الناس، فأما قلبه فمنافق ودينه النصب باتباع أهل النصب وولاية الماضين وتقدمه لهما على كل أحد.

- عن عبد الله بن بكير، قال: حججت مع أبي عبد الله عليه السلام - في حديث طويل - فقلت: يا بن رسول الله لو نبش قبر الحسين بن علي عليه السلام هل كان يصاب في قبره شيء، فقال: يا بن بكير ما أعظم مسائلك، ان الحسين عليه السلام مع أبيه وأمه وأخيه في منزل رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه يرزقون ويحبرون، وانه لعن يمين العرش متعلق به يقول: يا رب أنجز لي ما وعدتني، وانه لينظر إلى زواره وانه أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وما في رحالهم من أحدهم بولده، وانه لينظر إلى من يبكيه فيستغفر له ويسأل أباه الاستغفار له ويقول: أيها الباكي لو علمت ما أعد الله لك لفرحت أكثر مما حزنت وانه ليستغفر له من كل ذنب وخطيئة.

- وعنه عليه السلام، قال: من ذكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب غفر له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر. وفي حديث آخر: من ذكرنا عنده ففاضت عيناه حرم الله وجهه على النار.

٢. ثواب قول الشعر في الإمام الحسين عليه السلام فبكى وأبكى^(١).

- عن أبي هارون المكفوف، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا هارون أنشدني في الحسين عليه السلام، قال: فأنشدته، فبكى، فقال: أنشدني كما تنشدون - يعني بالرقعة - قال: فأنشدته: امرؤ على جدث الحسين * فقل لأعظمه الزكية

قال: فبكى، ثم قال: زدني، قال: فأنشدته القصيدة الأخرى، قال: فبكى، وسمعت البكاء من خلف الستر، قال: فلما فرغت قال لي: يا أبا هارون من أنشد في

(١) ينظر في ثواب قول الشعر في الإمام الحسين عليه السلام كتاب: كامل الزيارات، لابن قولويه:

الحسين عليه السلام شعرا فبكى وأبكى عشرا كُتبت له الجنة، ومن أنشد في الحسين شعرا فبكى وأبكى خمسة كُتبت له الجنة، ومن أنشد في الحسين شعرا فبكى وأبكى واحدا كُتبت لهما الجنة، ومن ذكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله ولم يرض له بدون الجنة.

- عن أبي عمارة المنشد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لي: يا أبا عمارة أنشدني في الحسين عليه السلام، قال: فأنشدته، فبكى، ثم أنشدته فبكى، ثم أنشدته فبكى، قال: فوالله ما زلت أنشدته ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار، فقال لي: يا أبا عمارة من أنشد في الحسين عليه السلام شعرا فأبكى خمسين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعرا فأبكى أربعين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعرا فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعرا فأبكى عشرين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعرا فأبكى عشرة فله الجنة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعرا فأبكى واحدا فله الجنة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعرا فبكى فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعرا فبكاى فله الجنة.

- عن عبد الله بن غالب، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأنشدته مرثية الحسين عليه السلام، فلما انتهيت إلى هذا الموضع: -

لبليّة تسقو حسـينا بمسقاة الثرى غير التراب
- فصاحت باكية من وراء الستر: واأبتاه.

- وعنه عليه السلام قال: من أنشد في الحسين عليه السلام بيت شعر فبكى وأبكى عشرة فله ولهم الجنة، ومن أنشد في الحسين بيتا فبكى وأبكى تسعة فله ولهم الجنة، فلم يزل حتى قال: من أنشد في الحسين بيتا فبكى - وأظنه قال: أو تباكى - فله الجنة.

- عن أبي هارون المكفوف، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: أنشدني فأنشدته، فقال: لا، كما تشدون وكما ترثيه عند قبره، قال:

فأنشدته:

امرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية
قال: فلما بكى أمسكت انا، فقال: مر، فمررت، قال: ثم قال: زدني زدني.
قال: فأنشدته:

يا مريم قومي فاندبي مولاك وعلى الحسين فاسعدي بيبكاك
قال: فبكى وتهايج النساء، قال: فلما ان سكتن قال لي: يا أبا هارون من أنشد
في الحسين (عليه السلام) فأبكي عشرة فله الجنة ثم جعل ينقص واحدا واحدا حتى بلغ
الواحد فقال من أنشد في الحسين فأبكي واحدا فله الجنة، ثم قال: من ذكره فبكى
فله الجنة.

- وعنه (عليه السلام) قال: لكل شيء ثواب إلا الدمعة فينا.

- عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من أنشد في الحسين بيت شعر فبكى وأبكى
عشرة فله ولهم الجنة، ومن أنشد في الحسين بيتا فبكى وأبكى تسعة فله ولهم الجنة،
فلم يزل حتى قال: من أنشد في الحسين بيتا فبكى - وأظنه قال: أو تباكى - فله
الجنة.

٣. ثواب من شرب الماء وذكر الحسين (عليه السلام) ولعن قاتله (١).

- عن داود الرقي، قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) إذا استسقى الماء، فلما
شربه رأيته قد استعبر واغرو رقت عيناه بدموعه، ثم قال لي: يا داود لعن الله قاتل
الحسين (عليه السلام)، فما من عبد شرب الماء فذكر الحسين (عليه السلام) ولعن قاتله إلا كتب الله له
مائة ألف حسنة، وحط عنه مائة ألف سيئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكأنما أعتق مائة
ألف نسمة، وحشره الله تعالى يوم القيامة ثلج الفؤاد.

٤. الحسين (عليه السلام) قتيل العبرة.

- عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، قال: نظر أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الحسين
فقال: يا عبرة كل مؤمن، فقال: أنا يا أبتاه، قال: نعم يا بني.

- عن أبي عمار المنشد، قال: ما ذكر الحسين عليه السلام عند أبي عبد الله عليه السلام في يوم قط فُرئي أبو عبد الله عليه السلام متبسما في ذلك اليوم إلى الليل، وكان عليه السلام يقول: الحسين عليه السلام عبرة كل مؤمن.

- عن أبي عبد الله عليه السلام: قال الحسين بن علي عليه السلام: أنا قاتل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا استعبر.

- عن هارون بن خارجة قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام فذكرنا الحسين عليه السلام، فبكى أبو عبد الله عليه السلام وبكىنا، قال: ثم رفع رأسه، فقال: قال الحسين عليه السلام: أنا قاتل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى.

- عنه عليه السلام: قال الحسين عليه السلام: أنا قاتل العبرة قتلت مكروبا وحقيق علي ان لا يأتيني مكروب قط إلا رده الله واقبله إلى أهله مسرورا.

٥. الحسين عليه السلام سيد الشهداء.

- عن حنان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: زوروا الحسين عليه السلام ولا تجفوه، فإنه سيد شباب أهل الجنة من الخلق وسيد الشهداء.

- عن ربعي بن عبد الله، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام بالمدينة: أين قبور الشهداء، فقال: أليس أفضل الشهداء عندكم، والذي نفسي بيده ان حوله أربعة آلاف ملك شعنا غبرا ييكونه إلى يوم القيامة.

- عن أم سعيد الأحمسية قالت: كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام وقد بعثت من يكتري لي حمارا إلى قبور الشهداء، فقال: ما يمنعك من زيارة سيد الشهداء، قالت: قلت: ومن هو، قال: الحسين عليه السلام، قالت: قلتُ: وما لمن زاره، قال: حجة وعمره مبرورة ومن الخير كذا وكذا ثلاث مرات بيده.

- عن أم سعيد الأحمسية، قالت: جئتُ إلى أبي عبد الله عليه السلام فدخلت عليه، فجاءت الجارية فقالت: قد جئتُ بالدابة، فقال لي: يا أم سعيد أي شيء هذه الدابة أين تبغين تذهبين، قالت: قلت: أزور قبور الشهداء، قال: أخري ذلك اليوم، ما

أعجبكم يا أهل العراق، تأتون الشهداء من سفر بعيد وتتركون سيد الشهداء لا تأتون، قالت: قلت له: مَنْ سَيِّدُ الشهداء، فقال: الحسين بن علي عليه السلام، قالت: قلت: اني امرأة، فقال: لا بأس لمن كان مثلك ان يذهب إليه ويزوره.

قالت: قلتُ: أي شيء لنا في زيارته، قال: تعدل حجة وعمرة واعتكاف شهرين في المسجد الحرام وصيامها وخيرها كذا وكذا، قالت: وبسط يده وضمها ضمًا ثلاث مرات.

وفي رواية أخرى: قالت: دخلت المدينة فاكتريت البغل أو البغلة لأدور عليه قبور الشهداء، قالت: قلتُ: ما أحد أحق أن أبدأ به من جعفر بن محمد عليهما السلام، قالت: فدخلت عليه فأبطأت، فصاح بي المكاربي: حبستينا عافاك الله، فقال لي أبو عبد الله: كان إنسانا يستعجلك يا أم سعيد، قلت: نعم جعلت فداك اني اكرتيت بغلا لأدور عليه قبور الشهداء فقلت: ما أتى أحدا أحق من جعفر بن محمد عليهما السلام، قالت: فقال: يا أم سعيد فما يمنعك من أن تأتي قبر سيد الشهداء.

قالت: فطمعتُ ان يدلني على قبر علي بن أبي طالب عليه السلام، فقلت: بأبي أنت وأمي ومن سيد الشهداء، قال: الحسين ابن فاطمة عليها السلام يا أم سعيد، من أتاها ببصيرة ورغبة فيه كان له حجة وعمرة مبرورة، وكان له من الفضل هكذا وهكذا.

– عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما من شهيد إلا ويحب أن يكون مع الحسين عليه السلام حتى يدخلون الجنة معه ^(١).

٦. الحث على زيارة الحسين عليه السلام.

– عن إسحاق بن عمار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ليس نبي في السماوات إلا ويسألون الله تعالى ان يأذن لهم في زيارة الحسين عليه السلام، ففوج ينزل وفوج يصعد.

– عن صفوان الجمال، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام لما أتى الحيرة: هل لك

(١) المصدر السابق: ٢١٦-٢٢٠.

في قبر الحسين عليه السلام، قلتُ: وتزوره جعلت فداك، قال: وكيف لا أزوره والله يزوره في كل ليلة جمعة يهبط مع الملائكة إليه والأنبياء والأوصياء، ومحمد أفضل الأنبياء ونحن أفضل الأوصياء، فقال صفوان: جعلت فداك فنزوره في كل جمعة حتى ندرك زيارة الرب، قال: نعم يا صفوان الزم ذلك يكتب لك زيارة قبر الحسين عليه السلام، وذلك تفضيل وذلك تفضيل.

- عن داود الرقي، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وانه ينزل من السماء كل مساء سبعون ألف ملك يطوفون بالبيت الحرام ليلتهم، حتى إذا طلع الفجر انصرفوا إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يرجون إلى السماء قبل ان تطلع الشمس، ثم تنزل ملائكة النهار سبعون ألف ملك، فيطوفون بالبيت الحرام نهارهم، حتى إذا غربت الشمس انصرفوا إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يرجون إلى السماء قبل ان تغيب الشمس.

- عن إسحاق بن عمار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك يا بن رسول الله كنت في الحير ليلة عرفة فرأيت نحواً من ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف رجل جميلة وجوههم، طيبة ريحهم، شديد بياض ثيابهم، يصلون الليل أجمع، فلقد كنت أريد ان آتي قبر الحسين عليه السلام واقبله وادعو بدعواتي، فما كنت أصل إليه من كثرة الخلق، فلما طلع الفجر سجدت سجدة، فرفعت رأسي فلم أر منهم أحداً.

فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: أتدري من هؤلاء، قلت: لا، جعلت فداك، فقال: أخبرني أبي، عن أبيه، قال: مرَّ بالحسين عليه السلام أربعة آلاف ملك وهو يقتل فخرجوا إلى السماء، فأوحى الله إليهم: يا معشر الملائكة مررتم ببن حبيبي وصفيي محمد صلى الله عليه وآله وهو يقتل ويضطهد مظلوما فلم تنصروه، فأنزلوا إلى الأرض إلى قبره فأبكوه شعثاً غبرا إلى يوم القيامة، فهم عنده إلى أن تقوم الساعة.

- عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا معاوية لا تدع زيارة قبر الحسين عليه السلام لخوف، فإن من ترك زيارته رأى من الحسرة ما يتمنى أن قبره كان عنده، أما تحب أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والأئمة عليهم السلام.

- عن معاوية بن وهب، قال: استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام فقبل لي: ادخل، فدخلت، فوجدته في مصلاه في بيته، فجلست حتى قضى صلاته، فسمعتة وهو يناجي ربه وهو يقول: اللهم يا من خصنا بالكرامة، ووعدنا بالشفاعة، وخصنا بالوصية، وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولا خواني، وزوار قبر أبي عبد الله الحسين، الذين انفقوا أموالهم، واشخصوا أبدانهم، رغبة في برنا، ورجاء لما عندك في صلتنا، وسرورا أدخلوه على نبيك، وإجابة منهم لا مرنا، وغيظا أدخلوه على عدونا، أرادوا بذلك رضوانك. فكافهم عنا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، واصحبهم، واكفهم شر كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك وشديد، وشر شياطين الإنس والجن، وأعطهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما أثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم.

اللهم ان أعداءنا عابوا عليهم بخروجهم، فلم ينهم ذلك عن الشخصوس إلينا خلافا منهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلب على حفرة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا.

اللهم إني أستودعك تلك الأبدان وتلك الأنفس، حتى توافيهم من الحوض يوم العطش.

فما زال يدعو وهو ساجد بهذا الدعاء، فلما انصرف قلت: جعلت فداك لو أن هذا الدعاء الذي سمعت منك كان لمن لا يعرف الله عز وجل لظننت أن النار لا

تطعم منه شيئاً ابداً، والله لقد تمنيت اني كنت زرتة ولم أحج، فقال لي: ما أقربك منه فما الذي يمنعك من زيارته.

ثم قال: يا معاوية ولم تدع ذلك، قلت: جعلت فداك لم ادر ان الأمر يبلغ هذا كله، فقال: يا معاوية من يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض.

– عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا معاوية لا تدع زيارة الحسين عليه السلام لخوف، فإن من تركه رأى من الحسرة ما يتمنى ان قبره كان عنده، اما تحب ان يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والأئمة عليهم السلام، اما تحب أن تكون ممن ينقلب بالمغفرة لما مضى ويغفر لك ذنوب سبعين سنة، اما تحب أن تكون ممن يخرج من الدنيا وليس عليه ذنب تتبع به، اما تحب أن تكون غدا ممن يصفاحه رسول الله صلى الله عليه وآله ^(١).

فلسفة البكاء ^(٢)

ويفسر لنا هذه الأهمية في البكاء إذا لاحظنا الآثار التالية المترتبة عليه:

أولاً: إن البكاء له بعد سياسي لأنه طريقة فضلى إنسانية واجتماعية – سليمة وهادئة – لاستنكار الظلم والتعبير عن عمق المأساة والمظلومية التي تعرض لها الإمام الحسين عليه السلام وأهدافه النبيلة.

وتظهر أهمية هذا الأسلوب في هذا البعد السياسي في ظروف المحنة والقمع والارهاب، عندما تعجز بقية الأساليب عن التعبير عن ذلك.

وقد كان شيعة أهل البيت يعيشون في مختلف الأدوار ظروفًا صعبة وقاسية، فيصبح هذا الأسلوب أفضل أسلوب للتعبير عن موقفهم السياسي وبقاتهم مشدودين إلى هذا الموقف.

(١) كامل الزيارات، لابن قولويه: ٢٢٠-٢٣٥.

(٢) دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، محمد باقر الحكيم، ج ١ ص ١٥١.

وبهذا يمكن أن نفهم واضحاً اهتمام الإمام زين العابدين (ع) بهذا الأسلوب بالذات، بالإضافة إلى الواقع النفسي الذي كان يعيشه بسبب حضوره في كربلاء.

وهذا يؤكد حقيقة مهمة في تخطيط أهل البيت (ع) تجاه القضية السياسية، وهي أن الإنسان المؤمن لا بد له أن يقرن إيمانه السياسي بالقضية بموقف عملي تجاهها مهما كانت الظروف، ولو كان هذا الموقف العملي هو أضعف الإيمان، ولا يصح له بأي حال من الأحوال أن يقف موقف اللامبالاة تجاه الفكر السياسي أو العقيدة السياسية.

وهذا ما تؤكدته أيضاً الروايات التي وردت في موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جوب انكار المنكر ولو بالقلب إن لم تكن المراتب الأعلى مقدورة أو كانت محظورة، ولذا عبر عنها بأنها أضعف الإيمان.

ثانياً: إن البكاء يجسد في نفس الوقت تفاعلاً ذاتياً أخلاقياً مع مأساة كربلاء، ولكن بالحد الأدنى من التفاعل، ويشد عواطف الإنسان المسلم بالقضية وأهدافها ورجالها، ويعدّه وينفّره طبيعياً عن أعدائها وأخلاقهم ومقاصدهم.

وهذا البعد الأخلاقي في البكاء كان أحد الأسباب الطبيعية التي تمكّن أهل البيت (ع) من خلالها أن يحفظوا في الجماعة الصالحة أخلاقية الانضمام والوقوف إلى جانب الحق والمواجهة للظلم، بالرغم من الضغوط التي كانوا يواجهونها سواء على المستوى الاجتماعي أو الفردي، وسواء على المستوى الخارجي كالضغوط التي يمارسها الطغاة ضدهم، أو على المستوى الداخلي كضغوط الشهوات والرغبات.

ثالثاً: إن البكاء يمثل منهجاً في تزكية النفس وتطهيرها من الأدران، ويرفع درجة الإحساس في الإنسان بآلام الإنسانية، والانحرافات الاجتماعية، والوعي لقضايا الظلم والعدل؛ ذلك لأنه يؤثر في رقة القلب ويقظة الضمير ووعي الوجدان.

وقضية قسوة القلب ورقته وخشوعه من أهم القضايا التي تؤثر في مسيرة

الإنسان الذاتية؛ ولذا عالجهما القرآن الكريم في مواطن كثيرة، وانتقد بشدة قسوة القلب، كما كان يمجّد رقة القلب وخشوعه.

ومن الآيات الواردة في ذم قسوة القلب ومدح رفته قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾^(١). وقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٢). وقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْرَ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾^(٣). وقال متحدثاً عن اليهود: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَأْيُومُونَ﴾^(٤). وقال: ﴿قَوْلٌ لِلنَّفْسِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٥). وقال: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ لَمْ يَنْ هَادٍ﴾^(٦).

وقضية وهن القلب والطبع والختم على القلب التي يتحدث عنها القرآن الكريم، إنّما تنطلق من قسوة القلب. وفي مقابل ذلك طهارة القلب وخشوعه ووجله ولينه واطمئنانه.

ولا شك أن البكاء يمثل أفضل وسيلة لغسل درن القلب، وتهيئة الأرضية الصالحة فيه للتفاعل والتأثر. ومن هنا جاء الحث الشديد من الشارع المقدّس على البكاء من خشية الله تعالى، وأصبحت العين الباكية من خشية الله في صف العين التي تكف عن محارم الله أو تسهر في سبيل الله كما ورد في الحديث. وبهذا يكون للبكاء بعد روحي ووجداني بالإضافة إلى بعده السياسي والأخلاقي.

مضافاً إلى ذلك يمكن أن نتصور في البكاء بعداً ثقافياً يرتبط بموضوع العدل

(١) البقرة: ٧٤.

(٢) الحديد: ١٦.

(٣) محمد: ٢٤.

(٤) البقرة: ٨٨.

(٥) الزمر: ٢٢.

(٦) الزمر: ٢٣.

والظلم، حيث إن دوافع البكاء التي تثير في الإنسان هذا الإحساس العاطفي والوجداني لا شك أن لها تأثيراً في ثقافة الإنسان وفهمه للحياة وتفاعله مع قضاياها. وعندما يتم التركيز على الإثارة تجاه المظلومية والتعرض للعدوان، ويتفاعل الإنسان مع هذه الإثارة فلا شك أن الإنسان سوف يكون تصوراً عن أسباب الظلم ورفضها وعن مقاييس العدل والالتزام بها حيث يتم شرح ذلك عادة وتفصيله في مثل هذه الإثارات.

مشروعية البكاء

حظيت مسألة البكاء ومشروعيته باهتمام واضح على مستوى كتاب الله العزيز وسنة رسوله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، ومن تلك الآيات والآثار:

- قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصٌ وَرُحْبَاءٌ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ رَجَعُوا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاقْصُصْ مِنَ الدَّمِيعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿١﴾.

- قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَّا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمِيعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ ﴿٢﴾، الظاهرة في البكاء الممدوح حزناً على الحرمان من المشاركة في فعل الخير الذي كانوا يودّون فعله بلهفة.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُ * وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ ﴿٣﴾.

- قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَنًى نَوْجَ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ ﴿٤﴾.

(١) المائدة ٨٢ - ٨٣.

(٢) التوبة، ٩٢.

(٣) الإسراء، ١٠٧ - ١٠٩.

(٤) مريم، ٥٨.

وما بكاء يعقوب على يوسف وهو نبي والقرآن يخلد ذكره ويخلد فعله
الأنموذج للاقتداء: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَّاسَفُ عَلَى يَوْسُفَ وَاتَّبَعَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ
فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ
الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١).

وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ (٢)، الظاهرة في ذم الضحك
وأساببه كالبطر والفرح الحيواني، وعدم البكاء من خشية الله وأحوال يوم القيامة.

هذه الآيات تدلّ بوضوح على مطلوبة البكاء وإيجابيته ما دام محتفظاً
بمقوماته التي ألفتنا إليها.

إلى جانب ذلك نجد تأكيد القرآن على مدح الخشية والإشفاق والخشوع
وهي صنو البكاء أو من لوازمه ومسبباته التوليدية، والمسبب التوليدي إذا كان
مستجاباً، كان سببه كذلك. كقوله تعالى:

- قال تعالى: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كُنْبًا مُتَشَبِّهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ
يَشَاءُ﴾ (٣).

- قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ، زَوْجَهُ إِنَّهُمْ
كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾ (٤).

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (٥).

وقد اتضح أن القرآن لا يصنّف البكاء بل الانفعال عموماً في السلبي مطلقاً،

(١) يوسف ٨٤ - ٨٦.

(٢) النجم ٥٩ - ٦٠.

(٣) الزمر: ٢٣.

(٤) الأنبياء: ٩٠.

(٥) الحديد: ١٦.

وإنما فصل - كما في الروايات - بين ما كان عن حقيقة ولغاية محمودة فهو إيجابي، وبين ما كان عن وهم أو لغاية سيئة فهو سلبي. بل في بكاء يعقوب حتى ابيضاض العين وذهاب نور البصر يبدو أن شدة الانفعال لحقيقة أمر محمود.

ونلاحظ ذلك بوضوح في وصف علي عليه السلام للمتقين حيث صعق همام صعقة كانت روحه فيها مع أنه عليه السلام كان يتخوف من ذلك عليه.

ومدح أمير المؤمنين الموت غمماً أسفاً عندما غارت خيل معاوية على الأنبار، حيث قال: - فلو أن امرأ مات أسفاً ما كان عندي ملوماً - لأنه مات عن حمية للدين.

ونرى في زيارة الناحية: «فلأبكين عليك بدل الدموع دماً».

كذا لطم الفواطم الخدود وعلو صراخهن وإغماء الإمام الرضا عليه السلام مرتين حينما أنشده دعبل قصيدته المعروفة، كما جاء في عيون الأخبار مسنداً. وما روي من إغماء علي عليه السلام مراراً من الخشية^(١)، وما روي في من بكاء السجاد حتى كان يخشى عليه التلف^(٢).

وما روي من علة خدمة موسى لشعيب وأنه لكثرة بكائه من خشية الله حتى أنه أصيب بالعمى مرة ثانية بعد ما شفاه الله تعالى من المرة الأولى^(٣).

وما روي من فعل الرباب زوجة الحسين عليه السلام وأنها لم تستظل تحت سقف عامر من شدة تأثرها حتى ماتت بعد عام مع أنه كان بمحضر من الإمام السجاد عليه السلام وتقريره.

وما جاء في خطبة السجاد عليه السلام على مشارف المدينة عندما رجعت قافلة الحسين عليه السلام: - وكيف لا ينصدع قلب لقتل سيد الشهداء -.

والمتتبع يحصل على حالات كثيرة لهذا النمط من المخاطرة بالنفس أو

(١) في البحار: ج ٤١، ص ١١.

(٢) البحار: ج ٤٦، ص ١٠٨.

(٣) علل الشرايع ج ١، ص ٧٤.

الأعضاء بسبب الانفعال الشديد حتى يخرج بنتيجة واضحة أنه مبرّر ومرغوب فيه وحسن ما دام لإحياء أمر حقيقي ولفضيلة ولشأن أخروي.

إنّ شعار البكاء وكذلك جميع مظاهر التعبير عن الحزن والاسى والنظّم المعقول وردت فيها أحاديث كثيرة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تذكر أهميتها والآثار المترتبة عليها، وذلك لما فيها من التعبير عن التفاعل العاطفي والروحي مع مأساة الإمام الحسين (عليه السلام). وكذلك وردت النصوص الكثيرة عن قيام أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بالبكاء على الحسين (عليه السلام) خصوصاً وقد وضع أسس هذا الشعار ورفع في مداه الواسع الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام).

فقد روى ابن قولويه في «كامل الزيارات» أن مولى للإمام علي بن الحسين (عليه السلام) أشرف عليه وهو في سقيفة له ساجد يبكي، فقال له: «يا علي بن الحسين، أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فرفع رأسه إليه وقال: ويلك - أو ثكلتك

أمك - والله لقد شكّا يعقوب إلى ربه في أقل ما رأيت حين قال: ﴿يَا سَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ وإنه فقد ابناً واحداً، وإنّي رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبّحون حولي».

وروى أيضاً عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال: «بكى علي بن الحسين على الحسين بن علي صلوات الله عليهم أجمعين عشرين سنة - أو أربعين سنة - وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى على الحسين (عليه السلام) حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين! فقرأ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَاعْلَمُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقني لذلك العبرة».

ولا يمكن أن نحمل هذه الممارسة الواسعة والممتدة للإمام زين العابدين (عليه السلام) على أنها مجرد انفعال عاطفي بالمشاهد التي عاشها أيام محرم الحرام، بحيث لم يكن قادراً على ضبط أحاسيسه وعواطفه طيلة هذه الفترة من الزمن، وإنّما ينبىء هذا - بالإضافة إلى ذلك - عن تصميم وتخطيط محكم كان يمارسه الإمام زين العابدين (عليه السلام) يعتمد على الحقيقة المأساوية التي عاشها سلام الله عليه شخصياً،

ويؤكد عمقها وهولها لتبقى قضية تعيشها الأمة الإسلامية، وتتحرك على أساسها الجماعة الصالحة.

وقد أعطى أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد الإمام زين العابدين عمقاً آخر لهذا الشعار عندما طرحوه مصداقاً ثالثاً من مصاديق تعظيم شعائر الله، وأسلوباً للتعبير عن استنكار الظلم، والتفاعل الذاتي مع قضية كربلاء وأهدافها، ومنهجاً لتزكية النفس وتهذيبها، بحيث تحول إلى عبادة يمارسها الإنسان بطريقة فردية أو جماعية.

فقد ورد التأكيد عن أهل البيت على أهمية البكاء أو التباكي على الحسين عليه السلام والثواب المترتب عليه، بحيث أصبح مصداقاً آخر من مصاديق البكاء المحبوب لله تعالى، يشبه البكاء من خشيته سبحانه وتعالى.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لفضيل: «تجلسون وتحذّثون؟ قال: نعم جعلت فداك. قال: إن تلك المجالس أحبّها فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيأ أمرنا. يا فضيل، من ذكرنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر».

وعن أبي هارون المكفوف قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: أنشدني، فأنشدته فقال: لا، كما تشدون وكما ترثيه عند قبره، فأنشدته:

امرر على جدّ الحسين فقل لأعظمه الزكية
قال: فلما بكى أمسكت أنا، فقال: مرّ فمررت، قال: ثم قال: زدني. قال: فأنشدته:

يا مريم نوحى على مولاك وعلى الحسين فأسعدى بيكاك
قال: فبكى وتهايج النساء. قال: فلما أن سكتن قال لي: يا أبا هارون من أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنة، ثم جعل ينتقص واحداً واحداً حتى بلغ الواحد

فقال: من أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنة. ثم قال: من ذكره فبكى فله الجنة^(١).

الآثار الإيجابية للبكاء

لا نجد في المصادر الإسلامية من القرآن وأحاديث أهل البيت عليهم السلام، بل حتى روايات أهل السنة المذكورة في صحاحهم، إلا الثناء والمدح للبكاء والتنويه بآثاره الإيجابية - لأن البكاء يقف مقابل الرعونة والخشونة والقساوة، والمجتمع الدولي يعاني اليوم من الإرهاب والقساوة والعنف والفرعنة والأنانية.

ويصلح البكاء - إذا ما نجحنا في تفعيله في النفس أن يذهب القساوة والعنف والإرهاب من نفس الإنسان، فمن الخطأ الاستخفاف والاستهزاء بالبكاء^(٢) لأن البكاء من أفضل العبادات، والإنسان يكون في أقرب الحالات إلى الله تعالى إذا كان في حالة الانكسار والتضرع والضعف.

البكاء علاج^(٢):

إن الدراسات الغربية تؤكد أن الكثير من العقد والأمراض النفسية والإجرام والاضطرابات الروحية إنما تحصل نتيجة غياب وفقدان البكاء، وأن في البكاء علاج لهذه الأمراض الروحية والنفسية، وقد عمل بعض الأطباء الغربيين على تهيئة أجواء بكاء لبعض المرضى، أو كما يصطلحون عليه بالبكاء الاصطناعي في مقابل البكاء الطبيعي - لأن في البكاء علاج نفسي.

وبما أن الإسلام يتماشى مع الفطرة السليمة التي فطر الله تعالى الناس عليها، فإننا نجده قد حث على البكاء من خشية الله والتوبة من الذنوب والرجوع إلى الله، ودليله ما نلاحظه من أن القرآن الكريم قد أثنى على القسيسين والرهبان - لأن أعينهم

(١) المصدر دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة ج ١ ص ١٤٥-١٥١.

(٢) الحدائق، العولمة، الارهاب، في ميزان النهضة الحسينية، لمحمد السند: ٢٣٤-٢٣٧.

تفيض من الدمع. قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَتِيلِينَ وَرَهْبَانًا وَآنْهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (١).

بكاء الأطفال

قال الإمام الصادق عليه السلام - لِلْمُفْضِلِ بْنِ عُمَرَ -: إِعْرِفْ يَا مُفْضِلُ، مَا لِلْأَطْفَالِ فِي الْبُكَاءِ مِنَ الْمَنْفَعَةِ؟ وَاعْلَمْ أَنَّ فِي أَدِيمَةِ الْأَطْفَالِ رُطُوبَةً إِنْ بَقِيَتْ فِيهَا أَحْدَثَتْ عَلَيْهِمْ أَحْدَاثًا جَلِيلَةً وَعَلَلًا عَظِيمَةً مِنْ ذَهَابِ الْبَصَرِ وَغَيْرِهِ! فَالْبُكَاءُ يُسِيلُ تِلْكَ الرُّطُوبَةَ مِنْ رُؤُوسِهِمْ فَيَعْقِبُهُمْ ذَلِكَ الصَّحَّةُ فِي أَبْدَانِهِمْ وَالسَّلَامَةُ فِي أَبْصَارِهِمْ، أَفَلَيْسَ قَدْ جَازَ أَنْ يَكُونَ الطِّفْلُ يَنْتَفِعُ بِالْبُكَاءِ وَالِدَاهُ لَا يَعْرِفَانِ ذَلِكَ؟ فَهُمَا دَائِبَانِ لِيُسْكِنَاهُ وَيَتَوَخَّيَانِ فِي الْأُمُورِ مَرْضَاتَهُ لِئَلَّا يَبْكِي، وَهُمَا لَا يَعْلَمَانِ أَنَّ الْبُكَاءَ أَصْلَحُ لَهُ وَأَجْمَلُ عَاقِبَةٍ (٢).

البكاء تكامل:

الكبر والعجب والتعجرف والاستعلاء والعصبية أمراض نفسية تصيب الإنسان، ويعد البكاء علاجاً لهذه الأمراض، بل يستطيع البكاء أن يقتلع الكثير من جذور الصفات المذمومة في النفس.

ولا يقترب الإنسان - في أغلب الأحيان من البكاء إلا إذا اقترب إلى الفضائل والقيم النبيلة والمبادئ الإنسانية العالية، والسبب أن الانفعال الذي يحصل حال البكاء إنما يتولد بعد إخبات الإنسان لذلك المعنى الرفيع الذي يتفعل معه، والإخبات إذعان وانقياد، فلا يتم بكاء إلا والإيمان بذلك المعنى قد تحقق. نعم، قد تعاود مقتضيات الرذيلة وذلك لوجود واستمرار أسبابها، وهذا أمر آخر. ولكن يظل

(١) المائدة: ٨٢-٨٣.

(٢) بحار الأنوار، ج ٣، ص ٦٥ نقلاً عن الخبر المشتهر بتوحيد المفصل.

البكاء ممانع لتلك الرذائل. وتكون نتيجة هذا البكاء هو تخلّص الإنسان من الرذائل وابتعاده عن الأفراد والجماعات التي تمارس هذه الرذائل الروحية، ويقرب البكاء الإنسان إلى الفضائل، ويجعله يحبّ ويقترّب إلى أهل الفضائل والمحسنين والصالحين.

الحكمة الإلهية لخلق حالة البكاء عند الإنسان

ولو تساءلنا: لِمَ خلق الله حالة البكاء وجعلها مرتبطة بالإنسان؟

الجواب: إنّ البكاء تصحيح، وطب نفسي سريع جداً للأمراض المتجذّرة، والتي ربّما تكون أمراضاً نفسية وسرطانية خطيرة تهدّد مستقبل الإنسان والمجتمع، ومن ناحية أخرى فإنّ البكاء يبني الفضائل والمحاسن في نفس الإنسان بشكل سريع أيضاً. فعلى سبيل المثال: الخشوع لله - وهو من أفضل الكمالات التي يحصل عليها الإنسان ورقة القلب والصفاء النفسي له علاقة وثيقة بالبكاء، ويختصر البكاء الطريق إلى الله ويقرب إليه.

الحسين قتيّل العبرة

لا شكّ في أنّ البكاء يصاحب هذه الحالات النفسية العالية، ومن هنا كانت روايات أهل البيت عليهم السلام تعبّر عن الحسين بأنّه (قتيل العبرة)، والعبرة هي الدفعة والبكاء المرتبط بالفضائل، والنبي صلى الله عليه وآله يقول: «إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(١). إذن العبرة الحسينية تصبّ في مصبّ بناء مكارم الأخلاق، وتتناغم مع أهداف الرسالة المحمّدية صلى الله عليه وآله.

ولعلّ من أسرار استشهاد الإمام الحسين عليه السلام هو بكاء المؤمنين عليه، باعتبار أنّ البكاء له دور كبير في البناء الاجتماعي، وتحصينه من الآفات، وحثّه على المكرّمات.

(١) مستدرك وسائل الشيعة: ج ١١ ص ١٨٧، باب استحباب التخلّق بمكارم الأخلاق، الحديث

ولا يمكن للبكاء أن يفعل مفعوله في النفس إلا إذا عرف الإنسان آثاره الإيجابية وسعى إليه، وتفاعل مع القضية التي بكى من أجلها، وبكى باعتبار أن البكاء باب من أبواب الفضيلة والكمال الإنساني، ومن المعروف أن الله قريب من الخاشعة قلوبهم، وبعيد عن القاسية قلوبهم.

البكاء ولاء وبيعة^(١)

لقد صاحبت هذه الظاهرة الإمام زين العابدين (ع) مدة إمامته ونضاله، بحيث لا يمكن المرور على أي مرفق من مرافق عمره الشريف، أو أي موقف من مواقفه الكريمة، إلا بالعبور من مجرى دموعه وفيض عيونه.

ولا ريب أن البكاء، كما أنه لا يتهياً للإنسان إلا عند التأثر بالأمور الأكثر حساسية، وإثارة وحرقة، ليكون سبباً للهدوء والترويح عن النفس.

فكذلك هو وسيلة لإثارة القضية، أمام الآخرين، وتهيج من يرى دموع الباكي تنهمر، ليتعاطف معه طبيعياً، وعلى الأقل يخطر على باله التساؤل عن سبب البكاء؟

وإذا كان الباكي شخصية مرموقة، وذا خطر اجتماعي كبير، مثل الإمام زين العابدين (ع)، فإن ظاهرة البكاء منه، مدعاة للإثارة الأكثر، وجلب الاهتمام الأكبر، بلا ريب.

والحكام الظالمون، يهابون الشوار في ظل حياتهم، فيحاولون إسكاتهم بالقتل والخنق، مهما أمكن، ويتصورون ذلك أفضل السبل للتخلص منهم، أو تطويقهم بالسجن والحبس. وكذلك هم يحاولون بكل جدية، في إبادة آثار الثورة ومحوها عن الأنظار، والأفكار حتى لا يبقى منها ولا بصيص جذوة. ولكنهم - رغم كل قدراتهم - لم يتمكنوا من اقتلاع العواطف التي تستنزف الدموع من عيون الباكين على أهلهم وقضيتهم، فالبكاء من أبسط الحقوق الطبيعية للباكين.

(١) ينظر: جهاد الإمام السجاد، للجلالي: ١٧٩ - ١٨٣.

والإمام زين العابدين عليه السلام قد استغل هذا الحق الطبيعي في صالح القضية التي من أجلها راح الشهداء صرعى على أرض معركة كربلاء.

وإذا أمعنا النظر في تحليل التاريخ وتابعنا مجريات الأحداث، التي قارنت كربلاء، وجدنا أن المعركة لم تنته بعد، وإنما الدماء الحمر، أصبحت تجري اليوم دموعا حارة بيضا، تحرق جذور العدوان، وتجرف معها مخلفات الانحراف وتروي بالتالي أصول الحق والعدالة.

وبينما يعد الطغاة ظاهرة البكاء دليلا على العجز والضعف والانكسار والمغلوبة، فهم يكفون اليد عن الباكي، لكون بكائه علامة لاندحاره أمام القوة، وعلامة الاستسلام للواقع، نجد عامة الناس، يبدون اهتماما بليغا لهذه الظاهرة، تستتبع عطفهم، وتستدر تجاوبهم إلى حد ما، وأقل ما يبدونه هو نشدانهم عن أسباب البكاء؟

وتزداد كل هذه الأمور شدة إذا كان الباكي رجلا شريفا معروفا! وبالأخص إذا كان يفيض الدمعة بغزارة فائقة، وباستمرار لا ينقطع! كما كان من الإمام زين العابدين عليه السلام، حتى عُد في البكاكين، وكان خامسهم بعد آدم، ويعقوب، ويوسف، وجدته فاطمة الزهراء (عليها السلام).^(١)

إن البكاء على شهداء كربلاء، وثورتهم، لم يكن في وقت من الأوقات أمر حزن ناتج من إحساس بالضعف والانكسار، ولا عبرة يأس وقنوط، لأن تلك الأحداث، بظروفها ومآسيها قد مضت، وتغيرت، وذهب أهلها، وعرف حقها من باطلها، وأصبحت للمقتولين كرامة وخلودا، وللقاتلين لعنة ونقمة، لكن البكاء عليهم وعلى قضيتهم، كان أمر عبرة وإثارة واستمداد من مفجرها، وصانع معجزتها، وحزنا على عرقلة أهدافها المستلزمة من ثورة الإسلام التي قام بها النبي صلى الله عليه وآله. والدليل على كل ذلك أن لكل حزن أمدا، يبدأ من حين المصيبة إلى فترة طالت أو قصرت، وينتهي ولو بعد جيل من الناس.

(١) الخصال، للصدوق: ٢٧٢.

أما قبل حدوث المصيبة، فلم يؤثر في المعتاد، أو المعقول للناس، أن يبكوا لشيء. لكن قضية الإمام الحسين عليه السلام، قد أقيمت الأحزان عليها قبل وقوعها بأكثر من نصف قرن، واستمر الحزن عليها إلى الأبد، فهي إلى القيامة باقية. والذين أثاروا هذا الحزن، قبل كربلاء، وأقاموا المآتم بعد كربلاء: هم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

فمنذ ولد الحسين عليه السلام أقام النبي صلى الله عليه وآله مآتم على سبته الوليد ذلك اليوم، الشهيد بعد غد. فكيف يقيم النبي صلى الله عليه وآله مجلس الحزن على قرّة عينه، يوم ولادته، أهكذا يستقبل العظماء مواليدهم؟ أو لا يجب أن يستبشروا بالولادات الجديدة، ويتهادوا التهاني والأفراح والمسرات؟!

وتتكرر المجالس التي يعقدها الرسول العظيم، ليكي فيها على وليده، ويكي لأجله كل من حوله، وفيهم فاطمة الزهراء عليها السلام أم الوليد، وبعض أمهات المؤمنين، وأشرف الصحابة ^(١).

وهكذا أقام الإمام علي عليه السلام، مجلس العزاء على ولده الحسين عليه السلام، لما مر على أرض كربلاء، وهو في طريقه إلى صفين، فوقف بها، فقيل: هذه كربلاء، قال: ذات كرب وبلاء، ثم أوماً بيده إلى مكان، فقال: هاهنا موضع رحالهم، ومناخ ركابهم، وأوماً بعده إلى موضع آخر، فقال: هاهنا مهراق دمائهم. ونزل إلى شجرة، فصلى إليها، فأخذ تربة من الأرض فشمها، ثم قال: واهنا لك من تربة، ليقتلن بك قوم يدخلون الجنة بغير حساب ^(٢).

ورثاه أخوه الحسن عليه السلام، وقال له: لا يوم كيومك يا أبا عبد الله... ويكي عليك كل شيء... ^(٣)

(١) ينظر: سيرتنا ومستنا للأميني، ولاحظ تاريخ دمشق لابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام (ص ١٦٥ - ١٨٥).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ص ٢٣٥).

(٣) الأمامي للصدوق: ١٠١.

وحتى الحسين عليه السلام نفسه، نعى نفسه ودعا إلى البكاء على مصيبيته، وحث المؤمنين عليه، حيث قال: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى ^(١).

وهكذا الأئمة عليهم السلام بعد الحسين عليه السلام، أكدوا على البكاء على الحسين بشتى الأشكال.

فقد بكى الإمام محمد الباقر عليه السلام جده سيد الشهداء الحسين عليه السلام، فعن الكميت بن أبي المستهل، قال: دخلتُ على سيدي أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام فقلت: يا ابن رسول الله إنّي قد قلت فيكم أبياتاً أفتأذن لي في إنشادها. فقال: إنها أيام البيض. قلتُ: فهو فيكم خاصّة. قال: هات، فأنشأتُ أقولُ:

أضحكني الدهر وأبكاني الدهر ذو صرف وألوان
لشعة بالطّف قد غودروا صاروا جميعاً رهن أكفان
فبكى عليه السلام وبكى أبو عبد الله وسمعت جارية تبكي من وراء الخباء فلما بلغت إلى قولي:

وسنة لا يتجارى بهم بنو عقيل خير فتیان
ثمّ على الخير مولاكم ذكرهم هيّج أحزاني
فبكى ثمّ قال عليه السلام: ما من رجل ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينيه ماء ولو قدر

مثل جناح البعوضة إلّا بنى الله له بيتاً في الجنّة وجعل ذلك حجاباً بينه وبين التّار، فلما بلغت إلى قولي:

من كان مسروراً بما مسّكم أو شامتاً يوماً من الآن
فقد ذللتكم بعد عزّ فما أدفع ضيماً حين يغشاني
أخذ بيدي وقال: اللّهم اغفر للكميت ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر فلما بلغت إلى قولي:

متى يقوم الحق فيكم متى يقوم مهديكم الثاني قال: سريعاً إن شاء الله سريعاً^(١).

كما روى المسعودي: إن كميث بن زيد الأسدي الشاعر قدم المدينة؛ فأتى أبا جعفر محمد بن عليّ [بن الحسين بن عليّ] رضي الله عنهم، فأذن له ليلاً وأنشده، فلما بلغ من الميمية قوله:

وقتل بالطف غودر منهم بين غوغاء أمّة وطغام
بكى أبو جعفر، ثم قال: يا كميث، لو كان عندنا مال لأعطيناك ولكن لك ما قال عليه السلام لحسان بن ثابت: لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذبت عتاً أهل البيت، فخرج من عنده^(٢).

كما سار الإمام جعفر الصادق عليه السلام على نهج آبائه الطاهرين في سنة بكاثهم على الحسين عليه السلام، ومنه ما رواه عبد الله بن سنان قال: دخلتُ على سيدي أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام في يوم عاشوراء فألقيته [فلقيته] كاسف اللون ظاهر الحزن ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط. فقلتُ: يا ابن رسول الله! ممّ بكاؤك؟ لا أبكى الله عينيك.

فقال لي: أو في غفلة أنت؟ أما علمت أن الحسين بن عليّ أصيب في مثل هذا اليوم؟

فقلتُ: يا سيدي! فما قولك في صومه؟ فقال لي: صمه عن غير تبييت، وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كماً وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء فإنه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيّجاء عن آل رسول الله وانكشفت الملحمة عنهم، وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً في مواليتهم يعزّ على رسول الله عليه السلام مصرعهم ولو كان في الدنيا يومئذ حياً لكان (صلوات الله عليه) هو المعزّى بهم، قال: وبكى أبو عبد الله عليه السلام حتّى اخضلت لحيته بدموعه، ثم

(١) بحار الانوار، للمجلسي ج ٣٦ ص ٣٩٠.

(٢) مروج الذهب، للمسعودي ج ٣ ص ٢٤٣.

قال: إنّ الله جلّ ذكره لما خلق النّور خلقه يوم الجمعة في تقديره في أوّل يوم من شهر رمضان، وخلق الظّلمة في يوم الأربعاء يوم عاشوراء في مثل ذلك يعني يوم العاشر من شهر المحرم في تقديره، وجعل لكلّ منهما سرعة ومنهاجاً^(١).

وعن داود الرقيّ قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذا استسقى الماء فلما شربه رأيته قد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه ثمّ قال لي: يا داود لعن الله قاتل الحسين عليه السلام، ما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام وأهل بيته ولعن قاتله إلا كتب الله عز وجل له مائة ألف حسنة وحط عنه مائة ألف سيئة ورفعت له مائة ألف درجة وكأنما أعتق مائة ألف نسمة وحشره الله جل وعز يوم القيمة ثلج الفؤاد^(٢).

إلا أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام قد تحمل أكبر الأعباء، في هذه المحنة، إذ عايش أسبابها، وعاصر أحداثها، بل باشر جراحها وآلامها، فكان عليه أن يؤدي رسالتها، لأنّه شاهد صدق من أهلها، بل الوحيد الذي ملك أزمة أسرارها، ولا بد أن يمثل أفضل الأدوار التي لم يبق لها ممثل غيره، ولم تبق لها صورة في أي منظر، غير ما عنده!

وإذا عرفنا بأن الإمام زين العابدين عليه السلام هو أوثق من يروي حديث كربلاء، فهو أصدق الناقلين له، وخير المعبرين عنه بصدق. وأما أهداف شهداء كربلاء التي من أجلها صنعت، فلا بد لها أن تستمر، ولا تنقطع عن الحيوية، في ضمير الناس ووجدانهم، حتى تستنفذ أغراضها. وبينما الحكام التائهون لا يعباؤون ببكاء الناس، فإنّه عليه السلام اتخذ من البكاء عادة، بل اعتمدها عبادة، فقد كانت - وفي تلك الفترة بالذات - وسيلة هامة لأداء المهمة الإلهية التي حُمِّلَ عليه السلام أعباءها. والناس، لما رأوه يذرف الدموع ليل نهار، لا يفتأ يذكر الحسين الشهيد ومصائبه، فهم: بين من يدرك: لماذا ذلك البكاء والحزن، والدمع الذارف المنهمر، والحزن الدائب المستمر؟ وعلى من يبكي الإمام عليه السلام؟ فكان ذلك سبباً لاستمرار الذكرى في الأذهان، وحياتها

(١) مصباح المتجّد: ٧٢٤، إقبال الأعمال ج ٣: ص ٦٥.

(٢) الكافي باب النوادر خبر ٦ من كتاب الأشربة.

على الخواطر، وبقاء الأهداف حية نابضة، في الضمائر ووجدان التاريخ، وتكدس النعمة والنفرة من القتلة الظلمة.

وبين من يعرف الإمام زين العابدين (ع) بأنه الرجل الفقيه، الزاهد في الدنيا، الصبور على مكارهها، فإنه لم ييك بهذا الشكل، من أجل أذى يلحقه، أو قتل أحد، أو موت آخر، فإن هذه الأمور هي مما تعود عليها البشر - على طول تاريخ البشرية - بل هي سنة الحياة. وكان بكاء مثله، ليس إلا لأجل قضية أكبر وأعظم، خاصة البكاء بهذا الشكل الذي لا مثيل له في عصره.

لقد ركز الإمام زين العابدين (ع) على قدسية بكائه لما سئل عن سببه.

فقال: لا تلموني. فإن يعقوب (ع) فقد سبطاً من ولده، فبكى، حتى ابيضت عيناه من الحزن، ولم يعلم أنه مات.. وقد نظرت إلى أربعة عشر رجلاً من أهل بيتي يذبحون في غداة واحدة! فترون حزنهم يذهب من قلبي أبداً؟! (١).

إنه (ع) في الحين الذي يربط عمله بما في القرآن من قصة يعقوب وبكائه، وهو نبي متصل بالوحي والغيب، إذ لا ينبع فعله عن العواطف الخالية من أهداف الرسالات الإلهية.

وفي الحين الذي يمثل لفاجعة الطف في أشجى مناظرها الدامية، وبأقصر عبارة وافية. فهو يؤكد على تبرير بكائه، بحيث يعذره كل سامع.

وفي حديث آخر: جعل الإمام (ع) من قضية كربلاء مدعاة لكل الناس إلى إحيائها، وتزويدها بوقود الدموع، وإروائها بمياه العيون، ولا يعتبرونها قضية خاصة بعائلة النبي (ص) وحسب، بل هي مصاب كل الناس، وكل الرجال الذين لهم كرامة في الحياة، أو يحسون بشيء اسمه الكرامة، أو شخص يحس بالعاطفة، فهو يقول: وهذه الرزية التي لا مثلها رزية.

أيها الناس، فأَي رجال منكم يسرون بعد قتله؟ أم أي فؤاد لا يحزن من

أجله؟ أم أي عين منكم تحبس دمعها؟ وكان ﷺ يحث المؤمنين على البكاء ويقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين ﷺ حتى تسيل على خده، بوأه الله تعالى بها في الجنة غرفا يسكنها أحقابا. وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خديه مما مسنا من الأذى من عدونا في الدنيا، بوأه الله منزل صدق^(١).



(١) مقتل الحسين للأمين: ٢١٣.

المبحث الثالث

الثورة الفكرية

أهمية التفكير

التفكير أصل جميع الإصلاحات الفردية والجماعية، وما دام تفكير الأمة في سبات فستكون هدفا لسراق ولصوص الدين والإيمان والحرية والاستقلال، ولكن حينما تصحوا الأفكار فإنها تقطع الطريق أمام هؤلاء.

وعُرف التفكير على أنه: إعمال العقل لحل قضية أو لاقتراحات أخرى يتلمس منها ما بمكانها من خفايا أو خبايا سلباً أو إيجاباً، وما تخلف هذه القضية بعد ذلك ليخرج بعدها بحلول أو اقتراحات لتلك القضية تنتج له عصارة فكر متميز ليحولها إلى واقع وتطبيق عملي تسعد به الأمة ليحيا لها مجدها التليد الذي ضاع على أيدي أناس يفكرون بطريقتهم؛ فلنفكر نحن لنعيد الذي أخذ منا بتفكير.

والله - عز وجل - وهب الإنسان فكراً ونظراً وعقلاً ميزه عن كثير من مخلوقاته، يستطيع من خلاله إنشاء أعمال عظيمة كانت بدايتها فكرة أو لربما خاطرة.

الأفكار أساس التغيير

تنطلق أي أمة من الأمم في دربها الحضاري من مجموعة الأفكار التي على

أساسها تشيد الأمة صرح حضارتها، ويقدم الواقع شواهد عديدة على أن سلوك الأفراد في مجتمع من المجتمعات ما هو إلا الترجمة العملية لما يؤمنون به من أفكار، ولهذا نجد أن المجتمعات تتقدم أو تتخلف تبعاً لنوعية الأفكار التي يعتنقها أفرادها.

ف«الثورة الفكرية هي الأساس والمنطلق لكل إصلاح يراد تحقيقه في كل مجتمع فاسد»^(١). إذ تنطلق أي أمة من الأمم في دربها الحضاري من مجموعة الأفكار التي على أساسها تشيد الأمة صرح حضارتها، ويقدم الواقع شواهد عديدة على أن سلوك الأفراد في مجتمع من المجتمعات ما هو إلا الترجمة العملية لما يؤمنون به من أفكار، ولهذا نجد أن المجتمعات تتقدم أو تتخلف تبعاً لنوعية الأفكار التي يعتنقها أفرادها.

ان الحركة الرسالية التي قادها الأئمة من أهل البيت عليهم السلام هي ثورة شمولية تهدف إلى تصحيح الانحراف الذي أصاب النظام الإسلامي في مختلف نواحيه، ويجانب الصواب من يرى ان حركتهم الرسالية هي تحرك سياسي ذو طابع عسكري يهدف إلى الاطاحة برأس السلطة الحاكمة، بل هي ثورة تصحيحية ذات طابع شمولي تتجسد فيه الاهداف والغايات الرسالية التي من اجلها بعث الله تعالى المصلحون من الانبياء والرسل والاصياء، فهدفها الاسمي بناء إنسان نموذجي متكامل، وقد تعامل الإمام زين العابدين عليه السلام مع جوانب الإنسان المتعددة كوحدة متكاملة تتأثر وتتفاعل فيه عدة عوامل نفسية وفكرية واجتماعية...ألخ.

الازمة الفكرية

كانت الازمة الفكرية في عهد الإمام زين العابدين عليه السلام بارزة، فقد كانت الأمة لا تعرف طريقها، ولم تكن الأمة الإسلامية مهيةاً لتوسع الفتوحات العسكرية الأمر الذي أدى إلى دخول جماعات وطوائف ذات ثقافات غريبة عن الواقع الإسلامي،

(١) الأمل، مكارم الشيرازي ج ٤ ص ٧٢.

ومما زاد في الطين بلة حال تغييب القائد الإلهي التي مورست بحقه ومحاولة تهميش دوره واقصائه عما ارتضاه الله تعالى له، فلم يكن أصحاب السلطة الظاهرية يمتلكون الآليات المناسبة لمواجهة خطر التلاقح الحضاري مع الثقافات الأخرى مما أدى إلى خلق أزمة فكرية عصفت بالإمة بشدة جعلت منها عاجزة عن تمييز الغث والسمين، فغدا الفرد المسلم ذا ثقافة هجينة غير قادرة على تلبية الاحتياجات الفكرية للشخصية الإسلامية، فأدى ذلك إلى انتشار الزندقة والافكار المنحرفة، ونشأت تيارات فكرية متضاربة من زنادقة وملحدون وقدرية ومفوضة.

وقد شخص الإمام زين العابدين (ع) أن ضعف الإيمان السائد في عقيدة الفرد المسلم هو سبب الازمة، فسعى في جهاد متواصل إلى زرع بذور الإيمان في قلوب المسلمين، وسقيها ومداراتها ببرامجه الروحية وسيرته التي عرف بها الإمام (ع).

لقد اثمرت ثورته (ع) في علاج الازمة الفكرية من خلال خطوات عملية تمثلت في توجيهاته وافكاره الرسالية ونتاجاته الفكرية، وممارساته العبادية التي اثرت في نفوس المسلمين وتفاعلت مع ضمايرهم.

وقد عاش علي بن الحسين (ع) عصرا من الاضطرابات السياسية القت بظلالها على مختلف نواحي الحياة الأخرى، واثرت بشكل مباشر بالأسس الفكرية التي قامت عليها الأمة الإسلامية، فانسخت شخصية الفرد المسلم عما رسم لها ديننا الحنيف، فتصدى (ع) لما اصاب ابنيه الفكرية، وقد مر ذلك بمرحلتين: الهدم والبناء.

فالمرحلة الأولى تكمن في هدم اسس الثقافة الدخيلة والافكار الغريبة التي تسربت إلى عقول ابناء المجتمع نتيجة الفهم المغلوط أو التضليل والتدليس الذي مارسه وعاظ السلاطين بأمر من اسيادهم الأمويين أو نتيجة الفوضى التي عاشها العالم الإسلامي بعد شهادة أبي عبد الله الحسين (ع) مما استجلب أمراضا خبيثة ما برحت تنخر في بنية الهرم الفكري لتبث فيه السموم فيغدو مشلولاً عاجزاً أمام عدو شرس، مما يتطلب تشخيصا دقيقا لطبيعة المرض والوقوف على الاسباب المؤدية له

لغرض ان يكون العلاج واقعياً، ولم يكن لهذا الأمر إلا الإمام زين العابدين (ع) الذي نهض بمسؤولياته اتجاء الأمة على خير وجه، فواجه التيارات والافكار المنحرفة بكل قوة وصرامة مفندا أباطيلهم فاضحاً أكاذيبهم مشدداً على ضرورة الحذر والحيطه منهم ونبذهم حتى لا يكون لهم مكان بين المسلمين.

والإمام زين العابدين (ع) حينما يقود ثورته في مواجهة المد الفكري المنحرف لا يكتفي بهدم اسسه وتوهين اركانه وتضعيف حججه وابطالها، بل يعمل على وضع برنامج فكري متكامل بديلاً عن الفراغ الذي يمكن ان تخلفه عملية الهدم، فالإمام (ع) يؤكد على ضرورة نضوج الوعي الفكري والثقافي للمجتمع الإسلامي قبل قيامه بأي تحرك اتجاء تغيير رأس السلطة الحاكمة، فلا بد من التسلح بسلاح الثقافة الإيجابية المثمرة والفاعلة المؤدي وبشكل طبيعي إلى التأسيس لحكومة إسلامية منهجها القرآن ودينها سنة رسول الله وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم اجمعين).

الانحراف الفكري^(١)

ازداد الانحراف في عهود الملوك المتعاقبين على الحكم، وكان للافكار والعقائد نصيبها الأكبر من هذا الانحراف، ولم يكثر الحكام بهذا الانحراف بل شجعوا عليه - لأنه كان يخدم مصالح الحكم القائم، ويشغل المسلمين عن همومهم الأساسية وبخاصة التفكير في مجال تغيير الاوضاع وإعادتها إلى ما كانت عليه في عهد رسول الله (ص) وعهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع).

فكثرت في عهد الأمويين الانحرافات الفكرية والعقائدية وتعددت وتعاضمت، وأصبح لها أتباع وأنصار، وتحولت إلى تيارات وكيانات خالف الكثير منها الأسس الواضحة للعقيدة الإسلامية، وابتدعوا ما لا يجوز من الأمور المخالفة للقرآن الكريم ولللسنة النبوية، فانتشرت أفكار الجبر والتفويض

(١) ينظر: اعلام الهداية (الإمام الباقر)، المجمع العلمي لأهل البيت: ٩٧-٩٨.

والإرجاء، كما انتشرت أفكار التجسيم وتشبيه الله تعالى بخلقه، وكثرت الشبهات حول ثوابت العقيدة، وكثر الحديث حول ماهية الله تعالى وذاته، وتنوّعت تيارات الغلوّ، حتى زعم البعض حلول الذات الإلهية في قوم من الصالحين، وقالوا بالتناسخ، وانتشرت الزندقة، فجحدوا البعث والنشور، وأسقطوا الثواب والعقاب وزوّرت الأحاديث والروايات واختلّق كثير منها - لدعم التسلط الأموي، كما راج اختلاق الفضائل لصالح المنحرفين من الصحابة، وطرحت نظرية عدالة جميع من صحب رسول الله ﷺ أو رآه أو ولد في عهده، بينما منعوا - من جانب آخر - من نشر فضائل أهل البيت ﷺ.

وكان للحكّام دور كبير في تشجيع هذا الانحراف المتمثل في اختلاق النصوص وقد وصف الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ذلك قائلاً: «إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها: الغلو. وثانيها: التقصير في أمرنا. وثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا»^(١)

وانتشرت ظاهرة الإفتاء بالرأي، وراج القياس في الأحكام والتفسير بالرأي لآيات القرآن المجيد، كما انتشرت أفكار التصوّف والاعتزال عن الحياة، وفصل الدين عن السياسة.

وأشغل الحكّام كثيراً من الناس بالجدل في المسائل العقلية التي لا فائدة فيها، وشجّعوا على إقامة مجالس المناظرة والجدل العقيم في ذات الله تعالى وفي الملائكة، وفي قدم القرآن أو حدوثة.

وهكذا كان للحكّام دور كبير في خلق المذاهب المنحرفة والتشجيع عليها، لا سيّما بعض المذاهب التي كانت تحمل شعار الانتساب إلى أهل البيت ﷺ كالكيسانية لغرض شق صفوف أتباع أهل البيت ﷺ الذين كانوا يستهدفون الواقع السياسي المنحرف.

الثورة الفكرية أساس الثورات

إن الثورة الفكرية هي أساس لأي ثورة أصيلة، فـ العلماء الذين يهدفون إلى إصلاح أي مجتمع فاسد، عليهم أولاً أن يصلحوا أو يغيروا المعتقدات الفاسدة التي تشيع في هذا المجتمع، فما لم يحصل التغيير الفكري لا يمكن توقع حصول إصلاحات جذرية في الجوانب العملية - (١).

لهذا فإن الثورة الثقافية والنهضة الفكرية الكبرى التي أحدثها الإسلام وقاد لواءها الأئمة الطاهرون عليهم السلام كانت من العمق في تجذرها، ومن السعة في انتشار أشعتها، بحيث لا يمكن إيقاف مدها.

إن القيام والاستعداد يجب أن يكون باعته إلهيا، والتفكر الذي يكون صادرا عن هذا الدافع له قيمة عالية، فالإخلاص في العمل عادة - وحتى في التفكير - هو الأساس للنجاة والسعادة والبركة.

وينبغي بـ الفكر - أن يكون بعيداً عن الغوغائية والفوضى، لأن التفكير وسط الضوضاء والغوغائية لا يمكنه أن يكون عميقاً، خصوصاً وأن عوامل الذاتية والتعصب في طريق الدفاع عن الاعتقادات الشخصية ستكون أشد فعلاً في التجمعات الأكبر.

فكان أول عمل إصلاحي يقوم به الأنبياء عليهم السلام هو تحطيم أطر التقييم الكاذبة تلك، واستبدالها بالتقييم الإلهية الأصيلة والقيام بـ ثورة ثقافية - أبدلوا أساس الشخصية ومحورها من الأموال والأولاد والثروة والجاه والشهرة القبلية والعائلة إلى التقوى والإيمان والعمل الصالح (٢).

والملفت للنظر أن محيط الجزيرة العربية كان قبل نزول التعاليم الإسلامية القرآنية السامية - بتأثير هيمنة القيم الظالمة - خاضعاً لأصحاب الأموال والكذبة

(١) الأمثل ج ٤ ص ٧١.

(٢) الأمثل ج ١٣ ص ٤٦٥.

من أمثال أبي سفيان وأبي جهل وأبي لهب. ولكن بعد ثورة القيم ظهر من نفس ذلك المحيط أمثال أبي ذر وعمار والمقداد (رض)^(١).

الفكر الرسالي والإصلاح

أهتم الإمام زين العابدين عليه السلام بنشر العلم الشرعي وتأصيل منهج الإسلام الأصيل منتهج أهل بيت النبوة صلى الله عليه وآله في المجتمع الإسلامي بمختلف انتماءاتهم من خلال ما قدمه من زاد تربوي وتعليمي، برؤى شرعية راسخة.

كما سعى جاهدا لتوحيد شتات الأمة على هذا المنهج السوي، بعيدا عن التحزب والتعصب، مستعينا على ذلك أولا بالله سبحانه وتعالى ثم مسترشدا بهدي النبي صلى الله عليه وآله وهدي آبائه الطاهرين عليه السلام من خلال است كتابه لنخبة من العلماء وطلبة العلم في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ومن ثم عمل على نشر ذلك الفكر الأصيل في شتى بقاع المعمورة من خلال كادر رسالي على مستوى عالٍ من الكفاءة. كان الفكر الرسالي الثوري الذي بثه الإمام زين العابدين عليه السلام يخاطب النخبة المثقفة، ويسعى لمخاطبة العقول وإثارتها، وترشيد العمل وتوجيهه، وتحريك القلوب، واستحثاث الهمم وشحذها، وهو في ذلك كله يهدف إلى بناء المسلم على العقيدة الصحيحة، والعلم الراسخ الواعي المنطلق من التأصيل الشرعي في مواقفه المهتدي بهدي كتاب الله العزيز وسنة رسوله وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم)، فضلا عن الاهتمام بالمبادئ التربوية التي تعين في توجيه الأمة وتصحيح مسارها، والتعريف بواقع المسلمين السياسي والاقتصادي والفكري، والمساهمة في حل مشكلاتهم، اضم إلى ذلك العمل على وحدة المسلمين تنبيههم، إلى خطورة المؤامرات التي تحاك ضدهم لأخذ الحيلة والحذر.

زين العابدين عليه السلام والفكر الرسالي

تتمثل أهمية الفكر الرسالي الذي عمل الإمام علي بن الحسين عليه السلام على نشره

(١) المصدر السابق: ج ١٣ ص ٤٦٥.

في اوساط الأمة الإسلامية في كونه مرجعاً إسلامياً لما يمثله من منهج إسلامي متوازن وعميق، ومصدراً ثرياً ونبعاً صافياً ينهل منه ابناء الأمة الإسلامية، ومادة خصبة في بناء الوعي والتعريف بواقع الأمة، أحد الأعمدة الراسخة في البناء الإسلامي.

ومنذ وجدت البشرية على الأرض، والصراع بين الحق والباطل، والخير والشر قائم لا ينقطع، والصدام بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان دائم لا يزول، وقلة هم الذين نصبوا أنفسهم للوقوف في وجه تيار المفاسد المندفعة التي تحط من قيمة الإنسان، وأنفقوا حياتهم وما يملكون من أجل أن يصعدوا بهذا الإنسان إلى القمة، وينقذوه من الضلال عن منهج الله، ومن الشهوات وعواقبها.

إن جوهر دعوة الإصلاح واحد لا يتعدد، وكل ما أمروا به من صالح العمل وما نهوا عنه من فاسده مرتبط بهذا الجوهر ارتباط النتيجة بالسبب، وجوهر هذه الدعوة هو إثبات وجود الله عز وجل، وإفراده بالعبادة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾^(١)، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٢).

ولقد كانت الوظيفة الأساس للأئمة الطاهرين (عليهم السلام) هي تبليغ الناس وإرشادهم إلى هذه الطريق التي سلكها أنبياء الله ورسله، وكانت هذه الوظيفة نتيجة تفاعل حي بين هذا الركب الكريم وبين المجتمعات التي عاشوا فيها، فقد برزت عناصر الإصلاح متمثلة بنماذج واقعية للعمل الصالح.

إن مهمة المصلحين الأولى هي التبليغ ودعوة الناس إلى هدي الله، وهذه المهمة العظيمة لا بد أن يرافقها وعي دائم ومتجدد بحاجات الناس وتغير أساليب مخاطبتهم، وقد استخدمت كل الوسائل المعروفة في مخاطبة الناس والتأثير في تحرير عقولهم، من خلال الخطب والمواعظ.

(١) النحل ٣٦.

(٢) الأنبياء ٢٥.

وقد بذل الإمام السجاد عليه السلام قصارى جهده في توعية الأمة الإسلامية ونصحها وفق خطوات مدروسة آتت اكلها على المدى البعيد، وقد تمثل ذلك في محاور أبرزها:

- تقويم الانحرافات وتصحيح الأخطاء.
- الدعوة إلى تنمية عوامل القوة في الأمة.
- بيان سبيل المفسدين وشبهاتهم والرد عليها.
- كما تكمن أهمية الفكر الرسالي في مدى تأثيره على واقع الساحة الإسلامية وما يترتب على ذلك من آثار ونتائج أبرزها:
- انه يمثل صوتاً من أصوات الحق في الأرض، ولساناً معبراً عن الإسلام كرسالة خاتمة تخاطب الناس - كل الناس - في الأرض - كل الأرض.
- انه يمثل بياناً يتضمن توضيح الأهداف والغايات التي يتطلع إليها المصلحون في قيادة الأمة لانتشالها من الواقع المتردي.
- وهي إذ تعتمد هذا السبيل فإنها تسترشد بالبيان القرآني، وأدب التعبير النبوي الذي وازن موازنة دقيقة بين دقة الخطاب وعمقه ووضوحه وبين سمو تعبيره وأخذه بمجامع القلوب والعقول معاً.
- انه يمثل منبراً للمنهج الإسلامي الأصيل، الذي كان امتداداً لمنهج الأنبياء والمرسلين، وسار عليه التابعون لهم بإحسان، من خلال التعرف على سنن الله في الأنفس والمجتمعات والتعامل مع القواعد الشرعية المستخلصة من المنهج القرآني.

- انه يمثل الخط الإسلامي القويم البعيد عن الغلو فهماً وتطبيقاً، والالتزام بالوسطية، وقوفاً عند قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(١)، كذلك يمثل الخط الملتزم بالدليل

الشرعي، والبعيد عن انتحال أهل الباطل وتأويلات الجهالة التي لا تستند إلى دليل صحيح.

مقومات الوعي الفكري

إن المتتبع لسيرة الإمام زين العابدين (ع)، في أقواله وأفعاله وتقرياته يجد أنه عمل على إعداد كادر رسالي يتميز بوعي فكري ناضج يقوم على مقومات وأسس متينة تمكنه من خوض غمار الحرب التي كان يخوضها (ع) ضد الظلم والظالمين، ويمكن أجمالاً أهم مقومات الوعي الفكري بالآتي:

١ - المعرفة بطبيعة عصره:

التنبه والمعرفة بشؤون عصره في طبيعته وظروفه وملاساته، لهذا نجد الإمام زين العابدين (ع) يؤكد على هذه المقوم فيقول: إن المعرفة بكمال دين المسلم تركه الكلام فيما لا يعنيه، وقلة المرء، وحلمه، وصبره، وحسن خلقه^(١). إذ يُعد ذلك مقوماً جيداً في أن تكون للرسالي رؤية واضحة في معرفة الحق تنأى به كثيراً عن الخوض في المبهمات التي تحصل نتيجة عدم وضوح الرؤية وغياب القدرة على التشخيص السليم، فلا يمكن أن نتصور كمالات الدين المسلم دون أن تكون هناك معرفة بطبيعة العصر الأمر الذي يدعوه إلى الوقوف على حقائق الأشياء يمنحه على التشخيص بشكل واضح.

٢ - القدرة على الفرز والتمييز:

- فيعرف حال كل شخص بحسن فراسته ويعلم وصف كل أحد بنور درايته ويميّز بين أهل الديانة وأهل الخيانة ويفرق بين صاحب السر والكتمان والإيمان وبين أهل الإذاعة والغدر والعدوان -^(٢).

وهو من الركائز الأساسية في بناء وعي فكري ناضج متكامل فهو ضروري

(١) البحار: ٢/ ١٢٩/ ١١ و ٧٨/ ٢٣٩/ ٧٨.

(٢) شرح أصول الكافي، المازندراني ج ٩ ص ١٣٢.

لئلا يقع فريسة الخداع والتضليل، فيكون صاحب بصيرة نافذة مكتته من التمييز الصائب يضيف إلى تصنيفاته صفة الرؤية الواضحة على خطى واثقة ينال به وعياً لا ينطلي عليه شيء ولا يداخله شك مما هو عليه من قناعات.

٣ - التوافر على الأدلة والبيانات:

ان الوعي الفكري المتميز لتلامذة وأصحاب الإمام زين العابدين (ع) والذي نجده ماثلاً في الآثار الشريفة لهو بحق دلالة واضحة على انهم كانوا من أصحاب الحجج والبراهين والشواهد المقنعة الذي لا ينطلق إلا من ثراء معرفي فذ.

٤ - الربط بين المقدمات والنتائج:

امتلك الرساليون - ممن ارتشف من نعيم نور الإمام علي بن الحسين (ع) - قدرة وفنا في الربط بين المقدمات والنتائج في الكثير من القضايا والمسائل التي نلمسها في آثارهم التي بين ايدينا، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على معرفة جيدة لمقدمات تلك المسائل فأدى بالنتيجة إلى استنتاجات ونتائج دقيقة، فلا تترك الأمور عندهم على عواهنها فيمسكون بخيط مثلاً ويتركون الخيوط الأخرى بل هم في سعي دؤوب جاهدين إلى قراءة معمقة تدل على باع واسع ونفس طويل.

٥ - معرفة المعيار:

وهذا ما نجده جلياً في منهجهم الرسالي بمختلف أبعاده رغم سعته وتنوعه فاتخاذ المعيار كان من أولوياتهم في التصنيف إذ يحاولون الابتعاد عن الأمزجة والأذواق الشخصية فهم مدركون أن الوعي الفكري بلا معيار لا يمكن أن يُعدَّ وعياً.

٦ - حرية الفكر واستقلالته:

لقد ترك الإمام زين العابدين (ع) بصمات واضحة على الفكر الرسالي جعله يبتعد بنفسه عن اغلال الانقياد والتبعية لغيره، فاكسب أصحابه وعياً فكرياً وإدراكاً عميقاً قادراً على التشخيص السليم.

٧ - الاختبار والتمحيص:

عمل الإمام زين العابدين (ع) على اعداد كوادر علمية لا تقف عند مستوى معين في فهم مادته المعرفية، فكانوا لا يكتفون بالانطباعات الأولى التي قد تكون قائمة على فهم موروث أو عاطفة جامحة بل نجدهم ذا عمق في منهجهم ينطلق من فهم لضرورة الوعي السليم.

٨ - المعرفة الاجتماعية:

ونعني بها المعرفة الدقيقة بوعي الجماعات فمعرفة الاشخاص وحدها لا تكفي في الحكم على مذهب جماعة أو عملهم فلا بد من الاطلاع على فكر الجماعات واساليبها وخططها واهدافها، وقد مكنهم هذا الوعي من إدارة دفة الأمور وقدرة التصنيف في تلك المجالات بشكل اعانهم كثيرا على معرفة المسؤوليات الدينية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية الملقاة على عاتقهم من جهة وعلى عاتق ابناء الأمة من جهة أخرى.

الإصلاح الفكري وبناء الإنسان

لقد شَرَّفَ الله الإنسان، وكرمه على سائر المخلوقات بنعمة العقل، وجعل ذلك مناطاً للأمر والتكليف، ولذا فليس غريباً أن يوجد في كتاب الله - عز وجل - عشرات الآيات، التي تدعو إلى التفكير والتعقل، والنظر في ملكوت الله سبحانه وتعالى، من مثل قوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَآخِثَاتِ الْبِلَاسِ وَالْهَارِ لَا يَتَرَأَوْا إِلَّا الْبَاسَ﴾^(١).

إن البيئة الاجتماعية والفكرية التي يعيش فيها الإنسان تؤثر تأثيراً بالغاً على تصورات وأفكاره، وهي التي تصنع في الغالب أطروحاته وهمومه. والأمة الإسلامية تعاني من فراغ مدهش، جاء نتيجة تخلف عقود متتابعة، وزاد في ترسيخه وتعميق

جذوره الغزو الثقافي الغربي، قبل الاستعمار وبعده. وإننا نعاني من أدواء عديدة في البيئة التي نعيش فيها، ومن ملامح ذلك على سبيل المثال:

- قصور بين في طريقة التفكير.
- قصور في نوعية المسائل التي يفكر فيها الإنسان، ويشغل نفسه بها.
- قصور في طريقة بحث الأفكار، ومناقشتها مع الآخرين.
- قصور في توظيف الأفكار في ميادين العمل والبناء.

إن بناء الإنسان المفكر القادر على التمييز والنظر من أصعب الصناعات التربوية، ولكنها في الوقت ذاته من أهم الصناعات. ومهما كثرت الضغوط، وتزايدت عليها المحن، وتكالب عليها الأعداء، وتشعبت بها دروب العمل، فيجب أن يكون ذلك من أولويات البناء والتكوين. حتى تضمن بفضل الله تعالى بقاءها وصلابتها من جهة، ونقاءها وسلامة توجهها من جهة أخرى. وإن غياب المنهج العلمي، وفقدان الضوابط الشرعية في الفهم، والتلقي، والعمل، يؤدي جزماً إلى هذا القصور والخلل. والنهوض بالأمة لن يكون إلا وفق الأسس والقواعد الشرعية، المبنية على الكتاب والسنة.

الإصلاح والثبات

إن الثبات على الدين مطلب عظيم ورئيس لكل مسلم صادق يحب الله ورسوله، ويريد سلوك طريق الحق والاستقامة بعزيمة ورشد، فـ «الطريق لمعرفة الدين والخلق الكريم واحد فقط، وهو الثبات على الحق عند الابتلاء، والتمسك به مهما تكن النتائج، فلقد كان إبليس مضرب المثل في الخشوع والعبادة، ثم انتهى أمره إلى ما انتهى حين امتحنه الله، وأمره بالسجود لآدم...»^(١).

والأمة الإسلامية اليوم أحوج ما تكون إلى الثبات خاصة وهي تموج بأنواع

(١) في ظلال نهج البلاغة، مغنية ج ١ ص ٥١.

الفتن والمغريات، وأصناف الشهوات والشبهات، فضلاً عن تداعي الأمم عليها، وطمع الأعداء فيها.

ومما لا شك فيه أن حاجة المسلم اليوم لعوامل الثبات أعظم من حاجة أخيه المسلم إلى ذلك في القرون السالفة؛ وذلك لكثرة الفساد وندرة الإخوان، وضعف المعين، وقلة الناصح والناصر.

ويمكن أن نجمل أهم عوامل الثبات بما يلي:

١ - صحة الإيمان وصلابة الدين:

إن الإيمان له قوته الإيجابية التي تعمل على تنمية المشاعر وتنقيتها، وأن القوة الإيمانية تترك بصماتها على الفرد والجماعة، وعلى سائر اتجاهات السلوك الإنساني، ومتى صح الإيمان ورسخت حللته في قلب المؤمن رزقه الله الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد، وكلما كان قوياً في إيمانه، صلباً في دينه، صادقاً مع ربه، كلما ازداد ثباته، وقويت عزمته. قال تعالى: ﴿مَنْ آتَمَنِينَ رِجَالًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (١)، وقال ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير» (٢).

٢ - تدبر القرآن والعمل به:

إن من حق القرآن علينا أن نتدبر معانيه، وأن نفهم مقاصده؛ ذلك أن القرآن هو كتاب الله الخالد، ومعجزة رسوله الباقية، ونعمته السابغة، وحكمته الدامغة، وهو ينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، أنزله الله على رسوله ﷺ لنقرأه تدبراً، ونأمله تبصراً، ونسعد به تذكراً، ونجتهد في إقامة أوامره ونواهيه، وعلماً تزداد البصائر فيه تأملاً فيزيدها هداية وثباتاً وتبصراً. قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ

(١) الاحزاب: ٢٣.

(٢) مسند أحمد، ج ٢ ص ٣٦٦.

فَوَادِّكَ وَرَتَّلْنَهُ تَرْتِيلاً ﴿١﴾، وقال: ﴿كَتَبَ أَرْزَلُهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَذَبَّ رَوْءَايَ وَيَسَدَّ كَرَأُولُوا
الْأَلْبَبِ﴾ (٢).

إن القرآن الكريم أعظم مصدر للتثبيت؛ لأنه يزرع الإيمان ويقوي الصلة بالله، كما أنه العاصم من الفتن وكيد الشيطان وغوايته، كما أنه يزود المسلم بالتصورات والقيم الصحيحة التي يستطيع على ضوئها أن يُقَوِّمَ الأوضاع التي من حوله، تقيماً صحيحاً، كما أن القرآن بما اشتمل عليه من أحكام وأصول وقواعد وحكم وقصص، يرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين ومن سار على دربهم.

فإن علم ذلك كله لزم على من أراد الثبات في الدنيا والآخرة، والفوز بالنعيم المقيم، أن يتخذ القرآن سميره وأنيسه، وأن يجعله رفيقه وجليسه على مر الليالي، وتتابع الأيام، فلا يقتصر على النظر فيه، بل يحمل نفسه على العمل به.

٣ - الصبر والتصبر عند نزول المصائب والمحن:

إن الصبر من أجل صفات النفس وأعلاها قدراً، وأعظمها أثراً، فالصبر من أعظم الأمور والعوامل المعينة على الثبات؛ ذلك أن الصبر هو حبس النفس عن الجزع، واللسان عن الشكوى، والجوارح عن التشويش؛ فالصبر إذن أعظم مظهر من مظاهر الثبات، ولقد أمرنا الله تعالى به فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٣)، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤).

٤ - اليقين، والرضا بقضاء الله وقدره:

اليقين والرضا بقضاء الله وقدره من أعظم الأسباب المعينة على الثبات؛ ذلك

(١) الفرقان: ٣٢.

(٢) ص: ٢٩.

(٣) البقرة: ١٥٣.

(٤) آل عمران: ٢٠٠.

أن اليقين هو جوهر الإيمان، وإن مما لا شك فيه أن اليقين، والرضا والتسليم لقضاء الله وقدره من أقوى الدعائم والعوامل المعينة على الثبات.

٥ - التزام شرع الله والعمل الصالح:

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(١).

٦ - الذكر والدعاء:

الذكر هو حياة القلوب، فهو من أعظم أسباب التثبيت في الجهاد وغيره. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ فَعَلُوا فَاثِمَتُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِكِرِ يَكُ اللَّهُ كَثِيرًا وَالَّذِكِرِ يَكُ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣).

٧ - الاستعانة بالله وحسن الظن به:

إن الاستعانة بالله وحسن الظن به وإخلاص العبادة له، من أقوى الأسباب المعينة على تثبيت الله لعبده بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

٨ - الصحبة الصالحة، والأخوة الصادقة:

إن الصحبة الصالحة والأخوة الصادقة من أعظم الأمور المساعدة على الثبات على الدين والاستقامة عليه؛ إذ المؤمن الصادق يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وهو مرآة له.

ثورة الكلمة

تساهم الكلمة إلى حد بعيد في إحياء النفوس، وبخاصة إذا ما تسربت إلى

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) الانفال: ٤٥.

(٣) الاحزاب: ٣٥.

القلوب فاستقرت فيها.. فالكلمة الصادقة الصادرة من القلب تثير عواطف النفوس، وتحيي موات القلوب، وتدفع إلى التغيير.

وافتقاد الكلمة الصادقة وأدب الحوار من الأمور التي تُفقد الثورات روحها وتأثيرها، وتؤدي بالمجتمعات إلى التفكك والانحيار.

وإذا ما جئنا إلى القرآن الكريم نراه يؤسس لمسؤولية الكلمة فيقول عز وجل: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾^(١)، وهذا من أدب الكلمة بين المرء وأخيه إذ أنه سبحانه يدفع عباده دائماً ليقولوا التي هي أحسن، وأن يتخلقوا بالقول اللين، فنجد سبحانه يأمر موسى وهارون عليهما السلام وهما مرسلان إلى أعتى الطواغيت، أن يتخلقا به فيقول: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(٢)، فمن أدب الكلمة أن تعرف وتحسن كيف تدعو.

ثم الله سبحانه يوجه رسوله ﷺ ذلك التوجيه الكريم، ولمن كان يرجو الله واليوم الآخر في رسول الله ﷺ أسوة حسنة. فيقول سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٣)، وعلى هذا المعنى يؤكد الإمام زين العابدين عليه السلام محذراً أصحابه وشيعته: لا تحقر اللؤلؤة النفيسة أن تجتلبها من الكبا الخسيسة، فإن أبي حدثني قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إن الكلمة من الحكمة لتتلجلج في صدر المنافق نزاعاً إلى مظانها حتى يلفظ بها، فيسمعها المؤمن فيكون أحق بها وأهلها فيلقفها^(٤).

نعم، فاللسان هو وسيلة البيان، ووسيلة البلاغ. وينبغي على المصلح المبلغ عن الله أن يجمع كل سنن التأثير في النفس البشرية.. سنة العمل: فلا يخالف قوله عمله، وسنة القدوة: فيكون هو النموذج العملي للمنهج، وسنة المنفعة: وهو تأليف القلوب وإقامة الحجة.

(١) الاسراء: ٥٣.

(٢) طه: ٤٤.

(٣) النحل: ١٢٥.

(٤) البحار: ٧٨/٣٠٧/١.

أدب الحوار:

قاد الإمام زين العابدين (ع) ثورة في أدب الحوار استلهمت أسسها من الأدب القرآني الرفيع فكان له أثره الواضح على الساحة العلمية في المجتمع الإسلامي، ويمكن ان نقف على أهم الملامح من خلال الآتي:

١ - مراعاة تفاوت الناس في عقولهم وثقافتهم:

فالعالم بما عند الطرف الآخر من علم وثقافة يعين على اختيار الأسلوب والمعلومات التي تناسب عقله وحصيلته العلمية، فتحديث الناس بما يعقلون أمر مهم في الحوار لأن عدم مراعاة ذلك يحصل بسببه فتنة وتشويش للطرف الآخر ينعكس أثره على إيجابية الحوار.

٢ - البيان وحسن العرض:

إن قوة التعبير وفصاحة اللسان وحسن البيان والعرض من العوامل في إيضاح الفكرة وأدلتها، ومما يكون له أكبر الأثر على قبول الطرف الآخر للفكرة، وإقناعه بحسن الاستدلال عليها، وهنا يجب تجنب الألفاظ الغريبة صعبة الفهم أو الألفاظ المجملّة التي تحتل عدة معانٍ من غير توضيح للمعنى المراد منها.

٣ - البدء بمواطن الاتفاق والنقاط المشتركة:

إن البدء بنقاط الاتفاق لدى الطرفين كالمسلمات والبديهيات وغيرها من الأمور المتفق عليها كل ذلك يقلل الفجوة ويوثق الصلة بين الطرفين ويحسن كل منهما أن هوة الخلاف قليلة، وهذا له مردوده النفسي في الحوار وبالتالي فإن البدء بنقاط الخلاف يوسع فجوة الخلاف ولو من الناحية النفسية.

٤ - الأصالة الفكرية:

إن الأصالة الفكرية في مجال البحث عن الحق وتعليمه، تلتقي مع متانة الخلق، وبراءة النفس من العقد والعلل.. والثروة الطائفة من الثقافة تورث النفس رحابة تشبه الرحابة التي يورثها الإيمان الخالص النقي.

ذلك أن الحصيلة العلمية الضخمة تجعل صاحبها بعيد منادح النظر، وتجعله يعرف عن خبرة - آراء معارضية، وكيف تكونت هذه الآراء، ومدى ما للملابسات المختلفة من عمل في تكوينها^(١).

ظروف الحوار والمتحاورين

١ - مراعاة الجو المحيط بالحوار: ويقصد بالجو هنا الجو النفسي والمؤثرات المحيطة بالحوار وذلك كما في الآية الكريمة^(٢) حيث يوجه الله عز وجل طلاب الحق أن يبتعدوا عن الأجواء الجماعية والغوغائية لأن الحق قد يضيع في مثل هذه الأجواء حيث التقليد الأعمى والتبعية للأكثرية بينما لو قام الإنسان مع نفسه أو مع شخص آخر للتفكير حول قضية ما فإنه أقرب إلى إصابة الحق منه في الاجتماعات الكبيرة ويقدر ما يقل المتحاورون أو السامعون في الحوار بقدر ما ينقاد إلى الحق عند ظهوره.

٢ - مراعاة الظرف النفسي والاجتماعي للطرف المحاور أو المحاور:

فلا يصلح أبداً أن يتم الحوار مع شخص يعاني من الإرهاق الجسدي لتعب أو حاجة لنوم أو بسبب جوع أو يعاني من إرهاق نفسي كههم أو غم أو حزن لأن هذه الظروف لا بد أن تؤثر حتماً على الحوار إما بتره قبل تمامه أو حدوث انفعالات وغضب وتوتر يؤدي بالحوار إلى الفشل الذريع.

٣ - ينبغي اجتماع أصحاب الحوار في مكان واحد وتقابلهما فيه وأن ينظر بعضهم للآخر لأن رؤية الوجوه والملامح له أثر في قوة الحجة أو ضعفها وفي هذه الحالة لا تصلح المراسلات للحوار.

٤ - مراعاة الآداب الإسلامية، والذي يكون له مردوده النفسي على أطراف الحوار وسلامة قلوبهم وصفائهم، والانقياد للحق عند ظهوره، كحفظ اللسان عما يسوءه من الألفاظ، وعدم السخرية برأيه، والتلطف في العبارات أثناء الحوار، فبعض

(١) المختصر النافع، المحقق الحلي: ٥.

(٢) النحل: ١٢٥.

العبارات قد تفتح مغاليق النفوس وهي يسيرة على من يسرها الله عليه من الكلمة الطيبة التي تقرب النفوس وتزيل الجفوة وتهيئ النفوس لاستقبال الحق.

٥ - التحدي والإفحام: وهذا الأسلوب يلجأ إليه المباحكين الذين همهم الجدل والاستهزاء وإثارة الشبه وتضليل الناس فمثل هؤلاء لا ينفع معهم اللين والرفق وإنما الذي ينبغي في حقهم إفحامهم ومناظرتهم على الملأ الذين قد ضلل بسببهم وذلك حتى تدحض حججهم وتسقط هيبتهم من النفوس وتبين وهن فكرتهم واضطرابها. لكن ينبغي لمن أراد مناظرتهم أن يكون على مستوى من العلم والذكاء والشجاعة بحيث لا يؤتى من قبل قلة علمه أو سطحيته أو نحو ذلك.

٦ - المحافظة على هدف الحوار والوصول إلى نتيجة:

تحديد هدف الحوار قبل الدخول فيه أمر مهم والمحافظة على الهدف أثناء الحوار أيضاً أمر مهم لأن ذلك يحافظ على التركيز وعدم الخروج عن موضوع الحوار بمناقشة جزئيات أو أمور جانبية بعيدة عن موضوع الحوار مما يكون له الأثر في ضياع الوقت وعدم الوصول إلى نتيجة في آخر الأمر.

جهاد الكلمة

يمثل أفضل الجهاد؛ لما للكلمة من تأثير في تغيير المجتمعات، فجميع الحركات التي حدثت في التاريخ كان للكلمة المكانة الأوفر في إحداث تلك التغيرات، وقد وجه

الرسول ﷺ الأمة إلى أهمية جهاد الكلمة، وأعطاه المنزل الرفيعة؛ حيث إن لها دوراً مؤثراً وفاعلاً في تغيير المجتمعات، وتحويلها من مجتمعات مسلوطة الإرادة إلى مجتمعات حية متفاعلة، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتردع الظالم، وتمنع الظلم أن يكون له مرتع في كيان الأمة.

ومن تلك الأحاديث الموجهة لجهاد الكلمة قوله ﷺ: «أحب الجهاد إلى الله:

كلمة حق يقال لإمام جائر^(١)، وقوله: «أفضل الجهاد: كلمة عدل عند سلطان جائر»، وقوله: «أفضل الشهداء رجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»^(٢).

ومن جملة هذه الأحاديث يتضح ما للكلمة من مكانة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتبط أشد الارتباط بالجهاد من خلال الكلمة الصادقة الجريئة، بل إن لها دوراً أكثر تأثيراً على تغيير المجتمعات وإصلاح أحوالها.

أهمية الجهاد بالكلمة:

إن قيمة جهاد الكلمة وبلوغ ممارستها منزلة سيد الشهداء في سبيل الله كما أخبر بذلك الرسول ﷺ إنما تعود إلى الأمور التالية:

١ - أن الكلمة الشجاعة القوية تعرض صاحبها للمخاطر والمهالك؛ لأن المجاهد في الميدان ضد الكفار يجاهد في معركة جلية، وهو بين احتمالين: نصر وعزة في الدنيا، أو شهادة يذوق فيها الموت مرة واحدة، أما مجاهد الكلمة: فهو فرد أعزل أمام سلطة ذات بأس شديد، واحتمال هلاكه أكثر من سلامته.

٢ - المجاهد بالكلمة الصادقة في معركة خفية مبهمة عند الناس، ولا سيما في زمن انتشار البدع وضعف الإسلام وقلة حماة.

٣ - إن مجاهد الكلمة معرض للفتنة أكثر من مجاهد السلاح واليد، والنجاة من الفتنة أشق؛ لأن فتنة التعذيب والسجن قد تسبب الانهيار العصبي والكآبة، فقد ينقلب من صف المصلحين إلى نقيضهم.

ومن هنا: ندرك مغزى ورود نصوص الجهاد والأمر بالمعروف، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

(١) مسند أحمد، ج ٥ ص ٢٥١.

(٢) الترغيب والترهيب ٣: ٢٢٥.

(٣) آل عمران: ١٠٤.

إن جهاد الكلمة لا يمكن أن يحقق هدفه في إزالة المنكر وأشاعة المعروف إلا إذا تعاون المجتمع كله تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(١).

إن من المفاهيم الخاطئة حول جهاد الكلمة عند بعض الناس: تحميل العلماء فقط كل مسؤولياتهم ليريحوا أنفسهم من عناء المجاهدة، والرسول ﷺ لم يشترط أن يكون قائل كلمة الحق والعدل فقيهاً مجتهداً أو عالماً أو مفكراً أو طالب علم؛ لأن قول كلمة الحق واجب عام على الخاصة والعامة، كل بحسب حاله، والشرعية لم تشترط أن يكون المجاهد بالكلمة والأمر بالمعروف عالماً، وإنما يُشترط أن يكون الأمر بالخير على بصيرة فيما يأمر به، عالماً بالحكم الشرعي فيما يأمر به أو ينهى عنه. إن مفهوم السلطان الجائر كما جاء في الأحاديث يشمل كل متسلط لا تتوافر فيه العدالة والكفاية والعدل والمشاورة.

فعبارة (السلطان الجائر) تتضمن أمرين:

الأول: السلطة التي يخضع لها رغبة فيها أو رهبة منها، فكل من خافه الناس ورجوه فهو سلطان.

والثاني: الجور، وكل من حاد عن الطريق المستقيم فهو جائر، وكل جائر لا يتوقع منه المعاملة بالعدل والإنصاف.

مواقف ثورية

١ - خطبة زين العابدين (ع) في الكوفة

قال الطبرسي: قال حذيم بن شريك الأسدي: خرج زين العابدين (ع) إلى الناس وأومى إليهم أن اسكتوا فسكتوا، وهو قائم، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه، ثم قال:

أيها الناس: من عرفني فقد عرفني! ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين المذبوح بشطّ الفرات من غير ذحل ولا ترات، أنا ابن من انتهك حريمه، وسلب نعيمه واتهب ماله، وسبي عياله، أنا ابن من قتل صبراً، فكفى بذلك فخراً.

أيها الناس، ناشدtkم بالله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخذعتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة؟ ثم قاتلتموه وخذلتموه فتباً لكم ما قدّمتم لأنفسكم وسوءاً لرأيكم، بأيّة عين تنظرون إلى رسول الله ﷺ إذ يقول لكم: - قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي، فلستم من أمّتي -؟

قال: فارتفعت أصوات الناس بالبكاء، ويدعو بعضهم بعضاً: هلكتم وما تعلمون.

فقال علي بن الحسين ﷺ: رحم الله امرءاً قبل نصيحتي، وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله، وفي أهل بيته، فإنّ لنا في رسول الله أسوة حسنة.

فقالوا بأجمعهم: نحن كلّنا يا ابن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لزامك، غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك رحمك الله فإنّنا حرب لحربك وسلم لسلمك، لناخذنّ تركك وترتنا، ممّن ظلمك وظلمنا.

فقال علي بن الحسين ﷺ: هيهات! أيها الغدرة المكرة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلى آبائي من قبل كلاً وربّ الراقصات إليّ منّي، فإنّ الجرح لمّا يندمل! قتل أبي بالأمس وأهل بيته معه، فلم ينسني ثكل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وثكل أبي وبني أبي وجدّي شقّ لها زمي ومرارته بين حناجري وحلقّي، وغصصه تجري في فراش صدري. ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا.

ثم قال ﷺ:

لا غرو إن قتل الحسين وشيخه
فلا تفرحوا يا أهل كوفة بالذي
قد كان خيراً من حسين وأكرما
أصيب حسين كان ذلك أعظما

قتيل بشطّ النّهر نفسي فداؤه جزاء الذي أرداه نار جهنّم^(١)

٢ - خطبة زين العابدين (ع) مجلس يزيد

قال الخوارزمي: (وروى) أنّ يزيد أمر بمنبر وخطيب، ليذكر للنّاس مساوئ للحسين وأبيه عليّ (عليه السلام)، فصعد الخطيب المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وأكثر الواقعة في عليّ والحسين، وأطنب في تقيّظ معاوية ويزيد، فصاح به عليّ بن الحسين: ويلك أيّها الخاطب! اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق؟ فيتبوّأ مقعدك من النّار. ثمّ قال:

يا يزيد ائذن لي حتّى أصعد هذه الأعواد، فأتكلم بكلمات فيهنّ الله رضا، ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب، فأبى يزيد، فقال النّاس: يا أمير المؤمنين ائذن له ليصعد، فلعلنا نسمع منه شيئاً.

فقال لهم: إن صعد المنبر هذا لم ينزل إلّا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان، فقالوا: وما قدر ما يحسن هذا؟ فقال: إنّ من أهل بيت قد زقوا العلم زقاً. ولم يزلوا به حتّى أذن له بالصعود، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه، ثمّ خطب خطبة أبكى منها العيون، وأوجل منها القلوب، فقال فيها:

(أيّها النّاس أعطينا ستّاً، وفضّلنا سبع: أعطينا العلم، والحلم والسّماحة والفصاحة، والشّجاعة، والمحبّة في قلوب المؤمنين، وفضّلنا بأنّ منّا النّبيّ المختار محمداً (صلى الله عليه وآله) ومنّا الصّديق ومنّا الطّيّار، ومنّا أسد الله وأسد الرّسول، ومنّا سيّدة نساء العالمين فاطمة البتول، ومنّا سبطا هذه الأمتة وسيّدا شباب أهل الجنّة؛ فمن عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي: أنا ابن مكّة ومنى أنا ابن زمزم والصفّا، أنا ابن من حمل الزّكاة بأطراف الرّداء، أنا ابن خير من انتزّر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حجّ ولبيّ، أنا ابن من حمل على البراق في الهوا، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى

(١) الإحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٢٩، ومثير الأحزان لابن نما الحلبي: ٦٩.

المسجد الأقصى، فسبحان من أسرى، أنا ابن من بلغ به جبرائيل إلى سدره الممتهى، أنا ابن من دنى فتدلى فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى؛ أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا لا إله إلا الله، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وباع البيعتين، وصلى القبلتين، وقاتل ببدر وحنين؛ ولم يكفر بالله طرفه عين، أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين، ورسول رب العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، والمجاهد أعداء الناصبين، وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله من المؤمنين، وأقدم السابقين، وقاصم المعتدين ومبير المشركين، وسهم من مرأى الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، ناصر دين الله، وولي أمر الله، وبستان حكمة الله، وعيبة علم الله، سمح سخي، بهلول زكي أبطحي، رضي مرضي، مقدم همّام، صابر صوّام، مهذب قوام، شجاع قمقام، قاطع الأصلاب، ومفرّق الأحزاب، أربطهم جناناً، وأطلقهم عناناً، وأجرأهم لساناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدّهم شكيمة، أسد باسل، وليث هائل، يطحنهم في الحروب - إذا ازدلفت الأسنة، وقرت الأعنة - طحن الرّحى، ويذروهم ذرو الرّيح الهشيم، ليث الحجار، وصاحب الاعجاز؛ وكبش العراق، الإمام بالنّص والاستحقاق، مكّي مدني، أبطحي تهامي؛ خيفي عقي؛ بدري أحدي؛ شجري مهاجري؛ من العرب سيدها؛ ومن الوغى ليثها؛ وارث المشعرين؛ وأبو السبطين: الحسن والحسين، مظهر العجائب، ومفرّق الكتائب والشّهاب الثاقب والتور العاقب، أسد الله الغالب، مطلوب كلّ طالب، غالب كل غالب؛ ذاك جدّي علي بن أبي طالب؛ أنا ابن فاطمة الزّهراء؛ أنا ابن سيّدة النّساء، أنا ابن الطّهر البتول، أنا ابن بضعة الرّسول).

قال: ولم يزل يقول أنا أنا حتّى ضجّ الناس بالبكاء والنّحيب؛ وخشي يزيد أن

تكون فتنة، فأمر المؤذن أن يؤذن فقطع عليه الكلام وسكت؛ فلما قال المؤذن الله أكبر! قال علي بن الحسين: كبرت كبيراً لا يقاس، ولا يدرك بالحواس، لا شيء أكبر من الله، فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله! قال علي: شهد بها شعري، وبشري، ولحمي ودمي ومُخِّي وعظمي، فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله! التفت علي من أعلى المنبر إلى يزيد وقال: يا يزيد! محمد هذا جدِّي أم جدك؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وإن قلت إنه جدِّي فلمَ قتلت عترته؟ قال: وفرغ المؤذن من الأذان والإقامة. فتقدم يزيد وصلى صلاة الظهر^(١).

٣ - خطبة زين العابدين (ع) في المدينة

فلما وصل زين العابدين (ع) إلى المدينة نزل وضرب فسطاطه وانزل نساءه وأرسل بشير بن حدلم لاشعار أهل المدينة بآيابه مع أهله وأصحابه فدخل، وقال:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها * قتل الحسين فأدمعي مدرار

الجسم منه بكر بلاء مضر ج * والرأس منه على القناة تدار

ثم قال هذا علي بن الحسين (ع) قد نزل بساحتكم وحل بعقوتكم وأنا رسوله أعر فكم مكانه فلم يبق في المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزت وهن بين باكية ونائحة ولا طمة فلم ير يوم أمر على أهل المدينة منه وخرج الناس إلى لقائه وأخذوا المواضع والطرق قال بشير فعدت إلى باب الفسطاط وإذا هو قد خرج ويده خرقة يمسح بها دموعه وخادم معه كرسي فوضعه وجلس وهو مغلوب على لوعته فعزاه الناس فأومى إليهم أن اسكتوا فسكنت فورتهم. فقال:

«الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين بارئ الخلائق أجمعين الذي بعد فارتفع في السماوات العلى وقرب فشهد النجوى نحمده على عظام الأمور وفجائع الدهور وجليل الرزء وعظيم المصائب أيها القوم ان الله وله الحمد ابتلانا بمصيبة

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٠٤، بتفاوت، والاحتجاج ج ٢ ص ٣٨، ولواعج الأشجان: ٢٣٤.

جليلة وثلمة في الإسلام عظيمة قتل أبو عبد الله وعترته وسبى نسائه وصبيته وداروا برأسه في البلدان من فوق عالي السنان أيها فأي رجالات منكم يسرون بعد قتله أم أي عين تحبس دمعها وتضن عن انهمالها فلقد بكى السبع الشداد لقتله وبكت البحار والسموات والأرض والأشجار والحيتان والملائكة المقربون وأهل السموات أجمعون.

أيها الناس أي قلب لا ينصدع لقتله أم أي فؤاد لا يحن إليه أم أي سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام أيها الناس أصبحنا مطرودين مشردين مذودين شاسعين كأننا أولاد ترك أو كابل من غير جرم اجترمناه ولا مكروه ارتكبناه ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ان هذا إلا اختلاق والله لو أن النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاة بنا لما زادوا على ما فعلوه فإننا لله وإنا إليه راجعون».

فقام إليه صوخان بن صعصعة بن صوحان وكان زمينا فاعتذر إليه فقبل عذره وشكر له وترحم على أبيه^(١).

(١) مشير الأحزان: ٩٠ - ٩١، اللهوف: ٧٦ - ٧٧.

المبحث الرابع

الثورة العلمية

عرفت الساحة الإنسانية بوجه عام والإسلامية خاصة شخصيات تاريخية تكاد لا تجد لها نظيراً ساهمت بعطائها في ردف الحياة وبنائها، وكان أحد هذه الشخصيات الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) حيث أفاض على المجتمع الإسلامي من صنوف العلم والمعرفة النظرية والعملية الشيء الكثير فأفادها دهرًا طويلاً ساهم في بلورة الفكر الديني الأصيل ونضوجه وتهيئة الأرضية المناسبة لمواجهة تيارات الانحراف والالحاد التي منيت بها الأمة بعد شهادة الإمام الحسين (عليه السلام).

إن ما بذله الإمام زين العابدين (عليه السلام) من جهود جعلت النظام الإسلامي يتكئ على أرضية فكرية وعقائدية صلبة مستمدة قوتها من كتاب الله المجيد وسنة نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام)، فالمتتبع لسيرته الطاهرة (عليه السلام) في قوله وفعله وتقريره يجد عمقا فكرياً وعلمياً وجهادياً منقطع النظير استطاع فيه أن يستوعب النظرية الإسلامية محدثاً نقلة نوعية في مسيرتها الفكرية والثقافية بعد أن تعرضت لابسع صنوف التحريف والانحراف.

أهمية العلم

يرتبط تطور المجتمعات وازدهارها بمدى امتلاك أفرادها للثقافة الذي بدوره يقود

بالضرورة على درجة من الوعي المرتبط بمستواه التعليمي، وبالتالي فهو إنسان إيجابي ومثمر لأنه قادر على توظيف المعطيات الأولية بشكل بناء ولخير الصالح العام.

ويهدف التعليم للتغيير الإيجابي وبصورة أشمل فهو يهدف لتهيئة الإنسان فكرياً أي أن يتعلم الإنسان كيف يفكر بشكل منهجي.

والتعليم يتناسب مع الفطرة السليمة للعقل البشري إذ هو ذو طبيعة تركيية فهو يبحث ويسأل ويقارن ويحلل ولا يمكن أن يتخلى عن هذا الدور ما لم يكن يعاني من عجز خلقي أو تشبیط موجه.

كما تنبع أهمية التعليم من الحاجة الملحة للعلم بمفهومه الواسع الشامل لبناء المجتمع النموذجي، إذ يقع عليه مهمة توجيه الجيل وتسليحه بالأدوات الصحيحة، والوسائل الفعالة، التي تضمن نجاح مسيرة التغيير المفوضية إلى الإصلاح، وإلى تلك الأهمية يشير الإمام الصادق عليه السلام قال: «من علم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً ومن علم باب ضلال كان عليه مثل أوزار من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً»^(١).

فالتعليم ضرورة اجتماعية يساهم في إنجازات المجتمع ودفع نهضته، كما يعمل على إزالة الكثير من الفوارق والأمراض الاجتماعية التي كانت ترجع بالسوء على بنية المجتمع، فيجعل جميع أفراد الأمة يشعرون بذواتهم، ويقدرّون إمكاناتهم وحقيقتهم في الوجود، وكما يعزز الثقة الجماعية بالنفس.

خطوات في مجال التعليم

ان اهتمام الإمام زين العابدين عليه السلام بمسألة العلم والتعلم تدل دلالة واضحة على تعامله معهما على أنها سمة جوهرية وقيمة عليا يتميز بها الإنسان لذا نراه يعطيها المقام الرفيع والمنزلة العالية.

ويمكن لنا ان نتخذ من الإمام زين العابدين عليه السلام أسوة في المجال التعليمي

فنحذوا حذوه، ومن تلك الخطوات التي ينبغي الأخذ بها في نظر الاعتبار في سبيل تحسين الواقع التعليمي والارتقاء به هي:

- الاهتمام بالطفل تربوياً وسلوكياً ونفسياً واجتماعياً، فهم نواة المستقبل ومسئولية الأمة حتى ينضجوا.

- الاهتمام الجدي والمدرّس بتعليم الطفل وتعديل المناهج لتكون ملائمة لعقلية الطفل.

- إعادة وضع المناهج التعليمية، بحيث تكون حافزاً على التفكير وليست مجرد معلومات جاهزة تؤخذ كما هي.

- التركيز على جلسات الحوار والمناقشة الودية بين الأستاذ وتلاميذه.

- تشجيع الابتكارات.

- قيام علاقة ودية بين الأستاذ وطلابه.

- الابتعاد عن التلقين في كافة مراحل التعليم.

- التركيز على بناء الشخصية وتدعيم استقلالية الطالب.

- الاهتمام بالبحوث التربوية والإكثار منها.

- وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

- مراعاة أن تكون المناهج تساعد في صقل شخصية الفرد المسلم وأن تعمق ارتباطه بعقليته بشكل واعي وصحيح.

- عدم التسرع في النواحي التربوية فالخطأ فيها قد يقضي على أجيال كاملة.

- تأهيل المشرفين والترحيب بالمخلصين والمتحمسين لأنهم هم الذين يدفعون بصدق حركة التعليم للأمام.

- العمل على تحسين المكانة الاجتماعية للمعلمين وليس هذا الأمر بعسير.

- إيجاد الدافع والرغبة في التعلم.

- إتاحة الفرصة.
 - تقديم الإرشاد فيما يتعلم.
- فالدافع من أهم العوامل التي تساهم في التربية بوجه عام والتعلم بوجه خاص، فالتعليم الناجح هو التعليم القائم على إشباع دوافع التلاميذ وحاجاتهم، وكلما كان الدافع قوياً زادت فاعلية التعليم أي مثابة المتعلم عليه واهتمامه به، ويتسم السلوك الصادر عن الدافع بالنشاط والاستمرار.
- وللدوافع ثلاث وظائف في عملية التعلم هي:
- أ - أنها تضع أمام المتعلم أهدافاً معينة يسعى لتحقيقها.
 - ب - تمد السلوك بالطاقة وتثير النشاط.
 - ج - تساعد على تحديد أوجه النشاط المطلوبة لكي يتم التعلم وتستغل هذه الدوافع من قبل المربين بعد معرفة شخصية كل متعلم.

الثورة العلمية

ازداد الانحراف الذي مني به المجتمع الإسلامي - خصوصاً - بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام، ومما زاد في تفاقم الأمور تعرض الأمة الإسلامية لخطر كبير هدد البنية الفكرية التي تركز عليها وهو خطر الانفتاح على الثقافات المتنوعة، والذي قد ينتهي بالأمة إلى التميع والذوبان وفقدان أصالتها، فكان لا بد من التصدي لهذا الخطر مما يتطلب عملاً من سنخ طبيعة هذا العدو أي لا بد من عمل علمي يؤكد للمسلمين أصالتهم الفكرية وشخصيتهم التشريعية المتميزة المستمدة من كتاب الله المجيد وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله ليستعيد المسلم ثقته بنفسه ودينه ومنظومته الإسلامية، الأمر الذي يتيح تأصيل الشخصية الإسلامية وتدرعها بسلاح الثقافة السليمة الذي يمكنها من مواجهة الاخطار الفكرية، وذلك من خلال زرع بذور الاجتهاد.

مقومات الثورة العلمية

عمل الإمام زين العابدين عليه السلام على ترسيخ جملة من المقومات كخطوات

- جادة على صعيد المجال الثقافي والتعليمي بغية اعداد كوادر رسالي تحمل على عاتقها هموم الأمة ومعاناتها، ومن تلك المقومات:
- الحث على طلب العلم والتفقه في الدين، لما له من دور في الوصول إلى الحق والتقرب به إلى الله تعالى.
 - بيان فضل العلماء والتأكيد على دورهم في بناء الأمة ومواجهة التحديات.
 - التشديد على الاخلاص في طلب العلم، وضرورة اتصاف العلماء وطلبة العلم بمؤهلات نفسية وأخلاقية للخوض في ميادين العلم والمعرفة.
 - السعي إلى نشر العلوم والمعارف الدينية وعدم قصر ذلك على فئة من المجتمع دون غيرهم بل لا بد ان يكون العلم مبذلاً مكفولاً للجميع، فضلاً عن التشجيع في طلب العلم والترغيب فيه من خلال بيان فوائده وآثاره على الحياة.
 - تحذير المجتمع من البدع والخرافات والتيارات المنحرفة التي غزت الأمة الإسلامية وأخذت تتسرب إلى الفكر الديني متزينة بلباس الدين، فينبغي الحذر كل الحذر من الوقوع في افخاخ ومزالق هؤلاء.
 - التأكيد على الاصاله العلمية وضرورة ان تكون المعارف مستقاة من منبع أصيل في ارتباطه بشريعة السماء.
 - التأكيد على المرجعية الدينية لأهل البيت عليه السلام وانها مرجعية جاءت بتنصيب رباني وتشريع إلهي، فهي تختلف عن باقي المرجعيات المطروحة على الساحة العلمية والسياسية، فهم ورثة الانبياء وعيبة علمه لا ينطقون عن الهوى فعلمهم مستمد من علم سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله ﷺ. وقد أثبت الواقع أهليتهم عليه السلام للمرجعية العلمية العامة للمسلمين جميعاً، فكانوا مقصد العلماء من جميع أمصار العالم الإسلامي.
 - العمل على ترسيخ الاسس العلمية والدينية التي قامت عليها مدرسة أهل

البيت ﷺ وبذل الجهد في توسيع فروعها وتقنين علومها. فكانت مدرسة المدينة التي كان يشرف عليها الإمام زين العابدين ﷺ مباشرة، ويتتقى منها الفقهاء ليوصلوا حمل العلم ونشره.

وكانت أساليب الإمام الثقفية متنوعة، بعضها ذو طابع فردي والآخر ذو طابع جماعي. كما كان التثقيف يتم عن طريق التدريس، وأخرى عن طريق الرسائل والوصايا.

المواجهة العلمية

لقد سعى الإمام العابدين ﷺ جاهداً إلى تحرير الأمة الإسلامية من نير الظلم والاستبداد تحرير العقول والقلوب قبل الاجسام والاجساد ففرى انه ومن خلال عبقرية العلمية عمل وبشكل دائم على استنهاض الطاقات العقلية لأجل خلق بيئة قائمة على تمكين الفرد المسلم من الاستفادة من امكاناته الفكرية التي من بها الله تعالى عليه.

فعمل الإمام علي بن الحسين ﷺ على تهويد الفكر المنحرف واضعافه من خلال تصديده لرؤوس الفتنة والانحراف كالحزب الأموي والخوارج والمنافقين المتنفعين المترلفين، فكشف ﷺ زيفهم ودحض حججهم واوهن الاسس التي بنوا عليها منظومتهم الفكرية، فلم يترك مناسبة إلا واستثمرها في بيان حقيقة ادعاءاتهم، فنبه الناس إلى ما هم فيه من تيه وضلال ونار الدرب لما يريد الهداية، كل ذلك والإمام زين العابدين ﷺ يستند على حجج واقعية لا مجال لنفيها أو تكذيبها فأحدث اضطراباً وفزعاً في معسكر الأعداء، فجر العجز على السنتهم ولم يخفوا انبهارهم بالعقلية الفريدة التي تميز بها ﷺ فخابت مساعيهم وذهبت محاولاتهم في النيل من تلك العبقرية الفذة سدى فكلت اللسان وعادت الابصار حسيرة ذليلة خاسئة.

مواجهة منع كتابة الحديث:

تصدى الإمام زين العابدين ﷺ للسياسات المغلوطة التي مارسها الحكام

الأمويين ومنها منعهم لكتابة الحديث النبوي الشريف سيرا على نهج أسلافهم، فوقف عليه يحث المسلمين بل يدعو وبشكل صريح إلى طلب العلم وضرورة الأخذ بأسباب المعرفة، فالعلم يوصل إلى المعرفة الحقة التي تأخذ بيد الإنسان لتوصله إلى معرفة الله تعالى. فنراه عليه السلام يدعو: اللَّهُمَّ... اجعلنا من الذين تمسكوا بعروة العلم وأدبوا أنفسهم بالفهم^(١).

وقد اهتم الإمام زين العابدين عليه السلام بالعلم اهتماما بالغاً معتبراً إياه من أركان قيام أي مجتمع متمدن قوي، فشجع عليه وعمل على غرس وتنمية الدوافع والحوافز لدى طالب العلم. فجعل عليه السلام العلم من الصفات التي ينبغي بالمؤمن تحصيلها فيقول: المؤمن خلط علمه بالحلم، يجلس ليعلم، وينصت ليسلم، وينطق ليفهم، لا يحدث أمانته الأصدقاء^(٢).

ومما قام به الإمام زين العابدين عليه السلام بشكل عملي أنه بدأ حلقة من البحث والدرس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخذ يحدث الناس بصنوف المعرفة الإسلامية، ومن حديث وتفسير وفقه وتربية وعرفان، وراح يفيض عليهم من علوم آبائهم الطاهرين، فكان عليه السلام بعمله هذا قد خرج العديد من الكوادر العلمية في شتى مجالات المعرفة، وأسس لقيام العديد من المدارس الفكرية، فيكون بذلك قد أحيا الروح العلمية لدى الأمة الإسلامية بعدما شارفت على الضياع والاضمحلال^(٣).

وقد اتجه الإمام الأعظم زين العابدين عليه السلام - بعد كارثة كربلاء - صوب العلم لأنه وجد فيه خير وسيلة لإداء رسالته الإصلاحية، وقد هرع للانتهال من بحر علمه أبناء الصحابة والعلماء والفقهاء، فأخذ يغذيهم بعلومه ومعارفه، ليكونوا مناراً للعلم والأدب في العالم الإسلامي.

أما الشروات العلمية والفكرية التي أثرت عن الإمام زين العابدين عليه السلام فإنها

(١) البحار: ١٩/١٢٧/٩٤.

(٢) البحار: ١٤/٢٩١/٦٧.

(٣) اعلام الهداية ج ٦ ص ١٩ - ٢٠.

تمثل الابداع والانطلاق والتطور، ولم تقتصر على علم خاص، وانما شملت الكثير من العلوم، كعلم الفقه والتفسير وعلم الكلام والفلسفة، وعلمي التربية والاجتماع.

فقد انبرى الإمام (عليه السلام) إلى إنارة الفكر العربي والإسلامي بشتى أنواع العلوم والمعارف، وقد دعا ناشئة المسلمين إلى الاقبال على طلب العلم، وحثهم عليه، وقد مجد طلابه واشاد بحملته. وقد نمت ببركته الشجرة العلمية المباركة التي غرسها جده الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فاقبل الناس بلهفة على طلب العلم ودراسته، فكان حقا من المع المؤسسين للكيان العلمي والحضاري في دنيا الإسلام^(١).

وقد اكدت الثورة العلمية التي تبناها أهل البيت (عليهم السلام) وكان الإمام الباقر أحد اقطابها على العلم والعقل، ولكن لا بد من أن يحكم العلم نظام ويهيمن عليه دستور ليكون في صالح البشرية لا في ضررها وفنائها، والاستمرار لصالح المجتمع، فإن الدين قادر على مواجهة ومسايرة الحياة وانضباطها بالشكل الصالح للمجتمع.

فنرى الإمام زين العابدين (عليه السلام) يسعى جاهداً للحفاظ على مقدّرات الإسلام الأصيل، ومتطلّباته، وإصلاح ما اصاب مناهجه من انحراف، فكان يطرح فيها أمّهات العلوم الإسلامية، تنشيطاً لثورته ورسالته العلمية والإسلامية، وفي مقدّماتها دراسته للقرآن الكريم، والإنارة بعلومه، فكان من ثمار ذلك أن اوجد كواد علمية محفّراً اياها للاتجاه إلى هذه العلوم، فكان قدوة لها.

فالسعادة والطمأنينة، إنما هي في تعظيم شرع الله تعالى واتباعه والاهتداء بهديه. والشقاوة، والتخبّط كل التخبّط، إنما هو في الإعراض عن شرع الله تعالى والاستهانة به وهجره. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٢).

(١) موسوعة سيرة أهل البيت، باقر شريف القرشي ج ١٥ ص ١٢.

(٢) الرعد: ٢٨.

وقد انزل الله سبحانه كتابه العزيز ليهتدي به الناس ويعتصموا به، فهو مصدر القوة والعزة، وأساس التمكين والرفعة، فيه الهدى والنور، من آمن به حق الإيمان، وصدق به أخلص التصديق، فقد هداه الله وآتاه من فضله، وأعانه على كل خير، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَدَّتْهُمْ إِلَى الْيُسْرَىٰ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَاتَّبَعُوا أَمْرًا غَيْرَ الْمُنْكَرِ وَالْعَظِيمِ﴾ (١). ومن هجره وأعرض عنه علماً وعملاً، ولم يؤمن بمتشابهه ويعمل بمحكمه، فقد أضله الله، وختم على قلبه وبصره، قال تعالى: ﴿وَأَقْلَعَ عَنْهُمْ بُرْءَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٢). وكانوا يظلمون (٣).

إن تدبر آيات الله عز وجل ومعرفة مقاصدها ومراميتها، والوقوف عند عظاتها وعبرها، والتفكر في معانيها وفقهها وأسرارها نعمة عظيمة من أجل النعم التي يوفق إليها العبد المسلم. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٤).

وقد توعد الله تعالى المعرضين عن كتابه العزيز بقوله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْفَنَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْ لَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٥).

المنهج العلمي

اعتمدت حركة التصحيح - التي تبناها الأئمة الطاهرون (عليهم السلام) ومثل زين العابدين (عليه السلام) أحد فصولها - في منهجها العلمي على محاور الإسلام الأساسية:

(١) البقرة: ١-٢.

(٢) الأعراف: ١٧٥-١٧٧.

(٣) الأنفال: ٢.

(٤) الزمر: ٢٢.

١. القضايا الإلهية أو ما يعرف بـ (العقيدة الإسلامية): لما لها من دور فاعل في جمع افراد الأمة ضمن وحدة إنسانية متماسكة فهي القوة الروحية التي تعمل على التآليف بين مكونات المجتمع الواحد.

٢. الأحكام الشرعية أو ما يعرف بـ (الشريعة الإسلامية): إذ ان التشريع المنظم لحقوق الافراد وواجباتهم وسلوكهم ونشاطهم عنصر فعال في نظم المجتمع وتماسكه. وان التنوع في مؤلفاته ضمن هذا المجال يعكس رؤية واضحة واعتقاد عملي للقاعدة القائلة: (ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة)^(١).

كذلك نجد اهتمام الإمام زين العابدين عليه السلام بالمجال الفقهي نابع من إيمانه ان الفقه لا بد ان يركز على العلم والوعي وعي الشريعة والحياة وهو بذلك يبنى منهاجاً تربوياً ذا مساحة واسعة في الرسالة الإسلامية.

٣. المبادئ الأخلاقية: فالأعراف الاجتماعية والتقاليد المشتركة هي روابط مهمة تعمل على ربط نسيج المجتمع ببعضه ببعض فنراه يعمل على ترسيخ تلك العناصر وتعميقها من منطلق إسلامي رحب.

ومن البصمات الواضحة التي تركها الإمام زين العابدين عليه السلام في ثورته العلمية آثاره الشريفة التي كشفت اهتمامه الواضح بالخطابات القرآنية التي عالجت الشؤون الإنسانية فنراه مثلاً يخاطب الهيئة الاجتماعية معتبراً إياها جهة خطاب في التكليف والحقوق والمسؤوليات فهو كثيراً ما يوجه خطابه بصيغة الجمع.

كذلك أولى البيان النبوي أهمية خاصة لما له من تأثير اجتماعي واسع يمكن ان يمارس على اوجه متعددة ضمن اصعدة ومجالات متنوعة.

أيضاً نجد مستوى عالياً من القدرة على رصد الحدث ومتابعة مجرياته بشكل

(١) الكافي، ١/٤/٥٩، عن العبيدي عن يونس عن حماد عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول: «ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة».

يمكنه من استقرار جزئياته ليقف من خلالها على العوامل والاسباب التي صنعتها وانتهت به إلى ما وصل إليه.

ملامح المنهج العلمي

وقد ارتكز المنهج العلمي الذي اختطه الإمام زين العابدين (ع) على أمور:

١. إدارة الأسلوب: ان للأسلوب شروطه التي تحدد وفق معطيات ينبغي توافرها حتى تكون النتيجة مثمرة ولعل التأكيد على الأولويات أكثر من الاستغراق في تفاصيل لا تغني الموضوع في شيء سوى محاولة الالتفاف لأغراض غير مهنية.

٢. أخلاقية الأسلوب: للأسلوب أخلاقياته التي هي اوسع من دائرة آدابه والمتمثلة بدوافعه وغاياته المرسومة ذات ملامح أهمها الموضوعية والمرونة وروح الانفتاح على الآخرين والتركيز على نقاط الاتفاق مع استخدام اللغة المناسبة لذلك.

٣. الشخصية العلمية: لقد توافرت في الإمام زين العابدين (ع) الشخصية الفذة اللامعة والنفس الخلاقة العالية التي مكنته من فرض قناعاته على كثير من المسائل التي خاض فيها فترك بصمات علمية واضحة على مسيرته العلمية.

لقد آمن الإمام زين العابدين (ع) ان كشف الحقائق وادراك القيم العظمى لهذا الدين القويم لا بد ان يقوم على انفتاح العقل البشري على الحقيقة والاستنارة بنور العلم لذا عمل حثيثا في منهجه التألفي على رفع الحواجز التي تحول بين العقل الإنساني السليم وبين رسالة الإسلام وهذه الحواجز متمثلة عنده بـ (الجهل والعصية والطاغوت المتسلط بأشكاله المختلفة) فبذل الجهد في مخاطبة الجانب الفطري في ذات الإنسان فدعى إلى الفهم الصحيح للإسلام وذلك من خلال التعرف عليه من منابعه الأصلية المتمثلة بالقرآن الكريم وسيرة الرسول محمد (ص) وسيرة أهل بيته الكرام (ع) وهو يؤكد في ذلك على ان الإيمان بالله تعالى يقوم على

أساس القناعة العقلية والدليل والبرهان بشكل يرسخ في أعماق النفس رسوخاً يقينياً.

العلم والقرآن

إن أول ما يفقده الدارس لعلوم الشريعة كلها، إذا كانت منفصلة عن أصلها هو القرآن إعجازه ووجوهه المتعددة؛ فإعجاز القرآن إذا لم تأخذه من أصله القرآني لا تجده أبداً بحال من الأحوال، فيوجد طالما كان موصولاً بأصله، وينعدم إذا بُتر من أصله؛ لأن الوقوف على مواطن الإعجاز في القرآن أمر لا يُدرَك إلا بالذوق، ولا يمكن تحديده، ولا إقامة الأدلة المنطقية عليه، ولكنه يُدرَك بالذوق ولا يمكن نقله إلى الآخرين.

وتحدث السكاكي عن إعجاز القرآن، وهو لا يرى إدراكه بالوصف وإنما بالذوق وطول الممارسة لعلوم البلاغة، فقال: «واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يُدرَك ولا يمكن وصفه؛ كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها»^(١)، فإعجاز القرآن يُدرَك بالوجدان، ومن ثم كان التفقه في القرآن وحده هو السبيل الوحيد في استشعار ذلك الإعجاز بحاسته الذوقية وملكاته البيانية.

كذلك يؤدي فصل العلوم عن القرآن إلى أثر سلبي في التجزئة والتبعيض للقرآن، وقد أنكر القرآن الكريم على بني إسرائيل أشد الإنكار وتوعدهم بأقصى الوعيد على التفريق بين أحكامه بالإيمان ببعضها، والكفر ببعضها الآخر، فقال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾^(٢).

لهذا أنكر القرآن أشد الإنكار على من يفرق بين أحكام الله وشريعته، وهو شأن الكافرين، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ

(١) البرهان، الزركشي ج ٢ ص ٢٣١. الإنقان، السيوطي ج ١ ص ٢٦٠.

(٢) البقرة: ٨٥.

اللَّهُ وَرُسُلِهِ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴿١﴾. فتجزئتهم وتفريقهم والإيمان ببعض، والكفر ببعض الآخر جعلهم أحق بوصف الكفر من غيرهم الذين يكفرون بالكل.

وقد حذر الله نبيه ﷺ وهو تحذير لكل أمته أن يفتنه أهل الكتاب عن بعض ما أنزل الله عليه من القرآن فلا يحكم به، ولا يعمل بموجبه، فقال: ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (٢).

وقريب من مسلك اليهود والكفار في التجزئة والتبعض المنافقون كما حكاه القرآن عنهم، ونفى عنهم الإيمان؛ لأنهم يرفضون حكم الله ورسوله إذا دعوا إليه، ولا يذعنون له إلا فيما يوافق أهواءهم ومصالحهم الخاصة؛ فنفى عنهم القرآن الإيمان نفياً صريحاً فقال: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذِيعِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ رَبَّابُوا أَمْ يُخَافُونَ أَنْ يَحِبِّفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣).

القرآن الثورة العلمية

لعل أول الأسباب وأهمها فيما آلت إليه احوال المجتمع الإسلامي هو الاعراض بل الهجر المتعمد للقرآن الكريم مما اوصلهم إلى الحضيض في مختلف جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية... ألخ، فتركوا الاهتمام بمضامين كلام الله وما يدعو إليه من قيم عليا فعادت الجاهلية لتغزو وتضرب من جديد بقوة، كما كان على عهد رسول الله ﷺ: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٤)، وكيف يفلح قوم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، ولعل أصدق

(١) النساء: ١٥٠-١٥١.

(٢) المائدة: ٤٩.

(٣) النور: ٤٧-٥٠.

(٤) الفرقان: ٣٠.

المصاديق هو الاعراض عن العترة الطاهرة من أهل بيت النبوة ﷺ، لذا نجد ان الإمام زين العابدين ﷺ في ثورته القرآنية أكد على حتمية العلاقة بين كتاب الله والأئمة الطاهرين ﷺ، وان التمسك الذي دعا له رسول الله ﷺ هو أمر إلزامي محال أن يقع الافتراق بينهما.

قال الإمام زين العابدين ﷺ: الإمام منا لا يكون إلا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، ولذلك لا يكون إلا منصوصاً.

ف قيل له: يا بن رسول الله فما معنى المعصوم؟

فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن، لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ﴾ (١)(٢).

ومن الاجراءات العملية لثورته المباركة في جانبها القرآني نجد حرصه ﷺ على تدريس كتاب الله والحث على تشكيل حلقات دراسية تنهل من علمه في تفسيره وبيان، فهو ﷺ يؤكد أن: آيات القرآن خزائن العلم، فكلما فتحت خزانة فينبغي لك أن تنظر فيها (٣).

وقد ساهم ذلك في بث الثقافة القرآنية بين افراد المجتمع الإسلامي ودعا إلى مجتمع تسوده ثقافة القرآن، فنراه يدعو عند ختمه لكلام الله المجيد: اللَّهُمَّ فَإِذَا أَفَدْتَنَا المعونة على تلاوته وسهلت جواسي أَلَسْتَنَا بحسن عبارته فاجعلنا ممن يراعاه حق رعايته، ويدين لك باعتقاد التسليم لمحكم آياته (٤).

وكانت طبيعة تلك الحلقات تنحى في مستويين، أحدهما عام يخاطب فيه ﷺ عقول المسلمين ومداركهم المتفاوتة ومشاربهم المتنوعة، والاخر خاص سعى فيه

(١) الإسراء: ٩.

(٢) معاني الأخبار: ١٣٢/٢.

(٣) البحار: ٩٢/٢١١/٤.

(٤) الصحيفة السجادية: الدعاء ٤٢.

إلى إعداد كوادر متخصصة بالشأن القرآني، كل ذلك وسلوكه وممارساته تمثل التطبيق العملي للخلق القرآني العظيم، وكأن الله تعالى قد صبَّ كلامه المجيد في بدن آدمي اسمه علي بن الحسين، فالقرآن «إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَتَيْنِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ وَلَا بُدُّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرَّجَالُ»^(١).

لقد حاول التيار المنحرف المتمثل بالسلطة الحاكمة جاهدا ان يفصل العلاقة القائمة بين كتاب الله وعتره نبيه ﷺ، وقد أدت تلك المحاولات إلى انعكاسات سلبية تركت آثارا سيئة على الواقع الفكري والثقافي في المجتمع الإسلامي، ومن تلك الآثار:

١. غياب الكثير من العلوم التي خص الله تعالى بها أهل البيت ﷺ مما فوت على الأمة فرصة ذهبية اضاعتها.
٢. تراجع دور القرآن عن مهمته الإصلاحية، بسبب غياب الممارسات العملية التي تمثل مصاديق حية يتأسى بها الفرد المسلم.
٣. التلاعب الذي طال المفاهيم القرآنية وحرّفها عن مرادها الحقيقي، فقد أصبح وسيلة بيد النفعيين والوصوليين، يغيرون به كيفما تناسب مع مصالحهم واغراضهم الشخصية والمذهبية. لهذا فقد نهى الإمام الباقر ﷺ عن تفسير القرآن لمن لا معرفة له به، فنجده يؤنب قتادة بن دعامة ويشدد عليه: يا قتادة، أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون، فقال أبو جعفر ﷺ: بلغني أنك تفسر القرآن، قال له قتادة: نعم، فقال أبو جعفر ﷺ: بعلم تفسره أم بجهل؟ قال: لا، بعلم - إلى أن قال - يا قتادة، إنما يعرف القرآن من خوطب به^(٢).
٤. الفوضى العارمة التي أدت إلى تشتت الأمة الإسلامية وضياع متركزاتها

(١) نهج البلاغة (ت: صبحي الصالح): ١٨٢.

(٢) الكافي ج ٨ ص ٣١١.

الفكرية، لضياح عصمتها ومحور تجمعها ونجاتها المتمثل بالتمسك بكتاب الله وعترته نبيه ﷺ.

لقد سعى الإمام زين العابدين ﷺ في ثورته القرآنية إلى ترسيخ المبدأ الوارد عن رسول الله ﷺ: «فإذا التبس عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن...»^(١)، فنراه ﷺ يحث ويدعو إلى الاقتداء بالقرآن لما لذلك من اثر عظيم على حياة الأخذ به: عليك بالقرآن، فإن الله خلق الجنة... وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن، فمن قرأ القرآن قال له: اقرأ وأرق، ومن دخل منهم الجنة لم يكن في الجنة أعلى درجة منه ما خلا النبيون والصديقون^(٢). فهو يؤكد على ان من يريد إصلاح نفسه وتهذيبها وتخليصها من أمراضها فعليه بالقرآن، ومن أراد إصلاح مجتمعه وإقامة أمره ونظم شؤونه فعليه بالقرآن فإنه الدليل لكل هدى والمرشد لكل خير وصلاح.

تدبر القرآن

القرآن هادي البشرية ومرشدها ونور الحياة ودستورها، ما من شيء يحتاجه البشر إلا ويئنه الله فيه نصاً أو إشارة أو إيماءً، ولذا فقد اعتنى به أهل البيت ﷺ وتابعوه تلاوة وحفظاً وفهماً وتدبراً وعملاً.

وقد تراجع الاهتمام بالقرآن وانحسر حتى اقتصر الأمر عند غالب المسلمين على حفظه وتجويده وتلاوته فقط بلا تدبر ولا فهم لمعانيه ومراداته، وترتب على ذلك ترك العمل به أو التقصير في ذلك.

وليس المقصود الدعوة لترك حفظه وتلاوته وتجويده؛ ففي ذلك أجر كبير؛ لكن المراد التوازن بين الحفظ والتلاوة والتجويد من جهة وبين الفهم والتدبر.

(١) وسائل الشيعة، للحر العاملي ج ٢٧ ص ١٨٥.

(٢) البحار: ٣٩/٨/١٣٣.

منزلة التدبر في القرآن الكريم:

- قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا الْقُرْآنَ لِتَدَبَّرُوا بِهِ وَلِتَذَكَّرُوا أَلَّا يَكُنْ لَكُمْ حَسْرَةٌ فِي يَوْمٍ أَتَى سَائِرَ الشَّعَائِرِ﴾ (١)، ففي هذه الآية بيّن الله تعالى أن الغرض الأساس من إنزال القرآن هو التدبر والتذكر لا مجرد التلاوة على عظم أجرها، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (٢)، فهذا أمر صريح بالتدبر والأمر للوجوب.

وحتى نتدبر القرآن فعلينا:

- مراعاة آداب التلاوة من طهارة ومكان وزمان مناسبين وحال مناسبة وإخلاص واستعاذة وبسملة وتفريغ للنفس من شواغلها وحصر الفكر مع القرآن والخشوع والتأثر والشعور بأن القرآن يخاطبه.
- التلاوة بتأنٍ وتدبر وانفعال وخشوع، وألا يكون همه نهاية السورة.
- الوقوف أمام الآية التي يقرأها وقفة متأنية فاحصة مكررة.
- النظرة التفصيلية في سياق الآية: تركيبها - معناها - نزولها - غريبها - دلالاتها.
- ملاحظة البعد الواقعي للآية؛ بحيث يجعل من الآية منطلقاً لعلاج حياته وواقعه، وميزاناً لمن حوله وما يحيط به.
- العودة إلى فهم السلف للآية وتدبرهم لها وتعاملهم معها.
- الالتفات للأهداف الأساسية للقرآن.
- الثقة المطلقة بالنص القرآني وإخضاع الواقع المخالف له.
- معاشة إحياءات النص وظلاله ولطائفه.

(١) ص: ٢٩.

(٢) النساء: ٨٢.

الاهداف القرآنية

- القرآن هو العلاج الناجح والكامل لأمراض البشر النفسية والاجتماعية والروحية.

- عدم استغناء طالب الكمال والسعادة الابدية في الدنيا والاخرة عن الاهتمام بهديه والأخذ بسبيله ويزداد سمو الإنسان وتكامله كلما ازدادت استفادته من كلام الله العزيز. وهذا ما صرح به الإمام زين العابدين (ع): لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي^(١).

- ان في الاهتمام بالقرآن الكريم تأسيساً برسول الله ﷺ وبأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام)، وهو ما حث عليه سبحانه وتعالى في كلامه المجيد حيث يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢).

- إن القرآن الكريم عهد الله تعالى إلى بني البشر، وهو رسالة الكامل المطلق، فينبغي بالمسلم أن يحافظ على العهد ويتعاهده في كل آن، ويتدبر في رسالته ويقف على معانيها ومراد مرسلها، وفي هذا المعنى ورد عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال: «القرآن عهد الله (أي وصيته) وحكمه إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده، وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية»^(٣).

- الثواب العظيم والاجر الجزيل الذي لا حدود له المعطى لقارئ القرآن والمتدبر في آياته، فهذا الإمام جعفر الصادق (ع) يروي في فضل تلاوة كتاب الله حيث يقول: - من استمع حرفاً من كتاب الله من غير قراءة كتب الله تعالى له به حسنة ومحا عنه سيئة ورفع له درجة ومن قرأ نظراً من غير صوت كتب الله له بكل حرف

(١) الكافي: ١٣/٦٠٢/٢.

(٢) الاحزاب: ٢١.

(٣) أصول الكافي باب في قراءته خبر ١ من كتاب فضل القرآن.

حسنة ومحا عنه سيئة ورفع له درجة ومن تعلم منه حرفاً ظاهراً كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ..

قال: - لا أقول بكل آية ولكن بكل حرف باء أو ياء أو شبههما - قال: - ومن قرأ حرفاً وهو جالس في صلاة كتب الله له به خمسين حسنة ومحا عنه خمسين سيئة ورفع له خمسين درجة ومن قرأ حرفاً وهو قائم في صلاته كتب الله له مائة حسنة ومحا عنه مائة سيئة ورفع له مائة درجة ومن ختمه كانت له دعوة مستجابة مؤخرة أو معجلة - قال: قلت: جعلت فداك ختمه كله؟ قال «ختمه كله»^(١).

- الاستفادة منه في إيجاد الحلول الدائمة للمواقف والمشاكل التي يمكن ان تواجه الفرد المسلم في حياته اليومية، فالقرآن حي يتجدد لم ينزله الله تعالى ليقصر على زمان أو مكان أو قوم بعينهم، فهو المخلص والمنقذ من الفتن، وكتب الحديث والسيرة زاخرة بما يؤيد هذا المعنى، فعن امير المؤمنين علي عليه السلام قال: - دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله ذات ليلة فقال: يا علي إنها ستكون من بعدي فتن. فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ فقال: كتاب الله فيه نأ ما قبلكم وخبر ما يرد بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل وحبل الله المتين العظيم وهو الذكر الحكيم من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو الذي لم يتنه الجن إذ سمعوه حتى قالوا: ﴿سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾^(٢)، من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر»^(٣).

- تعلم المعارف والعلوم واسرارها المودعة فيه، ففي كتاب الله من القضايا الإلهية والأحكام الشرعية والمبادئ الأخلاقية ما يسد حاجة كل محتاج، وعجائبه متجددة لا تنقضي، فهو معجزة الله الكبرى، وفي ذلك يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: كتاب الله عز وجل على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة،

(١) الكافي ج ٢ ص ٦١٢ ح ٦.

(٢) الجن: ١.

(٣) مناقب الإمام امير المؤمنين، لمحمد بن سليمان الكوفي ج ٢ ص ٣٠.

واللطائف، والحقائق. فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء^(١).

– الفوز بامتيازات لا يجدها المسلم إلا عند من اتبع القرآن قولاً وفعلاً وعلماً وعملاً، ومنها الشفاعة، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: ... فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وما حل (أي ساع) مصدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، هو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان، وتحصيل وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق (أي معجب) وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه –^(٢).

ويحدثنا الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن طبيعة وتفاصيل شفاعاة القرآن للمؤمن فيقول: – من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه وجعله الله تعالى مع السفرة الكرام البررة وكان القرآن حجيذا عنه يوم القيامة يقول يا رب إن كل عامل قد أصاب أجر عمله غير عاملي فبلغ به أكرم عطايك، قال: فيكسوه الله العزيز الجبار حلتين من حلل الجنة ويوضع على رأسه تاج الكرامة ثم يقال له هل أرضيناك فيه فيقول القرآن يا رب قد كنت أرغب له فيما هو أفضل من هذا فيعطى الأمن يمينه والخلد بيساره ثم يدخل الجنة فيقال له اقرأ واصعد درجة ثم يقال له: هل بلغنا به وأرضيناك فيه فيقول: نعم، قال: ومن قرأه كثيراً أو تعاهده بمشقة من شدة حفظه أعطاه الله تعالى أجر هذا مرتين^(٣).

القرآن والإصلاح الاجتماعي

يعد الاشتغال بفهم القرآن وتفسيره والتفقه فيه من افضل العلاجات للمشاكل الاجتماعية لما له من اثر واضح بين على الواقع الاجتماعي حيث يرقق إحساس

(١) البحار: ١٨/٢٠/٩٢.

(٢) أصول الكافي كتاب فضل القرآن

(٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٠٣.

المسلم ويقوي شعوره، وينمي فيه حب الآخرين؛ بحيث يتألم لآلامهم، ويفرح لفرحهم، ويسعد لسعادتهم. وإلى ذلك يدعو الإمام زين العابدين عليه السلام إلى الاستفادة من كلام الله العزيز إذ يقول: آيات القرآن خزائن العلم، فكلما فتحت خزانة فينبغي لك أن تنظر فيها^(١).

وينبغي بالمؤمن أن يخلص نيته في تعامله مع كلام الله وان لا يريد به إلا وجه سبحانه حتى يدرك أجره واثره، وقد شدد الإمام الباقر عليه السلام على هذا إذ يقول: «من دخل على إمام جائر فقرأ عليه القرآن يريد بذلك عرضاً من عرض الدنيا لعن القارئ بكل حرف عشر لعنات، ولعن المستمع بكل حرف لعنة»^(٢).

وكان من أهم ما أشاعه القرآن في هذا مجال حلحلة المشاكل الاجتماعية هو الأخوة الإيمانية، فمن الأساليب القرآنية في التعبير عن هذا الإحساس أن جعل قتل الرجل لغيره قتلاً لنفسه، وجعل إخراج الرجل من داره إخراجاً لنفسه، وجعل ظن السوء بالغير ظناً بنفسه، وجعل لمز الغير لمزاً لنفسه، والسلام على الغير سلاماً على نفسه؛ وكل ذلك ذكره القرآن. قال الله تعالى في سياق أخبار بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ فَتَاهِدُونَ ۖ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾^(٣). فجعل دم كل فرد من أفرادهم كأنه دم الآخر عينه حتى إذا سفكه كان كأنه قتل نفسه وانتحر ذاته.

ومثل هذا السياق قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٤)، ومعناه: فليقتل بعضكم بعضاً بأن يقتل من لم يعبد العجل عابديه؛ فإن قتل المرء لأخيه كقتله لنفسه. وقال تعالى في سياق هذه الأمة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٥)، أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، فجعل قتل الرجل لغيره قتلاً لنفسه.

(١) البihar: ٩٢/٢١١/٤.

(٢) الاختصاص: ٢٦٢.

(٣) البقرة: ٨٤-٨٥.

(٤) البقرة: ٥٤.

(٥) النساء: ٢٩.

وقد بين الله تعالى أن من قتل نفساً بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً، فقال: ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(١).

ومن تعبيرات القرآن في الاخوة الإيمانية قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾^(٢).

فإنه سبحانه قال: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ يعني عليكم أهل دينكم، ولا يضركم من ضل من الكفار، بأن يعظ بعضكم بعضاً، ويُرغب بعضكم بعضاً في الخيرات وينفره عن القبائح والسيئات^(٣)، لأن المؤمنين إخوة في الدين. ومن تعبيرات القرآن بالنفس وإرادة الغير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَرَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾^(٤)، والمعنى: فليسلم بعضكم على بعض، وهم أهل البيوت التي يدخلونها؛ لأنهم بمنزلة أنفسهم في شدة المحبة والمودة والألفة، ولأنهم منهم في الدين، فكانهم حين يسلمون عليهم يسلمون على أنفسهم.

ومن التعبيرات في هذا المجال قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٥)، والإنسان لا يلمز ولا يعيب نفسه، وإنما اللازم يلمز غيره إشارة إلى أن من عاب أخاه المسلم فكأنما عاب نفسه، فنزل البعض الملموز منزلة نفس الإنسان لتقرير معنى الإحساس بالأخوة وتقوية الشعور بها.

ومن تعبيرات القرآن عن الغير بالنفس قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾^(٦)، المراد بأنفسهم هنا إخوانهم في الدين والعقيدة،

(١) المائدة: ٣٢.

(٢) المائدة: ١٠٥.

(٣) تفسير الرازي ج ٦ ص ١١٨.

(٤) النور: ٦١.

(٥) الحجرات: ١١.

(٦) النور: ١٢.

والمعنى: فهلاً وقت أن سمعتم حديث الإفك هذا ظننتم بأنفسكم أي: بإخوانكم وأخواتكم ظناً حسناً جميلاً؛ إذ لا يظن المرء بنفسه السوء، وفي هذا التعبير عن إخوانهم وأخواتهم في العقيدة بأنفسهم أسمى ألوان الدعوة إلى غرس روح المحبة والمودة والإخاء والإحساس الصادق؛ حتى لكأن الذي يظن السوء بغيره إنما يظنه بنفسه^(١).

فهذا الأسلوب القرآني، وهذا الخطاب الرباني يؤكد معنى وحدة الأمة، ويُجِدِّث في النفس أثراً وإحساساً يعيها على الامتثال؛ فالمسلم الذي يُربى على هذه المعاني، وهذه الدقائق القرآنية، لا شك في أنها تؤثر فيه وتغرس في أعماقه هذا الإحساس وهذا الشعور.

القرآن وتزكية النفس:

القرآن هو طِبُّ النفوس باعتباره روح الروح ونور البصيرة، به يتحقق الضبط والانضباط، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا﴾^(٢).

والنور يضيء ويبين الأمراض، ويهدي إلى طريق الصواب، ولا يتم ذلك إلا بتحديد أمراض النفس المهلكة التي سطرها القرآن، من أجل تقديم الدواء الناجع لها من آياته وسوره العظام.

والارتقاء بالنفس والنهوض بها - باعتبار طبيعتها التغيرية - يحتاج إلى ضبط وانضباط خاصين، يستمدان أصولهما من كتاب الله، الذي تحدّث عن مراتب النفس، ويبيّن من خلال سوره وآياته. وقبل تحديد ذلك نحتاج إلى بيان مفهوم الضبط والانضباط.

وقد أقسم الخالق سبحانه أقساماً سبعة في مطلع سورة الشمس على أن

(١) الجامع، للقرطبي ج ٦ ص ١٨٦.

(٢) الشورى: ٥٢.

المفلح من زكَّى نفسه والخاسر من دَسَّها، فقال سبحانه: ﴿وَالشَّمْسُ وَحُجَّتْهَا * وَالْقَمَرُ إِذَا نَلَّهَا * وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا * وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰهَا * وَالسَّمَاءُ وَمَا بَدَّهَا * وَالْأَرْضُ وَمَا حَمَلَهَا * وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّيْتَهَا * فَالْمُفْلِحُ تَجَوَّرَهَا * وَتَقَوَّيْتَهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّيْنَهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّيْنَهَا﴾ (١).

والمقصود بالتزكية هنا: طهارة النفس أو تطهيرها وتنظيفها، مخالفاً للدرس الذي هو كناية عن الإغراق في الوسخ والأحوال.

وسائل ضبط النفس:

ضبط النفس ليس بالأمر الهين؛ فلا مفر من بذل مجهود مضاعف يُستطاع به ضبط أمراض النفس، ولن يتم ذلك إلا بأمور، منها:

١. معرفة العيوب:

ويتم ذلك باتِّباع توجيهات القرآن التي سمَّاها بالبصائر في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ (٢).

فإذا أراد الله بعبده خيراً بَصَّرَهُ بعيوب نفسه، ومن كملت له بصيرته لم تخف عليه عيوبه، وإذا عرف عيوبه أمكنه علاجها.

فالإنسان يلاحظ كثيراً على غيره، ولكنه لا يجرؤ على النظر في عيوبه، أو يبحث عنها، الكل يرى القذى في عين أخيه، ولكنه لا يرى ما في عينه؛ ما يحصل للإنسان هو نفسه ما يحصل للجمل الذي يرى ما على ظهر أخيه من تقوس واعوجاج، ولكنه لا يعلم أن الاعوجاج عامٌّ في بني جنسه.

ولتحقيق هذا الاستبصار ينبغي سلوك سبيلين:

أ – أن يطلب ذلك بالجدِّ والاجتهاد والإخلاص؛ ولا يتم ذلك إلا بمراقبة من يعلم السرَّ وأخفى، على مستوى القول والفعل والسلوك، مع الاستعانة بمُؤيد الرجاء إلى الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (٣).

(١) الشمس: ١-١٠.

(٢) الانعام: ١٠٤.

(٣) العنكبوت: ٦٩.

ب - مراقبة أحوال وأقوال وأفعال الآخرين، ليقف على السيئ منها فيلحظه في نفسه ليتجنبه، باعتبار تقارب طباع الناس، فيتفقد نفسه ويظهرها في ضوء ما يراه مذموماً في غيره.

فالإعراض عن معرفة العيوب هو ضعف ونقص وفقدان للشجاعة في مواجهة النفس، ولهذا الإعراض سبب أساسي يوقع فيه وهو: اعتقاد الإنسان أنه بلغ مرحلة من الصلاح، مع أن كل إنسان معرض للنقصان والخطأ.

٢. مجاهدة النفس:

أخطاء النفس كثيرة، لا يستطيع عادُّ عدّها أو حصرها، وإن كانت الإشارة إليها والتنبيه على أهمّها أمراً أساسياً. ولعل أهم موجبات الغفلة وضعف مجاهدة النفس هو ما ذكره الإمام زين العابدين عليه السلام: اعلم ويحك يا بن آدم! أن قسوة البطننة، وكظة الملاة، وسكر الشبع، وغرة الملك، مما يثبط ويبطئ عن العمل، وينسي الذكر، ويلهي عن اقتراب الأجل، حتى كأن المبتلى بحب الدنيا به خبل من سكر الشراب^(١).

الإعجاز التشريعي

لا عجب أن تشكل خيوط الإعجاز التشريعي، والإعجاز الكوني، فאלله هو صاحب الخلق والأمر، وإن من أبرز ملامح هذه المشاكلة ما يلي:

١. الكون خلقه الله وقدر فيه طاقاته، فبقدر ما يتعامل الإنسان معها بقدر ما يستخرج منها، فالماء طاقة مقدرة في الأرض إذا استخرجها الإنسان فإنما استخرج طاقة كامنة يسر الله لها استخراجها ولكنها ليست خلقاً جديداً مستأنفاً في الأرض قال تعالى: ﴿قُلْ أَيْتَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِيّاً مِّن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ لَيَالٍ﴾^(٢).

(١) تحف العقول: ٢٧٣.

(٢) فصلت: ٩-١٠.

وفي هذه الآية دلالة على أن الله جعل في هذه الأرض جميع ما تحتاجه البشرية من الطاقات، وكل جيل يستخرج منها ما يطبق حسب قدراته ونشاطه ومبلغه من العلم، وكذلك هذه الشريعة، جاءت نصوص الوحي بها متضمنة معاني لا حصر لها، فقد جعلها الله شاملة لما يشاء أن يعلمه للبشر في جميع أجياله، وكل جيل يعلم منها ما يحتاج إليه في جميع شئونه، فيستخرج منها ما يحكم حياته كلها، فيحفظ له هذا المنهج عقيدة صحيحة - فيسلم من التخلف العقيدي وهو الارتكاس إلى الجاهلية البشرية - ويحفظ حياته الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية فتتحقق حينئذ العبادة في هذه الأرض وهي المهمة التي خلق الله الإنسان من أجلها.

يأتي كل جيل ليرتبط بهذه الشريعة، ويجد علماؤه فيها كل ما يحتاجه في تلك الأمور - وليس شيئاً من ذلك قد أنزل إنزالاً جيداً مستأنفاً، كلا، وإنما هو متضمن في هذه الشريعة، تماماً كما هو الشأن في هذا الكون فيقف كل جيل ليجد ما يحتاجه من الطاقات في هذا الكون مدخراً له، ويجد المنهج الصحيح الذي يحكم له جزئيات حياته مدخراً له في هذه الشريعة فيعلم أن له رباً خلق له كوناً يعيش فيه ليستخرج طاقاته، وإلها أنزل له شريعة ليستخرج منها ما يبصره بالمنهج الصحيح، وهذه أول ملامح تلك المشاكلة بين الإعجاز الكوني والإعجاز التشريعي.

٢. إن هذا الكون لا تضاد فيه ولا تناقض بل هو صنعة محكمة مبدعة وهذا هو الإعجاز الذي يقابله إعجاز تشريعي حيث أنزل الله شريعته لا تضاد فيها ولا تناقض ولا اضطراب، بل هي قول محكم.

وملامح هذه المشاكلة تظهر في مثل قوله تعالى عن بيان امتناع هذا الكون عن الفساد والاضطراب: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١).

نعم لو كان في السماء والأرض آلهة إلا الله لاقتضى ذلك أن تتعد الإرادات في تدبير هذا الكون، فهذا يسير القمر إلى جهة، وآخر يأمره بضدها، وهذا يريد الشمس جارية، وذاك يريد لها ساكنة، وحينئذ يقع الفساد، فلا يمكن أن تتعدد الآلهة - وكل إله يستحق الألوهية - كلا لو كان كذلك لفسدت السموات والأرض.

وشريعة الله التي هي كلامه المعجز ووحيه إلى نبيه لا يمكن أن تتعارض ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١).

نعم لو كان القرآن من عند غير الله لوجدنا فيه ذلك الاختلاف، فلما لم نجد قطعنا حينئذ أنه من عند الله، مثل سلامة الكون من الفساد دلنا ذلك على أنه من خلق الله، وهذا وذاك هو سند الثبات في هذا الكون وفي هذه الشريعة إلى أن تقوم الساعة فيقدر الله حينئذ ما يشاء، والثبات هو من أهم معالم الإعجاز التشريعي والإعجاز الكوني.

٣. من مظاهر الإعجاز في الكون أنك تجده متجدداً معطاء بفضل من الله، والإنسان يستثمر ذلك العطاء، وكلما اتجه الإنسان إلى الاستثمار الصحيح وجد خيراً كثيراً بإذن الله، وفي هذا الكون طاقات كلية ثابتة يستخرج منها الإنسان - عن طريق الاستثمار الصحيح - طاقات جزئية لا حصر لها، ولذلك يختلف البشر في إمكان - الحصول على ذلك ما بين مستكثر ومستقل، وقد حمل الله الإنسان هذا الجهد ليكابد الحياة ويعمل ويعمر الأرض فتتحقق العبادة بإقامة الخلافة فيها.

والإنسان في كل ذلك ليس خالقاً ولا منشئاً حتى وإن اكتشف، لأن أصل الخلقة لله سواء في الكون أو الإنسان، وجهد الإنسان إنما هو اكتشاف لما يسره الله له حسب السنن الربانية.

٤. من مظاهر الإعجاز الكوني أنك تجد شجرة واحدة - وهي آية من آيات الله - تتفرع عن أصلها فروع كثيرة جداً، وتجد أيضاً أنواعاً كثيرة من المخلوقات كالهواء والبذر والتربة تجتمع لتخرج - بإذن الله - الزرع بجميع أجناسه، الذي يصلح لسد كثير من حاجات الإنسان.

وإنك لتجد هذه الملامح في الإعجاز التشريعي:

فمثلاً إذا تأملت في العموم اللفظي وجدته كأصل الشجرة الواحدة تقوم عليها تلك الفروع الكثيرة، فاللفظ العام يشتمل في دلالاته على فروع كثيرة، أصله لفظ واحد وفروعه لا تنحصر.

وإذا نظرت في مثال آخر وهو العموم المعنوي وجدت جزئيات من الشريعة قد اجتمعت من كل مكان على معنى واحد، فأصبح هذا المعنى جنساً ينتج لنا أحكاماً خاصة بمسائل كثيرة بل يصبح مثل العموم اللفظي، فهناك لفظ عام بنى عليه فروع شتى، وهنا جزئيات كثيرة يخرج منها أصل واحد يحكم به على جزئيات لا تنحصر، فهل رأيت مثل هذا الإعجاز، شجرة واحدة في الأصل تنمو فروعها وتتكاثر، وجزئيات متناثرة - من تراب وماء وهواء وبذور - تجتمع لتخرج بإذن الله شجرة ذات فروع كثيرة، عمومات لفظية - هي عمدة الشريعة - يتفرع عن كل واحد منها فروع لا تنحصر، وجزئيات كثيرة يتفرع عنها فروع كثيرة جداً تشابهها في الحكم - عن طريق القياس الشرعي - وهذه الجزئيات تجتمع مرة أخرى لتنتج العموم المعنوي فيحكم به على فروع لا تنحصر. هكذا في دورة تشريعية معجزة لا أجد لها شبيهاً إلا تلك الدورة الفلكية أو دورة الزرع والثمار المعجزة في الخلقة، التي تظنها قد تقف فينقطع عطاؤها، فكلما طاف بك طائف من شك أبصرتها تنطلق في دورة جديدة تبدد تلك الشكوك، هذه دورة الإعجاز الكوني الذي يقول الله عنها متحدياً البشر في جميع العصور. قال تعالى: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (١).

وهذه هي دورة الإعجاز التشريعي الذي يقول الله عنها متحدياً كذلك: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَفْعِدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾^(١).

مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) العلمية

اشاد أهل البيت (عليهم السلام) مدرسة علمية عريقة استقت أصولها من هدي القرآن الكريم وسنة رسوله الكريم (ص) امتدت إلى يوم الناس هذا، وقد كتب لها الدوام والعمران لما تميزت به من خصائص يمكن اجمالها بالاتي:

١. الاتصال بالنبي (ص): والشيء المهم في فقه أهل البيت (عليهم السلام) هو أنه يتصل اتصالاً مباشراً بالنبي (ص) فطريقه إليه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وجعلهم النبي (ص) سفن النجاة، وأمن العباد، وعدلاء الذكر الحكيم حسبما تواترت الاخبار بذلك.

وإلى هذه الحقيقة يشير الإمام زين العابدين (عليه السلام): الإمام منا لا يكون إلا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، ولذلك لا يكون إلا منصوباً.

فقليل له: يا بن رسول الله فما معنى المعصوم؟

فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن، لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقَوْمٌ﴾^{(٢)(٣)}.

٢. المرونة: إن فقه أهل البيت يساير الحياة، ويواكب التطور، ولا يشذ عن الفطرة ويتمشى مع جميع متطلبات الحياة، فليس فيه - والحمد لله - حرج ولا ضيق،

(١) الكهف: ١٠٩.

(٢) الإسراء: ٩.

(٣) معاني الأخبار: ٢/١٣٢.

ولا ضرر، ولا إضرار، وإنما فيه الصالح العام، والتوازن في جميع مناحي تشريعاته، وقد نال إعجاب جميع رجال القانون، واعترفوا بأنه من أثرى ما قُنت في عالم التشريع عمقاً وأصالة وإبداعاً.

٣. فتح باب الاجتهاد: إن من أهم ما تميز به فقه أهل البيت عليهم السلام هو فتح باب الاجتهاد، فقد دلّ ذلك على حيوية فقه أهل البيت، وتفاعله مع الحياة واستمراره في العطاء لجميع شؤون الإنسان، وإنه لا يقف مكتوفاً أمام الأحداث المستجدة التي يتلى بها الناس خصوصاً في هذا العصر الذي برزت فيه كثير من الأحداث واستحدثت فيه كثير من الموضوعات، وقد أدرك كبار علماء المسلمين من الأزهر مدى الحاجة الملحة إلى فتح باب الاجتهاد، ومتابعة الشيعة الإمامية في هذه الناحية.

٤. الرجوع إلى حكم العقل: انفرد فقهاء الإمامية عن بقية المذاهب الإسلامية فجعلوا العقل واحداً من المصادر الأربعة لاستنباط الأحكام الشرعية، وقد أضافوا عليه أسمى ألوان التقديس فاعتبروه رسول الله الباطني، وإنه مما يُعبد به الرحمن، ويكتسب به الجنان. ومن الطبيعي أن الرجوع إلى حكم العقل إنما يجوز إذا لم يكن في المسألة نص خاص أو عام وإلا فهو حاكم عليه، وإن للعقل مسرحةً كبيراً في علم الأصول الذي يتوقف عليه الاجتهاد.

اللغة العربية والثورة العلمية

اللغة العربية فيها نزل القرآن الكريم، وبها بلغ البشير النذير محمد صلى الله عليه وآله وبها كتبت أصول الإسلام في العقيدة والفقه والحديث والتفسير، وهي من الاتساع والشمول والدقة بحيث استوعبت مضامين الشريعة كلها، وتستطيع استيعاب العلوم النافعة في أي عصر، وهي من أنقى اللغات عن الدخيل والهجين وأفضلها تعبيراً عما يستكن في الضمير والشعور ولا سبيل إلى فهم هذا الدين من غير هذه الجهة. وإلى

أهمية اللغة يشير رسول الله ﷺ: جمال الرجل فصاحة لسانه^(١). وفي حديث آخر: ذلاقة اللسان رأس المال^(٢).

ولا يمترى أحد في أن اللغة العربية وعلومها تنزل من علوم الإسلام ومعارفه منزلة اللسان من جوارح الإنسان، ولا نبعد كثيراً إذا قلنا: بل منزلة القلب من الجسد؛ لأنها لسان الإسلام الأسمى، بها نزل القرآن الكريم؛ وهو الدستور المهيمن على جميع شؤون الحياة.

فإذا اعتور اللغة العربية أو أصابها جمود باعد بينها وبين السنة المسلمين وعقولهم؛ واستعجم عليهم فهم كتاب الله تعالى، وأغلقت دونهم أبوابه؛ فيصعب عليهم فهم أسرارهِ التشريعية.

ولم تكن العناية باللغة العربية في عصور الإسلام بأقل من العناية بأي شأن من شؤون الدين؛ بل لقد كان الدين دافعاً قوياً على العناية بها، وحسبنا أن نعلم أن قواعدها لم تُدَوَّنْ إلا صوناً للقرآن الكريم من أن يذْلَفَ إليه اللحن.

ولقد دأب العلماء منذ القديم على أن يصلوا بين علوم العربية والدين الإسلامي بأوثق الصلات؛ حتى إن بعضهم يقدمها في التعليم على جميع العلوم؛ من أجل أن فهم الأحكام وأخذها من الأصول متوقف على التفقه في فنون الإعراب.

إن هذا الفرض الديني من دراسة اللغة العربية هو المنهج الذي قامت عليه دراسة اللغة العربية في العصور الإسلامية المزدهرة، وهو المنهج الذي أصَّله العلماء القدماء، وحثوا على الأخذ به.

ومن أهمية اللغة العربية أن علم أصول الفقه إنما هو أدلة الفقه، وأدلة الفقه إنما هي الكتاب والسنة، وهذان المصدران عربيان، فإذا لم يكن الناظر فيهما عالماً باللغة العربية وأحوالها، محيطاً بأسرارها وقوانينها تعذر عليه النظر السليم فيهما.

(١) ميزان الحكمة ج ٤ ص ٢٧٧٧.

(٢) المصدر السابق.

وتزداد أهمية تعلم اللغة العربية حين بُعد الناس عن المَلَكَة والسليقة اللغوية السليمة؛ مما سبب ضعف المَلَكات في إدراك معاني الآيات الكريمة؛ مما جعل من الأداة اللغوية خير معين على فهم معاني القرآن الكريم والسنة المطهرة.

ولهذا حرص العلماء في العصور المتقدمة على التأليف في إعراب القرآن ومعانيه؛ مما يدل أيضاً على أهمية اللغة العربية في فهم الكتاب العزيز، بل إن بعض هذه الكتب منها ما يسمى بـ (معاني القرآن)؛ مما يوحى بأهمية الإعراب في فهم المعاني.

ومما يجب التدقيق في فهمه بالنسبة للمفسر لكتاب الله ما يلي:

١. معرفة أوجه اللغة؛ وهو أمر ضروري في اختيار ما يناسب النص، وقَصْر المعنى على الوجه المراد.

٢. معرفة الصَّيغ وما تدل عليه من معنى؛ لئلا يؤدي ذلك إلى تفسير القرآن الكريم بما لا يليق أو فهم المعنى غير المُرَاد.

وعلى هذا يجب أن يكون اهتمامنا نابعاً من هذا المفهوم، وهو ارتباط اللغة العربية بالدين والتراث، فالواجب يقتضي ترسيخ هذا المفهوم؛ لأنه سوف يكون الحارس بعد الله على هذه اللغة الشريفة، ويمكن تلخيص هذا المفهوم في الفقرات التالية:

١. النظر إلى اللغة العربية على أنها لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولغة التشريع الإسلامي؛ بحيث يكون الاعتزاز بها اعتزازاً بالإسلام وتراثه الحضاري العظيم.

٢. النظر إلى اللغة العربية على أنها عنصر أساسي من مقومات الأمة الإسلامية والشخصية الإسلامية.

٣. النظر إليها على أنها وعاء للمعرفة والثقافة بكل جوانبها، ولا تكون مجرد

مادة مستقلة بذاتها للدراسة؛ لأن الأمة التي تهمل لغتها أمة تحتقر نفسها وتفرض على نفسها التبعية الثقافية.

ونخلص إلى أن اللغة قد أصبحت لغة العقيدة والعلم على حد سواء؛ لأن بين اللغة العربية والوجود الإسلامي في أي مكان وفي أي زمان تلازماً واضحاً في الماضي والحاضر والمستقبل، فحين يتعرض الإسلام لأنواع الغزوات والنكبات تكون اللغة العربية هي أداة التفكير والتعبير والاتصال؛ تحفظ عليه وجوده الحضاري، وهي التي تساعد على أن يستأنف هذا الوجود بعد كل هجمة أو تعثر.

الخطاب الأدبي

جاءت معجزة الإسلام (القرآن الكريم) تتحدى العقل البشري بالإعجاز: العلمي والثقافي واللغوي والفكري والتشريعي والمنهجي، وكل أنواع الإعجاز للعقل البشري في أقصى درجات رقيه المفتوح إلى يوم الدين. قال تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(١).

ولكن هذا الإعجاز بمختلف أنواعه وفروعه ورد بصورة واحدة من أساليب الخطاب هي صورة الخطاب الأدبي في أعلى مراتب البيان وأرقى أساليب الإعجاز.

وهذه بعض السمات التي يمتاز بها الخطاب الأدبي على غيره من أنواع الخطاب:

١. قدرة الخطاب الأدبي على التأثير في أذواق المخاطبين، والرقى بها نحو الأهداف المرغوبة.
٢. هو أقرب أنواع الخطاب للتربية وتعديل السلوك وتعليم الناس؛ حيث إنه يرقى بالتفكير والقلب والسلوك من خلال أساليبه المختلفة؛ كالأساليب

النوعية (القصة، والحوار، والشعر، والخطابة، والمثل...) أو الأساليب البيانية (كالتشبيه، والاستعارة، والمجاز، والمشهد، والرمز...) أو الأساليب التي تخص علم المعنى (كالدعاء، والاستفهام، والتسوية، والنداء، والتمني، والمقارنة، والأمر، والنهي...) أو الأساليب البديعية (المحسنات، المطابقة، المقابلة، التورية، المبالغة...) وهي أساليب تنبئ الحس الجمالي والمتعة في النفوس، وتحمل الفائدة المرجوة في ثنايا الخطاب الممتع، فتوصلها بطريقة محببة بعيداً عن أساليب الجدل الجاف الذي لا تصبر له النفوس، ولا ترغب فيه.

٣. الخطاب الأدبي لا يؤثر عليه تقلب الزمان ولا تغير المكان؛ ولذلك هو أديم تأثيراً وخلوداً من أساليب (العلم، الجدل، الخبر) المتقلبة لتطورها وتغيرها المستمر وجفافها؛ فربما تقرأ الخبر لمرة واحدة، ولا ترغب في العودة إليه، بينما يبقى الخطاب الأدبي متميزاً بالجمال والمتعة والحيوية والفائدة، وكذلك بالبقاء والثبات والخلود، ولا يؤثر على قيمته أو دلالته أو جاذبيته تقادم الزمان والمكان وتقلب الأجيال؛ لأنه لا يؤدي إلى الملل الذي تقع فيه الأساليب الأخرى؛ فالنفس لا تملّ من تكرار السماع له مرات ومرات؛ لأنه معجون بالجمال الجذاب للنفوس.

٤. يمتاز الخطاب الأدبي بقدرته على إيصال محتواه إلى طبقات المجتمع على اختلاف شرائحها؛ ليُسَرَّ أداته (اللغة) التي يملكها الغني والفقير والمقيم والمرتحل والبدوي والمتحضر والجاهل والحكيم؛ فهو لا يكلفهم جهداً ولا مالاً، وإذا احتاج إلى شيء من ذلك فقد يحتاج إلى اليسير.

٥. إن اختيار الله سبحانه للخطاب الأدبي لتعليم للبشر، وشهادة منه على أنه أفضل أساليبهم لخطابهم والتأثير فيهم؛ مما يدل على أهميته وعظمته وفضله وخطره.

ثورة الأدب

لقد كان الأدب، وما زال، المرآة التي تعكس تفكير المجتمع، وتشير إلى مكامن الضعف والقوة في ثقافته وحضارته، وكذلك كان المبشر بإرهاصات الإصلاح لأي شعب من الشعوب أو أمة من الأمم. والأدب في ذلك يمثل انعكاساً لذاكرة الأمة ينشط بنشاطها ويتراجع بتراجعها.

وقد تعامل الإمام زين العابدين عليه السلام على هذا الأساس مع الأدب لما له من أثر فعال في صياغة وتوجيه الأفكار، وإحلال قيم وأفكار جديدة محل أخرى قديمة، فاستخدم الأدب من أجل ذلك أكبر استخدام، وتوسلوا به، للوصول إلى عقول الجماهير من الناس من أقرب طريق وأسهله.

وقصة الشاعر الفرزدق^(١) خير شاهد على استثمار الإمام زين العابدين عليه السلام الأدب كسلاح فاعل في ثورته على الظالمين، حيث يروي أصحاب السير: أن هشام بن عبد الملك، حج في أحد السنين ولم يل الخلافة بعد، فطاف بالبيت، فجهد أن يصل إلى الحجر فيستلمه، فلم يقدر عليه، فنصب له منبر، وجلس عليه ينظر إلى الناس، فأقبل علي بن الحسين، فطاف بالبيت، فلما بلغ إلى الحجر، تنحى له الناس حتى استلمه، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيئة؟! فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق حاضراً، فقال الفرزدق: ولكنني أعرفه، فقال الشامي: من هذا يا أبا فراس؟ فقال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقى النقي الطاهر العلم
هذا علي رسول الله والده	أمسّت بنور هداه تهدي الظلم
إذا رأيته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

(١) الفرزدق: هو شاعر من شعراء العصر الأموي اسمه همام بن غالب بن صعصعة، من بني دارم لقبه الفرزدق؛ أي قطعة العجين أو الرغيف الضخم. ولد في البصرة سنة ٣٨هـ ونشأ فيها وتوفي سنة ١١٠هـ.

يمنى إلى ذروة العز التي قصرت
يكاد يمسكه عرفان راحته
يغضي حياء ويغضي من مهابته
ينشق نور الدجى عن نور غرته
إلى أن يقول:

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
الله فضله قدما وشرفه
من جده دان فضل الأنبياء له
عم البرية بالإحسان فانقضت
كلتا يديه غياث عم نفعهما
سهل الخليفة لا يخشى بواده

قال: فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق فحبس بعسفان بين مكة والمدينة
فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام فبعث إليه باثني عشر ألف درهم.

وقال: اعذرنا يا أبا فراس فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به، فردها وقال:
يا بن رسول الله ما قلت الذي قلت إلا لرضا الله ورسوله وما كنت لأخذ شيئا فردها
إليه وقال بحقي عليك لما قبلتها فقد رأى الله مكانك وعلم نيتك فقبلها.

فجعل الفرزدق يهجو هشاما وهو في الحبس فكان مما هجا به قوله:

أتحبسني بين المدينة والتي
إليها قلوب الناس يهوى منيها
يقلب رأسا لم يكن رأس سيد
وعين له حواء باد عيوبها
فبعث إليه فأخرجه ^(١).

إن المتدبر لآثار الإمام زين العابدين عليه السلام من خطبه ومناظراته وأقواله وأدعيته

(١) العبر ١: ١٠٤، شذرات الذهب ١: ١٤١، الكنى والألقاب ٣: ١٨. روضة الواعظين، للفتال
النيسابوري: ١٩٩-٢٠٠. ورواها ابن الجوزي، والسبكي في طبقات الشافعية.

يجدها نظاماً متكاملًا يسعى للمحافظة على الفرد المسلم وإبعاده عن تيارات الظلام إلى نور الهدية والصلاح، ويجد أن الإنسان بما هو إنسان هو قيمة عليا عنده ﷺ بعكس السياسات القائمة آنذاك.

وقد استثمر شعراء أهل البيت ﷺ - أمثال الكميت والحميري ودعبل - دعم ومساند وتأييد الإمام زين العابدين ﷺ لهم فاندفعوا بالإسلام، وقدموا للمجتمع قيماً جديدة خالدة، تمثلت في قيم العدل، والحرية، والسماحة، والبعد عن التكلف، والتواضع، الإنصاف من أنفسهم، وحملوا معهم البيان الخالد الذي حفظ لهم لغتهم ووحدتهم، وأمدهم بعناصر الحياة لهذه القيم العظيمة، فتأثر أدبهم من شعر ونثر وخطابة، بهذا البيان، واستمد منه عناصر العظمة والخلود المتمثلة بنصاعة التعبير وقوة التأثير.

وقصة غانم ابن أم غانم تؤكد حقيقة ما أشرنا إليه، فقد روى عبد الله بن سليمان الحضرمي - في خبر طويل - إن غانم بن أم غانم دخل المدينة ومعه أمه، وسأل هل تحسنون رجلاً من بني هاشم اسمه علي؟ قالوا: نعم هو ذاك فدلوني على علي بن عبد الله بن عباس فقلت له: معي حصاة ختم عليها علي والحسن والحسين ﷺ وسمعت إنه يختم عليه رجل اسمه علي فقال علي بن عبد الله بن عباس: يا عدو الله كذبت علي علي بن أبي طالب وعلى الحسن والحسين، وصار بنو هاشم يضربونني حتى أرجع عن مقالتي، ثم سلبوا مني الحصاة فرأيت في ليلتي في منامي الحسين ﷺ وهو يقول لي: هاك الحصاة يا غانم وامض إلى علي ابني فهو صاحبك، فانتبهت والحصاة في يدي، فأتيت إلى علي بن الحسين ﷺ فختمها وقال لي: إن في أمرك لعبرة فلا تخبر به أحداً.

فقال في ذلك غانم بن أم غانم:

أتيت علياً^(١) أبتغي الحق عنده وعند علي عبرة لا أحاول
فشد وثاقي ثم قال لي اصطبر كأنني مخبول عراني خابل

(١) يقصد: علي بن عبد الله بن عباس.

فقلت لحاك الله والله لم أكن
 وخلقى سبيلي بعد ضنك
 فأقبلت يا خير الأنام مؤمماً
 وقلت وخير القول من كان صادقاً
 ولا يستوي من كان بالحق عالماً
 فأنت الإمام الحق يعرف فضله
 وأنت وصي الأوصياء محمد أبوك
 لأكذب في قلبي الذي أنا قائل
 فأطبعت مخللة نفسي وسريلي
 لك اليوم عند العالمين أسائل
 ولا يستوي في الدين حق وباطل
 كآخر يمسي وهو للحق جاهل
 وإن قصرت عنه النهى والفضائل
 ومن نيطت إليه الوسائل^(١)

الأدب الهادف

للأدب قيمة عليا في الحياة، وتأثيره بين على حياة الأمم والشعوب. وإذا ما كان أدباً واعياً هادفاً للمبادئ النبيلة سما بأفراد مجتمعه وارتفع بهم عن مستوى الانحطاط والدونية. فللكلمة السامية والشعر الصادق الرفيع الأثر في الرقي بالفرد المسلم وشحذ همته وعزيمته ليقدم دينه ومعتقدده، فيكون صاحب مهمة عظيمة ورسالة سامية يحملها ليقدمها لأبناء جيله.

إن باستطاعة الأديب الذي يحمل هم الإسلام بين جوانحه أن يفعل ما لا يستطيع أن يفعله غيره، لما يمتلكه من عمق شعور بالمسؤولية، فمهمة الأديب المسلم بعث الحياة وحمل المشاعر لتثير الدروب المظلمة التي تخبط فيها كثير من الناس؛ فتأتي حروف ذلك الأديب لتشرق عليهم وتثير لهم الطريق.

يتميز الشعر الجاهلي بأنه شعر قديم متصل الحلقات يصور حياة العرب قبل الإسلام، فهو سجل العواطف والمفاخر، سجل العصبيات والحروب، فيه أيام العرب ووقائعهم، وتدوين لأصولهم وأنسابهم، وفي ذلك يقول أبو هلال العسكري:

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٧٨، والعامري في الشيبان، والطبرسي في إعلام الوري.

(لا نعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارهم فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها) ^(١).

وللشعر منزلة عظيمة عند العرب وللشاعر مكانة لا تضاهى، فإذا نبغ في القبيلة شاعر هنأتها القبائل، وصنعت الأطعمة، وأعلنت الأفراح لأنه حماية لأعراضهم وتخيلد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنتون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج.

وعندما جاء الإسلام أصبح للشعر أهمية أكثر إذ خرج من طابعه الشخصي والقبلي إلى نطاق أوسع، فنجد الرسول ﷺ يقول لحسان بن ثابت: «لشعرك أشد عليهم من وقع النبل» ^(٢)، مما يبين لنا أهمية الشعر في الذب عن الدعوة وأصحابها.

وإن أقوى ما يكون الشعر السياسي، حين يتجه إلى الملوك والحكام المستبدين بالنقد والسخط، والغضب والحقد، والتهديد والوعيد، فيعلنها الشاعر الحر ثورة عارمة في وجه الطغاة، ويشنّها عليهم حرباً كلامية لا هوادة فيها عالمًا بما يمكن أن يصيبه من جراء تلك المواقف.

وهذا اللون من الشعر ديدنه الحرية، والوقوف في وجه الطغيان، ولا غرو إذا ما تجاوزت معه النفوس في كل زمان ومكان؛ ذلك لأنه مبني على إنكار الذات، ويستند إلى عاطفة إنسانية عميقة الجذور في النفس البشرية.

وقد عرف شعراء أهل البيت هذا اللون من الشعر الثائر، والسخط على الطغاة المستبدين؛ لإبائهم وشممهم، ونفورهم من التحكم والاستبداد.

فهذا الشعر السياسي، وهذه النفس المتوثبة الطموح، وهذه الثورة المتأججة التي انتهت بصاحبها إلى النفي والتشريد ومن ثم إلى القتل في سبيل قضيته.

وقد اتخذ أئمة أهل البيت عليهم السلام من الأدب العربي وخصوصاً الشعر منه

(١) الصنائع: ١٣٨.

(٢) البيان والتبيين، الجاحظ: ١٤٧.

وسيلة مؤثرة من وسائل الإصلاح فكان سلاحاً فاعلاً في ثورتهم ضد الظالمين، وقد نجح الشعراء في إثارة العواطف وتهيئة الأرضية المناسبة لنشر التعاليم الدينية الأصيلة، والوقوف بوجه التيارات المنحرفة التي ما فتأت تنخر في بنية الإسلام، بعدما شهدته المجتمع الإسلامي في العصر الأموي من حالة من فوضى سياسية واجتماعية القت بظلالها على مختلف مفاصل الحياة، وقد زادت الازمة تأزماً بعد شهادة سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام)، فأدت إلى نشوء تيارات فكرية متعددة حتم على الأمة انعطافاً فكرياً اثر كثيراً في الاسس التي قام عليها الإسلام مما شكل خطراً محدقاً، دعا إلى التحرك السريع والمدروس وفق سياقات معينة تتلائم مع طبيعة الظروف القائمة آنذاك.

وكان نصيب الشعر الرسالي الهادف أن وقف وقفة جادة مشرفة قدم فيه أصحابه دماءهم مسترخصين ذلك في سبيل العقيدة الحق، فسعوا إلى الفات نظر الأمة للخروقات الدينية والفكرية التي يرتكبها الأمويون، كما حشدوا - من خلال ما تبنيه من شعارات تدعو إلى اعادة الحق المغتصب إلى اهله - الأمة وعملوا على تعبئة مشاعر الناس للتوجه إلى مظلومية آل البيت (عليهم السلام) والتي كان من ورائها الأمويون، وذكروهم بأبشع جرائمهم جريمة قتل الإمام الحسين (عليه السلام) التي عدها الشعراء محور انطلاقتهم في بيان المظلومية التي تعرض لها الخط الإسلامي الأصيل المتمثل في أهل بيت النبوة (صلوات الله عليهم).

-وفي ظل تلك الظروف العصبية التي عاشتها الأمة الإسلامية كانت المدرسة الأدبية الشيعية قد تخلت عن السير التقليدي الأدبي، الذي يلتزمه الشاعر ليرضي الذوق العام، فالغزل والمديح والهجاء إلى غير ذلك من الأغراض الشعرية باتت في المفهوم الأدبي الشيعي ترفاً ثقافياً لا يساعده الظرف السياسي المستجد الذي يتصدى للإطاحة بقيم الأمة ومبادئها، فالشاعر الشيعي يعيش في زحمة مخاضات فكرية، فما كان الخط الثقافي الشيعي الذي يوجهه آل البيت (عليهم السلام) إلا أن يتصدى لمحاولات التزييف الفكري هذه وكانت الوسيلة

الاعلامية الرائجة وقتذاك، القصيدة الشعرية التي من خلالها يحاول الشاعر تقديم أطروحته الفكرية»^(١).

وقد سار الإمام الباقر (ع) على هدى أبيه السجاد (ع) في التعامل مع الأدب الهادف فـ لم يترك الإمام الباقر (ع) أسلوب الاتصال بالأمّة عن الطريق الذي تعارف عليه الافراد في ذلك الزمان وهو طريق الشعر والشعراء. ويكفي قراء آثار شعراء أهل البيت (ع) كالكميت الأسدي الحميري، وكثير عزة الخزاعي، والفرزدق لنرى طبيعة التأثير الذي كان يتركه ذلك اللون من الاتصال الجماهيري بين الأمّة وقائدها.

ولم تهمل الشريعة دور الشعر في إيصال المراد من الأفكار الإيمانية، بل أيدته إلى أبعد الحدود، واستثنت من ذلك الشعر الذي يؤدي إلى الفساد الأخلاقي والغبي المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾^(٢). وقد ورد عن رسول الله (ص) أنه قال لحسان بن ثابت: - إنك لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك وقلت فينا -^(٣). وقال تعالى بعد ذكر الشعر المذموم والإنكار على الشعراء الذين بنوا صناعتهم على الغواية وخلاف الرشد: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾^{(٤)(٥)}.

وفيما يخص الإمام زين العابدين (ع) فقد نسبت إليه جملة من الاشعار التي تحكي بعض فصول ثورته المباركة وما لاقاه من المحن والويلات.

فمن أشعاره (ع) في الكوفة قوله:

لا غرو إن قتل الحسين وشيخه قد كان خيراً من حسين وأكرما
فلا تفرحوا يا أهل كوفان بالذي أصيب حسين كان ذلك أعظما

(١) موسوعة أدب المحنة، محمد علي الحلو: ٦٥.

(٢) الشعراء: ٢٢٤.

(٣) الغدير، العلامة الاميني ج ٢ ص ٣٩.

(٤) الشعراء: ٢٢٧.

(٥) موسوعة المصطفى والعتره، حسين الشاكري: ١٧-١٨.

قتيل بشط النهر روعي فداؤه
ومنها قوله:

وهو الزمان فلا تنفى عجائبه
فليت شعري إلى كم ذا تجاذبنا
يسري بنا فوق أفتاب بلا وطأ
كأننا من أسارى الروم بينهم
كفرتم برسول الله ويحكم
ومنها قوله:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم
بعترتي وبأهلي عند مفتقي
ومنها قوله:

نحن بنو المصطفى ذوو غصص
عظيمة في الأنعام محتتنا
يفرح هذا الورى بعيدهم
والناس في الأمن والسرور وما
وما خصصنا به من الشرف
يحكم فينا والحكم فيه لنا
ومنها قوله:

من عرف الرب فلم تغنه
ماضر في الطاعة ماناله

(١) الاحتجاج، للطبرسي ج ٢ ص ٣٢.

(٢) مستدرک سفينة البحار، لعلي الشاهرودي ج ٥ ص ٤٨٠.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

ما يصنع العبد بغير التقى
ومنها قوله:

والعز كل العز للمتقى^(١)

يا من يجيب دعاء المضطر في الظلم
قد نام وفدك حول البيت قاطبة
أدعوك رب دعاء قد أمرت به
إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف
وقوله:

يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
وأنت وحدك يا قيوم لم تنم
فأرحم بكائي بحق البيت والحرم
فمن يجود على العاصين بالنعمة^(٢)

أتحرقني بالنار يا غاية المنى
أتيت بأعمال قباح زرية
يا نفس حتام إلى الحياة سكونك؟!
أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك؟

فأين رجائي ثم أين محبتي
وما في الوري خلق جنا كجنايتي
وإلى الدنيا وعمارتها ركونك؟!
ومن وارتبه الأرض من الإفك؟!

ومن فجعت به من إخوانك؟!

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها
خلت دورهم منهم واتوت عراصهم
وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها
وقوله:

محاسنهم فيها بوالى دوائر
وساقتهم نحو المنايا المقادر
وضمتهم تحت التراب الحفائر^(٣)

إذا كان هذا نهج من كان قبلنا
فكن عالماً أن سوف تدرك من مضى
فما هذه دارا المقامة فاعلمن
وقوله:

فإننا على آثارهم نتلاحق
ولو عصمتك الراسيات الشواهد
ولو عمر الإنسان ما ذر شارق

لنحزن على الحوض رواده

نذود نسقی وراده

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) مستدرک سفینه البحار، لعلی الشاهرودی ج ٥ ص ٤٨٢.

وما فاز من فاز إلا بنا وما خاب من حينا زاده
ومن سرنا نال منا السرور ومن ساءنا ساء ميلاده
ومن كان غاصبا حقنا فيوم القيامة ميعاده^(١)

ويصور الإمام زين العابدين (ع) وهو على بعير بغير وطاء وأوداجه تشخب
دما وهو مع ذلك يبكي ويقول:

يا أمة السوء لا سقيا لربكم يا أمة لم تراعي جدنا فينا
لو أننا ورسول الله يجمعنا يوم القيامة ما كنتم تقولونا
تسيرون على الأفتاب عارية كأننا لم نشيد فيكم ديننا
تصفقون علينا كفكم فرحا وأنتم في فجاج الأرض تسبوننا
أليس جدي رسول الله ويلكم أهدى البرية من سبل المضلينا^(٢)

مهمة العلماء

إن المكانة التي حبا بها الله تعالى العلماء لا تعدلها مكانة أبداً، فالنظرة إلى
العلم والعلماء قضية داخلية في صلب العقيدة الدينية، وقد ترسخت هذه المكانة
للعلماء من يوم أن اعتبر أن العلماء هم ورثة الأنبياء. فعن أبي عبد الله (ع) قال: «إن
العلماء ورثة الأنبياء وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا ديناراً وإنما أورثوا
أحاديث من أحاديثهم فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً فانظروا علمكم هذا
عمن تأخذونه فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدو لا يتفون عنه تحريف الغالين
وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

ورثة الأنبياء يعني ورثتهم من غذاء الروح لأنهم أولادهم الروحانيون الذين
ينتسبون إليهم من جهة أرواحهم المتغذية بالعلم المستفاد منهم (ع) كما أن من
كان من نسلهم ورثتهم من غذاء الجسم لأنهم أولادهم الجسمانيون الذين ينتسبون

(١) نفس المصدر.

(٢) بحار الانوار، للمجلسي ج ٤٥ ص ١١٤.

إلهم من جهة أجسادهم المتغذية بالغذاء الجسماني حظاً وافراً كثيراً لأن قليل العلم خير مما طلعت عليه الشمس^(١).

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد». وذلك لأن بالعلم حياة النشأة العقلية والتحلي بالفضائل النفسانية والتخلي عن الأخلاق الردية وبه ترى حقائق الأشياء كما هي وبه تعرف الشرائع من الأوامر والنواهي وهو أصل كل سعادة وخير ودفع كل شقاوة وشر وهو غاية كل سعي وحركة ونهاية كل عمل وطاعة وبه يصير الحيوان البشري ملكاً مقرباً والجوهر الظلماني نوراً عقلياً والأعمى بصيراً والضال مهدياً هادياً والسفلى علوياً والمسجون في سجين صائراً في علين^(٢).

وقد تضافرت الروايات الشريفة على أن المصداق الاسمى للعلماء هم أهل بيت النبوة عليهم السلام، وقد كانت علاقة الجماعة المؤمنة بعلمائهم علاقة مميزة قائمة على الطاعة والامتثال لأوامرهم ونواهيهم، فبينما كانت العلاقة بينهم وبين القادة السياسيين - في الغالب - تحكمها الأمور الرسمية، وتحيط بها مشاعر الرهبة والخوف لأنها كانت ناتجة عن استخدام القوة والإكراه، كانت علاقتهم بأئمتهم علاقة قلبية تقوم على مشاعر الولاء الداخلي الصادق النابع من عقيدتهم، وذلك لأنهم كانوا يجدون فيهم الملاذ من قسوة الظروف، وكانوا يلتمسون عندهم الحلول لمشاكلهم، والنور الذي يهتدون به حينما كانت تشتد عليهم الأحوال.

وحينما حصل الانفصال بين العلم وبين القيادة الظاهرية في حكم الأمة الإسلامية، وتسلبت على الناس من لا يبالي ولا يقيم وزناً لمثل هذه المؤهلات - أصبحت هيئة العالم تزدد، وأثره يترسخ بقدر بعده عن أبواب هؤلاء السلاطين، وكان هذا نوعاً من المقاومة لهذه الحال غير الطبيعية.

(١) الوافي ج ١ ص ١٤١.

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٤٤.

- العلم الصحيح النابع من توجيهات القرآن الكريم، وما صح من سنة رسوله ﷺ .

- الإخلاص في طلب هذا العلم، وفي تبليغه، وعدم الحرص على فضول الدنيا وحطامها الزائل.

- النهج الواضح في التقليل والصبر والبعد عن إذلال النفس وإهانتها في سبيل تحصيل فضول العيش.

- التماس المباشر بطبقات المجتمع الإسلامي، فزاهم يتناولون قضايا الناس الملحة، وينظرون فيما له أثره وانعكاساته على حاضر الناس ومستقبلهم، كما نجد تصديهم للمخاطر التي تحيق بالإمة الإسلامية والأفكار الوافدة والفلسفات الدخيلة التي تسربت بتصوراتها الوثنية، ولوثاتها التي تصادم ما عليه المسلمون من عقيدة ومنهج.

لقد عاش الإمام زين العابدين ﷺ مشاكل عصره بعمق ومعاناة جعلاه مميزاً من بين العلماء في تفاعله مع القضايا المصيرية التي كانت راهنة يومذاك، فلم يكتفي بدروس يلقيها على طلبة العلم، وغوص في غمار المسائل الدقيقة خلال جماعة معدودة، اختصت به، ورضي بها، ولكن - مع أن التبحر في العلم، والتعمق به من لوازم صفات العالم - إلا أنه أدرك أن العلم الذي لا يحرك الجماهير، ولا يبصرها بواقعها ويستحضر لها المخاطر التي تهدد كيانها من جذوره حقيق ان لا يقال له علم.

كل ذلك والأمة تعيش حالة الفرقة، ويعيش في ظلالها أهل الأهواء، على اختلاف منازلهم ومللهم، وفاقاً باطنية تنخر كالسوس في هذا الكيان الذي كان يوماً تحت سلطة مهيبة الجانب، وعلماء ركنا إلى الدنيا، وجمدوا على التقليد، ولقنوا أتباعهم التعصب، وبدل أن ينفقوا جهودهم في إحياء الأمة من رقادها، أنفقوها في الكيد لبعضهم، وفي التسابق في طريق الوشاية عند السلطان.

فتصدى ﷺ للعاملين على إشاعة الجمود والخرافة والتحليل من ربة

الشريعة، فلم يبال بما لهم من قوة مدعاة، فعمل على إرساء أصول النظر الصحيح من خلال إعادة الناس إلى فهم كتاب الله العزيز وسنة رسوله وأهل بيته الطاهرين، ونبذ الأفكار الدخيلة التي فرقت الأمة، وكادت تقضي على البنية التي قام عليها الإسلام. ولم توقفه اقاويل أصحاب الفرق الضالة، والمذاهب المنحرفة، بل قالها صريحة واضحة في وجوههم، وبين حكم الإسلام فيهم، وبطلان أدلتهم القائمة على الشبه والهوى والظلم.

الاجتهاد والثورة العلمية

إن أثر الاجتهاد في المحافظة على منهاج الأمة وعقيدتها واضح على المجتمع الإنساني إذ لا بد له من الحركة والنمو، لأن هذه هي طبيعة الإنسان الذي كلف بمهمة إقامة الخلافة على هذه الأرض، ويشترك المجتمع الإسلامي مع سائر المجتمعات التي تحكمها الليل الأخرى في هذه الخاصية ويفترق عنها في أمور منها:

- أ - أن المجتمع الإسلامي يمثل الأمة الواحدة للبشرية جمعاء، فلا يعرف القوميات، بل يعيش الناس فيه أمة واحدة ولو كانوا من شعوب وقبائل مختلفة.
- ب - أن مهمته إقامة الخلافة على الأرض طبقاً للمنهج الرباني لا كما تصنع المجتمعات الأخرى في إعراضها عن هذا المنهج.
- ج - أن مهمته القوامة على البشرية. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنُكَوِّنُ أَشْهَادًا عَلَى النَّاسِ﴾ ^(١)، وقال: ﴿وَلَتَكُنَّ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ^(٢).

فهو مجتمع يشترك مع المجتمعات المخالفة له في خاصية الحركة والنمو والتأثر والتأثير، ويفارقها في كونه مجتمع عقيدة ربانية ومنهجاً إسلامياً مهمته إقامة

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

الخلافة على الأرض والقوامة على البشرية... ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بطريق الاجتهاد.

فالاجتهاد وهو عنوان (الحركة والنمو) هو السبيل الوحيد لحفظ توازن المجتمع الإسلامي، ولا يقوم إلا بعد عمل وتفقه ينتشر ليغطي أكبر مساحة من المجتمع الإسلامي، وهذا طريق لحفظ رسالته، ومن هذا الجهد ينشأ عمل خر على مستوى أكبر يتدرج حتى يسلمنا إلى مرحلة وجود المجتهدين، وإلى هنا يتحقق لنا أمران:

أ - قيام المجتمع بنشر الوعي الديني عن طريق تفقه الأمة في العلم.. وهذه هي القاعدة التي يبنى عليها ما بعدها.

ب - ظهور صفوة من الفقهاء يمثلون أهل الاجتهاد.

وبهذا يحفظ توازن المجتمع الإسلامي فحركته ونموه الطبيعيان اتجاهاً سليماً ونتج عن ذلك عمل إيجابي فهو من جانب حفظ جهد الأمة من أن يضيع وينحرف، ومن جانب آخر حمل الأمة على أداء رسالتها الخاصة بإقامة مجتمعها على المنهج الرباني.

ومجتمع كهذا لا بد وأن تنتشر رسالته لأنه قد مثلها في نفسه أحسن تمثيل، وهي رسالة الدين الخاتم الذي يحقق العدل الرباني في الأرض فإذا حدثت مرحلة التأثير والتأثير أو قل: زادت وقويت فإن المجتمع الإسلامي يحمل معه عدته وسلاحه، ومن أعظم عدته وسلاحه (الاجتهاد).

إن المجتمع الإسلامي كما يريد أن ينشر المنهج الرباني في الأرض - على الطريقة الربانية - فإن المجتمعات المخالفة تريد أن تدس جاهلياتها وانحرافاتهما في المجتمع الإسلامي أو تقذفها فيه.

وهي لا تصنع ذلك إلا وهو محفوف بكثير من المغريات المادية التي تشتمل على نفع محض بل وفيها حاجيات وضروريات، وقد يكون المجتمع الإسلامي في

بعض الأحيان لا يمتلكها ولم يقدر بعد على تصنيعها.. وهنا إن لم يكن المجتمع الإسلامي يملك عدة (الاجتهاد) يضعف أمام هذه المغريات ثم يفقد توازنه ويبدأ تأثير الغزو الفكري يعمل عمله فيه، وأما إن كان يملك هذه العدة فإن موقفه سيكون إيجابياً ونذكر من آثار هذا الموقف ما يؤكد ضرورة الاجتهاد للمجتمع الإسلامي ومنها:

١. أثر الاجتهاد في رفع معنوية الأمة وزيادة إيمانها بمنهجها الرباني. بيان ذلك: أن الأمة التي تبذل جهدها في بناء أفرادها على منهجها الخاص عن طريق التربية والتعليم ونشر مفاهيم دينها نشرأً صحيحاً وتعرف رسالتها حق المعرفة؛ أمة ولا شك قوية معنويًا، وهذه هي القاعدة التي ينبثق عنها الاجتهاد. وأما زيادة الإيمان بهذا المنهج الرباني فيكون بأن يعلم أبناء المجتمع الإسلامي في كل حين - مع كل حادثة تجدد في هذا المجتمع - أن منهجهم يشملها بحكمه ورحمته وأنها لن تبقى معلقة بلا حكم... ولن نذهب نبحت لها عن حكم في غير هذا المنهج وهنا تزداد الأمة تمسكاً بمنهجها وتزداد عزة وقوة.
٢. أثر الاجتهاد في حفظ الأمة من أن تتسلل إليها آثار الغزو الفكري الجاهلي، وذلك يتحقق بأن يقوم المجتهدون بالنظر في جهد الأعداء المادي والمعنوي، فينظرون في مجموعة ويفرقون بين الحق والباطل، والنافع والضار ثم يختارون - ومنهجهم الرباني هو الحكم وعزتهم وقوتهم تجعلهم يحكمون هذا المنهج ويختارون وهم في توازن كامل، فلا يقعون في متابعة أعدائهم ولا يرفضون كل شيء... بل يختارون وهم لا يزالون يمثلون الرسالة - الربانية والقوامة على البشرية، ولا يضرهم ولا ينقصهم في شيء أن يأخذوا ويختاروا ما ينفعهم، ولا يضرهم ولا ينقصهم أن يرفضوا ما لا ينفعهم، ولا يمكن أن نفرق بين الضار والنافع وما يوافق المنهج الرباني وما يخالفه إلا عن طريق (الاجتهاد).

٣. أثر الاجتهاد في هداية الأمم الأخرى - وذلك قبل الجهاد - إن موقف المسلمين هذا لا شك سيكون له أكبر الأثر في أعدائهم فأول ما يعلمه الأعداء أنهم أمام أمة لا يمكن أن تُستغفل وتُمتطى وهذا له تأثير نفسي عميق يجعل الأعداء في موقف التأثر والإعجاب والانبهار أمام هذه الأمة القوية التي تحسن أن تختار لنفسها حسب ما يرتضيه منهجها الرباني، والأثر الذي يتبعه مباشرة أن يعرف الأعداء - بعد انكسارهم النفسي - أن في الأرض منهجاً متوازناً يفرق بين الحق والباطل والنافع والضار ولا يهدر طاقات العقل البشري النافعة، ويحول في الوقت نفسه بين انحرافات البشرية وبين الفطرة الإنسانية ليقوم العدل في الأرض، وهذا المنهج هو (الإسلام) وهذه دعوة عملية لها من الإيجابية وحسن التأثير شيء عظيم.

المبحث الخامس

الثورة العبادية

مفهوم العبادة

عبادة الله سبحانه هي المنهج الذي يحفظ لهذا الكون انتظامه وسيره لهذا جعل المهمة التي خلق الله البشر من أجلها هي عبادته وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)، مع استغنائه عن الخلق كلهم، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَوِيُّ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَيَّ مَا هَدَيْتُكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢). فأعظم مقاصد العبادة حصول التقوى التي هي الحاجز عن وقوع الإنسان في المعاصي، وأداء العبادة كما أمر الله بها هو سبيل سعادة هذه البشرية بأكملها.

والعبادة بهذا المفهوم هي صمام الأمان الذي يكبح جماح النفس البشرية، وهي السبيل الذي يحجز البشرية عن التمرد على شرع الله تعالى، فالخلل في أداء العبادة مؤذن بالخلل في الكون.

والعبادة الحقّة تعني تمام المحبة مع تمام الخضوع والتذلل لله عز وجل الذي

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) الحج: ٣٧.

يعني طاعته سبحانه والانقياد لأمره، ومحبة ما يحب، وبغض ما يكره، واتباع رسوله ﷺ فيما أمر ونهى وما سن وما شرع، من غير زيادة ولا نقصان؛ وإلا.. فما قيمة محبة وخضوع لا يثمران طاعة واتباعاً وقبولاً والتزاماً؟ والعبادة الحقّة هي التي تجمع بين المحبة والخوف والرجاء والذلة والخضوع.

إن من أخص خصائص العبادة: الطاعة، والاتباع، والخضوع، والانقياد، فكما أن العبادة تأتي بمعنى الدعاء والنسك، فهي تأتي أيضاً بمعنى الطاعة والاتباع، ولكن الجاهلين أو المتجاهلين يريدون حصرها فقط في الشعائر التعبدية والعبادات الخاصة، ثم لا دخل بعد ذلك للعبادة في شؤون الحياة وتسيير دفتها.

مفهوم الدين

الدين: مصدر دان يدين ديناً، إذا خضع وذل، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده، وهو الخضوع له والعبودية له، قال أهل اللغة: أسلم الرجل إذا استسلم. فمن استكبر عن عبادة الله، أو عبده وعبد معه إلهاً آخر لم يكن مسلماً، وجميع الواجبات الظاهرة داخلة في مسمى الإسلام^(١).

ويدخل في مسمى الدين أيضاً عند الإطلاق الأعمال الباطنة وهي أعمال القلوب؛ كالحب والخوف والرجاء والخشية والرغبة والرغبة والإنابة والتوكل والمعرفة واليقين والصدق، وعلم القلب وتصديقه؛ كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

كما يدخل فيه جميع الأعمال الظاهرة، كالنطق بالشهادتين والصلاة وأداء الزكاة وصيام رمضان وحج بيت الله الحرام وبر الوالدين والإحسان إلى الأقارب والجيران والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدخل فيه أيضاً: إفشاء السلام وإطعام الطعام والجهاد في سبيل الله وطاعة أولي الأمر في طاعة الله ونصح المسلمين وتعليمهم وإرشادهم.

(١) مفردات الراغب: مادة (دين).

وكذلك ترك المحرمات داخل في مسمى الإسلام ومسمى الدين كالزنا والرياء والسرقة وشرب الخمر وأكل مال اليتيم وإيذاء الجار بقول أو فعل. فالخلاصة أنه يدخل في مسمى الدين ومسمى الإسلام عند الإطلاق: فعل جميع الواجبات القولية والفعلية، وترك جميع المحرمات القولية والفعلية. والأدلة الدالة على أن أعمال الدين مرتبطة بالقلب واللسان والجوارح كثيرة، منها ما ورد عن - الإمام زين العابدين (ع) - لما سئل عن جميع شرايع الدين -: قول الحق، والحكم بالعدل، والوفاء بالعهد^(١). فهذه الأعمال لا تنفك ترتبط بالقلب واللسان.

فالدين منهج الحياة الذي أراده الله تعالى للبشر، فهو يربط حياة الناس بمنهج الله تعالى، ولا يمكن أن ينفك عنصر العقيدة الإيمانية عن الشعائر التعبدية، ولا عن القيم الخلقية، ولا هذا وذاك عن الشعائر والأحكام التنظيمية، في أي دين يريد أن يصرف حياة الناس وفق المنهج الإلهي.

لهذا فقد قام دين الله على ثلاثة محاور القضايا الإلهية والأحكام الشرعية والمبادئ الأخلاقية، فطبيعة الدين الرباني أن يتضمن تنظيماً لحياة الناس بالتشريع، وأن لا يقتصر على الجانب العقدي وحده، ولا على الجانب التهذيبي أو الأخلاقي وحده، ولا على المشاعر الوجدانية وحدها، ولا على العبادات والشعائر وحدها كذلك. وقد لخص الإمام الباقر (ع) المنظومة الدينية وجمعها في أصل واحد تعود إليه باقي الأصول والمحاور فقال: «حبنا أهل البيت نظام الدين»^(٢).

وأي انفصال لهذه المقومات يبطل عمل الدين في النفوس، كما يبطله في الحياة، وهذا يخالف مفهوم الدين وطبيعته كما أراده الله تعالى. ولهذا فقد حذر الإمام الباقر (ع) من آفات الدين: «لا دين لمن دان بطاعة من عصى الله، ولا دين

(١) الخصال: ٩٠ / ١١٣.

(٢) أمالي الطوسي: ٢٩٦.

لمن دان بفرية باطل على الله، ولا دين لمن دان بجحود شيء من آيات الله^(١). وفي حديث آخر: «لا دين لمن دان الله بطاعة الظالم»^(٢).

ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما جاءت به شريعتنا الإسلامية من تعاليم، مما لم يكن في الشرائع السابقة، مما يحتاج إليه الناس في حياتهم اليومية، وفي روابطهم الشخصية، ومعاملاتهم، بعضهم مع بعض، فردية كانت هذه المعاملات أو جماعية، كبيان أحكام البيع والإجازة في العقارات والمنافع، وغير ذلك من ضروب المعاملات.

وقد أشار الله سبحانه إلى كثير من هذه المعاني، فقال عن عيسى عليه السلام: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾^(٣). وقال سبحانه عن دعوة نبينا محمد ﷺ ورسالته: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(٤). وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(٥).

الدين منهج شامل للحياة

الدين منهج حياة يحكمها ويهيمن عليها بتشريع من عند الله سبحانه يتضمن كل التفاصيل والكليات التي من شأنها أن ترتقي بالحياة منهج شامل للحياة.

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٧٣ ح ٤.

(٢) امالي المفيد: ١٨٤.

(٣) آل عمران: ٥٠.

(٤) الاعراف: ١٥٧.

(٥) المائدة: ١٥.

لقد كانت الأديان السماوية جميعاً مناهج حياة جاءت لكي تبني الحياة على عين الله وبتشريعه، وتعلن انقلابها على نظم الأرباب والكهنة والمشعوذين والزعماء الذين كانوا وسيظلون يمارسون عملية تشويه الحياة، وقتلها، وتخريبها. قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾^(٢).

إن مجابهة الانحراف لن تكون بكلمات تقال، ولا بدعوة مسالمة لتطهير روح الإنسان من الشر والخطيئة، ولا بدين تقتصر مفرداته على الصلاة والحج والصيام. لن تكون إلا بتشريع مفصل، ودعوة شاملة، ودين يتولى معالجة كل شيء. وإن تخليص الناس مما يعانونه، وتحريرهم منه، وصياغة عالم سعيد جدير بكرامة الإنسان لن تصنعه إلا حركة تسير على أرض الواقع وتستمد من ثقله ومواضعاته وسائل قدرتها على الانتقال بالناس من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.

إنها مهمة ثقيلة مبهظة تحتاج إلى جهد مبهظ ثقل، وبرنامج عمل مرسوم لا تند عنه صغيرة ولا كبيرة، ولا تنسحب من تحت قدميه أرضية العالم بكل ثقلها وصلابتها. تُرى هل بمقدور حركة جادة أن تسير في الفضاء؟

لقد كان الدين وما زال طريقاً للخلاص بهذا المعنى وحده، وليس بأي معنى آخر على الإطلاق.

أثر الدين في الحياة

أن نزرع الدين في النفوس نزرع فطرية، لا يمكن لها بسهولة أن تنفك عنه، ولو انفكت عنه لكان معنى ذلك أنها انتكست وتردت إلى مستوى الحيوان الأعجم الذي لا يملك عقلاً ولا نظراً ولا بصيرة.

(١) الانعام: ٣.

(٢) الزخرف: ٨٤.

وقد أشار الله تعالى في كلامه المجيد إلى أصالة هذه الفطرة في جميع بني الإنسان وأن ما طرأ عليها ليس إلا انحرافاً، نعم فالدين يحقق الكمال ويوفر الخير والسعادة للبشرية كلها أفراداً وجماعات، ونوضح ذلك فيما يلي:

أما بالنسبة للفرد.

١. فالدين عنصر ضروري لتكميل القوة النظرية في الإنسان، فهو يخرج بالعقل والفكر عن سجن الماديات والمحسوسات إلى مجال الغيب الفسيح الذي يجد العقل فيه متعته ولذته من غير حدود ولا قيود، وبهذا تتسع مدارك الإنسان ويتفتح عقله على معارف شتى تشق أمامه الطريق إلى ما فيه خيره وسعادته.

٢. والدين عنصر ضروري لتكميل الوجدان، حيث يدعو إلى تعلق المخلوق بالخالق، وعرفان ماله عليه من فضل ومنه، ومراقبته في السر لاعتقاده أنه يراه، وبهذا تقوى عند الإنسان عاطفة الحب، والشكر، والإخلاص، والحياء، والأمل، وغيرها من العواطف التي قد لا تجد لها في دنيا الناس معينا يغذيها وينميها. وبهذا تسمو عاطفة الإنسان نحو الخير دائماً، فيستقيم على الجادة، ويمضي في حياته طاهر القلب نقي الوجدان.

٣. والدين عنصر ضروري لقوة الإرادة عند الإنسان، فهو يمدّها بأعظم البواعث والدوافع لعمل الواجب، ويحصنها بأقوى الوسائل لدفع اليأس ومقاومة القنوط، وبهذا يمضي الإنسان في طريقه إلى ما تطمح له نفسه من أمانى وآمال وهو لا يلوي على شيء.

وأما بالنسبة للمجتمع.

١. فالدين بما حواه من هداية إلهية وتشريعات سماوية، يكفل للمجتمع الإنساني كل عوامل السعادة والأمن والاستقرار، ولا يكون ذلك أبداً عن تشريع وضعي وضعه فرد أو جماعة لأمة معينة؛ ذلك لأن الإنسان مهما سما فكره

ونضج عقله لا يمكن أن يحيط خبرا بكل ما يوفر للإنسانية سعادتها وأمنها واستقرارها، لأنه - لاعتبارات وملازمات شتى - قد يرى الحسن قبيحا، والقبيح حسنا، وقد يظن النافع ضارا، والضار نافعا، وقد يشرع على وفق ميوله وهواه دون مراعاة للمصلحة العامة، وينتهي به الأمر إلى تشريع يقوض ولا ينظم، ويدمر ولا يعمر، ومن وراء ذلك ضياعه وضياع الجماعة التي يعيش بينها.

والله الذي خلق الإنسان، وركب فيه طبائعه ونوازعه، وآماله وآلامه، وإثاره وأثرته، ورغباته وشهوته، هو الخبير بكل علله وأدوائه، والعليم بوسائل شفائه، وناجع دوائه، فهو وحده الذي يقدر أن يضع للجماعات الإنسانية من الشرائع والقوانين ما يحقق لها أسباب السعادة، ويوفر لها عوامل العزة والمنعة، ويهيئ لها كل وسائل الأمن والاستقرار، وذلك يكون في نطاق دين يدعوها إليه على لسان رسول منها، ويتعبدها به على أنه الدين الحق الذي لا يحيد عنه إلا هالك.

٢. والدين بعد ذلك هو السلطان المهيمن على نفوس المؤمنين به، يحملهم على الأخذ بتعاليمه، ويدفعهم إلى القيام بما سنه لهم من تشريع وتنظيم، ويدفعهم إلى التحلي بالفضائل، ويحول بينهم وبين ارتكاب الرذائل، وليس هناك وراء الدين شيء يهيمن على النفوس، فلا العقوبات المادية تغني، ولا سلطان الحاكمين يجدي، وحرمة النظم والقوانين أياً كانت لا يكفلها شيء من ذلك، وإنما يكفلها ويرعاها شيء واحد هو الضمير الديني الذي ينبع من قرارة النفوس المؤمنة التي تراقب الله في سرها وعلنها.

٣. والدين يجعل الجماعة الإنسانية على قلب رجل واحد، يجمعهم على الخير والبر، ويؤلف بين قلوبهم حتى يكونوا إخوة متحابين متناصحين، متعاونين، متكافلين، كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

الدين القيم

الدين هو المنهج والشرعية والنظام، وهو يأتي هنا لتأكيد حقيقة كونه المنهج الوحيد بمواجهة سائر المناهج الوضعية التي تقوم على التحريف والتزييف والتزوير لحقائق الكون والوجود والإنسان. ﴿أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾^(١). و«القيم هو القائم بالأمر، القوي على تديره، أو القائم على ساقه غير المتزلزل والمتضعع، والمعنى أن دين التوحيد وحده هو القوي على إدارة المجتمع وسوقه إلى منزل السعادة، والدين المحكم غير المتزلزل الذي فيه الرشد من غير غي، والحقية من غير بطلان، ولكن أكثر الناس بسبب انهماكهم في زخارف الدنيا الفانية حرموا سلامة القلب واستقامة العقل، لا يعلمون ذلك، إنما يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة معرضون»^(٢).

الدين الحنيف

إن العودة إلى الدين هي عودة إلى النبع الصافي والجذور الموغلة في الأعماق، وهي لقاء بالفطرة النقية بعد ضياع وتخبط طويلين في دروب الضلال. قال الإمام الباقر عليه السلام - وقد سأله زرارة عن قول الله عز وجل: ﴿حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾^(٣) -: الحنيفية من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ﴿لَا يُدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(٤) قال: فطرهم على المعرفة به^(٥). عنه عليه السلام: ما أبقت الحنيفية شيئا حتى أن منها قص الشارب والأظفار، والأخذ من الشارب، والختان^(٦).

العبادة والسلوك

إن للتلازم بين العبادة والسلوك أثره الواضح في إصلاح الفرد الذي هو

(١) يوسف: ٤٠.

(٢) تفسير الميزان ج ١١ ص ١٧٨.

(٣) الحج: ٣١.

(٤) الروم: ٣٠.

(٥) الكافي ج ٢ ص ١٢ ح ٤.

(٦) ميزان الحكمة ج ٢ ص ٩٥١.

اللبنة الأولى في إصلاح المجتمع وبنائه؛ لما لذلك من علاقة في تغيير الأنفس. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١)؛ ولأن هذا التلازم كذلك يتعلق بجهاد النفس المقدم على جهاد العدو، والمسلم إذا لم يجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أمرت به، وتترك ما نُهيته عنه، ويحاربها في الله لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج، وبإصلاح الفرد بدأ الأنبياء والمرسلون، وفي مقدمتهم نبينا محمد ﷺ.

وحقيقة العلاقة بين العبادة والسلوك هي علاقة توافق سلباً وإيجاباً، وذلك لأن العبادة التي تؤدي على الوجه الأكمل تنتج سلوكاً إيجابياً في الغالب، والتي لا تؤدي على الوجه الأكمل تنتج سلوكاً سلبياً في الغالب، أو على الأقل تنتج سلوكاً فيه نقص أو خلل. وفي هذا المجال يبين لنا الإمام الباقر (عليه السلام) الأثر الواضح في اثر السلوك على العبادة فيقول: من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يؤدي عن الله عز وجل فقد عبد الله، وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان^(٢).

الأسباب الرئيسة للتناقض بين العبادة والسلوك:

إن واقع المجتمعات المسلمة الظاهر، والممارسات الاجتماعية والاقتصادية في الغالب تدل على هذا التناقض، ويجد المتأمل أمثلة واقعية كثيرة قولية وفعلية، ومن ذلك انتشار التعامل بالربا، وكثرة الكذب والغيبة والنميمة والغش والخداع والظلم، وعقوق الوالدين، وعدم الوفاء بالعقود والعهود... الخ.

ولعل أهم الأسباب التي تؤدي إلى التناقض بين العبادة والسلوك:

١. الفهم غير الصحيح للإسلام: ويعود ذلك إلى عدم فهم القرآن الكريم على وجهه الصحيح؛ حيث أصبحت قراءته لدى كثير من الناس دون فهم وتدبر

(١) الرعد: ١١.

(٢) الكافي ج ٦ ص ٤٣٤ ح ٢٤.

وتطبيق. فقد كان القرآن الكريم كل شيء في حياة المسلمين لهذا أدرك كفار قريش أن السبيل لمحاربته هو أن يبعدوا تأثيره عن قلوب المسلمين، وأن يصدوا الناس عن سماعه والإقبال عليه. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَافِيةُ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١).

٢. حب الدنيا واتباع الشهوات: إن شغل قلب المسلم وعقله وفكره بحب الدنيا وكيفية تحصيلها بأشكالها وأنواعها حتى أصبحت أكبر همه، واحتلت الشهوات المكانة الأولى في اهتماماته، أدى إلى إيجاد هوة واسعة جدا بين العبادة والسلوك.

٣. خلو الشعائر التعبدية من الخشوع والخضوع الحقيقي: لقد أصبحت الصلاة - مثلاً - لدى الكثيرين جسداً (شكلاً) دون روح (مضمون)، فلم تعد تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولم يعد المصلي يستشعر بين يدي مَنْ يقوم، وَمَنْ يواجهه. ويصوم المسلم عن الطعام والشراب، ولا تصوم جوارحه؛ فلا يكف لسانه عن الغيبة والنميمة والكذب، ولا عينه عن النظر للعورات، ولا أذنيه عن سماع المحرمات. ويؤدي المسلم الحج، ولكنه لا يتغير فيه شيء لا قَبْلَ الحج ولا بَعْدَه.

٤. ضعف الإيمان، وبخاصة في جانب مراقبة الله عز وجل، فلم يعد المسلم يستشعر أن الله يراه في كل وقت وحين؛ لذلك صار يقع في المخالفات الشرعية.

٥. الجهل بخطورة هذا التناقض على العبادة: ويعود ذلك بشكل رئيس إلى بُعد المسلمين عن العلم الشرعي وعن التلقي عن العلماء الذي تولّد منه عدم الاكتراث بقبول العبادة أو عدمه. ومن جانب آخر ضعف الشعور بالمؤاخذه على أعمال الجوارح، بل برزت الاستهانة بأفعالها، حتى انطبق عليهم قول الله

تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (١).

علاج التناقض بين العبادة والسلوك:

يتلخص العلاج الناجع لهذه الظاهرة في فيما يأتي:

- العودة إلى دراسة سيرة النبي ﷺ، وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ليعينه ذلك في فهم الجوانب المتعلقة بالتلازم بين العبادة والسلوك.
- العمل على إيجاد قدوات حقيقية في المجتمع المسلم يتمثلون بتعاليم الإسلام بدقة وحذر، ويخشون أن يؤتى الإسلام من قبلهم.
- إبراز مكانة العلم الشرعي وعلمائه في الأمة.
- العودة إلى فهم الإسلام وتعاليمه على يد العلماء العاملين الثقاة.

الفطرة السليمة

الفطرة من فطر الشيء، يفطره فطراً، فانفطر، وفطره، أي شقه، وتفطر: تشقق، فالفطر: الشق. وجمعه: فطور، ومنه فطر ناب البعير، إذا طلع، وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (٢)، أي انشقت، وفطر الله الخلق، يفطرهم: خلقهم وبدأهم، فالفطر - أيضاً -: الابتداء والاختراع، كما قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٣) أي خالقهما ومبتدئهما.

فأصل كلمة «فطر» يرجع إلى التشقق، والابتداء، والخلق، والمعنيان الأخيران (الابتداء والخلق) يناسبان المعنى الاصطلاحي، كما سيتبين ذلك.

وقد وردت لفظة «الفطرة» مصدراً في القرآن الكريم في آية واحدة هي قوله

(١) النور: ١٥.

(٢) الانفطار: ١.

(٣) فاطر: ١.

تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الْبَاقِ﴾ ^(١)، وإن كان أصل الكلمة قد ورد بصيغ أخرى - غير صيغة المصدر - في آيات كثيرة، ترجع معانيها إلى الخلق والابتداء والتشقق، وهي معانيها اللغوية.

أما السنة، فقد ورد لفظ «الفطرة» مصدراً في أحاديث كثيرة، أشهرها قول النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه...» ^(٢).

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان على فطرة التوحيد والإيمان، وقد أخذ العهد على بني آدم مذ كانوا ذرية في ظهور آبائهم وأشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ ^(٣)، وفي الحديث القدسي «.. إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم» ^(٤).

فالإنسان مؤمن بفطرته، يتجه إلى الله عز وجل وحده بالعبادة والخضوع، ولكن هذه الفطرة قد يغشاها ما يغشاها، أو قد تنحرف وتمرض، بتأثير بعض العوامل كالوالدين أو البيئة الكافر أهلها، ففي الصحيحين عن رسول الله ﷺ قال: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟» ^(٥).

والفرد المسلم يدرك عدداً من المعاني الدينية بتأثير هذه الفطرة التي أودعه الله إياها، حيث تتصافر في إيجاد وعي ديني يثير نشاطاً عملياً، كالعبادة التي تترجم عن إيمانه، وكالجهاد في سبيل الله، وتحمل المطالب والمسؤوليات تجاه دينه، والاستهانة بالعقبات التي تقف أمامه.

(١) الروم: ٣٠.

(٢) الخلاف، للطوسي ج ٣ ص ٥٩١.

(٣) الاعراف: ١٧٢.

(٤) تفسير القرطبي ج ٥ ص ٣٨٩.

(٥) الخلاف، للطوسي ج ٣ ص ٥٩١.

فإذا ما تمكنت الفطرة السليمة منه وجد في الدين أملاً مشرقاً بعد يأس مظلم، ووجد فيه أمناً من خوف، وفكراً يسدّ فراغه النفسي وقلقه الانفعالي.

وهذا الوعي الديني، يجب توجيهه وجهة سليمة صحيحة، تتفق والمقدرة العقلية للفرد المسلم وتكوينه النفسي والانفعالي، ليكون فهمه للدين فهماً صحيحاً، بعيداً عن الأوهام والخرافات والتعصب، بحيث يبعث ذلك في نفسه السكينة والاطمئنان، والثقة بالنفس، مع القناعة العقلية والوجدانية، والمباعدة بينه وبين الغرور.

وهذه الفطرة لا يمكن ان تترك دون تقنين، فلا بد من وازع من الدين والتربية القويمة تربط القيم الأخلاقية النبيلة بالعقيدة الحقّة وإيمانه بالله تعالى، ووجوب الالتزام بشرعه، وبضبط النفس بين دوافعه وضوابطه، وطموحاته وواقعه، وهي مسؤولية عظيمة تقع على عاتق كل من جعله الله تعالى داعياً لأولئك الأفراد، تحتاج إلى عون من الله تعالى، وإلى كثير من الجهد والصبر والمصابرة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

سنن الفطرة وأثارها التربوية

إن الإسلام دين الفطرة التي قال فيها الحق سبحانه: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(٢)، وتمثل هذه الفطرة في طهارة المسلم ظاهراً وباطناً، فأما طهارة الباطن فهي متعلقة بالقلب وتعني تطهير النفس الإنسانية من الشرك بالله، وتتطلب إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، والقيام بالأعمال الصالحة والأفعال الخيرة.

وأما طهارة الظاهر فهي الفطرة العملية التي تشتمل على كل ما كان متعلقاً بجمال المظهر عند الإنسان المسلم وحسن سمته. لما في ذلك من ملاءمة للفطرة السوية التي خلق الله الإنسان عليها، والتزام بهدي النبوة المبارك.

(١) العنكبوت: ٦٩.

(٢) الروم: ٣٠.

ولأن الإسلام هو دين الفطرة الذي عرف أسرارها، وكشف خباياها، وسبر أغوارها، فقد قدم لها ما يصلحها وما يصلح لها من تعاليم وسنن وتوجيهات جاءت لتشكيل رافداً من روافد التربية الجمالية في حياة المسلم، ولتعرض نموذجاً مثالياً لحياة المصطفى ﷺ، كما إنها تحقق معنى التوازن الذي تفتقده جميع الفلسفات البشرية التي عرفها الإنسان قديماً وحاضراً حيث إنها تركز مرة على الجانب الجسدي، وتارة على الجانب العقلي، وأخرى على الجانب النفسي وهكذا.

كل هذا يعني أن سنن الفطرة تضع الشخصية المسلمة في وضع متوازن عادل يمثل الوسطية المطلوبة فلا إفراط ولا تفريط. وليس هذا فحسب بل إن هذه السنن في مجموعها تمنح الإنسان تكريماً إلهياً يأتي كأبداع ما يكون التكریم.

وهذا البحث يقدم من خلال سنن الفطرة نموذجاً للتربية الإسلامية يتحقق في كرامة الإنسان المسلم الذي أراد الله - جل وعلا - أن يكون خليفة في الأرض، ويتمثل في توازن شخصيته في جوانبها المختلفة.

سنن الفطرة نموذج تربوي

تحتاج كل تربية إلى نموذج واضح يجسد معالم هذه التربية ويوضح تعاليمها بصورة واقعية تنقل المجرّد إلى محسوس، والقول إلى عمل، والنظرية إلى تطبيق.

وفي التربية الإسلامية لا يوجد أعظم ولا أكمل ولا أفضل من شخصية محمد ﷺ لتكون نموذجاً حياً، وقدوة حسنة للإنسان المسلم في كل زمان ومكان. ولا ريب فهو من اصطفاه ربه - جلا وعلا - وقال فيه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١). وهو الذي بعثه الله لأمته معلماً ومزكياً ومربياً. قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٢). وهو الذي مدحه ربه سبحانه بما منحه فقال

(١) الاحزاب: ٢١.

(٢) آل عمران: ١٦٤.

له سبحانه في كلمات موجزات: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١). فكان كل خلق فاضل وسلوك سليم متمثل في حياة رسول الله وشخصيته المتكاملة التي استوعبت كل جوانب الحياة.

وبذلك جسّد الرسول ﷺ منهج التربية الإسلامية السامية في الواقع العملي لحياته متمثلاً في سنن الفطرة.

من هنا كان للمحافظة على هذه السنن أثر تربوي عظيم يتمثل في أن التزام المسلم بها وتطبيقه لها في واقع حياته يدل على أمرين هما:

– التصديق بما ورد في سيرة الرسول والتقليد والاتباع لهدي التربية النبوية في كافة الأعمال وجميع التصرفات. وهذا بدوره كفيل بتعود المجتمع المسلم بمن فيه من أفراد على السمع والطاعة والامتثال لأوامر الله والرسول ﷺ، لا سيما وأن في الناس نزعة فطرية لتقليد ومحاكاة من يحبون، وليس هناك أحب عند المسلم من رسول الله ﷺ.

– اتخاذ القدوة الحسنة من المعلم الأول والمربي الأعظم ﷺ كشخصية فذة متكاملة متوازنة.

سنن الفطرة وتكريم الإنسان

لما كان الدين الإسلامي هو المنهج الرباني المتكامل والمناسب للفطرة الإنسانية، لأنه جاء من عند الخالق – عز وجل – لصياغة شخصية الإنسان صياغة متوازنة متكاملة، لا ترفعه إلى مقام الألوهية، ولا تهبط به إلى درك الحيوانية أو البهيمية، وإنما لتجعل منه خير نموذج على الأرض؛ فقد خصه – جل وعلا – بتكريم يليق به لكونه جُعل في الأرض خليفة ليعمرها وينشر منهج الله بين ربوعها ويقيم شريعته فيها. ثم لأنه – جلا وعلا – خلقه في أحسن تقويم فكرمه بالصورة الحسنة والمظهر الجميل، فكانت سنن الفطرة عاملاً مهماً في إبراز هذا الجمال

والمحافظة عليه. وليس هذا فحسب بل إن الله كرم الإنسان بأن نفخ فيه من روحه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(١).

فكان ذلك تكريماً للكائن البشري وتمييزاً له عن سائر المخلوقات، إضافة إلى ما خصه الله به من نعمة العقل. فكان للجانب العقلي انعكاس على سلوكه وتصرفاته تجعله يحكم ذلك العقل كثيراً، لا سيما وأن ذلك العقل يعد مناط التكریم الإلهي للإنسان.

ومن هنا نرى أن سنن الفطرة دليل على تكريم الخالق سبحانه للإنسان المسلم لأمرين هما:

- إن تكريم الله سبحانه للإنسان نابع في الأصل من كون هذا الإنسان يحمل منهج الله في الأرض، وأن هذا المنهج يعتمد على مصدرين رئيسيين أحدهما متمثل في اتباع الهدى النبوي والسنة المطهرة.
- إن من السنة الاقتداء برسول الله، وهذا يحصل للمسلم عن طريق محافظته على سنة الفطرة.

سنن الفطرة والشخصية الإسلامية

مما لا شك فيه أن الكيان البشري يشتمل على عدة وحدات هي: الجسم، والعقل، والروح. ولذلك فإن التربية الإسلامية حرصت على الربط بين هذه الوحدات لتجعل منها كياناً واحداً مترابطاً، واختطت لذلك منهجاً فريداً في إحاطته بجميع الجوانب الإنسانية، فجاء هذا المنهج متوازناً مهتماً بالذات الإنسانية في كل حالاتها. ولا ريب فهي تربية للإنسان كله جسمه وعقله، روحه ووجدانه، خلقه وسلوكه، سراته وضراته، شدته ورخائه، أي أنها تشمل كل الجوانب الشخصية دون قهر أو كبت أو فوضى أو تسبب أو إفراط أو تفريط.

ولذلك جاءت شخصية الإنسان المسلم متوازنة سوية متكاملة، لا يطغى فيها جانب أو يهمل على حساب الجانب الآخر. وهذا هو ما نلمسه في هذه السنة هي التي إلى جانب كونها من المظاهر الدنيوية فهي عبادة يثاب عليها المرء، وتكسبه الأجر والثواب متى قصد بها وجه الله سبحانه والاقتداء بهدي النبوة. وهذا بدوره يربط بين الهدفين الديني والدنيوي للتربية الإسلامية.

سنن الفطرة والاستقامة الإيمانية

من المسلمات أن التربية الإسلامية تسعى إلى تحقيق غاية عظمى، وهدف أسمى يتمثل في استقامة النفس البشرية على نهج الإيمان الواضح الصحيح الذي لا تشوبه شائبة، وذلك أمر لا يمكن تحقيقه إلا بممارسة شرائع الإسلام واتباع تعاليمه، والانقياد لأوامره والابتعاد عن نواهيه. فالاستقامة إذاً مرحلة ثانية تأتي بعد الإيمان لأنها أثر من آثاره ونتيجة من نتائجه. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ (١).

وهذه الاستقامة الإيمانية لا تتحقق إلا بالفقه الشرعي ومعرفة أمور الدين، والإحاطة بتعاليمه، ورعاية الأخلاق وتطبيقها في واقع الحياة ليصبح الإنسان المسلم بذلك كله قدوة صالحة وأسوة حسنة. ثم لأنه متى استقام قلب المسلم على معرفة الله سبحانه وعلى خشيته وتقواه في كل لحظة وفي كل صغيرة وكبيرة؛ استقامت جوارحه كلها على الطاعة والامثال.

العقيدة

أرسل الله سبحانه رسله وأنبياءه ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون وجاءوا من عند الله مبشرين ومنذرين متحدين على هدف واحد يدعون إلى عقيدة واحدة هي محور دعوة جميع الرسل، فتحم الله تعالى بمحمد سيد الانبياء والمرسلين ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وسار على

نهجه الأئمة الطاهرون عليهم السلام الذين ارتضاهم لدينه وطهرهم تطهيراً، يستلهمون سر وحدتهم من صفاء العقيدة الخالصة التي لم تشبها شائبة، فأصبحوا بذلك سادة الدنيا والآخرة حيث كانت كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) هي الأساس الذي ارتكزوا عليه في دعوتهم. قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ^(١).

والعقيدة مهمة جداً لنيل المقصود في الآخرة، فهي أساس كل عمل وبها تكفر الذنوب والكبائر إذا صدرت عن إخلاص وقوة إيمان. فالعقيدة هي رأس الأمر كله والجسد لا يستقيم بلا رأس،

وهي الأساس الذي ينبغي أن تقوم عليه باقي محاور الإسلام (الشريعة والأخلاق) فالثورة الدينية الصحيحة هي التي تقام على توحيد الله تعالى ونبذ الاصنام والالوثان وترك عبادة الارباب وينبغي أن تكون مستمدة من كتاب الله العزيز وسنة رسول الكريم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام وأن تكون مستقاة من العلماء الربانيين الذي أمرنا سبحانه بسؤالهم فقال: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ^(٢).

العقيدة وتوجيه السلوك والأخلاق

إن الإيمان الصادق متى استقر في القلب ظهرت آثاره واضحة في المعاملة والسلوك، والمسلم إذا تمكنت العقيدة من نفسه تبرأ من المشركين وما هم عليه من عقائد وأفعال وسلوك.

إن غاية المسلم الأساسية في أخلاقه، أن يحقق مرضاة ربه، ذلك أن هدف المؤمن الأول من أعماله كلها هو ابتغاء وجه الله سبحانه فقد أمره بذلك، وعده بالجزاء الأوفى على أعماله الخيرة يوم القيامة. قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ^(٣).

(١) يوسف: ١٠٨.

(٢) الأنبياء: ٧.

(٣) الزلزلة: ٧-٨.

والطمأنينة القلبية والشعور بخيرية الذات وخيرية المصير من ثمرات الانسجام بين الإيمان والأخلاق وذلك نتيجة طبيعية؛ لأن الإنسان عندما يتصرف بمقتضى عقيدته - فيؤدي الواجبات كما ينبغي أداؤها ويتجنب المحرمات - يشعر بأنه إنسان خير قوي الإرادة. وقد ربط الإسلام بين الإيمان والسلوك ربطاً قوياً، فقرن الإيمان بحسن الخلق، والسلوك الرفيع.

التوحيد

إن ائمن ما وهبه الله تعالى للمسلم عقيدته الصافية التي يجب التمسك بها وعدم التفريط، والتوحيد يتمثل بإفراد العبودية والتلقي والتوجه لله سبحانه وتعالى ومحاربة الشرك بشتى ألوانه وأصنافه، حتى يخلص الدين لله، وتطهر الأرض من أنواع الطواغيت، وكل الأعمال إذا خالطها الشرك تتحول هباءً منثوراً.

والتوحيد قاعدة كل ديانة جاء بها من عند الله تعالى رسولٌ. ويقرر الله سبحانه وتعالى هذه الحقيقة ويؤكدّها، ويكررها في قصة كل رسول على حدة، كما يقرّها في دعوة كل الرسل إجمالاً، على وجه القطع واليقين قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرُهُ﴾^(١)، وقال: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرُهُ﴾^(٢)، وقال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرُهُ﴾^(٣).

والتوحيد مفتاح دعوة الرسل ﷺ، وهو أول ما يدخل به المرء في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، فهو أول واجب وآخر واجب.

وقد عرف المجتمع الإسلامي في عصر بني أمية أنواع الشرك والخضوع لغير الله والجهل بدين الله في كل ناحية من نواحي حياتهم، فجاء الإمام زين العابدين عليه السلام

(١) المؤمنون: ٢٣.

(٢) الاعراف: ٦٥.

(٣) الاعراف: ٧٣.

ليبرز الإسلام المحمدي الأصيل كهادٍ وحادٍ للإنقاذ من وهدة الضلال وطريق الانحدار.

وقد عمل الإمام علي بن الحسين عليه السلام جاهدا لكي تدرك الأمة الإسلامية حقيقة «التوحيد» الذي سُلِب منها نتيجة ركونهم إلى الدنيا وابتعادهم عن مصادر الإسلام الأصيلة كتاب الله وعتره نبيه محمد عليه السلام، فنهض زين العابدين عليه السلام بأعباء تلك المهمة العظيمة؛ لإيمانه المطلق بكونها الحقيقة الصادرة من الله تعالى وحده، ومن ثم كان هناك مصدر واحد لا يتعدد، يتلقى منه البشر التصور الصادق، الكامل الشامل لحقيقة الوجود كله، هذا المصدر هو الذي أنزل على خاتم رسل الله تعالى محمد عليه السلام، هذا الكتاب، القرآن الكريم، أنزله بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وهو كتاب واحد في حقيقته، وهو تصور واحد في قاعدته: رب واحد، وإله واحد، ومعبود واحد، مشرع واحد لبني الإنسان، فالله تعالى هو الذي خلق، فهو الذي يشرع ويأمر وينهى، ومنه نستمد جميع الأحكام من حلال وحرام قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ^(١)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ^(٢). وإلى تلك المفاهيم النيرة يشير علي بن الحسين عليه السلام مؤكدا ان الاستدلال على وحدانية الله سبحانه من اوضح الواضحات حيث يقول في دعاء له: بك عرفتك وأنت دلتني عليك ودعوتني إليك ولولا أنت لم أدر ما أنت ^(٣)، وفي خبر: ألا إنه قد احتج عليكم بما قد عرفكم من نفسه ^(٤). فالعجب كل العجب لمن يضل الطريق ويتخبط في سبل شتى.

لقد اثبت سيرة مولانا زين العابدين عليه السلام انه يتعامل مع عقيدة التوحيد على انها

(١) الاعراف: ٥٤.

(٢) البقرة: ٢١-٢٢.

(٣) التوحيد: ٢٨٨.

(٤) التوحيد: ٢٩٠.

الأساس اللائق بتصور المؤمن لله سبحانه وتعالى، كما أنه هو الأساس اللائق بوجود منظّم غير متروك للتعدد والتصادم، والفوضى والعبث، فيأتي ﷺ ليضع النقاط على الحروف فيما قد يدعي البعض اللبس فيه وعدم فهم معناه فيقول معرّفاً: الصمد: الذي لا شريك له، ولا يؤوده حفظ شيء، ولا يعزب عنه شيء^(١). وفي حديث آخر له ﷺ: الصمد: هو الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، والصمد: الذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً، وتفرد بالوحدة بلا ضد ولا شكل ولا مثل ولا ند^(٢).

فكان ان وقف بوجه من حاول بث الافكار الالحادية ليفرغ تلك العقيدة الحقة من محتواها الأصيل، فنراه يبيث المفاهيم الإسلامية الأصيلية فيها هو ﷺ - يجب - لما سئل عن التوحيد -: إن الله عز وجل علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون فأنزل الله عز وجل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾^(٣) والآيات من سورة الحديد إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذُنُوبِ الصُّدُورِ﴾^(٤) فمن رام ما وراء هنالك هلك^(٥).



(١) التوحيد: ٩٠/٣.

(٢) التوحيد: ٩٣/٨.

(٣) الإخلاص: ١ - ٢.

(٤) الحديد: ٦.

(٥) التوحيد: ٢٨٣.

المبحث السادس

الثورة السياسية

مفهوم السياسة

لفظ «السياسة» في لغة العرب محمّل بكثير من الدلالات والإشارات والمضامين، فهي إصلاح واستصلاح، بوسائل متعددة من الإرشاد والتوجيه والتأديب والتهديب والأمر والنهي، تنطلق من خلال قدرة تعتمد على الولاية أو الرئاسة.

وما جاء في معاجم اللغة يدل على ما تقدم، فقد جاء في تاج العروس في مادة سوس: «سُسْتُ الرعيّة سياسة: أمرتها ونهيتها، والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه»، وفي لسان العرب في المادة نفسها: «السَّوْس: الرياسة، وإذا رأسوه قيل سوسوه، وأساسوه، وسُوسَ أمر بني فلان: أي كلف سياستهم، وسُوسَ الرجل على ما لم يُسم فاعله: إذا مُلِّك أمرهم، وساس الأمر سياسة: قام به، والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه.

والسياسة: فعل السائس يقال: هو يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها، والوالي يسوس رعيته».

إن المغزى الذي يتعين على الدولة الإسلامية أن تلتزم به فيما يختص

بتصريف شئونها السياسية: هو عدم القابلية للتجزئة بين توجيه سياستها، وبين هويتها الإسلامية، فالسياسة فيها تنتمي للدين، وتستظل في كنفه، ولعل هذه الحقيقة تتضح في العديد من الآيات القرآنية يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَتِمُ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٢). وقد رسمت السياسة بأنها القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الأحوال.

فالسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه^(٣)، وفي وصف الأئمة (عليهم السلام): (أنتم ساسة العباد) وفيه: (الأمم عارف بالسياسة) وفيه: (ثم فوض إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر الدين، والأمة ليسوس عباده) وفي الخبر: (كان بنو إسرائيل تسوسهم أنبياءهم) أي تتولى أمرهم كالأمراء والولاة بالرعية من السياسة وهو القيام على الشيء بما يصلحه^(٤).

السياسة في النص الشرعي:

لم يرد لفظ «السياسة» ولا شيء من مادته في كتاب الله سبحانه وتعالى، وإن جاء الحديث فيه عن الإصلاح والإصلاح والأمر والنهي والحكم وغير ذلك من المعاني التي اشتمل عليها لفظ «السياسة».

وأما السنّة فقد جاء قوله ﷺ: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي....»، وقوله ﷺ: «تسوسهم الأنبياء»؛ أي: تتولى أمورهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية.

وإذا ما جاءنا إلى الإمام زين العابدين (عليه السلام) نجده يؤكد على ضرورة الوعي السياسي لكي يتمكن المسلم من الفهم السليم معطياً ذلك الوعي بعداً أخلاقياً

(١) يوسف: ٤٠.

(٢) المائدة: ٥٠.

(٣) لسان العرب، ابن منظور مادة (سوس).

(٤) مجمع البحرين، الطريحي، مادة (سوس).

فالسّياسة من المنظور الإسلامي الأصل لا ينبغي أن تنفصل بحال من الأحوال عن الأخلاق النبيلة التي دعت لها شريعة السماء فنجدّه يقول: «إن المعرفة بكمال دين المسلم تركه الكلام فيما لا يعنيه، وقلة المراء، وحلمه، وصبره، وحسن خلقه»^(١).

وهذا التعريف يبرز الجانب العملي للسّياسة، فالسّياسة هنا إجراءات وأعمال وتصرفات للإصلاح، وعلى ذلك فإن سياسة الرعية تتطلب القدرة على القيادة الحكيمة التي تتمكن من تحقيق الإصلاح؛ عن طريق إتقان التدبير وحسن التّأني لما يُراد فعله أو تركه، وهذا بدوره يحتاج إلى معرفة تامة بما تتطلبه القيادة والرئاسة من خبرة وحكمة، وقدرة على استعمال واستغلال الإمكانيات المتاحة على الوجه الأمثل الذي يحقق المراد المطلوب.

فالسّياسة - اذن - على الصعيد الديني هي التحرك من أجل رعاية الناس وتأمين مصالحهم وتخليصهم من واقع سيء إلى واقع أفضل^(٢)، فهي استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة^(٣).

والإصلاح في «السّياسة» ليس مجرد هدف أو غاية تسعى السياسة في حركتها لتحقيقه، بل هو السياسة نفسها وحقيقتها، إذا فقدته فقدت نفسها.

وهذا ما ينبغي أن تكون عليه السياسة الحقّة وهي المائز الجوهري بين سياسة أهل البيت (عليهم السلام) وبين سياسة غيرهم.

السّياسة والدين

ارتبطت السياسة بحياة المسلمين منذ اليوم الأول للدعوة الإسلامية، فكان رسول الله ﷺ هو القائد المصلح والمعلم المربي، والآيات القرآنية بهذا الصدد كثيرة إذ يقول سبحانه: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ

(١) البحار: ٢/ ١٢٩ و ٧٨/ ٢٣٩ و ٧٨.

(٢) المنهج السياسي عند الإمام علي: ١١.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين: ٣٠/ ١.

حَفِظًا»^(١)، وقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٢)، وقوله ﷺ: «أَدْبَنِي رَبِّي فَأَحْسَن تَأْدِيبِي»^(٣).

وقد أدت السياسات الخاطئة والتصرفات الدخيلة لحكام السلطة في بلاد المسلمين إلى أن جعلت البعض يعكس ذلك سلبياً على المفهوم الأصيل للسياسة فتصوروا خطأ أن السياسة لا علاقة لها بالدين لما شاهدوه ولمسوه من ظلم واجحاف السلطة التي يفترض بها أن تمثل الإسلام لهذا ظنوا أن الدين والسياسة يسيران في خطين واتجاهين متغايرين، أحدهما خاص بالمعنويات والطقوس العبادية والآخر يتعلق بالممارسات والتصرفات التي تفضي إلى حكم البلاد والعباد، وقد تصدى الأئمة الطاهرون ﷺ إلى هذا الفكر الخاطئ فاستطاع من خلال سيرتهم العلمية والعملية أن يعيدوا للأذهان المفهوم الصحيح للسياسة من المنظور الإسلامي المتمثل بسياسة البلاد والعباد وفق ما يرتضيه الله سبحانه، وهذا الإمام زين العابدين ﷺ يعطي للسياسة بُعداً دينياً أصيلاً مبتعاً عن كل ما صورته السياسات الحاكمة آنذاك فيقول: الورع نظام العبادة، فإذا انقطع ذهبت الديانة، كما إذا انقطع السلك أتبعه النظام^(٤). والسياسة بهذا المعنى جزء لا يتجزأ من واقع الحياة الإسلامية وانها غير مقتصرة على مجال دون آخر أو على فئة دون أخرى فالجميع مشمولون بها كل حسب موقعه ومسؤولياته ضمن نظام المجتمع الإسلامي.

الإسلام دين الحق

الإسلام دعوة الله للعالم الإنساني ختم به الرسالات السماوية فلا ينتمي إلى أمة بعينها، ولا إلى بلد ظهر فيه، وإنما يدل اسمه على صفة خاصة، يتضمنها معنى كلمة (الإسلام).

(١) النساء: ٨٠.

(٢) الأحزاب: ٢١.

(٣) بحار الانوار، للمجلسي ج ١٦ ص ٢١٠.

(٤) تنبيه الخواطر: ٨٨/٢.

وكما اختص الله تعالى هذا الدين باسم (الإسلام) اختص أيضاً هذه الأمة باسم (الأمة المسلمة) وباسم (المسلمين) ولعلنا نلمح من خلال هذا الاختصاص جملة معاني بارزة كانت وراء الاختصاص بهذا الاسم، نشير هنا إلى أهمها: ففي ذلك تكريم وتشريف لهذه الأمة على غيرها، حيث اختصها الله تعالى باسم أطلقه على أنبياء الأمم السابقة.

وفي هذه التسمية والاختصاص بها استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ: رَبِّنا وَأَجْعَلْنا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾^(١)، فالذرية المسلمة والأمة المسلمة من نسل إبراهيم عليه السلام وهو الذي سماها أيضاً بهذا الاسم: ﴿هُوَ سَمَّيْكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٢).

وفي هذه الأمة تحقق معنى الإسلام، الذي هو الاستسلام والانقياد والإذعان لرب العالمين، ولم تدعن أمة لنبيها وتتابعه كما أذعنت هذه الأمة، وقبلت ما جاء به من عند الله، وانقادت له بلا اعتراض، فاستحقت بسبب تلك المعاني كلها: الاختصاص باسم الأمة المسلمة، واختصت بالخيرية بين الأمم، فقال الله سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٣).

وإذن فقد أصبحت كلمة (الإسلام) مختصة - عرفاً وشرعاً - بمبدول معين هو: مجموعة الشرائع والأحكام التي أنزلها الله تعالى على محمد ﷺ، أو التي استنبطت مما جاء به.

وهذه الرسالة التي أنزلها الله تعالى على محمد ﷺ بلغت ذروة الكمال، وجاءت دعوة إنسانية عالمية خاتمة، رضيها الله تعالى للناس ديناً، فأعظم بها المنة، وأكمل بها الدين وأتم النعمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾^(٤).

(١) البقرة: ١٢٨.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) آل عمران: ١١٠.

(٤) المائدة: ٣.

ولقد فصل الله تعالى في القرآن الكريم سمات هذه الدعوة العالمية العامة، وعرضها على أعين الناس في كثير من آياته، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَكَايُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)، وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٢).

وأشار الرسول الكريم ﷺ إلى عموم بعثته وعالمية دعوته فقال: «أُعْطِيتَ خمساً لم يُعْطَهن أحد قبلي: نُصِرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم، ولم تحل لأحد قبلي، وأُعْطِيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبُعِثَ إلى الناس عامة»^(٣).

وقال ﷺ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍ: أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، وَأُرْسِلَتْ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»^(٤).

ومن ثم كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وكانت رسالته خاتمة الرسالات جميعاً، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(٥).

ويصور النبي ﷺ ختم رسالته للرسالات السابقة، وكيف أنه أتم البناء الذي تعاقبت عليه رسل الله الكرام، فيقول: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»^(٦).

(١) الاعراف: ١٥٨.

(٢) الفرقان: ١.

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٣٠٤، والبخاري ٨٧/ ١ كتاب التيمم، ومسلم ١/ ٣٧٠ كتاب المساجد

باب في مواضع الصلاة.

(٤) مسند أحمد ج ٢ ص ٤١٢.

(٥) الاحزاب: ٤٠.

(٦) مسند أحمد ج ٢ ص ٤٥٦.

وإذا كان محمد ﷺ قد أرسل من عند الله تعالى بدين قد بلغ ذروة الكمال الذي لا كمال بعده، وتوجه الخطاب فيه للعالمين جميعاً، وختم الله تعالى به الرسالات، فإن النتيجة المنطقية اللازمة لذلك كله: أن تنقطع صلة الإنسانية عن سائر الرسالات والنبوات السابقة في الطاعة والاتباع، مع الإيمان بأصولها المنزلة من عند الله تعالى لا بما آلت إليه بعد التحريف على يد الأتباع، مما جعلها لا تتصل بأصل الوحي المنزل من عند الله سبحانه. وعن ذلك يقول رسول الله ﷺ: «لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخل الله عليهم كلمة الإسلام بعز عزيز وبذل ذليل، إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم فيدينون لها»^(١).

فالإسلام - إذن - دين ضروري تحتاج إليه الإنسانية احتياجاً ماساً وشديداً، ففيه من الخصائص ما يكفل انقاذ البشرية من التخبط الذي تعيشه نتيجة الانحراف عما رسم الله تعالى لها، وللإسلام القدرة على إعادة صياغة نظم الحياة على الوجه الأكمل.

الإسلام دين الحرية والمساواة

إن الحرية في الإسلام أصابت الحظ الوافر من التشريع الإسلامي، بل ومن الإسلام نفسه، فقد كانت النواة الأولى للحرية في الإسلام ممثلة في التحرر من عبادة الأصنام والسجود للألوهة المتحجرة والمتعددة، وإلى عبادة إله واحد لا شريك له.

ومع ذلك فإن الإسلام لم يجبر غير معتنقيه على الدخول فيه، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٢)، وقوله لرسوله الكريم ﷺ في سورة يونس: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

(١) كنز العمال: ٤٣٧.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

(٣) يونس: ٩٩.

الإسلام دين ودولة

لم يكن الإسلام مجرد عقيدة دينية ولا نظام أخلاقي فحسب، بل هو دين ودولة، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان ودلالات. وقد وصفه الإمام علي عليه السلام: إن هذا الإسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه، واصطنعه على عينه، وأصفاه خيرة خلقه، وأقام دعائمه على محبته، أذل الأديان بعزته، ووضع الملل برفعه^(١).

فقد نظم الإسلام للإنسان المسلم حياته ومعاملاته مع أسرته ومع الناس، وبين له سبل النجاح والردى في الحياة، ودله على الطريق الذي يؤدي به إلى العيش الهادئ المطمئن، ففي جانب العبادات بين الدين الحنيف طريقة العبادة لله تعالى، وأعرب رسول الله ﷺ عن كيفية التعبد لله سبحانه، أما في جانب التعامل في الحياة العامة فقد رسم لنا القرآن الكريم في شخص رسول الله ﷺ الحالة التي يجب أن يكون عليها الإنسان المسلم والوجه الصحيح الذي لا بد وأن يصبح عليه المسلم الأمر الذي لم يدع جانباً واحداً من جوانب الحياة إلا وكان للإسلام دور رائد فيه.

ومن هنا يحق للإسلام أن يكون دستوراً أزلياً يحكم به، وتقوم شريعته لتفصل بين الناس، وتقضي بينهم بما أمر الله تعالى، فمن طلب الهدى من غيره أضله الله، ومن أراد الفلاح والنجاح بدونه خسر وخاب، وضل عن الطريق السديد. وصدق أمير المؤمنين علي عليه السلام في نعتة للإسلام إذ يقول: إن الله ابتداء الأمور فاصطفى لنفسه ما شاء، واستخلص ما أحب، فكان مما أحب أنه ارتضى الإسلام واشتقه من اسمه، فتحله من أحب من خلقه، ثم شقه فسهل شرائعه لمن ورده، وعزز أركانه على من حاربه، هيهات أن يظلمه مظلوم^(٢).

الإمامة والسياسة

إن مفهوم الإمامة جزء تابع وضروري لمفهوم النبوة، والإيمان الصحيح

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٨.

(٢) ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٣٤٠.

بالمَنْهج الإلهي لا يكتمل إلا بالإيمان بالإمامة على أنها جزء مرتبط بالنبوة تماماً مثلما لا يكتمل الإيمان بالتوحيد إلا بالإيمان بالنبوة، وقد ورد عن الإمام علي الرضا (عليه السلام): «أن الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، أن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول (صلى الله عليه وآله) ومقام أمير المؤمنين (عليه السلام) وميراث الحسن والحسين (عليهما السلام)، إن الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين، إن الإمامة أساس الإسلام النامي، وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحجّ والجهاد»^(١). فمهمة الأئمة (عليهم السلام) ليست أمراً منفصلاً عن المسيرة النبوية، فالثورة التصحيحية للمصلحين من الانبياء والأئمة (عليهم السلام) نشأت ونضجت واكتملت في رعاية الله تعالى، فمما لا شك فيه أن تكون حلقاتها مترابطة يكمل بعضها بعضاً.

والسؤال الذي يعترض القارئ في هذا المقام هو أن الأئمة (عليهم السلام) إذا افترضنا أنهم كانوا يباركون بعض تلك الانتفاضات، فلماذا لم يتولّوا قيادتها؟ وأحسب بأن القارئ سوف لا يقف طويلاً إلى جانب هذا التساؤل لو قارن بين المهمّات التي انصرف إليها الأئمة (عليهم السلام) وبين تلك الانتفاضات، ذلك لأنهم كانوا يعلمون بأن نصيب تلك الانتفاضات سيكون الفشل السريع؛ لأنها لم تقم على أسس صحيحة ومدرّسة تضمن لها النجاح، والثورة الناجحة تحتاج إلى قاعدة شعبية واضحة مزوّدة بالوعي والإخلاص، وتستجيب لتخطيط القائد في كلّ ما يتوقّف عليه نجاحها، ولم يتوفّر ذلك لتلك الانتفاضات التي كانت تحدث هنا وهناك.

وفي الوقت الذي كانت ترتفع فيه الأصوات ضدّ الحاكمين، كان الأئمة (عليهم السلام) يقودون الثورة الثقافية التي فرضتها مصلحة الإسلام يوم ذاك، وكان النجاح حليفها في مختلف الميادين، كما يبدو ذلك للمتتبع في تاريخهم. وعندما قلنا بأنهم كانوا يباركون كلّ ثائر على الظلم والباطل، إذا كانت ثورته للحقّ والمظلومين، لم نقل ذلك لأنهم كانوا يرجون لتلك الانتفاضات أن تحقّق كلّ أهدافها، بل لأنّ الثورة على الظلم حتّى ولو كان نصيبها الفشل، تكشف زيف الحاكم وواقعه، وتترك وراءها من

يحسّ بالظلم والعدوان، ويحاسب عليهما. وقد حققت تلك الانتفاضات هذا المقدار وأكثر منه بلا شك في ذلك، ولكن المكاسب الكبرى التي حققتها ثورة الأئمة عليهم السلام لمصلحة الإسلام، لم يكن بالإمكان تحقيق شيء منها لو أنهم اشتركوا بتلك الانتفاضات أو تولّوا قيادتها.

ومهما كان الحال، فالذي أنكره الإمام الرضا والأئمة عليهم السلام على بعض الثائرين من العلويين، أنهم كانوا يغترون ببعض المظاهر، وينخدعون لبعض الأصوات التي كانت تهتف باسمهم، فيدعون ما ليس لهم، ويخرجون بدون تخطيط، وبالتالي يكون نصيبهم القتل والتشريد، كما أنكروا على بعض الثائرين إسرافهم في القتل والسلب وإحراق البيوت والممتلكات، وكان نصيب الأبرياء من ذلك أكثر من نصيب الحاكمين وأعوانهم، ولذا فإن الإمام الرضا عليه السلام قد وقف من أخيه زيد ابن الإمام موسى بن جعفر ذلك الموقف المتصلّب، وأنبه على عدوانه وتجاوزاته التي لا تقرّها الشرائع والأديان^(١).

مظاهر الانحراف

أطبقت الجاهلية العمياء على مفاصل الحياة في المجتمع الإسلامي بعد استشهاد أبي عبد الله الحسين عليه السلام حتى وصل الأمر أن يصف الإمام الصادق عليه السلام الحالة التي عليها الناس وصفا مفرّعا فيقول: - ارتد الناس بعد قتل الحسين عليه السلام إلا ثلاثة أبو خالد الكابلي ويحيى بن أم الطويل وجبير بن مطعم ثم إن الناس لحقوا وكثروا -^(٢).

ولا بد من الوقوف على أهم المظاهر لتلك الجاهلية لمعرفة الظروف والملايسات التي كان يعيش في أجوائها الإمام زين العابدين عليه السلام.

١ - عبادة غير الله تعالى من خلال الطاعة والولاء لحكام الجور والضلال،

(١) موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام، حسين الشاكري ج ١٢ ص ٣٢٦-٣٢٧.

(٢) الوافي، للفيض الكاشاني، ج ٢ ص ٢٣٤.

والإلتزام بأمرهم والانتفاء بنهيهم، فأصبحوا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١). وفي تفسير الآية الكريمة يقول الإمام الصادق (عليه السلام) - أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم ما أجابوهم ولكن أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون -^(٢).

٢ - الانحراف العقائدي الذي اثر في ابتعاد الناس عن دينهم الحق والانشغال بمذاهب وفرق دخيلة على الإسلام، فأصبحت أحكام القرآن ظناً وصارت عقائدهم الباطلة يقيناً، قال تعالى: ﴿يَطْفُؤُونَ بِالنَّارِ عَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةُ﴾^(٣)، فظهرت المشبهة والمعطلة والمفوضة والقدرية وغيرها مما لم ينزل الله به من سلطان، وأخذ الإنسان يعلل ارتكابه للمعاصي، الأمر الذي حدا بالامة ان تقتل ابن بنت نبيها دون أن يطرف لها جفن.

٣ - الابتعاد عن الشريعة الإسلامية - التي جاءت لتنظم أمورهم والأخذ بأيديهم إلى جادة الحق - وتبني المورث الجاهلي من عادات وتقاليد مخالفة لما يريد الله تعالى، وهذا أدى أن يسود قانون تتنازعه الاهواء والعصبيات، وفي ذلك يستنكر القرآن على مثل هؤلاء: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِفُونَ﴾^(٤)، فكل حكم بغير ما أنزل الله تعالى هو حكم جاهلية.

٤ - ترك الأمر بالعروف والنهي عن المنكر التي هي أهم الفرائض المقيمة للنظام الإسلامي، فلا يمكن أن نتصور مجتمعاً إسلامياً قرآنياً لا تسوده مظاهر المعروف ولا تنعدم فيه صور المنكرات وهذا هو الذي خرج داعياً إليه الإمام الحسين (عليه السلام)، وقد لخص اهداف ثورته المباركة في وصيته إلى أخيه محمد جاعلاً من الأمر بالمعروف

(١) التوبة: ٣١.

(٢) روضة المتقين، لمحمد تقي المجلسي ج ٩ ص ٣٢٢.

(٣) آل عمران: ١٥٤.

(٤) المائدة: ٥٠.

والنهي عن المنكر العمود الفقري الذي يركز عليه في حركته التصحيحية حيث يقول: «... وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين»^(١).

لقد حذر رسول الله ﷺ من مغبة ترك هذه العبادة العظيمة وآثارها السلبية على واقع المجتمع الإسلامي الأمر الذي قد يصيبها بالخذلان والذل وتفشي الفساد والانحلال الخلقي ورفع البركات وموت القلوب، وقد ورد في هذا المجال روايات كثر نورد منها.

- عن الإمام الصادق عليه السلام: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله من نصرهما أعزه الله ومن خذلهما خذله الله»^(٢).

- عن محمد بن عرفة قال سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول كان رسول الله ﷺ يقول: «إذا أمتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله تعالى»^(٣). تواكلت أي أكل كل واحد منهم على الآخر واكل الأمر إليه وأريد بالوقاع النازلة الشديدة أو الحرب.

- عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال «قال النبي ﷺ: كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبانكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر فقليل له ويكون ذلك يا رسول الله فقال نعم وشر من ذلك فكيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف فقليل له يا رسول الله ويكون ذلك فقال نعم وشر من ذلك كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً»^(٤).

(١) العوالم، للإمام الحسين عليه السلام، ص ١٧٩، وبفتاوت في مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٨٩.

(٢) الكافي - ٥/٥٩/١١/١ العدد عن التهذيب، ٦/١٧٧/١/٦.

(٣) الكافي - ٥/٥٩/١٣/١ العدد عن التهذيب، ٦/١٧٧/١/٧.

(٤) الكافي - ٥/٥٩/١٤/١.

- وعنه عليه السلام قال «قال النبي ﷺ: إن الله عز وجل ليغضض المؤمن الضعيف الذي لا دين له فليل له وما المؤمن الذي لا دين له قال الذي لا ينهي عن المنكر»^(١). أريد بالضعف ضعف الإيمان

- عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر فإذا لم يفعلوا ذلك نزعنا منهم البركات وسلطنا بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء»^(٢).

- قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من ترك إنكار المنكر بقلبه ويده ولسانه فهو ميت بين الأحياء في كلام هذا ختامه»^(٣).

- قال الصادق عليه السلام لقوم من أصحابه: «إنه قد حق لي أن آخذ البريء منكم بالسقيم وكيف لا يحق لي ذلك وأنتم يبلغكم عن الرجل منكم القبيح ولا تنكرون عليه ولا تهجرونه ولا تؤذونه حتى يتركه»^(٤).

٥ - عدم معرفة الإمام، وهي من أبرز سمات الجاهلية التي كانت الأمة تعيشها في العصر الأموي أدت بها أن تتسافل إلى الحضيض ويصل بها أن تخذل إمام زمانها ثم تعدو عليه فتقتله، وهذا رسول الله ﷺ قد صدح بعلو صوته: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية... والأرض لا تصلح إلا بإمام ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وأحوج ما يكون إلى هذا إذا بلغت نفسك هذا المكان - وأشار بيده إلى حلقه - وانقطعت من الدنيا»^(٥).

ويروي العامة عن عبد الله بن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة

(١) الكافي - ٥/٥٩/١٥.

(٢) التهذيب - ٦/١٨١/٢٢.

(٣) التهذيب - ٦/١٨١/٢٣.

(٤) التهذيب - ٦/١٨١/٢٤.

(٥) خلاصة الرجال: ٦١، الفهرست: ١٤٣.

الجاهلية»^(١). ولا يراد بالمعرفة معرفة الاسم فقط بل معرفة المسؤولية الكاملة والتكليف التام تجاه الإمام والقيام بها حق القيام، ولا يُراد بالطاعة مطلق الطاعة لكل من يتأمر على المسلمين حقاً كان في تأمره أو باطلاً، بل طاعة ولي الأمر الذي فرضه الله تعالى، وجاء ذكره على لسان نبيه محمد ﷺ، لهذا ورد الحث على ضرورة معرفة الإمام، فنجد أئمتنا ﷺ يعلموننا كيف ندعو ونطلب من الله تعالى ان يوفقنا إلى المعرفة وعدم الضلالة حتى لا نعيش ما عاشته الأمة الإسلامية زمن الإمام زين العابدين ﷺ، ومنه الدعاء في غيبة القائم من آل محمد ﷺ: **اللَّهُمَّ! عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك، اللَّهُمَّ! عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني، اللَّهُمَّ! لا تمتني ميتة جاهلية ولا ترغ قلبي بعد إذ هديتني، اللَّهُمَّ! فكما هديتني لولاية من فرضت على طاعته من ولاية وأمرك بعد رسولك صلواتك عليه وآله حتى واليت ولاية أمير المؤمنين والحسن والحسين وعلياً ومحمداً وجعفرًا وموسى وعلياً ومحمداً وعلياً والحسن والحجة القائم المهدي صلواتك عليهم أجمعين**»^(٢).

٦ - التمزق والتشتت من سمات المجتمع الأموي، كل ذلك لأنهم أعرضوا عن الثقلين كتاب الله وعتره نبيه ﷺ، فقد أحرقت الكعبة ثم هُدمت ولم يحركوا ساكناً، وأصبحوا احزاباً تتلاقفهم الالهواء لتهوي بهم في وادٍ سحيق، عقوبة منه سبحانه لما اقترفت ايديهم في ابتعادهم عن المنهج الإلهي الذي اختطه لهم سبحانه، قال تعالى: **﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِيَسَكُمُ شَيْعًا وَيُزِيْقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ نُصْرِفُ الْأَيْتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ﴾**»^(٣).

٧ - انتشار الرذائل الخلقية، وأوضحها شرب الخمر والغش والكذب والزنا والشذوذ الجنسي، وسيطرة القوي على الضعيف دون أي حق وانعدام المثل

(١) صحيح مسلم الإمارة (١٨٥١)، مسند أحمد بن حنبل (٩٧/٢).

(٢) مصباح المتجهد، للطوسي: ٤١١.

(٣) الأنعام: ٦٥.

الأخلاقية النبيلة وتغليب المنافع والمصالح الشخصية، وغياب كل ما له صلة بالله تعالى حتى غدا الإسلام حبراً على ورق، وصاروا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْكِ الْمَالُ وَالنِّسَاءُ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَفْئِدَةُ وَالْحَبْلُ الْمُسَوَّمَةُ وَالْأَنْعَامُ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَكُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْقَآبِ﴾^(١). وأخذت الموازين والقيم التي يتفاضل بها البشر من إلهية حقيقية إلى شيطانية وهمية، فضلاً عن الجمود على المورث الجاهلي الذي ليس هو عنهم ببعد والذي أدى التمسك به وممارسته في الحياة اليومية إلى فساد التصورات وانحراف الرؤية المثالية للحياة.

سياسة المواجهة

لقد برز الإمام زين العابدين (ع) على مسرح الحياة الإسلامية كآلَمع سياسي إسلامي عرفه التاريخ، فقد استطاع بمهارة فائقة - وهو في قيد المرض والأسر - أن ينشر أهداف الثورة العظمى التي فجرها أبوه الإمام الحسين القائد الملهم للمسيرة الإسلامية الظافرة، فأبرز قيمها الأصلية بأسلوب مشرق كان في منتهى التقنين، والأصالة، والإبداع.

لقد مثل خطابه في بلاط يزيد أحد أروع الوثائق السياسية في الإسلام، فلا يكاد يعرف خطاب سياسي ابلغ ولا اشد تأثيراً منه في إيقاظ الجماهير وتوعية الرأي العام، فقد سد على يزيد كل نافذة يسلك منها للدفاع عن نفسه، وتبرير جريمته في قتله لسيد شباب أهل الجنة، وإبادته لعترته الطاهرة.

لقد قام هذا الإمام العظيم ببلورة الفكر العام، وإزاحة التخدير الاجتماعي الذي منيت به الأمة أيام الحكم الأموي الأسود الذي عمد إلى شل الحركة الثورية في الإسلام، فصارت حياة المسلمين إلى التبعر والانعساق ما بها من مبادئ وإحساس^(٢).

(١) آل عمران: ١٤.

(٢) - موسوعة سيرة أهل البيت، لباقر شريف القرشي، ج ١٥ ص ١٠-١١.

وقد كان ﷺ من أقوى العوامل في تخليد الثورة الحسينية، وتفاعلها مع عواطف المجتمع وأحاسيسه، وذلك بمواقفه الرائعة التي لم يعرف لها التاريخ مثيلاً في دنيا الشجاعة والبطولات! أما خطابه في بلاط يزيد فإنه من أروع الوثائق السياسية في الإسلام.

وكان من مظاهر تخليده للثورة الحسينية كثرة بكائه على ما حل بأبيه وأهل بيته وأصحابه من أهوال يوم الطف، فقد حرم ﷺ على نفسه الفرح والسرور، وذاب أسى وحزناً، حتى عُد من مشاهير البكائين الذين عرفوا غلى مدى التاريخ الإنساني. ولعل هذه الظاهرة من جملة العوامل التي حفزت الجماهير الإسلامية على مناجزة الحكم الأموي.

إن الحركة الإصلاحية التي تبناها الإمام زين العابدين ﷺ في مختلف نواحي الحياة ومنها البعد السياسي قد رسخت الفكر السياسي الإسلامي الأصيل مقنناً لثورة الإصلاح وفق المبادئ الدينية الحقة، فجاءت تلك المبادئ منسجمة مع الفطرة السليمة التي فطر الله تعالى الناس عليها.

وسار الإمام الباقر ﷺ على نهج أبيه الإمام زين العابدين ﷺ فاستطاع بذلك أن يفوت الفرصة على من أراد بالإسلام بغياً وسعى للقضاء على الإسلام المحمدي الأصيل المتمثل باهل بيت النبوة ﷺ وشيعتهم، وواجه السياسات الظالمة التي لم يكن لها هما إلا السيطرة على مقدرات الأمة والأخذ بزمام الأمور مهما كلف ذلك من اهدار كرامات وارقة دماء وكبت حريات وابتزاز أموال وظلم وإجحاف ونحو ذلك ما دام الحكم له والسلطة خاضعة لأمره ونهيه فهي الغاية المطلوبة وإنه لتبرر الوساطة وإن كانت الوساطة اارقة دماء الالوف بل وحتى الملايين جوراً وظلماً^(١).

زين العابدين ﷺ والإعلام الثوري

يشغل الجانب الاعلامي مساحة واسعة لأي تحرك ثوري حيث يلعب دوراً

(١) السياسة من واقع الإسلام (بتصرف)، للشيرازي: ١٤-١٥.

فاعل ومؤثراً في تحشيد النفوس وشحذ الهمم ودفعها باتجاه تحقيق نتائج ملموسة، وقد مثلت الثورة الاعلامية التي تبناها الإمام زين العابدين (ع) أول مراحل ثورته المباركة بعد فاجعة كربلاء، متخذة صورا واساليب تبعا للأهداف والغايات المراد تحقيقها.

ويمكن الوقوف على العديد من الاهداف والنتائج المستفادة من الحركة الاعلامية التي تبناها الإمام زين العابدين (ع) بعد شهادة سيد الشهداء الإمام الحسين (ع).

١ - اسقاط الاقنعة التي تستر بها الحكام الأمويون ليغطوا على جرائمه وتهتكهم بالقيم السماوية، فكانت خطبة الإمام زين العابدين (ع) في الكوفة تخاطب ضمير الأمة ووجدانها للفت انتباههم إلى فضاة وبشاعة الجريمة التي ارتكبت في كربلاء وجسامة الخطر المحدق بسبب ما فعله الأمويون.

٢ - التعريف بأبطال واقعة كربلاء وشخصها الإمام الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه، وتسليط الضوء على السبايا وانهم سبايا آل محمد (ص) رسول الإسلام، لفضح الحكم الأموي وممارساته الجائرة في عقر داره في الشام، ومحاولة تعريته أمام جمهوره.

٣ - إثارة الرأي العامة وتوجيهه بما يخدم الثورة المباركة وهذا ما ركز عليه عند وصول أهل البيت (ع) إلى المدينة المنورة.

٤ - التأكيد على منزلة الإمام الحسين (ع) العظيمة عند الله تعالى، وانه سيد الشهداء ومن أهل بيت اذهب عنهم الله الرجس وطهرهم تطهيراً، وانه خامس أصحاب الكساء.

٥ - التأكيد على ضرورة ان يفهم الناس حقيقة ما حصل في كربلاء والدوافع الحقيقية وراء استشهاد الإمام الحسين (ع).

٦ - التجسيد العملي لأهداف ثورة الإمام الحسين (ع) من خلال الخطب والأدعية و الاسئلة والاجوبة، فضلاً عن الممارسات العبادية والأخلاقية التي

تعكس الصورة الحقيقية لمكانة وقدسية أهل البيت عليهم السلام وتعمق في ضمير الأمة مشروعية ثورتهم واحقيتها.

٧ - إبقاء ذكر الإمام الحسين عليه السلام والاشادة باسمه، وذلك باستعمال كل ما يُذكر به أو يرمز له ولثورته المباركة، وقد اتخذ ذلك صوراً متنوعة منها:

- عن الإمام علي الرضا عليه السلام قال: كان نقش خاتم الحسين عليه السلام - إن الله بالغ أمره - وكان علي بن الحسين عليه السلام يتختم بخاتم أبيه الحسين عليه السلام. وهذا دليل اصراره على المحافظة على ذكره وإبقاء رمز وجوده^(١).

- رفع شعار - خزي وشقي قاتل الحسين بن علي - فقد روي عن الإمام الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام، قال: ... وكان نقش خاتم علي بن الحسين عليه السلام: خزي وشقي قاتل الحسين بن علي عليه السلام^(٢).

وتظهر لنا جلياً عبقرية الإمام زين العابدين عليه السلام في الدقة المتناهية في اختيار هذا الشعار وإطلاقه وعموميته دون تعيين شخص بذاته في وصفه بالخزي والشقاء، فهو مفهوم له مصاديق متعددة قد تصدق على يزيد بن معاوية مثلاً وقد تصدق على غيره أمثال عبيد الله بن زياد أو عمر بن سعد أو شمر بن ذي الجوشن أو من خذل الحسين عليه السلام أو غدر به أو كثر السواد عليه، وهذا الشعار وقر حصانة من اعتراض السلطة الغاشمة من جهة واعطى قوة وفاعلية أكثر لتأثيره.

- اتخاذ تربة الإمام الحسين عليه السلام للسجود عليها في الصلاة، وحث المسلمين على فعل ذلك وجعله سنة حسنة يُتَقَرَّبُ بها إلى الله تعالى، وقد سار الأئمة عليهم السلام بعده على إثره، فروي: «كان لأبي عبد الله عليه السلام خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي عبد الله، فكان إذا حضرته الصلاة صَبَّه على سجاداته وسجد عليه، ثم قال عليه السلام: إنَّ السجود على تربة أبي عبد الله عليه السلام يخرق الحجب السبع»^(٣).

(١) عيون اخبار الإمام الرضا، للصدوق ج ٢ ص ٦١.

(٢) الامالي، للصدوق: ١٩٤.

(٣) وسائل الشيعة، للحر العاملي ج ٥ ص ٣٦٦.

وعنه عليه السلام أنه قال: «السجود على طين قبر الحسين عليه السلام ينور إلى الأرضين السبع» ^(١).

كما روي أنّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام كان لا يسجد إلا على تربة الحسين عليه السلام تذللًا لله واستكانة إليه ^(٢).

٨ - التأكيد على مفهوم الانتصار بالنسبة للإمام الحسين عليه السلام وثورته المباركة والهزيمة لأعدائه، فتراه يفتخر أمام أهل المدينة بعد رجوعه من الشام قائلاً: «أنا ابن من قتل صبرا، فكفى بذلك فخرا» ^(٣)، ونجده يخاطب طاغية عصره يزيد بن معاوية مؤكدا انتصار الدم على السيف إذ يقول له: - ويلك يا يزيد إنك لو تدري ماذا صنعت؟ وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيتي وأخي وعمومي إذا لهربت في الجبال، واقرشت الرماد، ودعوت بالويل والثبور، أن يكون رأس أبي الحسين بن فاطمة وعلي منصوبا على باب مدينتكم وهو ودیعة رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله فيكم، فأبشر بالخزي والندامة غدا إذا جمع الناس ليوم القيامة ^(٤) -، ومنه ما روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: كان عبد الملك يطوف بالبيت، وعلي بن الحسين يطوف بين يديه ولا يلتفت إليه، ولم يكن عبد الملك يعرفه بوجهه فقال: من هذا الذي يطول بين أيدينا ولا يلتفت إلينا؟ فقل: هذا علي بن الحسين عليه السلام. فجلس مكانه، وقال: ردوه إلي. فردوه، فقال له: يا علي بن الحسين إني لست قاتل أبيك، فما يمنعك من المصير إلي؟ فقال علي بن الحسين عليه السلام: إن قاتل أبي أفسد بما فعله دنياه عليه، وأفسد أبي عليه بذلك آخرته، فإن أحببت أن تكون كهو، فكن. فقال: كلا ولكن صر إلينا لتنال من دنيانا. فجلس زين العابدين، وبسط رداءه وقال: اللهم أره حرمة أوليائك عندك.

فإذا إزاره مملوءة دررا يكاد شعاعها يخطف الأبصار، فقال له: من يكون

(١) وسائل الشيعة، للحر العاملي ج ٥ ص ٣٦٦.

(٢) وسائل الشيعة، للحر العاملي ج ٥ ص ٣٦٦.

(٣) الاحتجاج، للطبرسي ج ٢ ص ٣٢.

(٤) بحار الأنوار، للمجلسي ج ٤٥ ص ١٣٦.

هذا حرمة عند ربه يحتاج إلى دنياك؟! ثم قال: اللهم خذها فلا حاجة لي فيها^(١).

٩ - ترسيخ مفهوم ان ثورة الإمام الحسين عليه السلام واستشهاده انما كان في سبيل احقاق الحق وإصلاح ما فسد في أمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وان خروجه للعراق باهله وعياله وصحب النساء والاطفال ما هو إلا مخطط إلهي، وانه عليه السلام لم يكن مغترا أو متخدعا بما كتبه له أهل العراق، بل كانت المشيئة الربانية هي التي ترعاه وتحركه صوب غايته^(٢)، لذا نرى الإمام زين العابدين عليه السلام يجب الطاغية ابن زياد من هذا المنطلق فيقول له وقد أمر بقتله: - أبالقتل تهددني يا ابن زياد؟ أما علمت أن القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة^(٣)، - نعم فما اقدم عليه الحسين واصيب به هو كرامة له من الله عز وجل جباه بها دون سائر أوليائه^(٤). ونراه في موطن آخر يحمد الله ويشني

(١) الخرائج والجرائح، للراوندي ج ١ ص ٢٥٥.

(٢) ومنه ما روي أن أم المؤمنين أم سلمة (رض) اتته فقالت: يا بني لا تحزن بخروجك إلى العراق فإنني سمعت جدك صلى الله عليه وآله يقول: يقتل ولدى الحسين بأرض العراق بأرض يقال لها كربلاء فقال لها: يا أماء وانا والله أعلم ذلك واني مقتول لا محالة وليس لي من هذا بد واني والله لا عرف اليوم الذي اقتل فيه واعرف من يقتلني وأعرف البقعة التي أدفن فيها وأعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي وان أردت يا أماء أريك حفرتي ومضجعي ثم أشار إلى جهة كربلاء فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره وموقفه ومشهده. فعند ذلك بكت أم سلمة بكاء شديدا وسلمت أمرها إلى الله تعالى فقال لها: يا أماء قد شاء الله ان يراني مقتولا مذبوحا ظلما وعدوانا وقد شاء ان يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين وأطفالي مذبحين مأسورين مظلومين مقيدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرا ولا معينا. ينظر: لواعج الاشجان، محسن الامين: ٣١.

(٣) بحار الانوار، للمجلسي ج ٤٥ ص ١١٨.

(٤) ومنه ما رواه الصدوق في اماليه ص ٢٠٣: (عن الإمام الباقر عليه السلام قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وآله في بيت أم سلمة رضي الله عنها فقال لها: لا يدخل علي أحد، فجاء الحسين عليه السلام وهو طفل، فما ملكت معه شيئا حتى دخل على النبي صلى الله عليه وآله وآله، فدخلت أم سلمة على أثره فإذا الحسين على صدره، وإذا النبي صلى الله عليه وآله وآله يبكي، وإذا في يده شيء يقلبه، فقال النبي صلى الله عليه وآله وآله: يا أم سلمة، إن هذا جبرئيل يخبرني أن هذا مقتول، وهذه التربة التي يقتل عليها، فضعها عندك فإذا صارت دما فقد قتل حبيبي، فقالت أم سلمة: =

عليه على ما أصيب به من استشهاد أبيه الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه إذ يقول: نحمده على عظام الأمور وفجائع الدهور وجليل الرزء وعظيم المصائب أيها القوم إن الله وله الحمد ابتلانا بمصيبة جليلة وثلمة في الإسلام عظيمة قُتل أبو عبد الله وعترته وسبي نسائه وصبيته... ^(١).

الإجراء الفريد:

ومن الأساليب التي اتبعتها الإمام زين العابدين عليه السلام في ثورته المباركة في بعدها الاعلامي هو الاجراء الفريد الذي لم يُعهد عن الأئمة عليهم السلام والذي تمثل باتخاذ بيت من (شعر) في البادية، خارج المدينة! لمواجهة الموقف، ولإبعاد نفسه عن وجهة تلك الاتهامات والملاحقات التي لا يمكن صرفها هي ولا تغيير وجهتها.

فأبعد بذلك الإجراء الأخطار الموجهة إليه من الملاحقات، وبدأ بعيداً عنها بالاستعداد لما يتوجه حمل تلك الأعباء، ويتأهب للقيام بدوره، كوارث لكرلاء، وكمعيل كفيل لعوائل الشهداء، وكإمام يقود الأمة ويحافظ على تعاليم السماء.

قال ابن أبي قرة في (مزاره) بسنده عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام، قال: «كان أبي علي بن الحسين عليه السلام، قد اتخذ منزله - من بعد مقتل أبيه الحسين بن علي عليه السلام - بيتاً من شعر، وأقام بالبادية، فلبث بها عدة سنين، كراهية لمخالطة الناس وملاقاتهم. وكان يصير من البادية بمقامه إلى العراق زائراً لأبيه وجده عليه السلام، ولا يشعر بذلك من فعله» ^(٢).

كان مغزى هذا التدبير السياسي المؤقت: أن لا يبقى الإمام عليه السلام داخل المدينة، حتى لا تلاحقه أوهام الدولة وتخمينات رجالها وحتى يتبعد عن ظنونهم السيئة، بل

يارسول الله، سل الله أن يدفع ذلك عنه. قال: قد فعلت فأوحى الله عز وجل إليّ: أن له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين، وإن له شيعاً يشفعون فيشفعون، وإن المهدي من ولده، فطوبى لمن كان من أولياء الحسين، وشيعته هم والله الفائزون يوم القيامة.

(١) مشير الاحزان، لابن نما: ٩١.

(٢) فرحة الغري، لابن طاووس: ٤٣، والإمام زين العابدين، للمقرم: ٤٢.

خرج إلى فضاء البادية المفتوح، وخارج البلد، يسكن في بيت من (شعر) ليرفع عن نفسه سهام الريب، ويدفع عن ساحته اهتمام رجال الدولة، كوارث للشهداء.

وأبرز ما أثمرته هذه الظاهرة الغريبة، أن القائد الأموي السفاك مسلم بن عقبة، في هجومه الوحشي الكاسح على المدينة وأهلها، لم يمس الإمام بسوء، وعده (خيرا لا شرفه).

وواضح، أن المراد من (الخير والشر) في منطق هذا الأموي السفاح، ما هو؟ مع أن الإمام كان مستهدفا بالذات في ذلك الهجوم، كما سنوضحه في ما بعد!

وبعد أن استنفد الإمام السجاد عليه السلام جل أغراضه وأهدافه من هذا الإجراء الفريد، رجع إلى المدينة، وقد انقلبت ظنون رجال الحكم السيئة، إلى حالة مألوفة، وأصبح الإمام في نظرهم مواطنا، يمكنه أن يسكن المدينة، من دون أن تنصب له الدوائر، ولا أن تجعل عليه العيون^(١).

الأمة والنظام السياسي

الأمة تعني الجماعة، والجماعة إنما تكتسب قوتها ومكانتها لا من حيث العدد فحسب، ولكن من حيث الترابط الذي يربط بين آحادها؛ فالعدد المجموع الذي لا يربط بينه رابط لا يستحق لفظ «الأمة» وإن كثرت أعداده. وأقوى رابط يربط بين الناس من المنظور الشرعي هو الدين، ولذا فإن المسلمين أمة واحدة وإن اختلفت أعراقهم أو أجناسهم أو لغاتهم أو أوطانهم؛ فالأمة الإسلامية لها بذلك اتساع عرقي ولغوي وجغرافي فسيح تتباين فيها المستويات الإيمانية، والقيادية والعلمية والفكرية والإنتاجية، وقد زكّى الله تعالى هذه الأمة وأثنى عليها وعدّلها وبيّن مكانتها، فقال في كتابه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٢)، وقد بينت الآية شرط خيرة الأمة تلك، وهو إيمانها بالله وقيامها

(١) جهاد الإمام السجاد، لمحمد رضا الجاللي: ٦٠-٦١.

(٢) آل عمران: ١١٠.

بما أوجب عليها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أحل الله تعالى هذه الأمة المكانة العالية حين جعلها تتبوأ منصب الشهادة على الأمم، وهي المكانة التي لا يرقى إليها إلا الصادقون العدول القوامون بالحق والعدل، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(١)، ومسوغات ذلك هو الإيمان والعمل الصالح، والقيام بحق الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومما تقدم يتبين مسؤولية الأمة فيما يتوجه الطلب فيها إلى مجموعها والتي يُحتاج في تنفيذها إلى التعاون على البر والتقوى.

الشعور بالانتماء

إن الشعور بالانتماء لحضارة الإسلام العظيمة عنصر قوي يحمي الأفراد والمجتمعات، ويحول دون انحلالها في بوتقة الانحراف وفلسفته، وهذا الهدف الغالي إنما يكون بالتربية الإسلامية السليمة، وخاصة في المسجد الذي هو منتدى المسلمين، يتذكرون فيه شؤونهم مثلما يؤدون فيه فرائضهم.

إن تعميق عقيدة الإسلام في نفوس المجتمع الإسلامي المبعثر الأفكار، وترسيخ مفاهيمه الأساسية فيها متمثلة في معرفة الله - عز وجل - وتوحيده في ذاته وفي صفاته وتوحيد القصد إليه، وعدم النظر إلى غيره من حيث النفع والضرر، واتباع سنة نبيه وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم) في كل ما يتصل بأمور الشريعة والعقيدة، كل ذلك يمهد السبيل الذي يحقق هذا الشعور النبيل الذي يحافظ على شخصية الفرد وهوية المجتمع وتماسكه ووحدته.

لقد ظل النبي ﷺ مدة الرسالة عاكفاً على تعليم المسلمين ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ولما استأثر الله بنبيه كان العلم الذي تركه فيهم كنزاً من كنوز الوحي الذي أودعه الله سنة محمد ﷺ، وقد حافظ الأئمة الطاهرون ﷺ ومن تبعهم بإحسان على هذا الكنز فاستحقوا الفضل والشهادة لهم بالخيرية على لسانه محمد ﷺ.

الإدارة والإصلاح

إن الدعوة إلى الله سبحانه هي الأساس الذي قامت عليه هذه الأمة ونهضت به، وإذا نظرنا في تاريخ الدعوة منذ بعثته وجدنا أنها كانت تسير ضمن عملية إدارية محكمة، بلغت في تخطيطها وتنظيمها وترتيبها للسلوك الإنساني ذروتها.

ولغة الإدارة وسيلة مهمة من وسائل الاتصال الفعال، وقد عمل الإمام زين العابدين عليه السلام على التأكيد على المفهوم العام للمسؤولية الجماعية كونها من متطلبات الإدارة الناجحة إذ أن انجاز العمل وفق ما هو مطلوب يحتاج إلى تكاتف وتعاون جهود مشتركة يكون الفرد أحد عناصره.

إن كل حركة إصلاحية على اختلاف مستوياتها لا بد لها من الاستفادة من علم التخطيط والتنظيم والتوجيه والمراقبة، أو ما يسمى بالوظائف.

أولاً: التخطيط:

والتخطيط للدعوة يبدأ من المنطلق الاستراتيجي البعيد المدى عن طريق القيايين ومفكري الأمة: مثل ما حصل في خطة صلح الحديبية ذات النظرة البعيدة الذي يعده بعض المؤرخين بداية الفتح الإسلامي الفعلي.

ثانياً: التنظيم:

يأتي دور التنظيم لضمان تنفيذ الخطط بالشكل المطلوب، أو بمعنى آخر تنظيم التنفيذ دون الارتباك في توزيع العمل، والتنظيم مهم لتحديد المهام والواجبات، وتوزيع السلطات والصلاحيات لمستويات الأفراد المختلفة؛ كل ذلك من أجل إيجاد تنسيق بشري يساهم فيه كل فرد لإنجاح مسيرة العمل الإسلامي.

ثالثاً: التوجيه والقيادة:

إن للتوجيه الإداري ارتباطاً وثيقاً بمهارات القيايين؛ ولنجاح عملية التوجيه ينبغي مراعاة الاتصال الفعال الذي يربط قنوات النظام الداخلي والخارجي مع

وضوح أهداف النظام الكلية والأهداف المطلوب تحقيقها من كل فرد يعمل لهذا النظام على اختلاف مستواه.

والقدرة على التأثير خصيصة ضرورية للقيادة الادارية، وتتأتى بما يمتلك من عناصر ومؤهلات ضمن سلوكيات معينة تؤثر في الآخرين، ومتى ما كان القائد مستشعراً لاحتياجات رعيته ساعياً في قضائها جاعلاً من العدالة أساساً في تعامله، فدون ادنى شك ستكون الرعية منقاداً له طوعاً أمراً، ومتى ما تعالى عليهم فإن تعالىه سوف يخلق هوة تزداد شيئاً فشيئاً إلى أن تؤدي إلى انعدام التأثير.

أضف إلى ذلك رفع الروح المعنوية للأفراد العاملين في مجال الدعوة من تقديم التشجيع والثناء والمزيد من الحرية والتصرف، ناهيك عن الدافع الديني الذاتي لدى كل من يفهم معنى الدعوة وحجم الاستثمار فيها.

رابعاً: الرقابة:

والرقابة بمفهومها العام تعني التأكد من أن المبادئ الآنف الذكر التخطيط، التنظيم، التوجيه تسير في الاتجاه الصحيح نحو الأهداف المرسومة، ويكون ذلك بقياس الأداء ومقارنة النتائج بالأهداف ضمن معايير موضوعة سلفاً لتصحيح وتعديل أي انحراف في الأداء ضماناً لفاعلية وكفاءة التنفيذ.

ولعل أبرز ما يتسم به الإداري المسلم الرقابة الذاتية على نفسه، فهي تشمل كافة شئون الحياة الفردية والجماعية، حيث يعلم أنه خلق لعبادة الله وحده، وبالتالي فإن جميع أفعاله إدارية أو دعوية مقياس لمدى طاعته لأوامر الله، ثم محاسبه نفسه قبل أن يحاسبه خالقه، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(١).

التنظيم والإصلاح

إن تنظيم الجهود، وتنسيق الطاقات لمجموعة أشخاص، بحيث يمكنهم

تحقيق أهداف معينة يسعى إلى إحداث تغيير منظم يفضي إلى إصلاح شامل في بنية المجتمع الإسلامي.

والتنظيم ضرورة وحاجة لا يقلل أهمية عن شأن التخطيط، فهو عملية متكاملة تتبع تحديد الأهداف والاستراتيجيات التفصيلية، والتي لا بد من وجود من يدفع بها إلى مرحلة التنفيذ، ولهذا فإن التنظيم الجيد لا بد أن يتوفر فيه الموصفات التالية:

١. التغطية الشاملة: أي أن لا تترك مهمة بدون مسؤول، وأن لا يكون أكثر من مسؤول مباشر لمهمة ما في وقت واحد ومكان واحد.
٢. الوضوح: بأن يعرف كل شخص واجباته والصلاحيات المسندة إليه للقيام بمسؤولياته، وكذلك وضوح علاقاته بالأشخاص الآخرين.
٣. التوازن بين الصلاحيات المعطاة للشخص للقيام بعمله والمسؤوليات الملقة على عاتقه.

مزايا التنظيم بشكل مختصر:

١. انتظام العمل وانسيابه بسهولة ويسر، حيث يتم تحديد الأعمال والمراحل التي تمر بها، والأشخاص الذين يؤدونها.
٢. تحديد الاختصاصات والصلاحيات والمسؤوليات، بحيث يعرف كل فرد واجباته الأساسية والفرعية والإضافية، وعلاقة وظيفته بالوظائف الأخرى، ويبين لكل قسم وإدارة حدود صلاحياتها وعلاقاتها بالأقسام والإدارات الأخرى. فلا يحدث تنازع في الاختصاصات أو تضارب في السلطات.
٣. الاستغلال الكفء للإمكانات المتاحة (خبرات وجهود العاملين) والحصول على أقصى طاقة إنتاجية منها، وتحقيق التنسيق والتكامل بين تخصصات العاملين وخبراتهم ومهاراتهم، وبين الإدارات والأقسام، فيزيد احتمال الوصول إلى الأهداف المحددة بقدر كبير من الفعالية.

وبناء على ذلك يتحقق التعاون والانسجام بين الأفراد والجماعات فتسير العلاقات الوظيفية، والاجتماعية بأقل قدر ممكن من التنافر والاحتكاك.

أسس التنظيم

يقوم التنظيم على جملة من الاسس التي يفترض أن تكون مترابطة ترابطاً وثيقاً فيؤثر بعضها في بعض، ويزداد عمق الحاجة إليها جميعها أو بعضها، حسب حاجة كل تنظيم إداري.

١. وحدة الهدف: لكل عمل هدف رئيسي تكونت من أجله المؤسسة ابتداءً، وهذا الهدف كي يتحقق لا بد من تعريفه بصورة واضحة، ثم تقسيم الأهداف إلى أهداف جزئية وفرعية ومرحلية، يكون بينها وحدة واتساق توصل بمجموعها إلى تحقيق الهدف الرئيسي.

٢. التخصص وتقسيم العمل: إن اختيار العناصر المتخصصة التي تتقن العمل جزء لا يتجزأ من عملية التنظيم، مما يتيح للعاملين التطور في مجالات تخصصهم وزيادة مسؤولياتهم، وذلك بمساعدة رؤسائهم.

٣. تسلسل خطط السلطة: ويقصد بها تدرج حجم ومستوى السلطة المعطاة، ومستويات التنظيم الإداري، والتي تتوزع بشكل مناسب في الهياكل التنظيمية مع مستويات التنظيم الرئيسية الثلاثة: الإدارة العليا، الإدارة الوسطى، والإدارة التنفيذية: فلا تتركز السلطات في إحدى الحلقات دون الأخرى.

٤. وحدة الأمر: وهو نتيجة طبيعية للأسس السابقة، ونعني به توحيد جهة التلقي للتعليمات من قبل رئيس أو مدير واحد، وذلك حرصاً على تحديد المسؤوليات وضمان التنسيق وتوحيد الجهود وعدم بعثرتها، وفي المقابل فإن عدم مراعاة هذا المفهوم يسبب ارتباكاً سيئ الأثر في العمل وفي نفوس المرؤوسين، نتيجة لتعدد مصادر التوجيه والتلقي.

٥. تناسب السلطة والمسؤولية: وهي إحدى المعادلات الصعبة، ونعني بالسلطة:

الصلاحيات المخولة لشاغل وظيفة معينة، وتتضمن حق إعطاء الأوامر والحصول على الأداء والمردود من المرؤوسين، وحق اتخاذ القرارات. ويقرن بالسلطة عادة مفهوم آخر وهو القوة، والتي تعزز السلطة، وتعني: القدرة على توجيه سلوك الآخرين والتحكم فيه، وهي حصيلة مركبات معينة يمكن اختصارها بـ:

- ١ - الثواب.
- ٢ - العقاب.
- ٣ - قوة الشخصية.
- ٤ - القدرة والخبرة والمعلومات.
- ٥ - القدرة المستمدة من المنصب.

أما الطرف الآخر من المعادلة، وهي المسؤولية، فتعني الالتزام من جانب المسؤول بما تتطلبه وظيفته من أعباء ومهام لتحقيق أهداف تلك الوظيفة، فيسأل عن نتائج عمله، وكل رئيس يسأل عن النتائج المترتبة على أدائه وأداء مرؤوسيه.

ملامح الإصلاح السياسي^(١)

إن كان الإصلاح من أبرز ما يقصده الأنبياء والأئمة عليهم السلام، لأن مهمتهم إنما جعلت في الأرض لدفع الفساد عنها بهداية الخلق إلى ما هو صالح لهم، وقطع دابر المفسدين.

فإن كان هذا هو الحق: فإن الإمام زين العابدين عليه السلام لم يتخل عن موقعه الإلهي، كقائد للأمة الإسلامية، ومصلح للمجتمع الإسلامي، وقد تبلور في ساحة العمل الاجتماعي، في كل زواياها وأطرافها، وأبرزها المطالبة بإصلاح جهاز الحكم.

(١) ينظر: اعلام الهداية (الإمام الباقر)، المجمع العلمي لأهل البيت: ١١٧-١٢٦.

إن أقصى ما يريد أن يبعده المؤرخون المحدثون عن حياة الإمام زين العابدين هو العمل السياسي، والتعرض للجهاز الحاكم، والتطلع إلى إصلاح الدولة، فيحاولون الإيحاء - بعبارات شتى - أن الإمام عليه السلام لم يكن سياسياً، وكان بعيداً عن التورط في ما يمس قضايا السياسة من قريب أو بعيد، وأنه انزوى متعبداً بالصلاة والدعاء والاعتكاف!

ومع اعتقادنا أن مزاوالات الإمام الدينية كلها من صميم العمل السياسي، وخصوصاً في عصره، إذ لم يسمع نغم الفصل بين السياسة والدين، بعد!

فمع ذلك: نجد في طيات حياة الإمام زين العابدين عليه السلام عينات واضحة، من التدخلات السياسية الصريحة. فهو في ما يلي من النصوص المنقولة عنه، يبدو رجلاً مشرفاً على الساحة السياسية، فهو يدخل في محاورات حادة، ويتابع مجريات الأحداث، ويدلي بتصريحات خطيرة بشأن الأوضاع الفاسدة التي تعيشها الأمة، وهو ينميها - بكل صراحة - إلى فساد الدولة.

روى عبد الله بن حسن: كان علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يجلس كل ليلة، هو، وعروة بن الزبير، في مؤخر مسجد النبي صلى الله عليه وآله! بعد العشاء الآخرة، فكنّت أجلس معهما، فتحدثنا ليلة، فذكرنا جور من جار من بني أمية، والمقام معهم، وهما لا يستطيعان تغيير ذلك! ثم ذكرنا ما يخافان من عقوبة الله لهم!

فقال عروة لعلي: يا علي، إن من اعتزل أهل الجور، والله يعلم منه سخطه لأعمالهم، فكان منهم على ميل ثم أصابته عقوبة الله رجي له أن يسلم مما أصابهم. قال: فخرج عروة، فسكن العقيق.

قال عبد الله بن حسن: وخرجت أنا فنزلت سويقة.

أما الإمام زين العابدين عليه السلام فلم يخرج، بل: أثر البقاء في المدينة طوال حياته لأنه يعد مثل هذا الخروج فراراً من الزحف السياس، وإخلاء للساحة الاجتماعية للظالمين، يجولون فيها ويصولون.

وما أعجب ما في النص من قوله: (يجلسون كل ليلة... في مسجد الرسول) وكأنه اجتماع منظم، ولا ريب أن فيه تحدياً صارخاً للنظام يقوم به الإمام زين العابدين (عليه السلام).

وفي حديث آخر: قال الإمام زين العابدين (عليه السلام): إن للحمق دولة على العقل، وللمنكر دولة على المعروف، وللشر دولة على الخير، وللجهل دولة على الحلم، وللجزع دولة على الصبر، وللخرق دولة على الرفق، وللبؤس دولة على الخصب، وللشدة دولة على الرخاء، وللرغبة دولة على الزهد، ولليوت الخبيثة دولة على بيوتات الشرف، وللأرض السبخة دولة على الأرض العذبة. فنعوذ بالله من تلك الدول، ومن الحياة في النقمات.

وإذا كانت (الدولة) هي: الغلبة والاستيلاء، وهي من أبرز مقومات (السلطة الحاكمة) فإن الإمام (عليه السلام) يكون قد أدرج قضية السلطة السياسية في سائر القضايا الحيوية، والطبيعية، التي يهتم بها، ويفكر في إصلاحها، ويحاول رفع مشكلاتها التي تستولي على الإنسان، من اقتصادية، وثقافية، ونفسية، ودينية.

وهل لسياسي آخر حضور أقوى من هذا، في مثل ظروف الإمام (عليه السلام) وموقعه، وضمن تخطيطه الشامل لحل المشاكل؟ وهل يصدر مثل هذا من رجل ادعى: أنه ابتعد عن السياسة، أو اعتزلها؟!

وإذا كان من أهم واجبات المصلح، وخاصة الإلهي، مقاومة الفساد، ومحاربة المفسدين في الأرض، فإن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قام بدور بارز في أداء هذا المهم.

وقد تميز عصر الإمام (عليه السلام)، بمشاكل اجتماعية من نوع خاص، وقد تكون موجودة في كثير من الأوقات، إلا أن بروزها في عصره كان واضحاً، ومكتفاً، كما أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قام بمعالجتها بأسلوبه الخاص، مما أعطاها صبغة فريدة، تميزت في نضال الإمام (عليه السلام).

مقاومة العصبية والعنصرية

إن الأمويين - بعد إحكام قبضتهم على الحكم - اعتمدوا سياسة التفرقة العنصرية بين طوائف الأمة، والعصبية القبلية بين مختلف طبقاتها، محاولين بذلك تفتيت المجتمع الإسلامي، وتقطيع أواصر الوحدة بين أفراد الأمة الإسلامية، تلك الوحدة التي شرعها الله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(١).

ودفعا لها على التفرق الذي نهى عنه الله بقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢)، حتى وصل الأمر إلى: أنه تتابع فخر النزارية على اليمنية، وفخر اليمنية على النزارية، حتى تخربت البلاد، واثارت العصبية في البدو والحضر. ولقد قاوم الإمام زين العابدين عليه السلام هذه الردة الاجتماعية عن الإسلام بكل قوة، وتمكن - بحكم موقعه الاجتماعي، وأصالته النسبية - أن يقتحم على بني أمية، بلا رادع أو حرج.

وكان عليه السلام يشيع نوعاً من الديمقراطية الاجتماعية بالرغم مما يجري في عروقه من دم أصيل، أبا وأما، وقد أقدم على ما زعزع التركيب الاجتماعي للمجتمع الإسلامي الذي أراد له الأمويون أن يقوم على العصبية.

وقد قاوم عليه السلام ذلك، نظرياً بما قدمه من تصريحات، وعملياً بما أقدم عليه من مواقف:

فكان يقول: لا يفخر أحد على أحد، فإنكم عبيد، والمولى واحد.

وكان يجالس مولى آل عمر بن الخطاب، فقال له رجل من قريش - هو نافع بن جبير -: أنت سيد الناس، وأفضلهم، تذهب إلى هذا العبد وتجلس معه؟!

فقال عليه السلام: آتي من أنتفع بمجالسته في ديني أو قال: إنما يجلس الرجل حيث ينتفع.

(١) سورة الأنبياء: ٩٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣.

ومن المعلوم أن ما ينتفع به الإمام (عليه السلام) من هذا المولى ليس إلا بنفس المجالسة، فإن هذه المجالسة تحقق للإمام غرضه السياسي من إعلان معارضته لسياسة بني أمية المبتنية على طرد الموالي وعدم احترامهم، فإذا جالسه الإمام زين العابدين (عليه السلام) - وهو من لا ينكر شرفه نسبا وحسبا - فإن ذلك نفس لتلك السياسة التي تبنتها الدولة ورجالها!

وقال له طاووس اليماني - وقد رآه يجزع ويناجي ربه بلهفة -: يا بن رسول الله، ما هذا الجزع والفزع،...، وأبوك الحسين بن علي، وأمك فاطمة الزهراء، وجدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!

فالتفت الإمام (عليه السلام) إليه وقال: هيهات، هيهات، يا طاووس، دع عني حديث أبي، وأمي، وجدتي، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن، ولو كان عبدا حبشيا، وخلق النار لمن عصاه، ولو كان ولدا قرشيا، أما سمعت قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ^(١).

المسجد والثورة

ترجع أهمية (المسجد) العلمية إلى إسهامه في تطوير المقومات والعوامل التي أدت إلى بناء الدولة الإسلامية الأولى وتشديد حضارة إنسانية امتدت قروناً طويلة. أما أهميته العملية الواقعية فتكمن في الدور الفاعل الذي يمكن أن يقوم به المسجد في العلاقة السياسية، ليس باعتباره مؤسسة تتعلق بالأمور الدينية فحسب، وإنما باعتباره مؤسسة لها وظائف تتعلق بالتعامل السياسي بمعناه الأرحب.

وهذا ما نجده جلياً في سيرة مولانا الإمام زين العابدين (عليه السلام) إذ اتخذ من المسجد النبوي الشريف مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل جمعة منبراً كان يعظ الناس فيه ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم في أعمال الآخرة بهذا الكلام ومن جملة مواعظه

الشريفة: أيها الناس اتقوا الله، واعلموا أنكم إليه ترجعون، فتجد كل نفس ما عملت في هذه الدنيا^(١).

إنّ النظرة القرآنية والنبوية لمفهوم المسجد يمكن تلخيصها في نقاط:

- ١ - اعتبار المسجد بمثابة المكان الذي يتم فيه غرس مفهوم العبودية لله وتعظيمه، ومن ناحية أخرى اكتساب القيم السياسية الإسلامية ابتداءً من قيمة التوحيد ومروراً بقيمة الحرية وقيمة المساواة وانتهاءً بقيمة العدالة باعتبارها جميعاً ترجمة للمضمون السياسي لمعنى العبودية لله.
- ٢ - اعتبار المسجد أحد الأركان الأساسية التي ينبغي أن تقوم عليها الدولة الإسلامية.
- ٣ - أهمية المسجد في بناء مقومات الحضارة الإنسانية القائمة على تحقيق مهام الاستخلاف وتنفيذ السياسة الشرعية في الأرض.
- ٤ - المسجد قاعدة أساسية للممارسة السياسية؛ فهو مركز الحياة الاجتماعية والسياسية للجميع، وحافظ التوازن بين أطراف العلاقة السياسية.
- ٥ - المسجد مكان التربية السياسية النفسية التي يتم فيها غرس القيم والمفاهيم الإسلامية على مستوى أفراد الأمة، كما أنه مدرسة لتخريج القيادات السياسية والفكرية والعسكرية على وجه الخصوص.
- ٦ - تحديد أسس التعامل مع المؤسسات التي من شأنها أن تؤثر سلباً وتعطل عمل المساجد بصورة مباشرة أو غير مباشرة.
- ٧ - مناقشة الدلالات السياسية لاعتقاد المساجد وإعمارها وتعظيمها، وعلى الوجه الآخر دلالات التخلف عنها وتعطيلها.

المسجد والإصلاح

يعتبر المسجد رمز الحياة الإسلامية ومحور اهتمام المسلمين، وحوله يتجمع

(١) أمالي الصدوق: ج ١ ص ٤٠٧.

نشاط المسلمين بكل مظاهره وصوره، فمنه انبثقت أفكارهم وتطلعاتهم، إليه يعودون بعد ضربهم في الأرض، وخوضهم في كل المجالات اقتصادية أو جهادية أو سياسية.

لذا فقد حث الإمام زين العابدين (عليه السلام) على بناء المساجد وعمارها بالبر والتقوى وإعطاء المسجد دور الريادي الذي كان يمارسه على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعهد أمير المؤمنين (عليه السلام)، فعن الباقر (عليه السلام) يروي عن أبيه عن جده قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لجبرئيل (عليه السلام) يا جبرئيل أي البقاع أحب إلى الله تعالى قال المساجد وأحب أهلها إلى الله أولهم دخولا وآخرهم خروجاً منها»^(١).

فالمسجد تجسيد لأهداف المسلم وغاياته في حياته وهو الطريق لتحقيق هذه الأهداف والغايات فبناؤه يعد أول خطوة من أجل ذلك، وهدمه قضاء على هذه الأهداف والغايات في مهدها ومحاولة قضاء على مجرد التفكير فيها أيضاً. وهذا ما يدركه كل من المسلمين وخصومهم بوضوح أيضاً.

كما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أسرج في مسجد من مساجد الله سراجاً لم تنزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوء من ذلك السراج»^(٢).

فالمسلم الحق أينما حل يبحث عن المسجد، فإن لم يجده فكر في طريقة إيجاده، وتطلع إلى الوسائل التي تعينه على ذلك، من التعرف على إخوانه في العقيدة الذين يشاركونه هذا الاهتمام، ومن تسهيل السبل لرفع هذا البناء الذي يوقف لعبادة الله وحده، ويرفع فيه اسم الله عز وجل وحده، كل ذلك إعمالاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٣).

ويمكن تلخيص الآثار المباركة للمسجد بما يلي:

- (١) الوافي ج ٧ ص ٥١١.
- (٢) المصدر السابق: ج ٧ ص ٥٠٩.
- (٣) التوبة: ١٨.

١. يعمل على إيجاد الأرضية المناسبة لقيام وحدة إسلامية حقيقية قائمة على أساس تقوى الله تعالى ونبذ الخلاف والتفرقة.
٢. للمسجد دور في إثراء الخبرة الإسلامية على وجه العموم؛ إذ يرجع إليه الفضل في إنشاء مقومات الحضارة الإسلامية عن طريق تخريج كوادر رسالي تأخذ على عاتقها هموم الأمة ومشاكلها وتسعى جاهدة لإيجاد الحلول الناجعة لها.
٣. يعد المسجد عاملاً جوهرياً لظهور القيادات والأجيال الواعية التي استطاعت بناء الحضارة وإدارة دفتها.
٤. تعميق مفهوم التعاون الإيجابي بين طبقات المجتمع المختلفة المتمثل بالبر والتقوى والآثار الخيرة الناتجة عن ذلك.
٥. ساعد في إيجاد قوة لا يستهان بها قادرة على مواجهة الأنظمة الحاكمة المنحرفة.
٦. إيجاد أرضية أخلاقية مناسبة تحث من خلالها افراد المجتمع على تبني مفهوم التكافل الاجتماعي مما يسهم في زيادة مساندة الرعية والعمل على تحقيق الاستقرار الاقتصادي إلى حد كبير.
٧. ساهم في خلق الوعي لا سيما الوعي بالشرعية وأحكامها لدى الرعية غير الواعية.
٨. يسعى إلى ضبط هذه العلاقة القائمة بين السلطة الحاكمة وافراد المجتمع على أساس المصلحة الشرعية ومصلحة الأمة؛ بحيث لا يترك المجال لسيطرة السلطة بصورة استبدادية تقوم على هضم الحقوق والحريات.

المسجد والوحدة الإسلامية

إن طبيعة أثر المسجد في توحيد الأمة، ويتحدد ذلك من خلال النظر إلى المسجد من خمس زوايا:

١. المسجد قاعدة التوحيد الثقافي المنظم لأفراد الأمة.
٢. المسجد قاعدة للإعداد والانطلاق الفكري.
٣. المسجد قاعدة لإيجاد الحافز والانطلاق الفعال.
٤. المسجد أداة في تحقيق المصلحة العامة.
٥. المسجد وسيلة لخلق الوعي بالأمة باعتباره كياناً حركياً له تأثيره.

المبحث السابع

الثورة الأخلاقية

تحتل الأخلاق الحميدة مساحة واسعة ضمن المنظومة الإسلامية في أحد المحاور الرئيسية التي نادى به شريعة السماء ودعت إليه وقننت له فالمجتمع القوي المتماسك هو المجتمع الذي يعيش أخلاقيات الرسالة المحمدية، وقد جاء نبينا الكريم محمد ﷺ بنظام أخلاقي متكامل رسخ دعائمه بصورة عملية من خلال سنته الشريفة في أبعادها القولية والفعلية والتقريرية إلا أن حجم ما كانت تعيشه الأمة من تردّي وتساؤل جاهلي جعل من الضروري وجود صمام أمان يكفل استمرار ما بدأه ﷺ في مجال الهداية والصلاح فكان أن وقعت مشيئة الله على العترة الطاهرة ممن اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

أخلاقيات القائد

إن حب وتعلق الأفراد بقائدهم من الأسس الفاعلة لنجاح القائد في قيادة ثورته، وهذا ما لا يتحقق من دون وجود جانب عملي واقعي يثبت لمريديه واتباعه أنه يستحق هذا المنصب بجدارة وتفوق، والمتأمل في شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام ليجد من أول وهلة أنها على مستوى عال من الرقي الأخلاقي والروحي حتى تكون منقطعة النظير في هذا المضممار خلا النبي الأكرم وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم) فقد حمل في طيات روحه المقدسة من

الخصائص المعنوية ما كفل له أن يكون أحد أعظم المصلحين الذين عرفهم التاريخ.

وقد جُمع للإمام زين العابدين (ع) في شخصه مكارم الأخلاق من العلم والحلم والشجاعة والصدق والمروءة، كيف لا وقد تربي في كنف سيد الوصيين علي بن أبي طالب (ع) وعاش بين أعظم عظيمين سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين (ع).

ومن مجمل هذه الخصائص سداد الرأي، وأصالة الفكر، وعلمه القائم على الإيمان الوثيق بالله تعالى، وعلى أصالة الرأي وسلامة القصد، والإخلاص في النية، ولا يتصف بها إلا من صفت ذاته، وخلصت سريره، ولم يكن لدواعي الهوى والغرور أي سلطان عليه، فضلاً عن عمق تفكيره، وقد ارتقى بذلك إلى قمة الشرف والمجد، وخلدت نفسه العظيمة على امتداد التاريخ ليصل جهاده في سبيل الله تعالى إلى أسمى مراتب الفضيلة.

الأخلاق والعقيدة

ترتبط الأخلاق بالعقيدة ارتباطاً وثيقاً بحيث يمتنع تخيل أخلاق مجردة عن العقيدة، أو عقيدة مجردة عن الأخلاق، مما يجعلنا نوقن أن كل الخصائص الأخلاقية المنحرفة هي - لا محالة - إفراز عقائد منحرفة، بينما الأخلاق النبيلة تظل دليلاً ساطعاً على انبثاقها وانبعاثها من وحي عقيدة نقية نائية عن التحريف وإيحاءات القصور البشري، وفي الوقت ذاته: توقن أن الأخلاق المنحرفة برهان على وجود الأخلاق المستقيمة كالنقود المزيفة تكون دليلاً على وجود النقود الصحيحة.

إن نعوت الكمال الإنساني وخصال أخلاقه الحميدة محاطة بصفاء العقيدة ونقاء التصور ووضوح العبودية لله رب العالمين، بينما تأتي مفردات الأخلاق الذميمة وموبقاتها مقرونة بالانحراف العقدي والنشوش الفكري والارتكاس في مفاهيم الشرك.

فالشرك في حد ذاته صفة أخلاقية تستجمع كل الشرور، وتولد عنها كل الأخلاقيات الهابطة، وكل السلوكيات المنحرفة، لأنه منهج استكباري يستنكف صاحبه أن يكون عبداً لله، وقد كان أول سلوك من هذا القبيل ما جاهر به إبليس أمام الله سبحانه ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

ينطلق الإسلام في إصلاحاته الأخلاقية من حقيقة العبودية لله عز وجل، فطرة الله التي فطر الناس عليها - وهي حقيقة لا يضارعه فيها أحد، وقد تميز بها عن غيره - فيشير في النفس الإنسانية مكامن التدين ويوظف فيها مواطن الفطرة، ومعاقل الإيمان ويعتقها من الخضوع لغير الله حتى إذا ما تخلصت من الشرك وشوائبه، انسأقت لأخلاقيات الدين، فيضبط مسار حياتها، ويوجه حركاتها وسكناتها.

وهذا النهج نراه في دعوة نبينا محمد ﷺ، ونراه في دعوة من قبله من الأنبياء، فقد كان الإصلاح النبوي في الرسالات السماوية يتوجه قبل كل شيء إلى تمكين مفاهيم العقيدة الصحيحة وتصويبها أولاً ليعقبها بعد ذلك تلقائياً تلقى أخلاقيات الإسلام والانصياع لها بنفس ملؤها الرضى والاطمئنان.

والتوجيه الرباني في القرآن الكريم يجعل مسألة تصحيح الانحراف العقدي والبراءة من الشرك في مستهل الأخلاقيات الضرورية التي يلزم التعهد بالتزامها عند إرادة الانضمام إلى مجتمع الإسلام ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَتَرَفْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِهِنَّ نِفَاقًا بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْنِيَنَّكَ فِي مَعْرِفٍ قَبَائِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرَنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

ولا يفصل الإسلام تقريراته الأخلاقية عن قضية العبودية لله رب العالمين،

(١) البقرة: ٣٤.

(٢) الممتحنة: ١٢.

لتنال عظمتها وقدسيتها من عظمة هذه القضية ﴿وَقَصَّ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١).

الأخلاق والتربية.

ضرب الإمام زين العابدين عليه السلام أروع الأمثلة في تجسيد الخلق المحمدي العظيم في التزاماته الخاصة، وفي سيرته مع الناس، بل مع كل ما حوله من الموجودات. فكانت تبلور فيه شخصية القائد الإسلامي المحنك الذي جمع بين القابلية العلمية الراقية، والفضل والشرف السامق، والقدرة على جذب القلوب وامتلاكها، ومواجهة المشاكل والوقوف لصدّها بكل صبر وتوّة وهذوء.

فالصبر الذي تحلى به، بتحمّله ما جرى عليه في كربلاء، وفي الأسر، مما لا يحتاج إلى برهان وذكر. ومثابرته ومدامته على العمل الإسلامي، بارزة للعيان، وهذا الفصل يمثل جزءاً من نشاطه السياسي والاجتماعي الجاد.

الأخلاق والحق

إن الدارس لكتاب الله العزيز وسنة رسوله الكريم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام يستطيع أن يستنتج أن الحقوق تقع في ثلاثة محاور، ومعرفة تلكم الحقوق تحدد للعبد طريق السير إلى الله والدعوة إليه على بصيرة قبل أن يخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ويخرج عن الصراط المستقيم ويتخبط في بنيات الطريق.

١. حق الله على عباده وهو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً في عبادته. وذلك بعد تصور مفهوم العبادة بأوسع نطاقها.

٢. حق الرسول ﷺ على أتباعه الذي يؤخذ من قولهم أشهد أن محمداً رسول الله

وحقيقة ذلك محبة رسول الله ﷺ المحبة الصادقة التي تثمر الطاعة والإتباع وعبادة الله بما جاء به فقط.

٣. حقوق عباد الله الصالحين تلك الحقوق التي نستطيع أن نستنتجها من قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». وقوله: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا».

إن معرفة هذه الحقوق، ثم إعطاء كل ذي حق حقه أمر له أهميته ولا سيما حق الله على عباده، توجب العناية به علماً وعملاً لأنه الغاية التي من أجلها خلق الإنسان والتقصير في هذه الغاية ذنب لا يغتفر إلا لمن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً.

زين العابدين ﷺ وثورة الأخلاق

ليس في تاريخ هذا الشرق - الذي هو مهد النبوات - من يضارع الإمام زين العابدين ﷺ في ورعه وتقواه، وشدة انابته إلى الله، اللهم إلا أبأوه الين اضاءوا الحياة الفكرية بنور التوحيد، وواقع الإيمان.

لقد عني الإمام زين العابدين ﷺ بصورة خاصة بعلم الأخلاق، واهتم به اهتماماً بالغاً، يعود سبب ذلك إلى أنه رأى انهيار الأخلاق الإسلامية وابتعاد الناس عن دينهم من جراء الحكم الأموي الذي حمل معول الهدم على جميع القيم الأخلاقية، فأنبرى ﷺ إلى إصلاح المجتمع وتهذيب أخلاقه، وقد عالج في ثورته الأخلاقية القضايا التربوية والأخلاقية، وبحوثه في هذا المجال من انفس البحوث الإسلامية وادقها في هذا الفن، ف - أنه حين استسلم الناس لشهواتهم تابعين لملوكهم جعل الإمام يدأوي النفوس المريضة بالصرخات الأخلاقية والآيات السامية.

لقد كان الإمام ﷺ رمزاً للقيم والكرامة الإنسانية، فهو يمثل كل ما يعتر به هذا الإنسان من الكمال والآداب وسمو الأخلاق^(١).

(١) - موسوعة سيرة أهل البيت، باقر شريف القرشي ج ١٥ ص ١٣.

ان سيرة هذا الإمام العظيم كانت تحاكي سيرة الانبياء والمرسلين، فنراه قد شابههم بجميع ذاتياتهم واتجاهاتهم، فهو كال المسيح عيس بن مريم في زهده وانايته إلى الله، وكالنبي ايوب في بلواه وصبره، وكالرسول محمد ﷺ في صدق عزيمته وسمو أخلاقه.. ولا تُحد نزعاته الخيرة وارصدته الروحية، وحسبه أنه وحده في تاريخ هذه الأمة قد عُرف بـ (زين العابدين)، ولم يمنح هذا اللقب لأحد سواه^(١).

زين العابدين ﷺ قدوة الزاهدين

الزهد، من الفضائل الشريفة التي يتزى بها الرجال الطييون، المخلصون لله، الراغبون في جزيل ثوابه، العارفون بحقيقة الدنيا وأنها فانية زائلة، فلا يميلون إلى الاستمتاع بلذاتها ومغرياتها، بل يقتصرون على الضروري الأقل، من المشرب والملبس والسكن والمأكّل.

وقد التزم أئمة أهل البيت ﷺ بهذه الفضيلة بأقوى شكل، وفي التزامهم بها معنى أكبر من مجرد الفضل والخلق الجيد، فكونهم أئمة يقتدى بهم وأمثلة لمن يعتقد بهم، وأسوة لمن سواهم، وقدوة للمؤمنين، يتبعون خطاهم، فهم لو تخلقوا بهذا الخلق الكريم، قام جمع من الناس بذلك معهم، سائرين على طرق مأمونة من الانحراف^(٢).

وقد شغلت ظاهرة الزهد والعبادة مساحة واسعة من حياة وسيرة الإمام علي بن الحسين ﷺ، حتى أصبح من أشهر ألقابه (زين العابدين)، و (سيد الساجدين). فهذا الإمام جعفر الصادق ﷺ يروي بحق جده زين العابدين: ... كان جدي علي بن الحسين ﷺ إذا صلى برز إلى موضع خشن فيصلي فيه ويسجد على الأرض، فأتى الجبان - وهو جبل بالمدينة - يوماً، ثم قام على حجارة خشنة محرقة، فأقبل يصلي، وكان كثير البكاء، فرفع رأسه من السجود وكأنما غمس في الماء من كثرة دموعه -^(٣).

(١) - موسوعة سيرة أهل البيت، باقر شريف القرشي ج ١٥ ص ٩.

(٢) ينظر مبحث الزهد كتاب: جهاد الإمام السجاد ﷺ، لمحمد رضا الجلالى: ١٥٨-١٧٦.

(٣) الدعوات (سلوة الحزين) لقطب الدين الراوندي: ٣٢.

فللإمام السجاد عليه السلام في العبادة مشاهد عظيمة، وأعمال جليلة، وسجدة طويلة، وصلوات متتالية، حتى أنه كان يصلي في اليوم والليلة (ألف ركعة)^(١)، وهذا يشبه ما نقل عن جده الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام.

لقد جسدت ظاهرة الزهد عند الإمام زين العابدين عليه السلام التي عرف بها قلبا وقلبا ودينا ودينا لم تكن تكلفا ولم تكن ردة فعل سلبية على ما اصاب أهل بيته الطاهرين عليه السلام من فجائع ومحن بل كانت فصلا مهما من فصول ثورته المباركة ضد كل ما هو منحرف، وهذا ما نلاحظه جليا حين نتبع الآثار الاجتماعية لهذه العبادة العظيمة وما تركته وأحدثته على مر الايام، إذ تعامل الإمام زين العابدين عليه السلام مع الزهد ك ممارسة ينبغي ان تأخذ مساحتها الكافية في ما ينبغي ان تكون عليه من سلاح فاعل في مواجهة مظاهر الانحراف كاشاعة الفساد وتغييب الهوية الإسلامية وانعدام الفكر الديني الأصيل وترويج البدع والخرافات الأمر الذي حدا بالأمة الإسلامية إلى الانحدار والتشتت، فكان الإمام زين العابدين عليه السلام بما يضيفه من روحية كبيرة يأخذ بيد الأمة ليتشلها من حضيض الظلم والجهل والتخلف.

لكن الأمويين - ولأجل إخماد ثورة الإسلام في نفوس الناس - أخذوا في ترويج الفحشاء والمنكر، والفجور والخمور، والظلم والخيانة، حتى ضرب بهم المثل في خرق العهود والمواثيق، وتجاوز الأعراف والموازين المقبولة بين الناس، وتلاعبوا بكل المقدرات والمقررات، وانغمسوا - وجروا الناس معهم - في الرذيلة واللعب، ومعهم الجيل الناشئ من الأمة، الذي نما على هذه الروح الطاغية اللاهية. حتى جعلوا من مدينة الرسول الطيبة، مركزا للفساد، وإلى تلك الحال يشير أبو الفرج الأصبهاني: إن الغناء في المدينة لا ينكره عالمهم، ولا يدفعه عابدهم^(٢)، وحتى: كانت يثرب تعج بالمغنيات...

(١) سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٩٢، وشرح الأخبار ج ٣ ص ٢٥٤ و ٢٧٢ والخصال للصدوق:

٥١٧، وعلل الشرائع له: ٢٣٢، والإرشاد للمفيد: ٢٥٦، وكشف الغمة ج ١ ص ٣٣.

(٢) الأغاني - طبع دار الكتب - ج ٨ ص ٢٢٤.

وكان من أهم الاجراءات التي اتخذها الإمام زين العابدين (ع) في مواجهة حالة الفساد المتفشى في مفاصل الأمة الإسلامية انه اتخذ له مجلسا في مسجد الرسول (ص) يعظ الناس فيه، وعن ذلك يتحدث سعيد بن المسيب: كان علي بن الحسين (ع) يعظ الناس ويهديهم في الدنيا، ويرغبهم في أعمال الآخرة، بهذا الكلام في كل جمعة، في مسجد رسول الله (ص)، وحفظ عنه، وكتب، كان يقول: أيها الناس! اتقوا الله واعلموا أنكم إليه ترجعون، فتجد كل نفس ما عملت - في هذه الدنيا - من خير محضرا وما عملت من سوء، تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا، ويحذركم الله نفسه.

ويحك! يا بن آدم الغافل، وليس بمغفول عنه! يا بن آدم! إن أجلك أسرع شيء إليك قد أقبل نحوك حثيثا يطلبك، ويوشك أن يدركك، وكان قد أوفيت أجلك، وقبض الملك روحك وصرت إلى قبرك وحيدا، فرد إليك فيه روحك، واقتحم عليك فيه ملكان: ناكِر ونكير لمسألتك وشديد امتحانك. ألا، وإن أول ما يسألانك: عن ربك الذي كنت تعبد؟ وعن نبيك الذي أرسل إليك؟ وعن دينك الذي كنت تدّين به؟ وعن كتابك الذي كنت تتلو؟ وعن إمامك الذي كنت تتولاه؟ ثم، عن عمرك في ما كنت أفيتة؟ ومالك من أين اكتسبته؟ وفي ما أنت أنفقته؟ فخذ حذرك، وانظر لنفسك، وأعد الجواب قبل الامتحان والمسألة والاختبار... فاحذروا، أيها الناس من الذنوب والمعاصي ما قد نهاكم الله عنها، وحذركموها في كتابه الصادق، والبيان الناطق.

ولا تأمنوا مكر الله وتحذيره وتهديده، عندما يدعوكم الشيطان اللعين إليه من عاجل الشهوات واللذات في هذه الدنيا، فإن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(١).

وأشعروا قلوبكم خوف الله، وتذكروا ما قد وعدكم الله في مرجعكم إليه من حسن ثوابه، كما قد خوفكم من شديد العقاب، فإنه من خاف شيئا حذره، ومن حذر

شيئا تركه. ولا تكونوا من الغافلين، المائلين إلى زهرة الدنيا، الذين مكروا السيئات، فإن الله يقول في محكم كتابه: ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيدِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ (١).

واعلموا - عباد الله - إن أهل الشرك لا تنصب لهم الموازين ولا تنشر لهم الدواوين، وإنما يحشرون إلى جهنم زمرا، وإنما نصب الموازين ونشر الدواوين لأهل الإسلام.

فاتقوا الله عباد الله. واعلموا أن الله عز وجل لم يحب زهرة الدنيا وعاجلها لأحد من أوليائه، ولم يرغبهم فيها وفي عاجل زهرتها وظاهر بهجتها، وإنما خلق الدنيا وأهلها ليلبواهم فيها: أيهم أحسن عملا لآخرته؟.

ولا تركنوا إلى زهرة الدنيا وما فيها ركون من اتخاذها دار قرار ومنزل استيطان، فإنها دار بلغة، ومنزل قلعة، ودار عمل، فتزودوا الأعمال الصالحة فيها قبل تفرق أيامها، وقبل الإذن من الله في خرابها، فكان قد أخبر بها الذي عمرها أول مرة وابتدأها وهو ولي ميراثها فأسأل الله العون لنا ولكم على تزود التقوى، والزهد فيها.

جعلنا الله وإياكم من الزاهدين في عاجل زهرة الحياة الدنيا، الراغبين لأجل ثواب الآخرة، فإنما نحن به وله. وصلى الله على محمد وآله وسلم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (٢).

وكان عليه السلام يعظ أصحابه ويعظ الحاكم وأعوانه. ويجسد في نفسه كل المواعظ والنصائح، حتى يكون أمثلة للسامعين والمشاهدين.

وقد نقلت آثار في هذا الباب عنه عليه السلام، نذكر منها:

(١) النحل: ٤٥ - ٤٧.

(٢) تحف العقول: ٢٤٩ - ٢٥٢، الكافي، للكليني ج ٨ ص ٧٢ - ٧٦، أمالي الصدوق المجلس

(٧٦) ص (٤٠٧ - ٤٠٩).

- كان علي بن الحسين عليه السلام إذا مشى لا يجاوز يديه فخذه، ولا يخطر بيده ^(١).

- وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة، ف قيل له: ما لك؟ فقال: ما تدرون بين يدي من أقوم؟ ومن أناجي؟ ^(٢).

- وقيل: إنه كان إذا توضأ أصفر لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: تدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟ ^(٣).

- قال سفيان بن عيينة: حج علي بن الحسين عليه السلام فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه، وانتفض... ولم يستطع أن يلبي، ف قيل له: ما لك؟ فقال: أخشى أن أقول: (ليبك) فيقول لي: (لا ليبك) ^(٤).

- قال مالك بن أنس: أحرم علي بن الحسين عليه السلام، فلما أراد أن يقول: (ليبك اللهم ليبك) قالها فأغمي عليه، حتى سقط من راحلته ^(٥).

قال: وبلغني أنه كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة إلى أن مات.

- وقع حريق في بيت فيه الإمام زين العابدين عليه السلام فجعلوا يقولون له: يا بن رسول الله! النار! يا بن رسول الله! النار! فما رفع رأسه حتى أطفئت، ف قيل له: ما الذي أهلك عنها؟ قال: ألهمتني النار الأخرى! ^(٦).

(١) تاريخ دمشق الأحاديث (٦ - ٦٣)، مختصر تاريخ دمشق ج ١٧ ص ٢٣٦، وسير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٩٢.

(٢) تاريخ دمشق، الأحاديث (٦ - ٦٣) مختصر تاريخ دمشق ج ١٧ ص ٢٣٦، سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٩٢.

(٣) تاريخ دمشق الأحاديث (٦ - ٦٣) مختصر تاريخ دمشق (١٧: ٢٣٦)، سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٩٢، وروي الحديث الثالث في العقد الفريد ج ٣ ص ١٦٩.

(٤) تاريخ دمشق الأحاديث (٦ - ٦٣)، مختصر تاريخ دمشق ج ١٧ ص ٢٣٦، سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٩٢.

(٥) تاريخ دمشق (الحديث ٦٤)، ومختصر ابن منظور ج ١٧ ص ٢٣٧، وسير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٩٢.

(٦) المصدر السابق.

- وكان علي بن الحسين عليه السلام يخرج على راحلته إلى مكة ويرجع، لا يقرعها^(١).

إن الأبعاد الأخرى التي أنتجتها ثورة الإمام زين العابدين عليه السلام في الزهد والعبادة، هي:

١ - اعتراف علماء البلاط بفضل أهل البيت عليهم السلام:

على الرغم من أن الحكام يحاولون التغطية على فضائل المعارضين لهم ولا سيما آل أمية الذين ضربوا الأرقام القياسية في هذه الخصلة الذميمة، بإعلان السب لأهل البيت على المنابر، وإيعازهم إلى وعاظ السلاطين بوضع الحديث في قذهم وذمهم، فإن علماء البلاط الأموي في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام، لم يمكنهم إخفاء فضل الإمام السجاد عليه السلام فضلاً عن الغض منه، لأن سيرته لم تكن تخفى على أحد من الناس، فقد اضطروا إلى إظهار تصريحات واضحة تعلن فضل الإمام عليه السلام، بالرغم من ارتباطهم بالحكم الأموي الجائر، أو موالاتهم له، وكذلك من تلاهم من فقهاء العامة ورجالهم:

- قال يحيى بن سعيد: سمعت علي بن الحسين، وكان أفضل هاشمي أدركته^(٢).

- قال الزهري: ما رأيت قرشياً - أو هاشمياً - أفضل من علي بن الحسين^(٣).

- قال سعيد بن المسيب: ما رأيت أروع منه^(٤).

(١) المصدر السابق.

(٢) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢١٤، وتاريخ دمشق (الحديث ٤٧)، ومختصر ابن منظور ج ١٧ ص ٢٣٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٨٧، تاريخ دمشق (الأحاديث ٣٧ و ٤١ و ٥٠)، ومختصر ابن منظور ج ١٧ ص ٢٣١ و ٢٣٥.

(٤) سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٩١، ومختصر تاريخ دمشق ج ١٧ ص ٢٣٦، وحلية الأولياء ج ٣ ص ١٤١.

– قال حماد بن زيد: كان علي بن الحسين أفضل هاشمي أدركته (١).

لقد فرض الإمام زين العابدين عليه السلام نفسه على كل المناوئين لأهل البيت عليه السلام حتى لم يشذ أحد منهم عن تعظيمه وتجليله.

٢ – إبراز فضل أهل البيت عليه السلام.

ولقد كان الموقع الذي احتله الإمام زين العابدين عليه السلام بفضلته وعبادته وزهده، بين الأمة، أحسن فرصة كي يعلن فضل أهل البيت، الذي جهد الأعداء الظالمون في إخفائه:

ففي الحديث أن جابراً قال له: ما هذا الجهد الذي كلفته نفسك؟... يا بن رسول الله! البقيا على نفسك، فإنك من أسرة بهم يستدفع البلاء، وبهم تستكشف اللأواء، وبهم تستمسك السماء؟ فقال الإمام: يا جابر، لا أزال على منهاج أبوي مؤتسماً بهما حتى ألقاهما.

فاقبل جابر على من حضر فقال: ما رأي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين، إلا يوسف بن يعقوب، والله لذرية علي بن الحسين أفضل من ذرية يوسف (٢).

وفي حديث عن الصادق عليه السلام في ذكر أمير المؤمنين عليه السلام وإطرائه ومدحه بما هو أهله، وزهده في المأكّل، قال: وما أطاق عمل رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الأمة غيره، ثم قال: وما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحد أقرب شبهاً به في لباسه وفقهه من علي بن الحسين عليه السلام.

قال: ولقد دخل أبو جعفر – ابنه – عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، فرآه، وقد اصفر لونه من السهر، ورمصت عيناه من البكاء...

(١) تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٣٤٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢٨٩، وبحار الأنوار ج ٤٦ ص ٧٩، وأمالى الطوسي ج ٢ ص ٢٥٠.

قال أبو جعفر عليه السلام: فلم أملك - حين رأيته بتلك الحال - البكاء، فبكت رحمة له، فإذا هو يفكر، فالتفت إلي بعد هنيهة من دخولي - فقال: يا بني، أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام، فأعطيته، فقرأ فيها شيئاً يسيراً، ثم تركها من يده تضجراً، وقال: من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام؟^(١).

٣ - إنارة السبيل للعباد والصالحين:

إن الإمام زين العابدين عليه السلام وهو يمثل الإسلام في تصرفاته وأقواله، كان المثل الأفضل للعباد والصالحين، ومن أراد أن يدخل هذا المسلك الشريف فله من الإمام عليه السلام خير دليل ومرشد، ومن أقواله خير منهج وطريقة.

ولقد رسم خطوطاً عريضة للسير والسلوك، تمثل أفضل ما قرره علماء هذا الفن، وإليك أمثلة من تلك:

فقال عليه السلام - : إن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وقوما عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار -^(٢).

فربط بين الحرية، وبين عبادة الله، وبين الروح غير الخائفة ولا الطامعة بل المتطلعة إلى الله، والمتقربة إلى رضوانه، بالتزام العبادة له، والطلبة للمزيد بالشكر، حيث وعد وقال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٣).

وسئل عليه السلام: عن صفة الزاهد في الدنيا؟

فقال: يتبلغ بدون قوته، ويستعد ليوم موته، ويتبرم في حياته.

وقال له رجل: ما الزهد؟

(١) شرح الأخبار للقاضي ج ٣ ص ٢٧٢، والإرشاد للمفيد: ٢٥٦، والمناقب لابن شهر آشوب

ج ٤ ص ١٤٩، وكشف الغمة ج ٢ ص ٨٥، وبحار الأنوار ج ٤٦ ص ٧٥.

(٢) تاريخ دمشق (الحديث ١٤١)، وهذا من كلام الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام (هـ) رواه

الرضي في نهج البلاغة بالأرقام (٦٥ و ٢٣٧ و ٢٧٦) من الباب الثالث: قصار الحكم.

(٣) إبراهيم: ٧.

فقال ﷺ: الزهد عشرة أجزاء:

فأعلى درجات الزهد، أدنى درجات الورع، وأعلى درجات الورع أدنى درجات اليقين، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا، وإن الزهد في آية من كتاب الله: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ ^{(١)(٢)}.

ولم يترك الإمام زين العابدين ﷺ طريقاً إلا سلكه ولا جهداً إلا استفده، ليدرك الأمة كيلاً تقع في هوة الانحراف، وحياة الترف التي صنعتها لها آل أمة.

٤ - تزييف دعاوي المبطلين من دعاة التصوف والرهبة:

وقف الإمام زين العابدين ﷺ من دعوات الزهد الباطلة والمشبوهة التي لا تنسجم مع روح الإسلام الأصيل وقف منهم موقف صلباً حرصاً منه على سلامة الأمة ومجتمعاتها من تلك السموم التي مزجت بالعسل فيتخذ من الموعظة الحسنة سبيلاً إلى نصيح من التبست عليه المفاهيم فأخذ يشرق ويغرب فنراه ﷺ يبين حقيقة الزهد: يقول الله: يا ابن آدم أرض بما آتيتك تكن من أزهد الناس ^(٣).

وقد تركز انحراف أدعياء الزهد في نقطتين هامتين:

١. محاولتهم الانعزال عن الحياة الاجتماعية، بعدم تدخلهم في ما يمس وجودهم بسوء أو ضرر، مثل التعرض للظلم والفساد الذي يجري حوالهم، وخاصة من قبل الخلفاء والولاة وكل من يمت إلى السلطان والحكومة بصلة! خوفاً على أنفسهم من الموت والهلكة.

وقد كان يجرحهم هذا التفكير إلى مداراة الظلمة، والخضوع لهم، والحضور في مجالسهم، بل الانخراط في مظالمهم، وتصويب أعمالهم، بالرغم من معرفة ظلمهم وعدم استحقاقهم للمقامات التي احتلوها.

(١) الحديد: ٢٣.

(٢) تحف العقول (ص ٢٧٨ - ٢٧٩).

(٣) - البحار: ٧٨ / ١٣٩ / ٢٢.

٢. الابتعاد عن أهل البيت عليهم السلام، لأنهم كانوا هم المعارضين السياسيين، فكان الاتصال بهم يعني المحسوبية عليهم وعلى خطهم، فابتعدوا عنهم، وأقل آثار ذلك هو الحرمان من تعاليمهم القيمة، والتردي في ظلمات الجهل والانحراف.

وبما أن أولئك المتظاهرين كانوا يمثلون في أنظار الناس بمنزلة علماء زهاد، فإن استمرارهم على تلك الحالة الانحرافية كان يغري الناس البسطاء بصحة سلوكهم المنحرف، وتفكيرهم الخاطئ فكان على الإمام زين العابدين عليه السلام أن يصدهم، إرشاداً لهم، وإيقافاً للأمة على حقيقة أمرهم، وكشفاً لانحرافهم وخطئهم في السلوك والمنهج:

فموقفه من عباد البصرة، الذين دخلوا مكة للحج، وقد اشتد بالناس العطش لقلعة الغيث، قال أحدهم: (ففرع إلينا أهل مكة والحجاج يسألوننا أن نستسقي لهم)؟! والكلام إلى هنا يدل على مدى اهتمام الناس بهؤلاء العباد!

قال: فأتينا الكعبة وطفنا بها، ثم سألنا الله خاضعين متضرعين بها، فمنعنا الإجابة، فبينما نحن كذلك إذا نحن بفتى قد أقبل، وقد أكربته أحزانه، وأقلقته أشجانه، فطاف بالكعبة أشواطاً، ثم أقبل علينا، فقال: يا مالك بن دينار، ويا... ويا... وذكر الإمام عليه السلام أسماءهم كلهم، بحيث يبدو أنه يريد أن يعرفهم للناس بأعيانهم!

قال الراوي: فقلنا: لبيك وسعديك، يا فتى!

فقال: أما فيكم أحد يحبه الرحمن؟

فقلنا: يا فتى، علينا الدعاء وعليه الإجابة!

فقال: أبعادوا عن الكعبة، فلو كان فيكم أحد يحبه الرحمن لأجابه!

ثم أتى الكعبة، فخر ساجداً، فسمعته يقول في سجوده: (سيدي بحبك لي إلا سقيتهم الغيث).

قال: فما استتم الكلام حتى أتاهم الغيث كأفواه القرب!

قال الراوي: فقلت: يا أهل مكة، من هذا الفتى؟

قالوا: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ^(١).

وهكذا تصدى الإمام لهذا الانحراف وأسقط ما في أيدي أولئك العباد المتظاهرين بالزهد، الذين لا يعرف واحدهم زين العابدين، إمام زمانه، وسيد أهل البيت.

فكشف عن زيف دعاواهم، وسوء نياتهم، وضلال سبلهم حيث عندوا عن حق أهل البيت، ولم يعترفوا لهم بالفضل.

إن الزهد الذي قام الإمام زين العابدين عليه السلام بإحيائه كان مثل زهد النبي صلى الله عليه وآله وعلي والأئمة عليهم السلام، الذي يطابق ما قرره الإسلام، وينبذ كل أشكال الانحراف والزيف والتزوير، والرهبانية المبتدعة. وقد عمل عليه السلام على تقنين تلك العبادة العظيمة إذ جعل لها درجات ومستويات حيث يقول: أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا ^(٢). وقد جعل الإمام عليه السلام للزاهدين خصائص واقعية يمكن من خلالها التمييز بين أدياء الزهد وبين من كان الزهد شعاره ودثاره، ففي الحديث الشريف أن الإمام زين العابدين عليه السلام - في معرض وضع الضوابط التي تنسجم وحقيقة الدين الإسلامي - قال: - إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه، وتماوت في منطقته، وتخاضع في حركاته، فرويدا لا يغرنكم! فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها، لضعف نيته، ومهانتة، وجبن قلبه، فنصب الدين فخا لها، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره، فإن تمكن من حرام اقتحمه.

وإذا وجدتموه، يعف عن المال الحرام، فرويدا، لا يغرنكم! فإن شهوات

(١) الاحتجاج (٣١٦ - ٣١٧)، وبحار الأنوار ج ٤٦ ص ٥٠ - ٥١.

(٢) - الكافي: ٢/ ٤١٢٨.

الخلق مختلفة فما أكثر من ينبو عن المال الحرام، وإن كثر ويحمل نفسه على شواء قبيحة فيأتي منها محرماً. فإذا وجدتموه يعف عن ذلك، فرويدا لا يغرنكم! حتى تنظروا ما عقدة عقله؟ فما أكثر من ترك ذلك أجمع، ثم لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسد بجهله أكثر مما يصلحه بعقله.

فإذا وجدتم عقله متيناً، فرويدا لا يغرنكم! حتى تنظروا، أمع هواه يكون على عقله، أم يكون مع عقله على هواه؟ وكيف محبته للرياسات الباطلة؟ وزهده فيها؟ فإن في الناس من خسر الدنيا والآخرة، بترك الدنيا للدنيا، ويرى أن لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة، حتى إذا قيل له: (اتق الله) أخذته العزة بالإثم، فحسبه جهنم ولبئس المهادر. فهو يخطط يخطط عشواء، يوفده أول باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمد به بعد طلبه لما لا يقدر عليه - في طغيانه، فهو يحل ما حرم الله، ويحرم ما أحل الله، لا يبالي ما فات من دينه إذا سلمت له الرئاسة التي قد شقي من أجلها. فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً مهيناً.

ولكن الرجل، كل الرجل، نعم الرجل: هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبذولة في رضا الله، يرى الذل مع الحق أقرب إلى عز الأبد، من العز في الباطل، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤديه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفد، وأن كثير ما يلحقه من سرائها - إن اتبع هواه - يؤديه إلى عذاب لا انقطاع له ولا يزول.

فذلكم الرجل، نعم الرجل: فبه فتمسكوا، وبسته فافتدوا، وإلى ربكم فتوسلوا، فإنه لا ترد له دعوة، ولا يخيب له طلبه^(١).

التربية أساس الإصلاح

التربية هي أساس سلوك الفرد في مجتمع الدعوة وبناء الجيل المسلم الذي

(١) الاحتجاج: ٣٢٠ - ٣٢١.

يطمح للإصلاح ومستقبل أفضل؛ مما ينعكس ذلك إيجابياً على طبيعة العمل الإسلامي، ويعطيه صبغة يميزه الناس بها.

والتربية هنا تلعب دوراً مهماً في علاقة المصلح الرسالي بالتربية الإصلاحية، فتؤتي ثمارها الطيبة في استجابة الناس وقابليتهم للخير بالسلوك الراقي في التعامل والثقة المتبادلة في العرض والطلب.

إن التربية هي الأساس التوجيهي لكل عمل أو فكر أو خلق، والمفهوم التربوي الصحيح لا يفصل التربية عن الدعوة والعلم أو الجهاد والعمل للدين؛ فهي كلها خطوط واحدة ومتوازية كما في الآية الكريمة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْبَيْتِ وَالْزُّكْرِ عَلَيْهِمْ وَعِلْمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(١).

العمل التربوي

إن العمل التربوي على اختلاف مستوياته ضرورة لا تستغني عنها الأمة الإسلامية، فهو الوسيلة لنقل الأحكام الشرعية من الحيز النظري إلى العمل والتطبيق، ولقد وصف الله سبحانه نبيه بأنه مربّ فقال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

والتربية واجب الجميع فهي واجب الأب والمعلم والأستاذ، وواجب كل من ولاه الله مسؤولية أحد من الناس، وواجب على مستوى الأمة جمعاء.

وثمة اعتبارات عدة تؤكد على ضرورة إحاطة الجهود التربوية بسياج ضوابط الشرع، منها:

أولاً: أن التربية عمل شرعي، وعبادة لله تعالى، فلا بد لها أن تحاط بسياج الشريعة، وتضبط بضوابطها، وإن سلامة المقصد، وحسن النية، ونبل العمل ليست مسوغاً أو مبرراً لتسور السياج الشرعي وتجاوز الضوابط.

(١) الجمعة: ٢.

(٢) الآية السابقة.

ثانياً: التربية شأنها شأن سائر الوظائف الشرعية الأخرى (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الحكم بين الناس، الجهاد..)، وهذه الوظائف لا يجادل مجادل أنها لا بد أن تضبط بالضوابط الشرعية.

ثالثاً: التربية قدوة قبل أن تكون توجيهاً، وعملاً قبل أن تكون قولاً، والمربي ينبغي عليه أن يربي الناس بفعله قبل قوله، فحين يجاوز حدود الشرع فكيف سيربي المُرَبِّي على الورع والتقوى ورعاية حدود الله؟ وهو يرى المخالفة الشرعية ممن يربيه ويقتدي به.

رابعاً: أن التوفيق والنجاح ليس مرده إلى الجهد البشري وحده، بل قبل ذلك كله إلى توفيق الله وعونه وتأييده؛ وهذا التوفيق له أسباب، من أعظمها وأهمها: رعاية العبد لحرمة الله، وما أحرى أولئك الذين يتجاوزون الحدود الشرعية بالبعد عن توفيقه سبحانه وتأييده.

وقد أصيب المجتمع الإسلامي بضعف الواقع التربوي وتفاقم هذا الوضع بعد شهادة الإمام الحسين (ع) ولعل لذلك أسباب منها:

- ضعف العلم الشرعي وقلة العناية به، وتهميش دوره والتقليل من شأنه.
- ضعف الورع والانضباط الشرعي، فمن يضعف ورعه ويرق دينه ربما تجرأ على ما يعلم علم اليقين أنه محرم، أو تهاون فيما يستريب منه، أو يغلبه هواه.
- الإغراق في الأسباب المادية والغفلة عن الإخلاص لله سبحانه، واستحضار النية، والشعور بأن العمل عبادة لله وحده.
- الانكفاء والاعتماد على القواعد الشرعية العامة المجملة دون النظر للنصوص الخاصة في المسألة، والشرعية باب واحد لا يمكن أن تتناقض أو تضطرب، والقواعد العامة للشرع إنما تفهم في إطار سائر النصوص، وتسليط الأفهام البشرية عليها يؤدي إلى فوضى واستهانة بحدود الله.

إن المربي ينبغي أن يحرص على إصلاح القلوب ومخاطبة الباطن والدعوة لتنقية السرائر، لكنه بعد ذلك يبقى يتعامل مع الظاهر لا مع السرائر.

التربية الإسلامية والإصلاح

للتربية المقام الأول في تهذيب النفوس وتنمية الملكات الفاضلة وتدميث الأخلاق وهي من أقوى العوامل على النهوض من عشرة النقائص. والصعود إلى مرتقى الفضائل.

وقد أودع الله في هذا المخلوق (الإنسان) قابلية لاستحسان الخير واستقباح الشر وعقلاً هادياً إلى مواضيع الخير لتتبع فلا يبعد على من أحسنت تربيته ومهد له الطريق لاستعمال عقله فيما خلق مستعداً له من مراتب الكمال أن ينشأ إنساناً كاملاً. كما لا يبعد على من تركه بدون تربيته وزج به في هذا المجتمع الحافل بالعادات السيئة والأخلاق السافلة أن تخنق فيه تلك الفضائل الكامنة ويستولي على أمكنتها الكثير من أضداد تلك المزايا ونقائص تلك الفضائل.

«إن إصلاح أخلاق النفس وملكاتها في جانبي العلم والعمل، واكتساب الأخلاق الفاضلة، وإزالة الأخلاق الرذيلة، إنما هو بتكرار الأعمال الصالحة المناسبة لها ومزاولتها، والمداومة عليها، حتى تثبت في النفس من الموارد الجزئية علوم جزئية وتتراكم وتنتقش في النفس انتقاشاً متعزراً الزوال أو متعسرها.

وعليه فالطريق إلى تهذيب الأخلاق واكتساب الفاضلة منها أحد مسلكين:

المسلك الأول: تهذيبها بالغايات الصالحة الدنيوية، والعلوم والآراء المحمودة عند الناس، كما يقال: إن العفة وقناعة الإنسان بما عنده والكف عما عند الناس توجب العزة والعظمة في أعين الناس والجاه عند العامة، وإن الشره يوجب الخصاصة والفقر، وإن الطمع يوجب ذلة النفس المنيعه، وإن العلم يوجب إقبال العامة والعزة والوجاهة والأنس عند الخاصة، وإن العلم بصير يتيقي به الإنسان كل مكروه، ويدرك كل محبوب، وإن الجهل عمى...

المسلوك الثاني: الغايات الأخروية، وقد كثر ذكرها في كلامه تعالى، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّادِقِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣)، وأمثالها كثيرة على اختلاف فنونها^(٤).

ولا شك أن (التربية الإسلامية) هي أساس التغيير بل هي الحل الوحيد للإنسان المسلم من أجل سعادته دنيا وأخرى. وما تحققه هذه التربية لا يحققه التعليم حتى وإن كان دينياً لأن هذا الأخير ما هو إلا تلقين وتبليغ معلومات، أما التربية الإسلامية فتعتمد في تحقيق أهدافها على القدوة والسلوك والمثل الحي، ونجد القرآن الكريم يعتمد هذا الجانب ويركز عليه فيقول تعالى: ﴿كُونُوا رَبِّينَ عَزَمَ كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَكُنْتُمْ تُدْرَسُونَ﴾^(٥).

فهي تربية القرآن وحدها التي تضمن التغيير الجذري الشامل من أعماق النفس الإنسانية. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٦).

وأول منطلق تنطلق منه التربية الإسلامية هو أنها ترسخ في الأذهان العلاقة بين العباد وربهم فهي علاقة غاية ورعاية وحب يشترك فيه ويتمتع به كل المخلوقات، يغدقه عليهم رب العزة - جل جلاله - وهي علاقة عبادة وخشوع وخضوع وطاعة مطلقة وحب أيضاً يلتزم به العباد نحو ربهم الكريم.. وهي أيضاً ترسخ في أذهانهم أن العلاقة بين الخلق عموماً هي تبادل المنافع في حدود ما

(١) التوبة: ١١١.

(٢) الزمر: ١٠.

(٣) البقرة: ٢٥٧.

(٤) ميزان الحكمة ج ٤ ص ٣٣٢٨.

(٥) آل عمران: ٧٩.

(٦) الرعد: ١١.

يرضي الله - فالخلق كلهم عيال الله تعالى «وأحبهم إليه أنفعهم لعياله»^(١) كما جاء في الحديث الشريف.

وهكذا يتبين لنا أن النظرية الإسلامية في التربية تتصف بالتكامل والثبات، وهو ما يعوز جميع النظريات التربوية في الغرب - فهي تستمد منطلقها من الله رب العالمين.. ولا يخفى علينا ما تشعب به كلمة (رب) من معاني التربية والرعاية والعناية والحب.. وتنصب في تطبيقها على النفع العام الشامل لكل الخلائق - وبذلك تتحقق الخلافة علي الأرض لهذا الإنسان الذي كرمه ربه تكريماً.

الإصلاح والبناء التربوي

سعى الإمام زين العابدين (ع) في حركته الإصلاحية إلى مخاطبة أبناء الأمة ذوي الفطر السليمة والنفوس المستقيمة الذين تعقد عليهم الأمة آمالها بعد الله أن ينصروا الدين، ويرفعوا عن أمتهم خطة الذل التي وضعها أعداؤها. وما كان ذلك الفتح ليكون إلا وفق سنن الله الكونية والشرعية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ﴾^(٢).

لقد خطاب الإمام زين العابدين (ع) الضمير الحي ليخرج المجتمع من الشعارات الزائفة، والحركات الانفعالية، داعياً إلى الاستنارة بنور كتاب الله المجيد وسنة رسوله وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم)، فتحلّى بالحكمة والشجاعة معاً، وتأخذ بأسباب القوة المعنوية والمادية، وتتخلص من شوائب الفرقة والشذوذ، وتجتمع على البر والتقوى، وإقامة الدين، ولزوم جماعة المسلمين.

التربية دين وعبادة:

التربية الإسلامية دين وقربة، وجهاد ونية، يترتب عليها الثواب، وشرف الدنيا

(١) الكافي ج ٢ ص ١٣١ ح ٦.

(٢) الرعد: ١١.

والآخرة. قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِذِينَ﴾ (١).

التربية تأس ومتابعة:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٢). نعم، لقد كان شخص رسول الله ﷺ مثلاً واضحاً للاستقامة، ومعياراً دقيقاً تقوم به الأقوال والأفعال، وترد إليه الأمور عند التنازع. فلا بد للمتصدي لعملية الإصلاح من دراسة سيرته الشريفة، وإدمان النظر في أحواله المختلفة، والتبصر في دعوته وتربيته لأمته، وأسلوب معالجته للأمور.

إن السنة النبوية الشريفة غنية بالكنوز التربوية التي ينبغي أن تتخذ دستوراً ومنهجاً عملياً، ويستخلصوا منها الدروس والعبر.

التربية منهج وسبيل:

القرآن العظيم عمدة التربية الإسلامية، لفظاً، ومضموناً، وترتيباً: لفظاً: باعتماد الألفاظ والمصطلحات القرآنية، وعدم الاستعاضة عنها بالمصطلحات الحادثة، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (٣)، ومضموناً: باستيعاب مقاصد القرآن ومضامينه كلها، وتجنب التبعض والانتقاء والتجزئة التي توافق توجهاً خاصاً لجماعة أو طريقة أو مذهب، وهجر خلافه. وترتيباً: بتقديم ما قدم الله، وتأخير ما أخر، وتعظيم ما عظم الله، وتهوين ما هوّن، وزرع ذلك في قلوب المتربين بنفس الدرجة التي هي عليها في القرآن. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ﴾ (٤).

إن التربية القرآنية القائمة على ترسيخ الإيمان بالله واليوم الآخر، والعمل

(١) القصص: ٨٣.

(٢) الاحزاب: ٢١.

(٣) النساء: ٨٧.

(٤) الاسراء: ٩.

الصالح، منهج واضح، وسبيل قاصد لا غنى للأمة في جميع أطوارها عن انتهاجه، ولن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.

التربية تكامل وتوازن؛

إن خطة البناء التربوي السليم لا بد أن تكون متضمنة لعموم مقاصد الدين؛ بحيث يظهر هذا التكامل في حياة الأفراد بنسب متفاوتة، كما يظهر في عموم الأمة مليئاً كافة المطالب. وبيان ذلك: أن الفرد المسلم بحاجة إلى:

١ - البناء الإيماني العقدي: الذي تحصل به البيئة القلبية، والاطراد العقلي.
٢ - البناء العملي الشرعي: الذي يحصل به معرفة الشريعة، وبيان الحلال والحرام.

٣ - البناء العملي التعبدية: الذي يحصل به استفراغ الجهد في العمل الصالح.
٤ - البناء الخلقي الاجتماعي: الذي يحصل به حسن معاشرة الخلق ونفعهم.

التربية بتريخ الأهداف

إن الارتباط بين عقيدة الإنسان وأهدافه وسلوكياته هو أمر وثيق؛ فما أهداف الإنسان إلا تعبير ذهني عن عقيدته، وما سلوكه إلا تعبير عملي عن أهدافه. فالأهداف على هذا تمثل الرابط الفكري بين سلوكيات المرء وعقيدته.

وكان من أثر انحراف هذه العقيدة انحراف في أهداف الإنسان تمثل في اعتبار هذه الحياة الدنيا هي الفرصة الوحيدة إذا لم يكسبها الإنسان ذهبت إلى غير رجعة، فانكب على الحصول على الملذات تعبيراً في سلوكه عن أهدافه والحصول على المحرمات والألقاب الزائفة حتى لو كان عن طريق النهب والسلب والقتل.

وقد جاء الإسلام ليصحح العقائد والسلوكيات عن طريق ربط كل منهما بالأهداف؛ فقد رفع الإسلام أهداف الإنسان وتسامى بها من أهداف دنيوية زائلة إلى أهداف أبدية وخلود دائم؛ فقد كانت دعوة الرسول ﷺ للناس: «يا أيها الناس قولوا

لا إله إلا الله تفلحوا»^(١). ففيها إصلاح للعقيدة وإصلاح للهدف. وهكذا ركزت السور المكية القرآنية في أول الدعوة على تصحيح العقيدة، وأن الله وحده الإله المتصرف في هذا الكون. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٢).

وفي العقيدة أيضاً تصحيح هدف الإنسان الأسمى وذلك بجعله هو الفوز بالجنة والنجاة من النار. قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِنَ عَنِ الْكَثَرِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾^(٣). فتحديد الهدف من الأعمال المهمة لتصحيح السلوكيات.

لقد اتبع القرآن في توجيهاته أسلوب ربط السلوك السوي الذي لا بد أن يكون عليه المرء المسلم بالهدف الذي لا بد أن يسعى إليه، فكان ذلك تصحيحاً للهدف والسلوك معاً قال تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * ... أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾^(٤). وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَزْوَاجًا * وَأَسَادٍ هَافًا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا * جَزَاءُ مَنْ رَزَقَ عَطَاءً حِسَابًا﴾^(٥).

إن التخبُّط الذي يعيشه الفرد المسلم إنما مرَّده إلى ضياع وتخبُّط في أهدافه التي يسعى إلى تحقيقها؛ فمن هدف قصير الأجل دنيوي لا يلبث بعد أن يحققه أن يكتشف مدى الهشاشة فيه.

ولا بد أن تسير الأهداف وتصاغ في ضوء أسس ثابتة؛ بحيث لا تعارضها، وإن حدث أن عارض هدف مرحلي الهدف الثابت يجب فوراً إلغاء الهدف المرحلي أو تصحيح مساره ليتناسب مع الهدف الثابت.

(١) منتهى المطلب (ط ج) العلامة الحلي ج ٢ ص ٧٣.

(٢) الاخلاص: ١-٤.

(٣) آل عمران: ١٨٥.

(٤) المعارج: ٢٢-٣٥.

(٥) النبأ: ٣١-٣٦.

أهداف تربوية

إن الاهداف التربوية التي ينبغي أن يسعى المصلح الثائر لتحقيقها يمكن تلخيص بعضها فيما يلي:

١ - إثارة الروح الإسلامية ونشر الوعي الديني.

ان المجتمع الإسلامي وبسبب ما اصابه من انحراف عن جادة الحق أدى به إلى الشلل والخواء فأصبحت هويته الدينية في مهب الريح، فكان لزاماً على الخط الرسالي المتبني لمبدأ الإصلاح من السعي جاهداً إلى إثارة الروح الإسلامية ونشر الوعي الديني من العمل لبعث الروح الإسلامية الأصيلة في مفاصل المجتمع حتى تتمكن أن تتغلب على العصبية القبلية والإمتهارات الطبقية والتحزبات العائلية والمصالح الشخصية.

كذلك الوعي الديني، الذي يمثل شعوراً يتغلغل في أعماق النفوس فيسيطر على العقول ويشير العواطف ويحرك الإرادة، إنه إدراك جلي للصلات التي تربطنا بديننا القويم والروابط التي تجمع بين المسلمين وبين كتاب الله العزيز ورسوله الكريم ﷺ

إن الوعي الديني وما يتضمنه من شعور عميق وإدراك واضح ومعرفة بينة، ونتيجة للخطط المدروسة من قبا الخط الرسالي قد بدأ يظهر في اوساط المجتمع الإسلامي وبقوة، فأخذت الأمة تستيقظ من غفوتها وتنهض من مهاوي التفسخ والانحلال وتدرّك دورها الريادي الذي انبط بها. قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(١).

٢ - الإصلاح الأخلاقي - الاجتماعي:

فإنه لا سبيل إلى النهضة المجتمع الإسلامي ما دامت تسوده الفردية والأنانية والنفعية، إذ أصبحت الحاجة ملحة لإيجاد نماذج حية تضرب لنا أروع الأمثال في

التضحية والتعاون والنظام والطاعة وغير ذلك من الصفات الضرورية لحياة المجتمع، كما ينبغي بأبناء المجتمع أن يدركوا أن هذه الصفات ليست مفاهيم مجردة يمكن تعليمها بصورة نظرية، بل إنها تكتسب بالتجربة من الحياة العملية المشتركة، فمن الضروري السعي إلى إصلاح هذه الحياة العملية.

٣ - الاستقرار الاقتصادي:

إن أي نجاح لأي ثورة إصلاحية لا يمكن أن يتحقق ما لم يكن هناك حالة من الاستقرار الاقتصادي ولو بمقدار تأمين اللوازم الضرورية للحياة الإنسانية، فهو ضرورة لتجد باقي الإصلاحات - الفكرية والاجتماعية والسياسية وغيرها - طريقها إلى الواقع، فكيف يمكن تصور إمكانية معالجة أي انحراف دون توفير أسباب المعيشة الشريفة؟

إن مهمة الثائر المصلح في مجال التوجيه التربوي وسياسة التعليم هي البحث في الأسباب التي تجعل المجتمع الإسلامي يوجه كل اهتمامه إلى تلك الأهداف الرئيسية الثلاثة، والسعي إلى إيجاد آليات عملية وفعالة لتحقيقها.

الابتلاء والإصلاح

إن مدار كمال المخلوق على حب الحق وكراهية الباطل، فخلق الله تعالى الناس مفطورين على ذلك، وقدر لهم ما يؤكد تلك الفطرة، وما يدعوهم إلى خلافها، ليكون عليهم في اختيار وهو مقتضى الفطرة ومشقة وتعب وعناء، ولهم في خلاف ذلك شهوة وهوى، فمن اختار منهم مقتضى الفطرة وصبر على ما فيه من المشقة والعناء، وعما في خلافه من الراحة العاجلة واللذة استحق أن يحمّد، فاستحق الكمال فناله، ومن آثر الشهوة واتبع الهوى استحق الذم فسقط.

وقد بين الإمام زين العابدين عليه السلام أهمية الدعاء في مواجهة البلاء إذ يقول: الدعاء يدفع البلاء النازل وما لم ينزل ^(١). وفي موطن آخر يقول: المؤمن من

دعائه على ثلاث: إما أن يدخر له، وإما أن يعجل له، وإما أن يدفع عنه بلاء يريد أن يصيبه^(١). كما نراه يرفع اللبس عن فهم بعضهم بخصوص البلاء، فالإمام (عليه السلام) - يضرب على كتف رجل يطوف بالكعبة ويقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصبر - فيرد عليه الإمام قائلاً: سألت البلاء! قل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العافية، والشكر على العافية^(٢).

والمقصود بالابتلاء هو أن يتبين حال الإنسان، فيفوز من صبر على تحمل المشاق، ثابتاً على الحق معرضاً عما يراه في الباطل من المخارج التي تخلص من تلك المشاق أو تخففها، علماً أن الدنيا زائلة، وأن الذي يستحق العناية هو أمر الآخرة، ويخسر من يلجأ إلى الباطل فراراً من تلك المشاق أو من شدتها. قال الإمام الباقر (عليه السلام): إن الله عز وجل ليتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالهدية من الغيبة، ويحميه الدنيا كما يحمي الطبيب المريض^(٣). ولا يقتصر الابتلاء على الشدائد، بل قال الله عز وجل: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(٤).

وذلك من وجهين:

الأول: أن الإنسان كما يشق عليه الثبات على الحق عند الشدائد، فكذلك عند النعيم والرخاء، لأن النعيم يدعوا إلى التوسع في اللذات والاستكثار من الشهوات، والتكاسل عن الطاعات، والتكبر على الناس، وغير ذلك. وفي الصبر عن ذلك ما فيه من المشقة.

الوجه الثاني: أن من أستحوذ عليه إثار الباطل تكون الدنيا أعظم همة، فهو من جهة إذا توفرت له نعم الدنيا ولم تنله مصائبها رضي عن ربه ودينه، وإذا أصابته المصائب سخط، ومن جهة أخرى يعد نعم الدنيا ومصائبها أعظم دليل على رضا الله

(١) تحف العقول: ٢٨٠.

(٢) الدعوات للراوندي: ٢٦١/١١٤.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٢٥٥ ح ١٧.

(٤) الانبياء: ٣٥.

عز وجل وسخطه. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿^(١)﴾.

إن مخالفة الهوى للحق في الاعتراف بالحق من وجوه:

الأول: أن يرى الإنسان أن اعترافه بالحق يستلزم اعترافه بأنه كان على باطل، فالإنسان ينشأ على دين أو اعتقاد أو مذهب أو رأي يتلقاه من مربيّه ومعلمه على أنه حق فيكون عليه مدة، ثم إذا تبين له أنه باطل شق عليه أن يعترف بذلك، وهكذا إذا كان أباه أو أجداده أو متبعوه على شيء، ثم تبين له بطلانه، وذلك أنه يرى أن نقصهم مستلزم لنقصه، فاعترافه بضلالهم أو خطئهم اعتراف بنقصه.

الوجه الثاني: أن يكون قد صار في الباطل جاه وشهرة ومعيشة، فيشق عليه أن يعترف بأنه باطل فتذهب تلك الفوائد.

الوجه الثالث: الكبر، يكون الإنسان على جهالة أو باطل، فيجنيء آخر فيبين له الحجة، فيرى أنه إن اعترف كان معنى ذلك اعترافه بأنه ناقص، وأن ذلك الرجل هو الذي هداه، ولهذا ترى من المنتسبين إلى العلم من لا يشق عليه الإعراف بالخطأ إذا كان الحق تبين له ببحثه ونظره، ويشق عليه ذلك إذا كان غيره هو الذي بين له.

مقومات الثورة الأخلاقية

لقد مثلت نهضة الإمام زين العابدين عليه السلام شعاراً ومدرسة وتيار كفاح وجهاداً رسالياً إذ كان دوره كبيراً واثراً عظيماً فقد كان قوة محركة فاعلة في مجريات التاريخ، فأنثر في وعي الأمة رغم الظلم والحيث الذي حاق بهذه الشخصية العظيمة ورغم عدم استيعاب الكثيرين لتلك العبقرية الفذة.

طرح الإمام علي بن الحسين عليهما السلام نظريته الإسلامية في احلك الظروف وأكثرها اضطراباً طرحها كعلاج وحل أمثل للمشاكل التي عصفت بالمجتمع الإسلامي

وهددت كيانه، فكان العلو المحمدي الشريف في قبال التسافل الأموي المقيت، وكان السلام في قبال الحرب وكانت العدالة الاجتماعية في قبال الاستهتار بمقدرات الأمة ومقدساتها وكان الامن والامان في قبال الارهاب والترهيب الذي اعتاده الأمويون كأسلوب في التعامل مع ابناء المجتمع الإسلامي، كما نجد تأكيد الإمام زين العابدين عليه السلام على بناء الشخصية الرسالية وفق المنظور الإلهي في قبال تهميش الشخصية وإفراغها من محتواها الفكري والعقائدي وصولاً إلى طمسها وإزالتها لتصهر في بوتقة النظريات الالحادية فيغدو الدين حبراً على ورق ليس فيه إلا رسمه.

لقد كان عليه السلام يسير في نهضته لبناء الشخصية الإسلامية في خطين متوازيين غير متقاطعين، فمن جهة نراه يركز على التكامل الروحي على المستوى الفردي من خلال توجيهات ووصايا لبعض أصحابه من شأنه أن يُعدّ قائداً رسالياً قادراً على ردّ الحركة الإصلاحية التصحيحية التي يتبنى قيادتها أهل البيت عليه السلام، ومن جهة نجده يخاطب الأمة خطاباً عاماً لا يستثني منه أحداً.

ومن أهم تلك المقومات التي ينبغي توافرها لنجاح أي ثورة أخلاقية:

أولاً: الإيمان.

إذا استعرت الأهواء في النفوس، وحُطمت القيم، وتجاوزت الحدود؛ فإن الإيمان هو المنقذ من جحيم تلك الأهواء التي تدمر حياة البشر وتفسدها، وإذا ازدحمت النظريات المتناقضة، واحتجبت الرؤيا الصحيحة، وأعجب كل ذي رأي برأيه، وأظلمت الطرق فإن الإيمان هو المنقذ.

إن النفس البشرية قد جُبِلت على حب الخير والاستكثار منه، والخوف والفرار من الأخطار والاحتياط من الوقوع فيها، وليس من الخير مثل الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما وصفها الله بقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١)؛ فهي دار الخلود التي

يتحقق فيها كل ما تشتهي الأنفس، وليس من الخطر مثل النار التي وقودها الناس والحجارة التي قال الله في أهلها: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾^(١).

ويقع الإيمان على رأس الهرم من القيم الإلهية فهو ينبوعها وأُس شجرتها، وبالإيمان تتوهج حقيقة المعرفة في القلب لتتجسد في صورة قيم مثلى ومبادئ نبيلة وأخلاق سامية تتحول لقوة فاعلة تقود الحياة إلى حيث يريد الله تعالى وتضع في مكانه الذي رسمه له إذ يحاكي الإنسان المؤمن بفطرته الهدى الفلاح.

والإيمان ليس مجرد اعتقاد في القلب دون أن يكون له جنة عملية في الواقع الحياتي، فالإسلام المتمثل بالقرآن الكريم والعتره الشريفة يؤكد خلاف ذلك فما ذكر الإيمان إلّا وذكر العمل الصالح معه وقد مثل الإمام زين العابدين عليه السلام في انصع صوره وأبرز تجلياته ألا وهو الطاعة المطلقة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله ولوصيه أمير المؤمنين عليه السلام.

وإذا استقر الإيمان بحقيقة الثواب والعقاب هذه في النفس البشرية انطلقت تلك النفس لممارسة الأعمال الصالحة رجاء الفوز بنعيم الجنة، وأحجمت عن الانطلاق وراء الأهواء والشهوات خوف الوقوع في النار.

وعندئذ يفيض الخير في المجتمع فيضاً، ويغيض الشر فيه غيضاً، وتنجو البشرية من شر النفوس ونزعاتها المدمرة لحياة الأفراد والجماعات، لكن ذلك كله يتوقف على تحقق الإيمان بالوعد والوعيد.

وإذا استقر الإيمان في النفس البشرية علم صاحبها أن له خالقاً عليمًا قد أحاط بكل شيء علماً، حكيمًا يهدي إلى الحق وإلى الصراط المستقيم، عدلاً لا يظلم الناس شيئاً، خبيراً بدخائل النفوس وخفاياها، وأن ما جاء من عنده هو الحق الذي لا

يشوبه باطل كما قال تعالى: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِالَّذِينَ * أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ لِحَكِيمِينَ﴾^(١).
وكما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَرَهُمُ الْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمُ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنْ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكَوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾^(٢)، وكما قال تعالى: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾^(٣).

وعندئذ تتجلى أنوار الطريق المستقيم الذي لا تغشاه ظلمة نظرية قاصرة وفكرة بشرية محدودة، فتنبج البشرية من التخبط في ظلمات النظريات القاصرة والأفكار المشحونة بالأهواء الجائرة، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٤)، وكما قال تعالى: ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ. وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥).
فيضع المؤمن رأيه متخلياً عن إعجابه وغروره برأيه معتصماً بالهدى الذي جاءه من خالقه، فيجتمع الناس على طريق واحد يعصمهم من كل زيف وجهل وضلال.

وإذا تحقق الإيمان في مجتمع من المجتمعات تولاه الله ودافع عنه كما في كتابه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾^(٦)،
فتحتطم شباك المكر والخداع التي يمكر بها الكافرون بالمسلمين كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرُ الْمَكْرِينَ﴾^(٧).

وإذا تمكن الإيمان في النفوس وتحقق في واقع الحياة عبادة صحيحة وأخلاقاً

(١) التين: ٧-٨.

(٢) النجم: ٣٢.

(٣) البقرة: ١٤٠.

(٤) البقرة: ٢٥٧.

(٥) المائدة: ١٦.

(٦) الحج: ٣٨.

(٧) الانفال: ٣٠.

نبيلة وسلوكاً مستقيماً ودعوة صادقة استحق المؤمنون ما وعدهم الله به؛ والله لا يخلف الميعاد.

وقد وعد الله المؤمنين إذا صدقوا في إيمانهم، وقاموا بما أوجب عليهم بوعود لا تخلف وعد الله المؤمنين بالنصر على أعدائهم: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١). ووعد الله المؤمنين بالعزة فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢). ووعد الله المؤمنين بأن يتولاهم فقال: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٣). ووعد الله الذين آمنوا بالتمكين في الأرض والاستخلاف فقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٤).

ثانياً: القلب السليم:

القلب أعظم ما في هذا الإنسان وأشرفه، هو الذي يفقه به، ويتعرف من خلاله على خالقه سبحانه، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: القلب مصحف البصر، وينبوع الحكمة^(٥). كما ورد عنه عليه السلام: - أصل صلاح القلب اشتغاله بذكر الله - فذكر الله حياة للقلب، وغذاء للروح، ومفتاح للأنس، وباعث على حصول حب الحق جلّ وعلا وعشقه^(٦). وفي هذا السياق يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: إن الله يحب كل قلب حزين، ويحب كل عبد شكور^(٧).

- صلاح القلب هو المقصود من التكليف والأعضاء آلات موصلة إلى

(١) الروم: ٤٧.

(٢) المنافقون: ٨.

(٣) البقرة: ٢٥٧.

(٤) النور: ٥٥.

(٥) نهج البلاغة (صبحي الصالح): ٥٤٨.

(٦) الصلاة في الكتاب والسنة، الرishري: ١٨.

(٧) الكافي: ٣٠ / ٩٩ / ٢.

المقصود والغرض من حركات الجوارح أن يعتاد القلب إرادة الخير ويؤكد فيه الميل إليه ليتفرغ عن شهوات الدنيا ويقبل على الذكر والفكر^(١). لهذا يناجي الإمام زين العابدين عليه السلام ربه معلماً المسلمين ما ينبغي لهم أن يطلبوا لقلوبهم فيقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَمْلَأَ قَلْبِي حُباً لَكَ، وَخَشْيَةً مِنْكَ، وَتَصَدِيقاً لَكَ، وَإِيمَاناً بِكَ، وَفِرْقاً مِنْكَ، وَشَوْقاً إِلَيْكَ^(٢).

وقد نعى الإمام الباقر عليه السلام على أولئك الذين وهبهم القلب فغطلوه عن الفقه والفهم، فقال محذراً ومشدداً: إِنَّ اللَّهَ عَقُوبَاتٌ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ، ضَنْكَ فِي الْمَعِيشَةِ وَوَهْنٌ فِي الْعِبَادَةِ، وَمَا ضَرَبَ عَبْدٌ بِعَقُوبَةٍ أَعْظَمَ مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ^(٣).

وقال مبيناً دور القلب في معرفة الحق والوقوف عليه: إِنْ الْقَلْبَ يَنْقَلِبُ مِنْ لَدُنْ مَوْضِعِهِ إِلَى حَنْجَرَتِهِ مَا لَمْ يَصْبِ الْحَقُّ، فَإِذَا أَصَابَ الْحَقُّ قَرّاً، ثُمَّ ضَمَّ أَصَابِعَهُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾^(٤).

ثالثاً: الإخلاص؛

إن أهم ما يجب أن يتصف به المصلح الإخلاص. فلا يجعل إصلاحه حرفة تكسب الأموال ولا ذريعة للتقرب إلى غير الله، ولا سلماً للوصول إلى الجاه والسلطان، بل ينبغي بإصلاحه وجه الله الواحد الأحد، ولا يريد من أحد سواه جزاء ولا شكوراً.

والإخلاص: تجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب، وهو أمر عزيز، صعب على النفس؛ لأن كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس، ويميل إليه القلب، ويخفّ العمل بسببه، قلّ أم كثر، إذا تطرق إلى العمل: تكدّر به صفوه،

(١) الوافي ج ٤ ص ٣٦٧.

(٢) إقبال الأعمال: ٥٣.

(٣) تحف العقول: ٢٩٦.

(٤) الأنعام: ١٢٥. تفسير العياشي ح ١ ص ٣٧٧.

وزال به الإخلاص. وإلى هذا المفهوم يشير الإمام زين العابدين (ع) - في مناجاته -...: وأخلص نيأتنا في معاملتك^(١).

وتظهر ضرورة اتصاف المصلح بصفة الإخلاص في كونه شرطاً لنيل الثواب على دعوته الإصلاحية، فمما لا شك فيه أن الدعوة إلى الله من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها لكن القائم بها لا يؤجر ولا يثاب عليها إلا إذا كان مخلصاً في دعوته. قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

وقد بين رسول الله ﷺ أهمية الإخلاص ومكانته من العمل فقال مخبراً عن جبرئيل عن الله عز وجل أنه قال: «الإخلاص سرٌّ من أسرارِي، استودعته قلب من أحببت من عبادي»^(٣).

وعلى القاصد لغير وجه الله تعالى أن يتذكر دائماً أن من أهانه الله تعالى فلا معز له ومن أكرمه فلا مهين له. قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^(٤). وعليه أن يستحضر ما علمه النبي ﷺ للإمام الحسن (ع) في قنوت الوتر: (وإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت)^(٥). وعليه أن يحفظ أن من طلب رضى الله تعالى كفاه الله مؤونة الناس ومن التمس رضى الناس وكله الله إلى الناس.

فما أجهل وأخسر من ترك ابتغاء وجه الله تعالى بالدعوة لأمر لا يقدر على نيلها إلا بأمر الله تعالى. ويؤكد ذلك إمامنا الباقر (ع) إذ يقول: ما بين الحق والباطل إلا قلة العقل.

قيل: وكيف ذلك يا بن رسول الله؟

(١) البحار: ٢١/١٤٧/٩٤.

(٢) النساء: ١١٤.

(٣) منية المريد، الشهيد الثاني: ١٣٣.

(٤) الحج: ١٨.

(٥) الخلاف، الطوسي ج ١ ص ٥٣٩.

قال: إن العبد يعمل العمل الذي هو الله رضا فيريد به غير الله، فلو أنه أخلص لله لجاءه الذي يريد في أسرع من ذلك^(١).

إن الدعوة إلى الله تعالى سبيل الأنبياء والرسل ﷺ، وعلى السالك في هذا الطريق أن يسلك كما سلكوا، ويتزود كما تزودوا، ويتصف بما اتصفوا به إنهم أخلصوا الله الواحد ولم يطلبوا من أحد سوى الله تعالى أجراً.

إن الدعوة إلى الخير والإصلاح واجب الأمة، وأشرف مهمة ينتدب لها أهل العلم والتعليم، وتحملونها كما يتحملون سائر التكاليف الشرعية؛ فإن الله قد جعل التواصي بالحق والتواصي بالصبر أعظم أسباب النجاة بعد الإيمان والعمل الصالح وأمر بالتعاون على البر والتقوى، وجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبباً للرحمة، وقدمه في الذكر على الصلاة والزكاة، فقال عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

فضائل الإخلاص:

الإخلاص أعظم زاد يحتاجه من سلك سبيل الدعوة إلى الله تعالى، ومن فضائله أنه تحقيق لما أمر الله به، وبه يصح العمل ويتأهل للقبول. وعن اثر الاخلاص لله تعالى يحدثنا رسول الله ﷺ: ما أخلص عبد لله عز وجل أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه^(٣).

وقد بين الإمام الباقر ﷺ ما يورث الاخلاص: ادفع عن نفسك حاضِر الشر بحاضِر العلم، واستعمل حاضِر العلم بخالِص العمل، وتحرز في خالِص العمل من عظيم الغفلة بشدة التيقظ، واستجلب شدة التيقظ بصدق الخوف^(٤).

(١) بحار الانوار ج ٦٩ ص ٢٩٩.

(٢) التوبة: ٧١.

(٣) عيون أخبار الرضا ﷺ ج ٢ ص ٦٩.

(٤) بحار الانوار ج ٧٥ ص ١٦٣.

نعم فالإخلاص قوة يُعْتَصَمُ بها من شياطين الجن والإنس، وبه حصول التوفيق والسداد، والنجاة والثبات والنصر، وخلود الذكر الحسن، وبقاء الثمرة. وبالإخلاص تحصل الهمة العالية، التي تولد العزيمة الماضية، التي ينطلق صاحبها في العمل الجاد والإنتاج المثمر، لا يلوي على شيء؛ لأن الإخلاص جمع قلبه على الله، فلا همّ له إلا مرضاة ربه، فيستوي عنده مدح الناس وذمهم وحضورهم وغيابهم. والإخلاص سلامة للقلب من الغل والحقد والحسد، والإخلاص يورث القوة في الحق، والشجاعة والإقدام والصبر؛ لأنه يربط القلب بالله تعالى، فلا يخاف سواه، ولا يرجو إلا إياه، فيتمثل له كل الخلق كالأموات، لا يملكون من أمر أنفسهم شيئاً. ومن بركات الإخلاص: أنه يتضاعف به فضل العمل ويعظم أجره، كما أنه يجعل فعل المباحات طاعات يثاب عليها؛ فتكون حياة العبد كلها لله.

علامات الإخلاص:

قال رسول الله ﷺ: أما علامة المخلص فأربعة: يسلم قلبه، وتسلم جوارحه، وبذل خيره، وكف شره^(١).

وبعد: فإن للإخلاص علامات تظهر على صاحبها، يعرفها كل في نفسه وجوداً وعدمًا، ومنها:

- الحماس للعمل لدين الله تعالى، والحرص على الدعوة إليه بدافع ذاتي وليس بمقتضى دوافع خارجية.
- المبادرة الذاتية المنضبطة، والفاعلية، والإيجابية، وعدم انتظار التكليف من أحد بعد التكليف من خالق الأرض والسماء تبارك وتعالى.
- الصبر، والتحمل، واحتساب الأجر، وعدم التذمر والتشكي.
- الحرص على إخفاء الأعمال الصالحة مثل إخفاء السيئات، بل أشد.

(١) تحف العقول: ٢١.

- إحسان العمل وإتقانه في السر، أعظم من إتقانه في العلن.
- الإكثار من أعمال السر، فهي أبعد شيء عن الرياء.

ضعف الإخلاص:

من الأسباب التي توقع في الرياء وضعف الإخلاص: عدم المعرفة الحقيقية بالله وعظمته واستحقاقه للعبادة والطاعة مع تجريد القصد وإخلاص النية، ومن الأسباب: الرغبة في الصدارة والمنصب، ومنها: الطمع فيما في أيدي الناس، والحرص على الدنيا، وحب المحمدة والثناء، والخوف من ذم الناس، والغفلة عن عواقب الرياء.

وكثيراً ما ضمن مولانا زين العابدين (عليه السلام) في أدعيته الشريفة الاستعاذة من ضعف الإخلاص، ومنه دعاؤه: اللَّهُمَّ صل على محمد وآل محمد، واجعلنا ممن جاسوا خلال ديار الظالمين، واستوحشوا من مؤانسة الجاهلين، وسموا إلى العلو بنور الإخلاص^(١).

الرياء آفة الاخلاص:

الرياء: هو إراءة كون العمل لله تعالى مع عدم كونه له تعالى فيخالف السر العلن^(٢). ويكمن خطر الرياء في كونه أمراً خفياً سريعاً إلى القلب، قد يقع فيه الإنسان من حيث لا يشعر.

ومن مخاطره العظيمة: أنه سبب لحبوط العمل، وضياع الجهد، ويؤدي بصاحبه إلى النار، فهو فضيحة في الدنيا والآخرة، كذلك الحرمان من الهداية والتوفيق، وحصول الضيق والاضطراب النفسي، ونزع الهيبة من قلوب الناس، والإعراض من الناس وعدم تأثرهم، وعدم إتقان العمل، والوقوع في غوائل الإعجاب بالنفس، والغرور، والتكبر، وحب الثناء، والتشبع بما لم يعط.

(١) البحار: ٤٥٦/٩٥.

(٢) كتاب الصلاة، تقرير بحث المحقق الداماد ج ٣ ص ٢٧٧.

ومن آثاره على الإصلاح: محق بركة الأعمال، وضعف الثمرة أو انعدامها، وطول الطريق، وكثرة التكاليف؛ فإن الله لا يمكن للمرائين، حتى يُمَحَّص الصفوف، ويميز الخبيث من الطيب.

علاج الرياء:

إن معرفة الأسباب لهي أكبر معين على التخلص من الرياء؛ وذلك بالتزام وسائل المعالجة، التي منها: معرفة الله عز وجل حق المعرفة، واستشعار منته وفضله وتوفيقه، والعلم بما يستحق من العبودية، وآدابها الظاهرة والباطنة، وشروطها، وتعميق حب الله تعالى والتعلق بالآخرة في القلب، وتعميق مراقبة الله تعالى ومحاسبة النفس، والتوقف عند نوايا الأعمال، ودفع ما يخطر من موارد الشيطان ووساوسه في الحال، وترك المبالاة بالخلق، ومعرفة حقيقتهم، ووضعهم في منزلتهم ومرتبهم البشرية. لهذا يعلمنا الإمام الباقر عليه السلام كيف نعالج هذا المرض الفتاك إذ يقول: إن رسول الله سئل فيما النجاة غدا؟ فقال: إنما النجاة في أن لا تخادعوا الله فيخدعكم فإنه من يخادع الله يخدعه ويخلع منه الإيمان ونفسه يخدع لو يشعر، فقليل له: وكيف يخادع الله؟! قال: يعمل بما أمره الله به ثم يريد به غيره ^(١).

وتذكر عواقب الرياء الدنيوية والأخروية، وتصور حال المرائين ومصيرهم، والإكثار من قراءة وسماع النصوص المرغبة في الإخلاص الداعية إليه، ومطالعة أخبار المخلصين وحكاياتهم: كل ذلك معين على الإخلاص.

رابعاً: تركية النفس:

قرن الله سبحانه الفلاح بتركية النفس وتربيتها وتطهيرها، فقال عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ^(٢)، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ ^(٣). وعن

(١) ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٠١٨.

(٢) الأعلى: ١٤.

(٣) الشمس: ٩-١٠.

رسول الله ﷺ - في قوله: (قد أفلح من تزكى) -: من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أنني رسول الله^(١).

وقد بعث الله تعالى رسوله ﷺ معلماً ومربياً، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢)، فكان ﷺ يتعاهد نفوس أصحابه بالتربية والتزكية، لما له من أثر في إصلاح القلب، وانطلاقة المسلم وثباته في آية معاً، مما يجعله ضرورة ملحة لا غنى عنها. فنجد ﷺ يحذر المسلمين من اسباب منع وحرمان تزكية الله تعالى: ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك جبار، ومقل مختال^(٣).

التخلية والتحلية والمجاهدة:

من أعظم قواعد تربية النفس: تخليتها من اتباع الهوى؛ فإن اتباع الهوى موجب لأمراض لا حصر لها، وعلة المرض لا تعالج إلا بضدها، فالطريق لمعالجة القلوب: سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل إليه، وقد جمع الله ذلك كله في كلمة واحدة، فقال عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(٤)، وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٥).

والأصل المهم في المجاهدة: الوفاء بالعزم، فإذا عزم على ترك شهوة، وابتلاه الله وامتحنته بتيسير أسبابها، فالواجب الصبر والاستمرار، فإن النفس إذا عودت ترك العزم ألفت ذلك، فَفَسَدَتْ.

(١) ميزان الحكمة ج ٢ ص ١١٥٤.

(٢) الجمعة: ٢.

(٣) الوافي ج ٥ ص ٨٧٣.

(٤) النازعات: ٤٠-٤١.

(٥) العنكبوت: ٦٩.

ثم يتعين بعد ذلك: تحليلية النفس وتعويدها على الخير، حتى تألفه ويكون سجية لها، فإن الأعمال لها أثر يمتد حتى يصل إلى القلب.

إن لتزكية النفس بمحاسبتها فوائد متعددة نذكر منها ما يلي:

١. الاطلاع على عيوب النفس ونقائصها ومثالبها، ومن ثمّ؛ إعطاؤها مكانتها الحقيقية إن جنت إلى الكبر والتغطرس. ولا شك أن معرفة العبد لقدر نفسه يورثه تذلاًّ لله فلا يُدِلّ بعمله مهما عظم، ولا يحتقر ذنبه مهما صغر.
٢. أن يتعرّف على حق الله تعالى عليه وعظيم فضله ومنّه؛ وذلك عندما يقارن نعمة الله عليه وتفريطه في جنب الله، فيكون ذلك رادعاً له عن فعل كل مشين وقبيح؛ وعند ذلك يعلم أن النجاة لا تحصل إلا بعفو الله ومغفرته ورحمته، ويتيقن أنه من حقه سبحانه أن يطاع فلا يعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر.
٣. تزكية النفس وتطهيرها وإصلاحها وإلزامها أمر الله تعالى. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(١).
٤. تربية الضمير داخل النفس، وتنمية الشعور بالمسؤولية واتخاذ الشريعة معياراً في ما يصدر من أفعال وتصرفات.

فضل المحاسبة:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢)، «وهو تعبير كذلك ذو ظلال وإيحاءات أوسع من ألفاظه، ومجرد خطوره على القلب يفتح أمامه صفحة أعماله بل صفحة حياته، ويمدّ ببصره في سطورها كلّها يتأملها، وينظر رصيد حسابه بمفرداته وتفصيلاته لينظر ماذا قدّم لغده في هذه الصفحة. وهذا التأمل كفيل بأن يوقظه إلى مواضع ضعف ومواضع

(١) الشمس: ٩-١٠.

(٢) الحشر: ١٨.

نقص ومواضع تقصير مهما يكن قد أسلف من خير وبذل من جهد؛ فكيف إذا كان رصيده من الخير قليل ورصيده من البر ضئيلاً؟! إنها لمسة لا ينام بعدها القلب أبداً، ولا يكف عن النظر والتقليب^(١). وعن أمير المؤمنين عليه السلام في فضل المحاسبة: ثمرة المحاسبة صلاح النفس^(٢). وعنه عليه السلام: من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن^(٣).

كيفية المحاسبة:

ويرسم لنا الإمام علي عليه السلام الخطوات الأساسية في كيفية المحاسبة، والنتائج والآثار التربوية المترتبة على ذلك، فيقول عليه السلام - وقد سئل عن كيفية محاسبة النفس -: إذا أصبح ثم أمسى رجع إلى نفسه، وقال: يا نفس! إن هذا يوم مضى عليك لا يعود إليك أبداً، والله سائلك عنه فيما أفنيت، فما الذي عملت فيه؟ أذكرت الله أم حمدت؟ أفضيت حق أخ مؤمن؟ أنفست عنه كربه؟ أحفظتيه بظهر الغيب في أهله وولده؟ أحفظتيه بعد الموت في مخلفيه؟ أكففت عن غيبة أخ مؤمن بفضل جاهك؟ أعنت مسلماً؟ ما الذي صنعت فيه؟ فيذكر ما كان منه، فإن ذكر أنه جرى منه خير حمد الله عز وجل وكبره على توفيقه، وإن ذكر معصية أو تقصير استغفر الله عز وجل وعزم على ترك معاودته^(٤).

خامساً: الثبات على دين الله

إن الثبات على دين الله مطلب أساسي لكل مسلم صادق يريد سلوك الصراط المستقيم بعزيمة ورشد، وأهمية الموضوع تكمن في أمور منها، تبنيه العلمي والعملية لمفهوم الإصلاح الحقيقي الواقعي في وضع الحلول والعلاجات لوضع المجتمع الإسلامي، ومواجهة أنواع الفتن والمغريات، وأصناف الشهوات

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، الجزء السادس شرح الآية الثامنة عشر من الحشر.

(٢) غرر الحكم: ٨٠٨٠.

(٣) بحار الانوار ج ٧٠ ص ٧٣ ح ٢٧.

(٤) بحار الانوار ج ٧٠ ص ٧٠ ح ١٦.

والشبهات التي بسببها غدا الدين حبراً على ورق ليس له إلا رسمه، فأصبح الثبات على دين الله القويم حاجة ضرورية يحكم بها العقل والشرع.

مظاهر الثبات

أولاً: الإقبال على القرآن:

القرآن العظيم وسيلة التثبيت الأولى وهو حبل الله المتين، والنور المبين، من تمسك به عصمه الله ومن اتبعه أنجاه الله، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم. وقد نص الله على أن وظيفة هذا الكتاب والغاية التي من أجلها أنزله منجماً مفصلاً هي التثبيت، فقال - تعالى - في معرض الرد على شبه الكفار: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (١). وقد وصفه أمير المؤمنين (ع) قائلاً: الإمام علي (ع) : تعلموا كتاب الله تبارك وتعالى فإنه أحسن الحديث وأبلغ الموعظة، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء لما في الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص (٢).

كيف يكون القرآن مصدراً للتثبيت؟!

- يزرع الإيمان ويزكي النفس بالصلة بالله تعالى.
- اثر الآيات القرآنية على قلب المؤمن إذ تنزل برداً وسلاماً فتورث الاطمئنان والسلامة.
- مصدر الوعي الفكري الذي يزود الفرد المسلم بالتصورات والقيم الصحيحة التي يستطيع من خلالها أن يقوم الأوضاع من حوله، وكذا الموازين التي تهين له الحكم على الأمور فلا يضطرب حكمه ولا تتناقض أقواله باختلاف الأحداث والأشخاص.

(١) الفرقان: ٣٢-٣٣.

(٢) تحف العقول: ١٥٠.

– إيجاد حصانة فكرية تمكن من الرد على الشبهات التي يثيرها المنحرفون من الكفار والمنافقين.

ثانياً: التزام الشريعة:

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (١). وعن رسول الله ﷺ في بيان حقيقة الشريعة قوله: الشريعة أقوال، والطريقة أفعالي، والحقيقة أحوالي، والمعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، والخوف رفيقي، والعلم سلاحي، والحلم صاحبي، والتوكل زادي، والقناعة كنزي، والصدق منزلي، واليقين مأواي، والفقر فخري وبه أفتخر على سائر الأنبياء والمرسلين (٢).

كما ورد عن الإمام علي عليه السلام: العالم حديقة سياحها الشريعة، والشريعة سلطان تجب له الطاعة، والطاعة سياسة يقوم بها الملك، والملك راع يعضده الجيش، والجيش أعوان يكفلهم المال، والمال رزق يجمعه الرعية، والرعية سواد يستعبد لهم العدل، والعدل أساس به قوام العالم (٣).

ثالثاً: التدبير للناسي والعمل:

وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤).

فنزول الآيات إنما لغرض عظيم هو تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ وأئمة المؤمنين معه. فلو استعرضنا قصة سحرة فرعون ذلك المثل العجيب للثلة التي تثبت على الحق بعدما تبين، ألا ترى أن معنى عظيماً من معاني الثبات يستقر في النفس أمام

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) مستدرک الوسائل ج ١١ ص ١٧٣.

(٣) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٨٣ ح ٨٧.

(٤) هود: ١٢٠.

تهديدات الظالم وهو يقول: ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ. قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ. لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّتَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي أَنَا أَشَدُّ عَدَاوًا وَأَبْغَىٰ﴾^(١)، ثبات القلة المؤمنة الذي لا يشوبه أدنى تراجع وهم يقولون: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْصِ مَا أَنْتَ قَاصٍ إِنَّمَا تَقْضَىٰ هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(٢).

وفي رواية همام عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف المتقين: أما الليل فصافون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن، يرتلون ترتيلاً، يحزنون به أنفسهم، ويستشيرون به دواء دائهم. فإذا مروا بآية فيها تشويق ركعوا إليها طمعاً، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنوا أنها نصب أعينهم. وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم^(٣).

سادساً: الدعاء.

من صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يشبهم. قال الإمام الباقر (عليه السلام): إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الَّذِي يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٤) قال: هو الدعاء، وأفضل العبادة الدعاء، قلت: إن إبراهيم لأواه حلیم قال: الأواه هو الدعاء^(٥). وعنه (عليه السلام) - لما سئل: كثرة القراءة أفضل أو كثرة الدعاء؟ -: الدعاء، أما تسمع لقوله تعالى: (قل ما يعبا بكم...) ^(٦).

سابعاً: ذكر الله:

وهو من أعظم أسباب الثبوت وتأمل هذا الاقتران بين الأمرين في قوله - عز

(١) طه: ٧١.

(٢) طه: ٧٢.

(٣) مستدرک سفينة البحار، الشاهرودي ج ٨ ص ٤٥٧.

(٤) غافر: ٦٠.

(٥) الكافي ج ٢ ص ٤٦٦ ح ١.

(٦) بحار الانوار ج ٩٣ ص ٢٩٩ ح ٣٠.

وجل :- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُهُ فَعِئَّةٌ قَائِمُونَ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١)، فجعله الله من أعظم ما يعين على الثبات في الجهاد. وكان من دعاء علي بن الحسين (عليه السلام): واجعلنا من الذين اشتغلوا بالذكر عن الشهوات... حتى جالت في مجالس الذكر رطوبة ألسنة الذاكرين^(٢).

ثامناً: التربية:

التربية الإيمانية عامل أساسي من عوامل الثبات إذ تحيي القلب والضمير بالخوف والرجاء والمحبة، المنافية للجفاف الناتج من البعد عن نصوص القرآن والسنة.

ولعل خير دليل على أهمية التربية كعنصر من عناصر الثبات، والملحمة التاريخية العظمى ملحمة سيد الشهداء الحسين (عليه السلام) في ثلثة من أهل بيته وصحابته الكرام فضرب لنا أروع نماذج التربية التي تلقوها من منبع إلهي صاف، فهل يمكن أن يكون ثباتهم بغير تربية عميقة من مشكاة النبوة.

تاسعاً: الثقة بالله:

إن الثقة بالله تعالى هي أحد أهم عوامل الثبات على الحق إذ يترتب عليه الشعور بالاصطفاء، قال عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾^(٣)، ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾^(٤). كما يولد ويرسخ الثقة بنصر الله وأن المستقبل لدينه وشريعته، وإلى ذلك فسر الإمام السجاد (عليه السلام) - لما سئل: ما بال المتجهدين بالليل من أحسن الناس وجهاً؟ -: لأنهم خلوا بالله فكساهم الله من نوره^(٥).

(١) الانفال: ٤٥.

(٢) البحار: ١٩/١٢٧/٩٤.

(٣) فاطر: ٣٢.

(٤) يوسف: ٦.

(٥) علل الشرائع: ٣٦٣.

الثقة بالنفس

الثقة بالنفس إحساس متى ما تلبس به الإنسان أحس أنه قادر على أي عمل يمكن عمله بإتقان. فمثله كالشعلة التي تضيء لحاملها الطريق لكي يتقدم على بصيرة، والثقة بالنفس مفتاح كل نجاح ونصر.

ولا بد من الأخذ بالأسباب المؤدية للثقة بالنفس وأولها الإيمان بالله تعالى المؤدي إلى الاعتقاد الحق مما يورث البصيرة في أمور دنياه ودينه يمكنه من الوقوف على الأخطاء ونقدها فيزيد الشخص الواثق من نفسه فهماً وإدراكاً.

كذلك عدم الثقة بالنفس ينتج عنها آثاراً خطيرة منها الخوف من الخطأ، والتردد وهذا بطبعه أدى إلى الجمود وإلى التقليد، لأنه يرى أن التقليد أسهل عليه، التقليد في الأفكار والتقليد في السلوك والتقليد في الشخصية، فتراه يلغي عقله ويمشي وراء من يقلده مغمض العينين مقلداً لهم في الخطأ والصواب، في الأقوال والأفعال، لا يخالفهم لأنه يعتقد أنه دائم على الخطأ وهم على الصواب وهذا من أخطر ما يمكن أن يسلب المسلم هويته الدينية ويعمل على إفراغ محتواها الفكري والعقائدي فينسلخ بالتالي عن فطرته ليتخبط في مهاوي الظلمات والانحرافات كل ذلك لفقدانه لعنصر الثقة بالنفس.

عاشراً: التمييز بين الحق والباطل:

في قول الله - عز وجل -: ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي آلِ لَيْدٍ﴾^(١)، تسرية عن المؤمنين وتثبيت. وفي قوله: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾^(٢)، عبرة لأولي الألباب في عدم الخوف من الباطل والاستسلام له. ومن طريقة القرآن فضح أهل الباطل وتعرية أهدافهم ووسائلهم ﴿وَكَذَلِكَ نَقْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتبينَ سبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٣).

(١) آل عمران: ١٩٦

(٢) الرعد: ١٧.

(٣) الأنعام: ٥٥.

التوكل والإصلاح؛

التوكل سمة أساسية يتصف بها المؤمنون، وهو اعتماد على الله بتوفيقه وهدايته إلى الأسباب النافعة ووقايته من الأسباب الضارة، وفي التخيير بين السبل والوسائل والاعتماد عليه في حصول النتائج والمآلات المحبوبة النافعة التي يتم بها الخير. والتوكل من ناحية رجاء واعتماد وثقة في الله وطلب للتوفيق، ومن ناحية أخرى قبول لما يترتب ويأتي من أقدار الله التي تفرح لها القلوب أو تحزن لها؛ ففي الأول ينفي الاقتدار بالنفس والعُجب والكبد. وفي الثانية يبقى اليأس والهزيمة النفسية الذي يترتب منه عجز، وتقاعس عن أداء الواجب. ونجد كثراً ما كان يدعو الإمام السجاد ومنه في صحيفته المقدسة الدعاء الثاني والخمسين: «وَبِكَ أُوْمِنُ، وَعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ، وَعَلَى جُودِكَ وَكَرَمِكَ أَتَكَيَّلُ».

إن التوكل على الله من أهم الطاعات وأهم الحسنات التي يتقرب بها المؤمنون إلى ربهم الذي بيده مصائر الخليقة والأشياء، وأهم سبب يلتجئ إليه المؤمنون لدفع البلاء ولتيسير المطلوب، ولا ينافي التوكل الأسباب الصحية؛ فإن المطالب الدينية والدنيوية تدرك بالأسباب الموصلة إليها.

إن العمل بالأسباب النافعة مع التوكل على الله يوصل إلى النتائج النافعة التي تجلب الخير والصلاح، وبهذه الطاعة العظيمة تلهم وتوفق الأمة إلى كثير من الخيرات، وتدرأ عنها كثيراً من السيئات التي قد تفيد عن وعي وإدراك الأمة، وتجتمع ولا تختلف القلوب بتوافقها على الصواب بالتبصر والتذكر؛ بينما الغفلة والحيرة تجلبان الفتنة والخلاف وفوات إدراك المصالح سواء كان في مستوى الأمة أو الأفراد، ويحصل هذا بفوات تلك الطاعة ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١).

والإمام زين العابدين عليه السلام من خلال بشه للمفهوم الصحيح للتوكل بين ابناء

المجتمع الإسلامي انما يؤكد أن عامل الإيمان والتوكل من أهم العوامل التي تبنى بها قوة المسلمين، ويحصل بتحقيقها التفوق على الأعداء وهو سبب بفقده وتخلفه تفقد قوة المسلمين القيمة والفاعلية.

لذا يمكن القول بأن التوكل نصف الدين؛ لأن الدين استعانة وعبادة، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ تَعَبَّدُ وَإِيَّاكَ تَسْعَى﴾^(١)، وقد ورد التوكل في كثير من آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٣)، وقوله عن أوليائه: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٤)، وقوله لرسوله: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾^(٥)، وكذلك: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْبَحِيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيَحْيِي بِحَمْدِهِ﴾^(٦).

وأفضل التوكل: التوكل في الواجب أعني واجب الحق، وواجب الخلق، وواجب النفس وأوسعها وأنفعه: التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية، أو في دفع مفسدة دينية؛ وهو توكل الأنبياء في إقامة دين الله، ودفع فساد المفسدين في الأرض. وحقيقة التوكل: الاعتماد على الله عز وجل وحده، والثقة بكفائته مع فعل الأسباب المأذون فيها من غير اعتماد عليها ولا ركون إليها؛ فخالق الأسباب ومسببها هو الله وحده.

إلا إن مظاهر الانحراف قد طرأت على مفهوم (التوكل) وحقيقته فكان لذلك الاثر السيء على الواقع الإسلامي للأمة فتفشى بينهم العجز والتواكل المؤدي إلى التخاذل وترك ما يجب الأخذ به، كل ذلك نتيجة الافكار المنحرفة التي بثت بين

(١) الفاتحة: ٥.

(٢) المائدة: ٢٣.

(٣) الطلاق: ٣.

(٤) الممتحنة: ٤.

(٥) النمل: ٧٩.

(٦) الفرقان: ٥٨.

افراد المجتمع الإسلامي على يد رؤوس الضلالة والانحراف التي ما فتأت السلطة الحاكمة تقدم لهم الدعم بشكل أو بآخر.. وما كان لهذه الأفكار كلها أن تؤثر لو كان العلم وفهم العقيدة الصحيحة منتشراً بين الأمة، ولكن لما وافق هذا جهلاً عند بعض المسلمين بحقيقة هذا الدين وأصوله: نشأ من ذلك بعض المفاهيم المغلوطة للتوكل كما نشأ الضعف في التطبيق لهذه العبادة العظيمة.

الاستقامة

إن قضية الاستمرار في الامتثال لأمر الله تعالى من القضايا الجوهرية في التصور الإسلامي، وفي بنيته التشريعية، وليس أدل على ذلك من وصية الله تعالى لنبيه ﷺ إذ يقول الله سبحانه: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَا تَزْكُتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾^(١). والاستقامة: هي المداومة على فعل ما ينبغي فعله وترك ما ينبغي تركه.

والاستقامة الحقّة تتمثل في تمحور المسلم حول مبادئه ومعتقداته، مهما كلف ذلك من عناء ومشقة، ومهما ضيع من فرص ومكاسب. فتحقيق المصلحة على حساب المبدأ يعدّ انتصاراً للشهوة أو مصلحة آنية، أما الانتصار للمبدأ على حساب المصلحة فإنه بمثابة القمة من الشعور بالسعادة والرضا والنصر والحكمة والانسجام والثقة بالنفس.

والمسلم بحاجة إلى الفهم الصحيح لثقافة الاستقامة حتى يستطيع ان يوازن بين ضرورة الاستقامة والالتزام بالمنهج الرباني، وبين رفع الحرج والعنت عن هذه الأمة، قال تعالى: ﴿هُوَ أَجْتَبَنَكُمْ وَآمَجَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٢)، وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٣).

(١) هود: ١١٢ - ١١٣.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) البقرة: ٢٨٦.

الهمة العالية

من أشد ما تصاب أي أمة من الأمم أن يكون أفرادها ذوي همم ضعيفة، وعزائم واهنة وتطلعات قاصرة، فلا يفكر في التغيير، فعدم الثقة بالنفس مرض يفتك بالثورة ورجالها، فتعيش دهرأ وهي لم تفعل شيئاً ذا بال، وحتى إذا ما واتتها الظروف التي يهينها الله سبحانه وتعالى رحمة بعباده المؤمنين فإنها لا تقدم على الاستفادة منها، وذلك كله لعدم الثقة بالنفس.

فلا بد أن ينعق الفرد المسلم من مثل هذه الأجواء التي تقيده وتشعره بضالته وتشعره بأنه جزء صغير من آلة ضخمة، ومن عجلة تدور لا يستطيع الفكك منها، لا بد أن يقتنع الفرد المسلم بأن عنده طاقات وقدرات يستطيع فيها القيام بأعمال كبيرة.

الصدق

إن للصدق علامات ومظاهر تنفي ضدها، وإذا لم توجد أو كانت ضعيفة فإن ذلك دليل على ضعف الصدق، وتسلب العوائق عليه، ومن هذه العلامات ما يلي:

١ - طمأنينة القلب واستقراره:

إن الصدق في جميع الأحوال باطنها وظاهرها يورث الطمأنينة والسكينة في القلب، وينفي عنه التردد والريبة والاضطراب التي لا توجد إلا في حالات الشك وضعف الصدق أو عدمه، يقول ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة»^(١).

٢ - الزهد في الدنيا والتأهب للقاء الله عز وجل:

ومن علامة طمأنينة القلب النابعة من الصدق انشراحه وزهده في الدنيا والتأهب للآخرة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾^(٢).

(١) نهاية الأحكام، العلامة الحلي ج ٢ ص ٥٢٤.

(٢) الانعام: ١٢٥.

فالصادق مع الله عز وجل لا تراه إلا متأهباً للقاء ربه، مستعداً لذلك بالأعمال الصالحة، والقيام بأوامر الله عز وجل والانتهاز عن نواهيه، يريد بذلك وجه الله عز وجل متبعاً في ذلك رسوله ﷺ.

٣ - سلامة القلب:

إن من علامة الصدق سلامة القلب، وخلوه من الغش والحقد والحسد للمسلمين، فالعبد المؤمن الصادق في إيمانه لا يحمل في قلبه غلاً للمؤمنين ولا شراً، بل إن حب الخير والنصح للمسلمين هو طبعه وعادته، وهذه الحالة القلبية تظهر علاماتها على الأعمال، وذلك بتجنب الظلم والعدوان والاستطالة على الأعراس، والحرص على العدل والقسط مع الناس، والانطلاق بما في الوسع لقضاء حاجات المسلمين وإغاثة ملهوفهم ودفع الظلم عنهم والحزن على مصابهم والفرح لفرحهم. لهذا فقد جعل الإمام زين العابدين عليه السلام الصدق أفضل مفاتيح الخير التي يمكن أن يلج من خلالها المؤمن إلى ابواب الخير إذ يقول: خير مفاتيح الأمور الصدق، وخير خواتيمها الوفاء^(١).

٤ - حفظ الوقت وتدارك العمر:

إن الصادق في إيمانه لا تجده إلا محافظاً على وقته شحيحاً به، لا ينفقه إلا فيما يرجو نفعه في الآخرة.

٥ - إخفاء الأعمال الصالحة وكرهية السمعة:

إن من علامة صدق العبد فيما يعمل الله عز وجل حرصه على إخفاء عمله وكرهية اطلاع الناس عليه، كما أن كراهية الشهرة والظهور علامة من علامات الصدق الذي يبعد صاحبه عن الرياء والسمعة والتصنع للخلق، فكلما كان العبد صادقاً مع ربه عز وجل كلما كان حريصاً على إخفاء أعماله حيث لا يطلع عليها إلا الله عز وجل، الذي يسمع ويرى ويجازي.

٦ - الشعور بالتقصير والانشغال بإصلاح النفس ونقدها أكثر من الآخرين:

إن من أخطر ما على النفوس أن ينشغل العبد بغيره بالنقد والتقويم وينسى نفسه والتفتيش عن عيوبها، فمن علامات صدق العبد مع ربه ومع نفسه أن ينشغل بنفسه وإصلاحها وتقويمها أكثر مما يعطيه لغيرها، وإذا وجدت هذه الصفة نتج عنها المحاسبة للنفس والتربية والتزكية لها.

٧ - الاهتمام بأمر هذا الدين والجهاد في سبيل الله عز وجل:

إن الصدق في محبة الله عز وجل ومحبة دينه تقتضي أن يكون أمر هذا الدين هو شغل المؤمن الشاغل، حيث لا يقر له قرار، ولا يهدأ له بال وهو يرى دين الله عز وجل ينتهك ويقصى من الحياة، وبالتالي يرى الفساد المستطير يدب في أديان الناس ودمائهم وأعراضهم وعقولهم وأموالهم.

٨ - قبول الحق والتسليم له:

إن من علامات الصدق لدى المسلم إذعانه للحق وقبوله من أي أحد كان فالصادق لا تراه إلا باحثاً عن الحق الذي يتعبد به لربه عز وجل ويقربه إلى مولاه، وإذا وجدت هذه الصفة الكريمة عند المسلم، وصارت من عاداته وأخلاقه فإنها تنفي كثيراً من الصفات الذميمة مثل الكبر والاستعلاء والتعصب، كما أنها تورث المحبة والألفة بين أهل العلم والدين، وتورث الاجتماع والاتلاف وتنفي الفرقة والاختلاف.

الصدق والإصلاح

إن من لوازم الصدق ومقتضياته أن تكون الدعوة إلى الله عز وجل والجهاد في سبيله لأجل الله عز وجل وابتغاء مرضاته، فيبادر المصلح إلى تصديق قوله وما يدعو إليه بفعله، وأن لا يقول بلسانه ما ليس في قلبه، أو يرغب في فعل ولا ينوي القيام به.

كما إن الصدق مع الله سبحانه في الدعوة والجهاد يفرض عليه أن يكون على

بصيرة فيما يدعو إليه ويجاهد من أجله، وهذا يلزم التفقه في الدين والتبصرة فيه بما قال الله عز وجل وقال رسوله ﷺ .

ومن لوازم الصدق في الدعوة إلى الله سبحانه أن يعتني كل مسلم منا بنفسه بالوسائل الشرعية للتربية، وذلك في وسط بيئة صالحة معروفة بصحة الفهم وحسن القصد، يترى معها، ويعد نفسه للتضحية في سبيل الله عز وجل وبذل المال والنفس في ذلك، وأن يوطن نفسه لابتلاءات الطريق ومشاقه، التي هي سنة من سنن الله عز وجل لتمحيص الصفوف، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿١﴾.

ومن لوازم الصدق في التربية إعداد المناهج الكريمة المستمدة من كتاب الله العزيز وسنة نبيه وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم)، وفقه الواقع الذي تعيشه الأمة.

الإحسان

الحُسن هو عبارة عن كل مرغوب فيه، ومنه الحسنه يعبر بها عن كل ما يسر النفس من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والسيئة تضادها ومنه الإحسان ضد الإساءة.

ويجتمع الإحسان والإنعام بمعنى العطاء ولكن الإحسان أهم من الإنعام، بحيث يكون الإحسان للنفس، بينما لا يكون الإنعام إلا للغير، وكذلك الإحسان والعدل ولكن الإحسان فوق العدل لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ ^(٢)، فالعدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقل مما له، لذلك قيل تحري العدل واجب بالشرع، وتحري الإحسان نذب وتطوع.

(١) العنكبوت: ١-٣.

(٢) النحل: ٩٠.

ولقد عرف رسول الله ﷺ الإحسان حين أجاب جبريل - عليه السلام -: «الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١).

والإحسان درجة عالية في مراتب الدين يجب على الإنسان أن يسعى إليها بنية صادقة ومجاهدة مستمرة، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾^(٢).

إن حاجة المجتمع إلى الأخذ بفضيلة الإحسان والتمسك بها حاجة ضرورية، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٣).

وقد أمر الإسلام بالإحسان في كل شيء، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة...»^(٤). ويمثل الإحسان طاقة عظيمة تمد الفرد المسلم بالقوة التي تعينه على السلوك في طريق الحق فلا يبالي بعد ذلك بما يصيبه من بلاء أو يواجهه من أهوال، فينطلق بدعوته للخير دون خوف أو وجل.

القناعة

توجد علاقة متينة بين القناعة وبين الزهد والرضى، ولذلك عرّف بعض أهل اللغة القناعة بالرضى، والقانع بالراضي^(٥). قال ابن فارس: (قنع قناعة: إذا رضي، وسميت قناعة؛ لأنه يُقبل على الشيء الذي له راضياً)^(٦).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان والكفر، باب سؤال جبرئيل النبي صلى الله عليه وآله عن الإيمان والإسلام والإحسان، الحديث رقم: ٥٠.

(٢) البقرة: ١١٢.

(٣) فصلت: ٣٣-٣٥.

(٤) سنن البيهقي: ج ٩ ص ٢٨٠.

(٥) لسان العرب، مادة (قنع) (١١/٣٢١).

(٦) معجم مقاييس اللغة مادة (قنع) (٥/٣٣).

وأما الزهد فهو ضد الرغبة والحرص على الدنيا. والزهادة في الأشياء ضد الرغبة^(١)، وذكر ابن فارس أن مادة (زهد) أصل يدل على قلة الشيء قال: والزهد: الشيء القليل^(٢).

وفي الاصطلاح ذهب بعضهم إلى أن القناعة قد تكون على ثلاثة أوجه: الوجه الأول: أن يقتنع بالبلغة من دنياه ويصرف نفسه عن التعرض لما سواه؛ وهذا أعلى منازل أهل القناعة.

الوجه الثاني: أن تنتهي به القناعة إلى الكفاية، ويحذف الفضول والزيادة، وهذا أوسط حال المقتنع.

الوجه الثالث: أن تنتهي به القناعة إلى الوقوف على ما سُنع، فلا يكره ما أتاه وإن كان كثيراً، ولا يطلب ما تعذر وإن كان يسيراً، وهذه الحال أدنى منازل أهل القناعة؛ لأنها مشتركة بين رغبة ورهبة، فأما الرغبة: فلائنه لا يكره الزيادة على الكفاية إذا سنحت، وأما الرهبة: فلائنه لا يطلب المتعذر عن نقصان المادة إذا تعذرت^(٣).

آثار القناعة:

إن للقناعة فوائد كثيرة تعود على المرء بالسعادة والراحة والأمن والطمأنينة في الدنيا والآخرة ومن تلك الفوائد:

١. امتلاء القلب بالإيمان بالله سبحانه والثقة به، والرضى بما قدر وقسم، وقوة اليقين بما عنده سبحانه ذلك أن من قنع برزقه فإنما هو مؤمن ومتيقن بأن الله تعالى قد ضمن أرزاق العباد وقسمها بينهم حتى ولو كان ذلك القانع لا يملك شيئاً.

٢. الحياة الطيبة: قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

(١) لسان العرب، مادة (زهد) (٩٧/٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة مادة (زهد) (٣٠/٣).

(٣) مختصر من أدب الدنيا والدين: ٣٢٨ - ٣٢٩.

فَلَنُجِيزَنَّهُ حَيَوْهُ طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾،
وَقَسَّرت الحِياةَ الطَّيِّبةَ بـ «القناعة» (٢).

٣. تحقيق شكر المنعم سبحانه: ذلك أن من قنع برزقه شكر الله تعالى عليه، ومن تقالّه قَصَّرَ في الشكر.

٤. الوقاية من الذنوب التي تفتك بالقلب وتذهب الحسنات: كالحسد، والغيبة، والنميمة، والكذب، وغيرها من الخصال الذميمة والآثام العظيمة؛ ذلك أن الحامل على الوقوع في كثير من تلك الكبائر غالباً ما يكون استجلاب دنيا أو دفع نقصها، فمن قنع برزقه لا يحتاج إلى ذلك الإثم، ولا يداخل قلبه حسد لإخوانه على ما أوتوا؛ لأنه رضي بما قسم له. وقد ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام): «انزل ساحة القناعة باتقاء الحرص، وادفع عظيم الحرص بإيثار القناعة» (٣).

٥. حقيقة الغنى في القناعة: ولذا رزقها الله تعالى نبيه محمداً (صلى الله عليه وآله) وامتن عليه بها.

٦. العز في القناعة، والذل في الطمع: ذلك أن القانع لا يحتاج إلى الناس فلا يزال عزيزاً بينهم، والطماع يذل نفسه من أجل المزيد.

السيبل إلى القناعة:

١. تقوية الإيمان بالله تعالى، وترويض القلب على القناعة والغنى؛ فإن حقيقة الفقر والغنى تكون في القلب؛ فمن كان غني القلب نعم بالسعادة وتحلى بالرضى.

٢. تدبر آيات القرآن العظيم ولا سيما الآيات التي تتحدث عن قضية الرزق والاكتساب.

(١) النحل: ٩٧.

(٢) أخرجه عن علي والحسن الطبري في تفسيره (١٤/١٧) عند تفسير الآية (٩٧) من سورة النحل، وأخرجه الحاكم عن ابن عباس وصححه ووافقه الذهبي (٢/٣٥٦).

(٣) بحار الانوار ج ٧٨ ص ٤٥٣ ح ٢١.

٣. معرفة حكمة الله سبحانه في تفاوت الأرزاق والمراتب بين العباد، حتى تحصل عمارة الأرض، ويتبادل الناس المنافع والتجارات، ويخدم بعضهم بعضاً قال تعالى: ﴿أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾^(٢).
٤. الإكثار من سؤال الله سبحانه القناعة، والإلحاح بالدعاء في ذلك؛ فنبينا محمد ﷺ، وهو أكثر الناس قناعة وزهداً ورضى وأقواهم إيماناً و يقيناً، كان يسأل ربه القناعة؛ فعن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ، كان يدعو: «اللَّهُمَّ قَنِّعْنِي بما رزقتني، وبارك لي فيه، واخلف على كل غائبة لي بخير»^(٣).

الأخوة الإيمانية

يتعامل الإمام زين العابدين عليه السلام مع مفهوم الأخوة الإيمانية على أنه من أئمن ما يملكه المسلم في هذه الحياة الدنيا بعد الصلة بالله فعقد الأخوة الإيمانية يمثل «شعاعاً من نور الله» واي وصف اجل من هذا الوصف واي وسام يناله الاخوة المتحابون في الله اغلى من هذا الوسام.

نعم إن هذا العقد (الاخوة) من أقوى الأسباب لمجابهة الصعاب والتحديات، ولحل المشكلات التي تعترض الطريق، وبه يشعر المسلم أنه ليس وحيداً، فهناك من يشد أزره ويضع يده على يده، غير أن هذه الأخوة قد تعكر صفوها هنات وهزات، هي صغيرة ولكنها تكبر مع الأيام ويكبر أثرها، فتتفرق القلوب، وتقع الوحشة وهذا مزلق خطير يجب على الأخ المسلم تجنبه فخسارة أخ لا يعوضها أي شيء.

(١) الزخرف: ٣٢.

(٢) الانعام: ١٦٥.

(٣) المقنع: الصدوق: ٢٥٧.

لقد شدد الإمام زين العابدين (عليه السلام) على الأخوة الصادقة التي يحرص فيها المؤمن كل الحرص على تلبية احتياجات اخوانه فيتعاهد أمورهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، الأخوة التي تحت صاحبها على الحفاظ على الحقوق وصيانتها، وبلغ من تشديد الإمام (عليه السلام) على هذا الأمر أن جعل تضييع حقوق الإخوان ذنب عظيم لا يغتفر فيقول (عليه السلام): يغفر الله للمؤمنين كل ذنب ويظهر منه في الدنيا والآخرة ما خلا ذنبين: ترك التقية، وتضييع حقوق الإخوان^(١).

كذلك من حق الاخ على اخيه الوفاء والثبات عليه، فلا يذكره إلا بخير، ويحفظ غيبته، فلا يعرض به أمام الآخرين بأسلوب ظاهره الشفقة والنصح وباطنه الغيبة المحضمة، بل يجب عليه استحضار محاسن أخيه وحفظه في أسراره فلا يبشها للآخرين، وبذلك لا يدع للشيطان مدخلاً. لهذا وتأكيداً على هذا المفهوم فقد جعل الإمام زين العابدين (عليه السلام) عدم الصدق والوفاء مع الإخوان من الذنوب التي تكون سبباً في عدم استجابة الدعاء فيقول: الذنوب التي ترد الدعاء: «سوء النية، وخبث السرية، والنفاق مع الإخوان...»^(٢).

وللأخوة آداب تمنح الأخوة رونقاً وبهاءً وجمالاً.. فمن هذه الآداب:

- إعلام الأخ بالحب وتبادل المشاعر الإيمانية وإظهارها بالقول والفعل لما لذلك من اثر في النفس.
- الابتعاد عن الإطراء وترك المدح: وذلك صيانة للأفراد من الغرور والإعجاب بالنفس، وصيانة للعلاقات الأخوية، وحفاظاً على المجتمع الإسلامي.
- الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية عدم مواجهة الأخ بالعتاب.
- فن الاستماع: فلا تصرف بصرك عنه، ولا تقاطعه في حديثه، حتى ولو كنت تعلمه.

(١) البحار: ٧٧/٤٨/٣.

(٢) معاني الأخبار: ٢٧١/٢.

- ترك التكلف: من حقوق الاخوة ترك التكلف حتى لا يشعر الأخ أنه غريب عن أخيه، ولا يلجئه إلى الاعتذار دائماً، بسبب هفوة صغيرة، وكلمة عابرة، ويحاسبه على النقيير والقطمير، وليتذكر قول الشاعر:
- ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث، أي الرجال المهذب؟
- الهدية: لما لها من أثر واضح في تصفية القلوب من الأدغال والأحقاد.
- الدعاء بظهر الغيب: لقول الرسول ﷺ: «دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا له بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل»^(١).
- لا تزيد الصلة ولا تنقص بالانقطاع: فالأخوة الصادقة ثابتة لا تتغير مع مضي الوقت فلا تزيد بالبر والصلة، ولا تضعف أو تتلاشى بالانقطاع والجفاء.
- لا ترفع أخاك فوق منزلته: ومن أدب الأخوة أن تضع أخاك في مكانه المناسب، حتى تصفو الأخوة وتدوم.
- الصبر واحتمال الأذى: إن خلق الضجر، وعدم الصبر والتحمل بين الإخوان هو طريق للتفرق والاختلاف، وطريق لزوال الإخاء والود، ولهذا كان احتمال الأذى من أدب الأخوة.

الانحراف الأخلاقي وأثره

تلعب الأمراض الاجتماعية والآفات الأخلاقية دوراً بارزاً في تقويض عرى الحضارات الإنسانية المختلفة؛ فقد أقامت العديد من الأمم السابقة آيات من البناء المادي، وشيدت منجزات حضارية هائلة سرعان ما بادت وانحسرت بتمحورها حول القطب المادي وإغفالها للقيم الروحية والمثل الأخلاقية ودورهما الهام في عملية البناء الحضاري.

(١) أخرجه مسلم (شرح مسلم ١٧/ ٥٠)، أحمد ١٩٥/ ٥، ابن ماجه (٢٨٩٥).

فلم يشهد التاريخ مصرع حضارة فنية المثل والقيم، سليمة من الآفات والعلل الاجتماعية والأخلاقية، ولكنه شهد عدداً من مصارع حضارات وأقوام أفلست أخلاقياً واجتماعياً ودينياً، فحق عليها قول التدمير وكلمة الفناء الأزلي، ولم تغن عنها محصلاتها المادية.

فالقوى المادية وإن كانت تعد من أسباب التحضر والتقدم إلا أنها قد تكون كذلك من عوامل التخلف والشقاء إذا ما قامت الأمم والشعوب بتحويلها إلى أسباب غرور وتفاخر وتسلط وظلم لمن حولها، وتهميش كل ما وراء ذلك. فالفساد والانحراف لا بد أن تجنيه الأمم تردياً وأفولاً وانحساراً في حضارتها، وتلك سنة الله في الأمم؛ ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

والانحراف الأخلاقي من أقوى الأسباب الجالبة لزوال نعم الله وتحول عافيته وفجاءة نعمته؛ فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نعمة إلا بذنب. قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ (١).

فتغير أحوال الأمم والحضارات من الصعود والرقى إلى التدهور والانحسار لا يكون إلا بتغيرهم وتوجههم نحو المعاصي وارتكاسهم في الانحراف والابتعاد عن منهج الله وفطرته. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (٢). فقد أخبر الله تعالى أنه لا يغير نعمته التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه، فإذا غير طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه، كان الهبوط والتردي جزاءً وفاقاً. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَّالٍ﴾ (٣).

بل إن الانحراف الأخلاقي ليقطع على الأمم طريق النهوض والإقالة من العثرات كذلك؛ فإن نعم الله لا تستجلب إلا بطاعته، كما أن النقم تستجلب بمعصيته

(١) الشورى: ٣٠.

(٢) الانفال: ٥٣.

(٣) الرعد: ١١.

والانتكاس عن طريقه؛ فالخالق سبحانه اختط للأمم سنناً في النهوض والبقاء كما وضع لها سنناً وقوانين أخرى في الهبوط والزوال؛ فإذا وظفت الأمم نعم الله عليها من تقدم وتطور في ميادين الحياة المختلفة في معصيته والانحراف عن هديه انقلبت تلك النعم إلى آفات تبطل أعمالها، وتحطم منجزاتها، بل وتكون سائقها إلى سبيل الأفول والانحسار.

إن غياب الوعي بسنن الله في الأنفس والحضارات وأثر الانحراف الأخلاقي في أفولها وانهيارها لا يمكن أن يسوق إلا إلى مزيد من العثرات والانحدارات التي تمهد بدورها السبيل أمام الانحسار التام والسقوط المطبق؛ فالصعود الحضاري في حياة الأمم والشعوب لا يطرأ عليه تغير أو هبوط إلا في حالة سعي تلك الأمم ذاتها في استجلاب ذلك التغير من خلال انحرافها وحيدتها عن طريق الفطرة الإنسانية وانتكاسها في طريق الضلال.

«لقد حوّل الأمويون الانظار إلى الغزوات، وحشدوا جميع الطاقات البشرية والمادية باتجاه الغزوات» وذلك من أجل إشغال المسلمين عن التحدّث حول الأوضاع المنحرفة، وعن التفكير في العمل السياسي أو الثوري لاستبدال نظام الحكم بغيره، ولم يكن هدفهم نشر مفاهيم وقيم الإسلام كما يتصوّر البعض ذلك، لأنهم كانوا قد خالفوا هذه المفاهيم والقيم في سياستهم الداخلية، وداسوا كثيراً من المقدسات الإسلامية، وشجّعوا على الانحرافات الفكرية.

وأدّى توسّع عمليات الفتح والغزو إلى خلق الاضطرابات في المجتمع الإسلامي وتشتيت الأسر بغياب المعيل أو فقدانه، كما كثرت الجوراري والغلمان ممّا أدّى إلى التشجيع على الانحراف باقتناء الأثرياء للجوراري المغنّيات وتملك المختنين، وانتقل الانحراف من البلاط إلى الأمة تبعاً لانحراف الحكّام وفسقهم، فقد انشغلوا باللهو والانسحاق وراء الشهوات دون حدود أو قيود حتى كثر الغزل والتشبيب بالنساء في عهد الوليد بن عبد الملك بشكل خاص^(١).

وليس غريباً أن تنحرف الأمة بانحراف حكامها وولايتهم وأجهزة الدولة، وبهذا الانحراف كانت تبتعد الأغلبية من الناس عن الاهداف الكبرى التي حددها المنهج الإسلامي، ولا تكثرث بالأحداث والمخاطر المحيطة بالوجود الإسلامي»^(١).

الآفات الأخلاقية: آفة حب الدنيا؛

عندما يتعد الناس عن منهج الأنبياء وعن اتباع الشرائع الإلهية، تصبح الدنيا محورهم الأساسي، وهى آمالهم وموضع لذاتهم، ويصبحوا عبيداً لها. ولا فكاك لهم من أسرها. وقد وصف الإمام زين العابدين عليه السلام حال ابن آدم في هذه الدنيا قائلاً: «مسكين ابن آدم! له في كل يوم ثلاث مصائب لا يعتبر بواحدة منهن، ولو اعتبر لهانت عليه المصائب وأمر الدنيا، فأما المصيبة الأولى: فالיום الذي ينقص من عمره، قال: وإن ناله نقصان في ماله اغتم به، والدرهم يخلف عنه والعمر لا يرده شيء. والثانية: أنه يستوفي رزقه، فإن كان حلالاً حوسب عليه، وإن كان حراماً عوقب عليه. قال: والثالثة: أعظم من ذلك قيل: وما هي؟ قال: ما من يوم يمسي إلا وقد دنى من الآخرة مرحلة لا يدري على الجنة أم على النار!»^(٢).

نعم، الدنيا في المفهوم الإسلامي الصحيح وسيلة وذريعة لتحقيق مقاصد الشريعة، والكسب في الدنيا من الواجبات لأنه لا يستطيع الاستقلال بالعبادة إلا بتأمين ضروريات حياته، وكل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. وقد اجاب الإمام زين العابدين عليه السلام - وقد كتب إليه رجل من أهل الكوفة يستخبره عن خير الدنيا والآخرة فكتب -: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن من طلب رضا الله بسخط الناس كفاه الله أمور الناس، ومن طلب رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، والسلام»^(٣).

وقد بعث الله الأنبياء هداة للبشرية ولم يكن من منهجهم الإعراض عن عمارة

(١) ينظر: اعلام الهداية (الإمام الباقر)، المجمع العلمي لأهل البيت: ١٠٢-١٠٣.

(٢) البحار: ٢٥/١٣٩/٧٨.

(٣) الاختصاص: ٢٢٥.

الدنيا، قال تعالى حكاية عن هود عليه السلام: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً﴾^(١)، وقوله تعالى على لسان صالح: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ صَاحِبِيكُمْ أَلَمْ يَقُولُوا كُنْزُكُمْ فِي الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرُوا فِيهَا﴾^(٢).

آفة الظلم:

الظلم آفة تهدر قيمة الإنسان، وتحطّم القيم والأخلاق وتملأ الأرض فساداً وتجعل الناس مستعبدين لحفنة من شياطين الإنس الذين كرهوا ما أنزل الله تعالى فظلموا وبغوا في الأرض بغير الحق، وهو داء عضال أصاب الأمة الإسلامية في صميم كيانهما فحدا بها إلى أسفل السافلين.

والظلم: وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه، وعليه فكل ذنب عُصي الله به سواء كان ذلك الذنب شركاً بالله عز وجل أو دون ذلك من سائر المعاصي ومظالم العباد، داخل في مسمى الظلم؛ لأنه وضع للشيء في غير موضعه الذي يرضاه الله عز وجل.

والآيات الواردة في ذم الظلم وأهله كثيرة جداً ومتنوعة، منها:

١. ما ورد في وصف الشرك والكفر بالظلم والمشركين والكافرين بالظالمين ومنها قوله تعالى: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٤).

٢. ما ورد في ذكر خيبة الظالمين ومقت الله لهم وعدم هدايتهم وتوفيقهم يقول تعالى: ﴿لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^(٥).

(١) الاعراف: ٦٩.

(٢) هود: ٦١.

(٣) لقمان: ١٣.

(٤) البقرة: ٢٥٤.

(٥) الانعام: ٢١.

٣. ما ورد في ذكر إهلاك الله تعالى للظالمين في الدنيا وما أعد لهم من النكال والعذاب في الآخرة. يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظُلُمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ﴾^(٢).

٤. ما ورد في وصف ما دون الشرك من المعاصي بالظلم سواء ما كان منها بين العبد وربّه أو ما كان ظلماً للعباد ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْدَ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾^(٣)، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(٤).

أما الأحاديث الواردة في ذم الظلم وسوء عاقبة الظالمين فكثيرة منها التي وردت في ذم الظلم وسوء عاقبة الظالمين بعامّة. ويلاحظ أن معظم هذه الأحاديث كانت تتوجه إلى صورة واحدة من صور الظلم ألا وهو ظلم العباد والاعتداء على حقوقهم.

وعن ذلك يحدثنا الإمام الباقر عليه السلام: «لما حضر علي بن الحسين عليه السلام الوفاة ضمّني إلى صدره، ثم قال: يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي عليه السلام حين حضرته الوفاة وبما ذكر أن أباه أوصاه به، قال: يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله»^(٥).

صور الظلم

ويتفاوت الظلم من حيث شدته وعظمه وشناعته ومن حيث الجهة التي وقع عليها، مع أن من صدر منه الظلم هو في حقيقته ما ظلم إلا نفسه؛ لأنه أوبق نفسه

(١) هود: ١٠٢.

(٢) سبأ: ٤٢.

(٣) الطلاق: ١.

(٤) النساء: ١٠.

(٥) الكافي ج ٢ ص ٣٣١ ح ٤ و ٥.

بظلمه لها بالمعاصي ومظالم العباد. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لَقْمَنُ لِبَنِيهِ - وَهُوَ يَعِظُهُ - يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

القسم الأول: ظلم النفس بالظلم الأعظم:

وهو الكفر بالله تعالى والإشراك به سبحانه: قال الله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وقال: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وهذا النوع من الظلم لا يغفره الله عز وجل لو مات صاحبه بلا توبة، وهو مخلد في النار. وكونه أعظم الظلم؛ لأنه وضع للعبادة في غير موضعها، وصرفها عن الله عز وجل الخالق الرازق رب العالمين إلى مخلوق ضعيف لا يملك نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً. ومن صور هذا الظلم العظيم ما يلي:

- أ - الشرك في الربوبية: وهو اعتقاد أن غير الله عز وجل يخلق أو يرزق أو يدبر شيئاً في هذا الكون من دون الله عز وجل أو مع الله عز وجل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً كشرك أهل التعطيل والفلاسفة ومن يقولون بقدم العالم، وكشرك النصارى الذين يقولون: إن الله سبحانه ثالث ثلاثة، وكشرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة... إلخ.
- ب - الشرك في الألوهية: وهو اعتقاد شريك لله تعالى في الإلهية والطاعة والعبادة، وهو شرك الجاهليين في القديم والحديث.
- ج - الشرك في الولاية والمحبة: وذلك بعدم البراءة من الشرك وأهله، أو محبتهم محبة قلبية لدينهم، أو نصرتهم على المسلمين، كل ذلك مما يوقع في الشرك الأكبر والظلم الأعظم، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَأُطِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٢)، وقال عن اليهود والنصارى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣).

(١) لقمان: ١٣.

(٢) الانعام: ١٤.

(٣) المائدة: ٥١.

د - ومن صور الظلم الأعظم إنكار ضروري من ضروريات الإسلام يرجع إلى التكذيب بخبر الله عز وجل وخبر رسوله ﷺ، أو رداً لأمر الله سبحانه وأمر رسوله.

القسم الثاني: ظلم النفس بوقوعها في مظالم العباد:

وهذا النوع من الظلم إثمه وعقوبته التي لا تزول إلا برد المظالم إلى أهلها، أو استباحتهم منها وإلا كان القصاص يوم القيامة بالحسنات والسيئات، وكفى بهذا حاجزاً عن الظلم، وكفى به رادعاً وواعظاً للعبد المسلم في أن يتخفف من حقوق العباد، ويخرج من هذه الدنيا سالماً لا يطلبه أحد من العباد بمظلمة في دين أو نفس أو مال أو عرض. وهذه الأمور لا تكاد تخرج مظالم العباد عنها.

وظلم الناس إنما ينشأ من الإضرار بهم في دينهم أو دنياهم ويكون ذلك بأمرين: إما بمنعهم حقوقهم، أو بفعل ما يضر بهم.

أ - من صور ظلم العباد في دينهم:

التسبب في صرف الناس عن دينهم وعقيدتهم وأخلاقهم، سواءً بإثارة الشبهات التي ينحرف بها العبد عن عقيدته الصافية فيقع في الكفر أو البدعة، أو بإثارة الشهوات التي توقع العبد في الرذيلة والفسق والفجور. فهذا كله من الظلم العظيم للناس في دينهم وأخلاقهم.

ومن الظلم تقصير العلماء وطلبة العلم في تعليم الأمة أمر دينها فيتركها في لهوها وفسادها لا تؤمر ولا تنهى، أو تركها حائرة فيما ينزل عليها من النوازل دون هدايتها إلى وجه الحق في ذلك، كما أن من الظلم المبين كتم الحق عنها أو لبسه بالباطل.

ب - من صور ظلم العباد في النفس والعقل:

التعدي على النفس المحترمة بغير وجه حق بقتل أو ضرب أو سجن أو

تعذيب... إلخ. ويدخل في ذلك كل من باشر الاعتداء بنفسه أو أمر به أو أعان عليه أو أشار به أو فرح به أو شمت أو قعد عن نصرته المعتدى عليه وهو يقدر على ذلك.

ج - من صور ظلم العباد في أعراضهم:

ومن أشد الظلم على العباد هتك الأعراض وإشاعة الفاحشة بينهم، ومحاربة الشريعة الغراء التي من مقاصدها حفظ الأعراض، وقذف المحصن من المسلمين والمسلمات دون بيئة شرعية؛ مما يلحق الأذى والعار بالمقدوف، ولا يخفى ما جاء من الآيات والأحاديث في النهي عن ذلك، والاعتداء على أعراض العباد بالغيبة والنميمة والفحش والسخرية والاستهزاء، والكذب عليهم، ويشتد الإثم في ذلك عندما توجه هذه الآفات إلى أهل الخير من العلماء والدعاة والمصلحين.

د - من صور ظلم العباد في أموالهم:

- الاعتداء على الأموال سواء بسرقة أو إتلاف أو بالتحايل والخداع، وسواء كان المسروق عيناً أو نقداً. ويدخل في ذلك السرقة من الأموال العامة للمسلمين كبيت المال والصدقات وغنائم المجاهدين. قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^(١)، ويلحق بذلك كل من استؤمن على مال لحفظه أو استثماره ثم خان صاحب المال أو فرط في حفظه وتنميته، ويشتد الإثم إذا كان الاعتداء أو التفريط في حفظ المال العام والأوقاف وأموال اليتامى.

كذلك الاستيلاء على الأموال بالغصب والقوة؛ ويتضح هذا جلياً في ظلم الأرض والعقار حيث يُستولى على الأراضي وتغير المنارات، وفي هذا جاء الوعيد الشديد؛ حيث قال: «من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طوّقه الله يوم القيامة من سبع أرضين»^(٢).

أيضاً التسبب في قطع حق المسلم من مال أو غيره إما بشهادة زور أو يمين

(١) آل عمران: ١٦١.

(٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ٥٨.

كاذبة أو وجهة... إلخ. قال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة»، فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ فقال: «وإن كان قضيياً من أراك»^(١).

ومن الظلم أخذ الرشاوي من الناس ومنعهم حقوقهم إلا بها، وهذا من أكل المال بالباطل، ويدخل في أكل المال بالباطل التعامل بالقمار والميسر.

ومما يدخل في ظلم الناس في أموالهم ما يقع بينهم من البيوع المحرمة التي يتضرر فيها أحد المتبايعين أو كلاهما، وهي كثيرة ومتنوعة منها بيع الغرر أو بيع ما لا يملك أو بيع النجش، ومنه منع الزكاة وعدم إيصالها لمستحقيها.

عاقبة الظالم

الظلم مرتعه وخيم، وشؤمه جسيم، وعاقبته أليمة، وقد توعد الله أهله بالعذاب والنكال الشديد، فقال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٢)، وقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾^(٣)، ويسن سبحانه وتعالى أن الظالم محروم من الفلاح في الدنيا والآخرة، ومصرف عن الهداية في أمور دينه ودنياه، فقال: ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^(٤)، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٥).

وعن جابر الانصاري (رض) أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم»^(٦).

(١) سنن النسائي ج ٨ ص ٢٤٦.

(٢) الفرقان: ٣٧.

(٣) ابراهيم: ٤٢-٤٣.

(٤) الانعام: ٢١.

(٥) المائدة: ٥١.

(٦) مسند أحمد ج ٣ ص ٣٢٣.

التوبة علاج الظلم:

وعن كيفية التوبة من ظلم العباد في ضرورياتهم الأساسية التي جاءت الشريعة للحفاظ عليها وحمايتها من المعتدين:

أولاً: التوبة من ظلم العباد في دينهم:

من كان له دور في إضلال الناس في عقيدتهم أو شريعتهم أو أخلاقهم فإن من تمام توبته أن يقلع بنفسه عن ضلاله وإضلاله، وأن يندم على ما فعل، ثم لا بد له بعد ذلك أن يبذل جهده ووسعه في إصلاح ما أفسد، وأن يعلن توبته للناس ويبين لهم ضلال ما كان عليه لقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(١)، وبدون ذلك فإن التوبة غير تامة.

ثانياً: التوبة من ظلم العباد في أبدانهم وأنفسهم:

ما كان من هذه المظالم مما هو دون القتل كضرب أو جرح ونحوهما فالتوبة تكون بالندم على الفعل واستغفار الله عز وجل وهذا مما يتعلق بحق الله عز وجل، ويبقى حق المظلوم فلا يسقط إلا بأن يعفو عن الظالم أو يأخذ بالقصاص منه؛ فحيث تبرأ ذمة الظالم؛ وبدون ذلك يبقى الحق معلقاً إلى يوم القصاص يوم القيامة. أما جريمة القتل فالتوبة منها شاقة لموت المقتول وفوات نفسه دون أن يستدرك ظلامته، ولذلك يرى بعض العلماء أن لا توبة له ولا بد من القصاص يوم القيامة، فيما يرى آخرون أن الحق يسقط إذا سلم نفسه للقصاص في الدنيا وصدق في توبته مع الله عز وجل.

ثالثاً: التوبة من ظلم العباد في أعراضهم:

- إن كان الظلم بالنيل من أعراضهم بالغيبة والنميمة والسخرية فإنه لا بد مع استغفار الله من التحلل من أصحاب الحقوق، وطلب المسامحة منهم ما داموا على قيد الحياة، فإذا تعذر هذا لموت صاحب الحق، أو خوف المفسدة

من الملامة ينبغي الإكثار من الاستغفار له والثناء عليه في المجالس التي أساء فيها إلى المظلوم.

- وإن كان الظلم بالقذف والتهم الباطلة فعليه التوبة النصوح بشروطها مع إصلاح ما فسد؛ ومن ذلك تكذيبه لنفسه حتى ينتهي العار عن المقذوف.
- وإن كان الظلم بإشاعة الفاحشة وترويجها بين الناس بكلمة أو كتاب، أو غير ذلك من الوسائل التي تثير الشهوات وتهتك الأعراض؛ فإن من تمام التوبة منها الإقلاع عنها، والندم على ما حصل، وإصلاح ما نشأ من فساد بسببها، وذلك حسب الجهد المستطاع، بأن يتبرأ هؤلاء الظالمون من أفعالهم ويبينوا للناس بطلانها، وأن لا يفتروا عن الإصلاح وبذل النصح للأمة. قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

رابعاً: التوبة من ظلم الناس في أموالهم:

الأصل في التوبة من حقوق الناس المالية أن ترد إلى أهلها في الحياة الدنيا، فإذا تاب الظالم توبة نصوحاً وندم وأقلع ثم رد الأموال المسروقة أو المغصوبة إلى أهلها فقد برئت ذمته.

أما إذا لم يهتد إلى أصحاب الأموال لموتهم أو جهله بهم فإنه يردها إلى ورثتهم، فإن لم يتوصل إليهم فإن بعض العلماء يرى أن يتصدق بها عن أصحابها؛ وبذلك تبرأ الذمة إذا صدقت التوبة.

من صور الظلم الأخرى:

ظلم العباد بعضهم لبعض لا ينحصر في صور معدودة، بل كل تعد على مصالحهم، أو تقصير في حقوقهم؛ فإنه يعد ظمناً لهم، سواء كان ذلك بالقول أو بالفعل. ولذلك قال النبي ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٢).

(١) النمل: ١١.

(٢) بحار الانوار ج ١ ص ١١٣.

فبيّن في هذا الحديث علامة المسلم التي يُستدل بها على حسن إسلامه، وهي سلامة المسلمين من لسانه ويده، كما ذكر مثله في علامة المنافق.

وخصّ اللسان بالذكر لأنه المعبر عما في النفس، وهكذا اليد؛ لأن أكثر الأفعال بها، وعبر باللسان دون القول؛ ليدخل فيه من أخرج لسانه على سبيل الاستهزاء، فاشتمل الحديث على جميع أنواع الظلم بالقول والفعل.

ومن صور الظلم باللسان: الغيبة والنميمة، والكذب والبهتان، والسب والشتم، والتنازع بالألقاب، والسخرية والاستهزاء، والإهانة والتحقير، والقذف والاتهام بغير حق، ونشر قالة السوء عن الناس، وفضح أسرارهم، إلى غير ذلك من أنواع الظلم بالقول واللسان.

أما الظلم بالفعل والجوارح؛ فإنه يكون بالضرب والقتل بغير حق، وبالسرقة والغش والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل، ومنه كذلك الزنا واللواط، والتجسس والتصنّت، وتتبع العورات، والتلصص على محارم الناس.

ومن صور الظلم الشائعة الدائنة بسبب الشح والبخل، وإيثار الدنيا على الآخرة: أكل أموال الناس بالباطل، وذلك عن طريق الجحود والمماطلة، أو الغش والمخادعة، أو عن طريق الرشوة، أو الربا، أو أكل مال اليتيم، أو عن طريق التدليس والتلبيس.

وحذّر النبي ﷺ من جحد الحقوق، والمماطلة في أداء الديون، فقال: «مطل الغني ظلم»^(١)، وقال: «قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره»^(٢).

ومن أقبح صور الظلم: الجراءة على الله تعالى بشهادة الزور، يبذلها المرء لقاء أجر خسيس خبيث، أو محاباةً لقريب أو صديق، أو مجاملة لرئيس أو

(١) المبسوط، الطوسي ج ٢ ص ٢٧٧.

(٢) مسند أحمد ج ٢ ص ٣٥٨.

وجيه، أو للإضرار بخصم أو منافس، أو لغير ذلك من الأغراض الفاسدة، ليقطع بها مال امرئ مسلم، أو ليُضيع بها حقاً من حقوقه، أو ليثبت عليه شيئاً هو بريء منه.

يقول النبي ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً قلنا: بلى يا رسول الله! قال: الإشرار بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور. فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت!»^(١).

آفة الاستبداد:

إن الاستبداد خصلة لا يعجز عنها أحد في الغالب، وهو دليل على العجز والضعف. ولكن فتح أبواب المشورة، والتراجع عن الخطأ، واتساع الصدر للرأي المخالف، منزلة لا يرقى إليها إلا عباد الله المخلصون. عن الإمام علي عليه السلام: المستبد متهور في الخطاء والغلط^(٢). وعنه عليه السلام: الاستبداد برأيك يزلك ويهورك في المهاوي^(٣). كما ورد عنه عليه السلام: من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها^(٤).

والاستبداد صفة من صفات التسلط وفرض الرأي بالقوة، وهو يقتضي تكميم الأفواه، وقطع الألسن؛ فلا تتحدث إلا في مجال محدود لا تتجاوزه وبطريقة معينة لا تتغير.. بل ينطلق الاستبداد أحياناً ليحجر على أفكار الإنسان وخواطره، بل أنفاسه وزفراته..!

آفة النفاق:

المنافق: هو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب

(١) مستدرک الوسائل، حسين النوري ج ١٧ ص ٤١٦.

(٢) غرر الحكم: ١٢٠٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) نهج البلاغة: الحكمة ١٦١.

بالمعنى المخصوص به، وإن كان أصله في اللغة معروفاً^(١). وفي صفة المنافق يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام): المنافق ينهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي، إذا قام في الصلاة اعترض، وإذا ركع ربض، وإذا سجد نقر، وإذا جلس شغل، يمسى وهمه الطعام وهو مفطر، ويصبح وهمه النوم ولم يسهر، إن حدثك كذبك، وإن وعدك أخلفك، وإن ائتمنته خانك، وإن خالفته اغتابك^(٢).

وأساس النفاق الذي بني عليه: أن المنافق لا بد وأن تختلف سريره وعلايته، وظاهره وباطنه، ولهذا يصفهم الله في كتابه بالكذب كما يصف المؤمنين بالصدق، قال الإمام الباقر (عليه السلام): بش العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إن أعطي حسده، وإن ابتلي خذله^(٣).

من صور النفاق:

— أذى الرسول ﷺ أو عيبه ولمزه:

وهذا داخل في سبه ﷺ لأن السب: هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، والعيب، واللمز فيه انتقاص. قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾^(٤).

— التولي والإعراض عن حكم الله ورسوله ﷺ:

ذكرت هذه الصفة عنهم في سورتي النساء والنور، قال تعالى: ﴿وَقَوْلُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٥).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٩٨/٥ لسان العرب ١٠/٣٥٩.

(٢) أمالي الصدوق: ٣٩٩..

(٣) أمالي الصدوق: ٢٧٧.

(٤) التوبة: ٥٨.

(٥) النور: ٤٧-٤٨.

– مظاهر الكافرين ومعاونتهم على المؤمنين:

وهذه من أخص صفات المنافقين، فهم في الظاهر مع المؤمنين، لكنهم في الحقيقة مع الكفار عيوناً وأعواناً لهم، يكشفون لهم عورات المسلمين وأسرارهم، ويتربصون بالمؤمنين الدوائر. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْنُ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدِيمَةً﴾ (١).

ومن الآيات الصريحة دلالتها في اتصاف المنافقين بهذه الصفة قوله تعالى: ﴿يَشِيرُ الْمُتَّقِينَ يَا نَحْنُ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُوهُمْ عِنْدَهُمُ الْغُرَّةَ فَإِنَّ الْغُرَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (٢).

– المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ أو الكراهية لانتصار دينه:

وهذه الصفة ذكرها الله عز وجل عن المنافقين في أكثر من موضع، فهم بسبب موالاتهم للكافرين يسعون معهم لإضعاف المسلمين وإثارة الفتن بينهم والتخذييل وسيئون الظن بوعده الله ونصره، ويحبون ظهور الكفار وانتصارهم على المسلمين ويفرحون بذلك، وبالمقابل يصيبهم الهم والغم حينما ينتصر المسلمون. قال عز من قائل: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فُسُّوهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَكَتَلُواوَهُمْ قَرِحُونَ﴾ (٣).

والذين يسوؤهم انتصار دين الرسول ﷺ حكمهم حكم من يسوء انتصار الرسول نفسه، ولذلك ورد في الآية السابقة: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فُسُّوهُمْ...﴾، وفي آية أخرى، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ فُسُّوهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ

(١) المائدة: ٥١-٥٢.

(٢) النساء: ١٣٨-١٣٩.

(٣) التوبة: ٥٠.

سَيَنْتَهُ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ نَصِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١﴾.

آفة اللسان

يُعَدُّ الخلل في ضبط الكلام وعدم الالتزام بمنهج الإسلام في استقامة اللسان من أهم أسباب هدم صفاء الأخوة ونقاء المحبة، بل من أهم أسباب تقويض البنيان وضياح الجهود وتفرق الكلمة. فاللسان مفتاح الخير والشر وفي ذلك يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام): «احفظ عليك لسانك تملك به إخوانك» (٢).

وقد وضع الإسلام الأصل المتمثل برسول الله وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) منهجاً قوياً في استقامة اللسان يمكن تلخيصه في أمور:

١. اختيار أحسن اللفظ وأجمله حين الكلام سواء كان ذلك في محاضرة أو موعظة أو نقاش علمي أو نقد بناء أو نصيحة صادقة أو غير ذلك لأن في ذلك كله أماناً من نزغات الشيطان وتسويله.
٢. الإمساك عن الكلام إلا لمصلحة راجحة والتحرز الشديد من الكلمة وحصرها في نطاق ضيق.
٣. وزن الكلام وضبطه والتأمل فيه وفي عواقبه قبل إخراجهِ وعدم التسرع فالكلمة إذا خرجت لم تعد.
٤. القول بالعدل والصدق وإن كان ذلك على أقرب قريب، والحذر من مسايرة الحماس والعواطف الجياشة وخاصة في المحافل العامة وعلى منابر النصحو والإرشاد.
٥. البعد عن تحريف الكلام وليه والمغالطة فيه وأن يكون كلامه لإخوانه واضحاً صريحاً غير محتمل للتأويلات للشحناء والبغضاء والتدابير وانعدام الثقة.

(١) آل عمران: ١٢٠.

(٢) الاحتجاج: ١٩١/١٥٧/٢.

٦. الالتزام بالقول وتصديقه بالفعل وعدم الفصل بينهما.
٧. ترك الجدل والمراء وكل صنف من أصناف الكلام المؤدية إلى فساد القلوب وشحناء الصدور من لمز أو همز أو غمز مع اللين في القول لإخوانه المؤمنين وترك الغلظة والفحش.
٨. محاسبة النفس على كل كلمة خرجت والنظر في عاقبتها والخشية من الله سبحانه حين السؤال ووزنها بميزان الله أهى مما يرضي الله أم مما يسخطه.
٩. التحلي بلباس التقوى في كل حال من أحوال الكلام فإن الله هو المطلع وهو الذي سيحاسب، كيف وقد قال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

آثار عدم ضبط اللسان

ويترتب على ترك تلك الضوابط التي مر ذكرها جملة أمور...

١. نفسي أمراض وآفات اللسان كالغيبة والبهتان والنميمة يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢).
٢. الرجم والتخرص دون تبين أو تمحيص أو معرفة، وقد خاطب الله تعالى المؤمنين بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهْلِكِهِمْ فَيُضْحِكُوا عَلَيْكُمْ فَمَا فَعَلْتُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾^(٣) وفي الحديث: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»^(٤).



-
- (١) النور: ٢٤.
 - (٢) الحجرات: ١٢.
 - (٣) الحجرات: ٦.
 - (٤) تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٣٣١.

٣. بخس الناس أشياءهم وترك العدل في القول. يقول سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا قَوْمِينَ بِأَلْسِنَةٍ أُنْقِصَتْ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾^(٢) وقوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(٣).
٤. مخالفة العمل للقول، فيصبح في عداد المنافقين، والله قد مقت من هذا وصفه بقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٤). وأمر بالوفاء بالعهود والمواثيق فقال: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾^(٥) وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(٦).
٥. فساد القلب عن طريق اللسان الذي خلقه الله لذكره وتلاوة كتابه، فيغدوا القلب مظلمًا مكدرًا بدران اوساخ الذنوب فيحرم العبد القبول ويمنى بعدم النفع، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٧).
٦. عدم الاتزان في القول والتردد بين الإفراط والتفريط فيؤدي به إلى البعد عن الحق وميزان العدل.
٧. تفسير النصيحة على غير وجهها وتقديم الظن السيئ على حسن النية مما يسبب في انعدام النصح وتركه بين افراد المجتمع. فحين يأتي الناصح ليقول حقاً يتبادر لذهن المنصوح أولاً الظن السيئ، والتفسير المغلوط، فلا يقبل النصح ولا يتأثر به.
٨. التباعد والتباغض بين ابناء المجتمع الواحد وعدم استفادة بعضهم من بعض.

(١) النساء: ١٣٥.

(٢) الانعام: ١٥٢.

(٣) المائدة: ٨.

(٤) الصف: ٢-٣.

(٥) الانعام: ١٥٢.

(٦) الاسراء: ٣٤.

(٧) الشعراء: ٨٨-٨٩.

٩. انعدام الثقة وتفشي سوء الظن يؤدي إلى تنافر القلوب وتباعدها.
١٠. انعدام البركة وتأخر الثمرة وهذا نتيجة عدم الالتزام الصادق بأمر الله ومنهجه. فكم تبذل من جهود فإذا بحثت عن الثمرة وجدتها لا تتناسب مع هذه الجهود؛ وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَا تَنْزَعُوا عَنْهَا وَلَكُمْ فِيهَا لُغُوبٌ﴾ (١).
١١. غياب النقد والمراجعة والتناصح لأنه قد اختلطت المفاهيم فلم يعد يُفرق بين النقد البناء والنصح الصادق وبين السب والشتيم والتخرص وهكذا تضع الجهود والتجارب دون استفادة من الدروس وأخذ العبر وتصحيح المسار.
١٢. ضعف التخطيط وضيق الجهود على المستوى العام وانعدام عنصر التعاون لغياب وحدة الموقف.
١٣. قسوة القلوب وصدؤها وبلادة الحس وعدم الشعور بالإثم، إذا تحول آفات اللسان إلى تركة عظيمة من الذنوب فيغلب الرين على القلب ليصل به إلى مرحلة الختم. يقول تعالى: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشًوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢).

آفة الإسراف

السَّرَفُ في كلام العرب له أصل واحد، يدل على تعدي الحد والإغفال أيضاً، تقول: في الأمر سَرَفٌ، أي مجاوزة القدر، ويقولون أن السَّرَفَ: الجهل، والسَّرَفُ: الجاهل.

قال ابن الأعرابي: أسرف: إذا أخطأ، وأسرف إذا غفل، وأسرف إذا

(١) الانفال: ٤٦.

(٢) البقرة: ٧.

جهل. وسرف الماء ما ذهب منه في غير سقي، فيقال أروت البئر النخيل وذهب بقية الماء سرفاً، والسرف القصد، سرف الفؤاد: غافل، سرف العقل: أي قليل العقل^(١).

ويقع الإسراف يكون في الإنفاق وغيره، يقول تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٢)، ويقول في شأن الإنفاق: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٣).

وهكذا فإن الإسراف يشمل كل تجاوز في الأمر، وقد جاء في القرآن الكريم على معاني متقاربة ترجع جميعها إلى الأصل اللغوي وهو التجاوز في الحد. وقد بين رسول الله ﷺ بعض علامات المسرف فقال: أما علامة المسرف فاربعة: الفخر بالباطل، ويأكل ما ليس عنده، ويزهد في اصطناع المعروف، وينكر من لا ينتفع بشيء منه^(٤).

- الإسراف صفة من صفات الكافرين، يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ اسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾^(٥).

- والإسراف صفة من صفات الجبارين الذين يملكون بأيديهم السلطة والمال، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَمَالِي فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٧).

- والإسراف والتبذير يلتقيان في معنى الإنفاق بغير طاعة، ولكن الإسراف

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس ج ٣ ص ١٥٣. المخصص، ابن سيده ج ١ ق ٣ ص ٣٥. لسان العرب، ابن منظور ج ٩ ص ١٥٠.

(٢) الزمر: ٥٣.

(٣) الأعراف: ٣١.

(٤) تحف العقول: ٢٢.

(٥) طه: ١٢٧.

(٦) يونس: ٨٣.

(٧) الشعراء: ١٥١.

أعم من التبذير، لأن التبذير معناه التفريق وأصله إلقاء البذر في الأرض واستعير لكل مضيع ماله، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾^(١).

والإسراف والسفه يلتقيان في معرض الغفلة والطيش وخفة النفس ونقصان العقل، وإن ما يحصل من السفه في إنفاق المال بما لا يرضي الله ليبين الحقيقة في أن السفه سبب من أسباب الإسراف.

ويختلف الإسراف عن الكرم رغم أن كلا منهما عطاء، لكن الكرم يكون وفق أصول الشرع، مثل: إطعام الضيف، وإكرام الفقير، فعن رسول الله ﷺ: «لا خير في السرف، ولا سرف في الخير»^(٢).

والإسراف كما يكون من الغني، فقد يكون من الفقير أيضاً، لأن الإسراف في هذه الحالة أمر نسبي.

لقد قدم الإسلام للبشرية منهجاً متكاملًا وتصوراً واضحاً عن طبيعة التصرف في جميع شئون الحياة، وبين بشكل واضح حدود الحلال والحرام فيها، ونهى عن الإسراف في شتى صورته.

إن أبشع صور الإسراف عندما يكون في معصية الله والتعدي على حدوده، فهو محرم بالإجماع.

وأما الإنفاق في المباحات فيجب الالتزام بالعدل والاستقامة والتوسط فيها، حتى لا يتحول الإنفاق على المأكول والمشرب والملبس إلى البذخ والتفاخر والتعالي على الناس، بل إن أشهر مواضع الإسراف أن تقام الولائم العظيمة ويدعى إليها الأغنياء، ويحرم منها الفقراء وإن ما يلقي منها في الفضلات ليشبع خلقاً كثيراً من أهل الحاجة في مناطق المجاعة.

وفي مجال العقوبات والحدود؛ فإن الشرع قد أقر عقوبات محددة على أفعال

(١) الإسراء: ٢٧.

(٢) بحار الانوار ج ٧٧ ص ١٦٥ ح ٢.

معلومة، ولا يجوز التجاوز في تنفيذها عن حدها المقرر، وقد شدد الإسلام على الالتزام بهذا المنهج في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾^(١)، أي لا يتجاوز في القتل إلى غير القاتل من إخوانه وأقربائه كما كان يفعل أهل الجاهلية قديماً، ويؤكد الإمام الباقر (عليه السلام) على هذه الحقيقة: «المسرفون هم الذين يستحلّون المحارم ويسفكون الدماء»^(٢).

آفة الحسد

إن من الصفات الذميمة التي ينبغي للمسلم الحذر من الاتصاف بها، والتي جاء الشرع بدمها صفة الحسد. ذلك لأن الحاسد عدو لنعمة الله، متسخط لقضائه، غير راض بقسمته بين عباده. والحسد أول ذنب عصي الله به في السماء حين حسد إبليس أبانا آدم وزوجه وهو أول ذنب عصي الله به في الأرض حين حسد ابن آدم أخاه حتى قتله. قال الإمام الباقر (عليه السلام) محذراً من هذه الآفة الفتاكة: إن الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»^(٣).

وإنه لا يتصف بهذه الخصلة إلا ذوو النفوس الضعيفة، فذنب المحسود إلى الحاسد دوام نعمة الله عليه ليس إلا وشر الحسد عظيم.

قال الشاعر:

ألا قل لمن ظل لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه لأنك لم ترض لي ما وهب
فأخزأك ربي بأن زادني وسدّ عليك وجوه الطلب^(٤)
وإن مما يدعو للعجب من حال الحاسد أنه يحسد قرينه أو صديقه على نعمة

(١) الإسراء: ٣٣.

(٢) نور الثقلين ج ١ ص ٦٢١.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٣٠٦ ح ١.

(٤) تفسير الرازي، فخر الدين الرازي ج ٢٩ ص ٣١٦.

آتاها الله إياه مع أن كثيراً من الناس قد أوتوا مثل هذه النعمة وأكبر منها، لكنه لا يحسدهم عليها وما ذلك إلا لشيء قام في نفس الحاسد وكُرو مستقر حملة لصاحبه. وما الحسد إلا نتيجة الجهل وضعف النفوس وقلة الإيمان في قلوبهم وقلة العلم في صدورهم.

وإن من وسائل دفع الحسد واتقاء الاتصاف به:

- التفكير في وافر نعمة الله على العبد والنظر إلى من هو أدنى فيكون بذلك حق النعمة الشكر لا الحسد.

- العلم بأن الحسد يفعل بالحاسد أكثر من فعله بالمحسود.

آفة البدعة

عرّف العلماء البدعة بأنها طريقة محدثة في الدين يضاهي بها أحد مقتضياته، إلا أن هذه المضاهاة تنطلق من معقول بشري محدود ليس له القدرة على استطلاع حكمة الله في تشريعه، ولا علم الله بما تصلح به أمور عبادته، يأتي العقل البشري فيرى حسناً ما ليس بالحسن ويظن نقصاً فيما فيه الكمال، فيقول اجتهداً أو انسياقاً وراء هوى أو إغواء شيطان ما ليس في الدين في شيء مما هو محض الإحداث والابتداع.

لقد حرص الإمام زين العابدين عليه السلام على سلامة أمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله من وساوس الشيطان وخواطره وإيحاءاته وهمزاته، وحذر الأمة أن يدخل الشيطان عليها مع مداخلة على من سبقها من الأمم من يهودية ونصرانية وغيرهما، فإن أكبر باب للشيطان للضلالة والإضلال هو باب الغلو والابتداع.

لقد قيض الله تعالى لسنة رسوله صلى الله عليه وآله أئمة طاهرين صالحين نقلوها إلى الأمة الإسلامية نقية صافية وبذلك تحقق قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»^(١)، وقوله: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي»^(٢).

(١) إرشاد القلوب: ج ١ ص ٣٧ ب ٥.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٤١٥.

فكان الإمام زين العابدين (عليه السلام) حريصاً كل الحرص على تجنب المجتمع الإسلامي البدع وأهل البدع فأكثر من ذم الابتداع وحض الأمة على التمسك بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ولا شك أن الابتداع يعمل تشويه الدين وطمس معالم الإشراف فيه، والتحكم على الله وعلى رسوله، والاشتراك مع الله تبارك وتعالى في التشريع بما لم يأذن به الله تعالى، وفضلاً عن هذا الأثر السيء للابتداع فإنه يستلزم أموراً مهينة أهمها ما يلي:

- القول بلسان المقال أو بلسان الحال: أن الدين ناقص وأن هناك جوانب تكميلية ينبغي الأخذ بها تكملة للدين، وفي هذا رد قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١)، كما أن فيه تكديباً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) والمبتدع يعترف أن لا سند لبدعته من كتاب ولا سنة، ولكنه يدعي أنها عمل صالح. فما صلاح عمل لم يأمر به الله ولم يفعله رسوله الله؟! وما صلاح عمل يراد به إكمال ما أكمله الله على أتم وجه ورضيه؟! عمل

- إن الابتداع يستلزم القدح في إبلاغ رسول الله رسالة ربه، فلقد أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق، وأمره بإبلاغ الرسالة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(٢).

إن في الابتداع مخالفة صريحة لأوامر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإنه أكد ضرورة التمسك بسنته والابتعاد عن الابتداع والإحداث في الدين، كما أكد أن الإحداث في الدين مردود ولا شك إن مخالفته (صلى الله عليه وآله) مظنة الفتنة. وعن الإمام علي (عليه السلام) مبينا معنى البدعة: أما أهل البدعة فالمخالفون لأمر الله ولكتابه ورسوله، العاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثروا^(٣).

(١) المائدة: ٣.

(٢) المائدة: ٦٧.

(٣) الاحتجاج ج ١ ص ٢٤٦.

لقد حرص الأئمة الطاهرون عليهم السلام على تبليغ الأمة سنة رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، وبالغوا في التحذير عما يخالفها من قول أو فعل مهما كان ذلك وعلى أي وجه يكون، فلم يقولوا بتقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة، بل اعتبروا البدعة أمراً منكراً وزوراً من القول والعمل، وقولاً على الله بلا علم، وتشريعاً من الدين بما لم يأذن به الله، حجتهم في ذلك الإيمان بأن الله أكمل دينه وأن ﷺ بلغ رسالة ربه وأدى أمانته وبينَ لعباد الله خصائص دينهم ومقتضيات أعمالهم وأن الأخذ بالبدعة يعني مناقضة ذلك الإيمان باعتبار أن البدعة في ظن مبتدعيها والآخذين بها إكمال نقص في الدين.

آفة الذل:

الذل: حالة نفسية تعتري الفرد نتيجة لعوامل متعددة تحيط به، فمن طبع النفس الإنسانية حب الحياة، والتشبث بها، والإخلاد إلى نعيمها، والركون إلى شهواتها، ومن طبعها أيضاً أن تعيش لهدف سام، تعمل على تحقيقه، ولا تبالي المصاعب التي تعترضها من أجل ذلك. وعند هذا المفترق يتمايز الناس، فمنهم من يفضل أن يهين جسمه، ويتحمل المصاعب، ولو أدى به ذلك إلى الحرمان من الحياة أو الحرية، في سبيل أن تبقى القضية - التي نذر لها نفسه - حية، ومنهم من يؤثر السلامة، وتغلبه ضرورات الحياة، ولو أدى به ذلك أن تداس كرامته، وتسحق تطلعاته، في سبيل أن يبقى على قيد الحياة، متمتعاً بمستوى معيشي معين.

وقد عبر المتنبي عن هذا المعنى بقوله:

أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه حريصاً عليها مستهماً بها صباً
فحبُّ الجبانِ النفس أورثه التقى وحب الشجاع النفس أورثه الحربا
والذل خلق مكتسب عن طريق التربية التي تأتي انعكاساً للظروف الخارجية المحيطة بالإنسان. فإذا استمر هذا الخلق، يلقنه جيل سابق لجيل لاحق أصبح وكأنه طبع موروث لا حيلة للفكاك منه. قال الإمام الحسين عليه السلام: موت في عز خير من حياة في ذل، وأنشأ عليه السلام يوم قتل:

الموت خير من ركوب العار والعار أولى من دخول النار والله ما هذا وهذا جاري^(١)

الذل الاجتماعي:

إن ذل الأمم مقدمة لظهور الفساد بشتى صنوفه وألوانه، وإن ما يصيبها من الظلم، وما تُرمى به من صنوف البلاء: كال فقر، وانعدام الأمن، وهدر الحقوق، وتسلب الرعاى والسفلة، وكل ذلك ليس إلا نتائج لأسباب ومقدمات أدت إلى ذلك وفيه يقول تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢).

والذل الاجتماعي هو الذي يصيب جماعات وشعوباً، ويصبح ظاهرة مرئية محسوسة - ينتج عن تراكم حالات فردية تنتهج نهجاً ذليلاً في حياتها، ومن خلال اعتيادها لهذا النمط من العيش؛ يصبح الذل وكأنه سمة بارزة تشتهر بها، وذلك عندما تفتقد المثل الأعلى، والفكرة السامية، والعقيدة الدافعة، التي تجمع حولها، ويشعرها ذلك التجمع بسوء الحال الذي تردت فيه.

عوامل الذل:

بما أن الذل أمر مكتسب فلا بد أن تقف وراءه اسباب وعوامل تتسبب في ذلك يمكن تشخيص بعضها بالاتي:

- غلبة الشهوات والانقياد إلى حب الدنيا وما بها من متاع زائل. فعن أبي جعفر (عليه السلام): لا ذل كذل الطمع^(٣).
- غفلة الأمة عن مقومات وجودها، مما يهيئ أن يسطو على قيادتها نفر لا يحملون الأهلية للقيادة والحكم. وقد شدد رسول الله ﷺ على ذلك مبينا ما

(١) بحار الانوار ج ٤٤ ص ١٩٢ ح ٤.

(٢) الروم: ٤١.

(٣) تحف العقول: ٢٨٦.

قد يورث الذل بسبب تلك الغفلة: إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينه وتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله أدخل الله عليهم ذلاً لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم^(١).

- عمل السلطة الحاكمة لأغراض معينة تخدم غايات واهداف إلى تثبيت معاني الذل والخنوع، وتجريد الأفراد من كل معاني عزة النفس والعفة، وضرب وتشويه كل خلق يشير إلى تماسك الشخصية، والبعد بها عن كل مواطن الطهارة النفسية والجسدية، والعمل، ليل نهار، من أجل اقتلاع أخلاق راسخة حفظت للأمة كيانها، وأمسكت عليها وجودها مميزاً، وذلك بالتشكيك تارة، وبالسخرية من هذه الأخلاق تارة أخرى.

آفة التكلف

التواضع والبعد عن التكلف، سمة رسالة الإسلام الذي يمثل انعكاساً للفترة السليمة، وليس أضر على بنية المجتمع الإسلامي من التكلف والتقيد برسوم لم ينزل الله بها من سلطان. قال الصادق عليه السلام: «المتكلف مخطئ وإن أصاب، والمتطوع مصيب وإن أخطأ، والمتكلف لا يستجلب في عاقبة أمره إلا الهوان، وفي الوقت إلا التعب والعناء والشقاء، والمتكلف ظاهره رياء، وباطنه نفاق، فهما جناحان يطير بهما المتكلف»^(٢).

والتواضع صفة الإيمان العميق، وببساطة وعفوية هي ميزة الخلق البعيد عن التعقيد، وصفة النفوس الجادة التي لا تشغل بالترف - بكل أشكاله - عن الحقائق.

إذا رجعنا إلى هدي النبي فإننا نجد أن سيرته عليه السلام كانت حرباً على التكلف حيثما كان وفي أي صورة وجد، التكلف في الأقوال والأفعال، والتكلف في

(١) كنز العمال ج ٤ ص ٢٨٣.

(٢) بحار الانوار ج ٧٠ ص ٣٩٤ ح ١.

المعيشة، فعن الباقر (ع): «إن الله برأ محمداً ﷺ من ثلاث: أن يتقوّل على الله، أو ينطق عن هواه، أو يتكلف»^(١).

نعم، فقد ذم الرسول الكريم ﷺ الثرثارين، والمتفهبين وذم التنطع، وكان يجلس حيث انتهى به المجلس، وينهى أن يسلك معه في توقيره وإطرائه مبالغات السلاطين، ولم يكن يتميز عن أصحابه بلباس أو شارة، وكان طبعه أن يشارك أهل بيته أعمالهم، ويشارك أصحابه نشاطاتهم، ولم يكن الدين عنده مظهرًا وهندامًا لا يصح الإخلال به؛ بل حقيقة قلبية، وسلوكية نابعة من ذلك تفيض خيراً لمصلحة الجماعة.

ولا يمكن للإصلاح أن ينجح إلا بمنهج يشكّل نبذ التكلف أحد أعمده الرئيسية، اقتداء بسيرة المصطفى، وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام).

إن التكلف الذي يقيد العمل، ويهمل الجوهر، ويلتفت إلى ما لا ينفع، إما لسهولة، وإما لسهولة خداع الناس واسترضائهم بواسطته، هذا التكلف المقيت الذي يهدر طاقات الأمة فيما لا يجدي ولا يثمر غير الخيبة والغفلة، وقد أولى رسول الله ﷺ هذا الموضوع أهمية فراه يذم التكلف في أكثر من مناسبة ويبين للأمة علامات المتكلف حتى يكونا على بصيرة من هذه الآفة: «أما علامة المتكلف فأربعة: الجدل فيما لا يعنيه، وینازع من فوقه، ويتعاطى ما لا ينال، ويجعل همه لما لا ينجيه»^(٢).

آفة الفتور

الفتور والكسل داء يدب في الناس على مختلف درجاتهم، وينبغي تعاهد النفس؛ لئلا تقع في فتور ينقلها من مرحلة إلى مرحلة، فيتعسر الداء، وتصعب المعالجة

(١) المصدر السابق: ج ٢ ص ١٧٨ ح ٢٦.

(٢) تحف العقول: ٢١.

والفتور درجات وأقسام:

١. أخطرها كسل وفتور عام في جميع الطاعات، مع كره لها، وهذه حال المنافقين.
٢. ثم كسل وفتور في بعض الطاعات، مع عدم رغبة، دون كره لها، وهذه حال كثير من فساد المسلمين.
٣. كسل وفتور سببه بدني، فهناك الرغبة في العبادة، ولكن الكسل والفتور مستمر، وهذه حال كثير من المسلمين.

إن من أهم مظاهر الفتور التكاسل عن الطاعات، والشعور بالضعف والثقل أثناء أدائها، والغفلة عن الذكر، وقراءة القرآن، والشعور بقسوة القلب، وضعف تأثيره بالقرآن والمواعظ، والتساهل في ارتكاب المعاصي وإفهامها، وعدم استشعار المسؤولية والأمانة، وضعف هم الدعوة في القلب، وانفصام عرى الأخوة بين المتحايين، والاهتمام بالدنيا، والانشغال بها عن فعل الخير. وقد حذر الإمام الباقر (عليه السلام) من الكسل موضحاً الآثار المترتبة والاضرار الناتجة عن هذه الآفة: «إياك والكسل والضجر، فإنهما مفتاح كل شر، من كسل لم يؤد حقاً، ومن ضجر لم يصبر على حق»^(١).

كذلك يؤدي الكسل إلى كثرة الكلام الذي لا طائل تحته، وكثرة الجدل والمراء، وضعف جذوة الإيمان، وانطفاء الغيرة على محارم الله، وضياع الوقت، وعدم الاستفادة منه، وعدم الاستعداد للالتزام بشيء، والتهرب من كل عمل جدي.

أسباب الفتور:

- عدم الإخلاص في الأعمال، أو عدم مصاحبتها؛ بأن يطرأ الرياء على الأعمال.
- ضعف العلم الشرعي؛ فيضعف علم فضائل الأعمال وثوابها، وفضل الصبر وأثره، ونحو ذلك.

- تعلق القلب بالدنيا ونسيان الآخرة.
- الوقوع في شيء من المعاصي والمنكرات، وأكل الحرام أو المشتبه بالحرام.
- عدم وضوح الهدف الذي يدعو من أجله، وهو: طلب مرضاة الله، وتعبيد الناس لرب العالمين، وإقامة دين الله في الأرض.
- ضعف الإيمان بالهدف، أو الوسيلة الدعوية التي يسلكها.
- الغلو والتشدد، بحيث ينقلب ذلك سبباً للملل وترك العمل.
- العقبات والمعوقات الكثيرة في طريق الدعوة والداعية، وتلك سنة الله في الدعاة والدعوات.
- الفردية وإيثار العزلة، فيدركه الملل والسأم.
- أمراض القلوب: كالحسد، وسوء الظن، والغل، وحب الصدارة، والكبر...

علاج الفتور:

ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء، والفتور من أشد الأمراض المعنوية، وتؤكد خطورته حينما لا يحس به الإنسان حتى ينقله إلى الانحراف، فيقضي عليه، ومن هنا تتأكد أهمية العلاج باتخاذ سبل الوقاية منه ابتداءً، أو عمل الأسباب التي تذهب به بعد وقوعه، وأهم سبل العلاج: تلافي أسبابه، وذلك أعظم وسيلة للنجاة، وإن القناعة بخطورة هذا المرض ووجوب التخلص منه وقاية وعلاجاً أمر ضروري للإفادة من سبل العلاج، ومنها:

- الدعاء والاستعانة؛ وتعاهد الإيمان وتجديده، والحرص على زيادته بكثرة العبادة؛ مما يكون زاداً للمؤمن، ومخففاً عنه عناء الطريق.
- مراقبة الله، والإكثار من ذكره، ومراقبته تستلزم خوفه وخشيته، وتعظيمه، ومحبته، ورجاءه، والإيمان بعلمه وإحاطته وقدرته، أما الذكر: فهو قوت القلوب، وبه تطمئن، وأعظم ذلك: الصلة بكتاب الله تعالى: تلاوة، وفهماً، وتدبراً، وعملاً، وحكماً، وتحاكماً، فإن من لم ينضبط بالقرآن أضله الهوى.

- الإخلاص والتقوى؛ ﴿يَتَأْتِيهَا الْذِّبَتُ ۖ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾^(١).
- تصفية القلوب من الأحقاد، والغل، والحسد، وسوء الظن؛ مما يشرح الصدر، ويسلم القلب.
- طلب العلم، والمواظبة على الدروس وحلق الذكر والمحاضرات؛ فإن العلم طريق الخشية، وهو قوت القلوب.
- الوسطية والاعتدال في العبادة، وفي عمل الخير، وتنظيم الوقت، ومحاسبة النفس. ولزوم الجماعة، وتقوية روابط الأخوة.
- الاقتداء بسيرة النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) في نشاطهم، وحرصهم على أوقاتهم وأعمالهم.
- علو الهمة ونبل المقصد والأخذ بالعزيمة، بأن يكون الهمم: الجنة، والمقصود: مرضاة الله؛ بالسعي في العبادة حتى الموت.
- الإكثار من ذكر الموت، وخوف سوء الخاتمة، بزيارة المقابر، ورؤية المحتضرين، فإن ذلك يورث: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة..
- الحرص على زيادة العمل، والاستمرار فيه، والحذر من التكاسل، خاصة فيما حافظ عليه من عمل، فإن من ترك سنة يوشك أن يترك واجباً.. وهكذا.
- الصبر والمصابرة؛ فإن طريق العلم والعبادة والدعوة إلى الله طريق شاق وطويل، وكثير المتاعب والمصاعب.

آفة الفراغ

الفراغ داء يفتك بالفكر والعقل والطاقات الجسمية، إذ النفس لا بد لها من حركة وعمل، فإذا كانت فارغة من ذلك تبلد الفكر وتخن العقل وضعفت حركة النفس واستولت الوسوس والأفكار الرديئة على القلب.

فإذا انتهى الإنسان من أي عمل كان، ووجد نفسه فارغاً، لا يجد شيئاً يفعلهُ، توجهه الآية الكريمة أن يبحث عن شيء يشتغل به، ولكن الآية لا تترك التوجيه هكذا عائماً يفسره كل حسب هواه، إنها توجهنا، ألا يكون ما نشتغل به لمجرد شغل الفراغ ولكن يجب أن يخضع لضابطين أساسيين هما: النصب، والنية الصالحة.

مفاسد الفراغ:

- الفراغ سبب أساسي في الكثير من أمراض النفسية والجسمية، فيؤدي إلى تصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب والروماتيزم والجلطات القلبية والدماغية، كما يؤدي إلى الاكتئاب والقلق النفسي والهم.
- الفراغ يجعل الإنسان يشعر بأنه لا فائدة له، وأنه عضو مشلول في المجتمع لا ينتج ولا يفيد. فالإنسان الفارغ لا يترقب شيئاً تهفو إليه نفسه كنتيجة لعمله، فهو بلا هدف في الحياة وأي حياة هذه التي لا هدف لها.
- الفراغ وسيلة من وسائل إبليس يوسوس فيها للإنسان فيثير فيه كوامن الغرائز ويلهبها فتحرقه وتفلت من لجامها لتحرق ما حوله.
- الفراغ سبب للمشاكل الأخلاقية والجريمة، ويشهد بهذا علماء الاجتماع، إذ وجد أن نسبة الجرائم والمشاكل الأخلاقية تتناسب طردياً مع نسبة البطالة في أي زمان ومكان.
- الفراغ سبب في كسب الذنوب مثل التفكير في المعاصي والحديث في الناس، وما إلى ذلك.
- الفراغ تعطيل للطاقة إذ يدمر الكفاءات والمواهب، ويخفيها وراء الاستهانة والاستكانة.

وفي مفاسد الفراغ يقول أبو العتاهية:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرأة أي مفسدة!

ويقول آخر:

لقد هاج الفراغ عليه شغلاً وأسباب البلاء من الفراغ
علاج الفراغ:

إن إدراك الإنسان قيمة الزمن، وإيجاد الحل للفراغ ليس إلا إدراكاً لوجوده وإنسانيته ووظيفته في ركام هذه الحياة.

وأفضل ما تصان به حياة إنسان أن يرسم لها منهاجاً يستغرق أوقاتها، ولا تترك فرصة للشيطان أن يتطرق إليها بوسوسة، أو إضلال.

١. بذل الجهد. إذ قطع الله تعالى المعذرة لأهل الفراغ بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ ۚ فَحَوِّنَا إِلَىٰ آيَةِ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَددَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَّهُ تَفْصِيلاً ۝﴾^(١) فأتاح لهم التكسب من نعم الله وفضله والنظر في مخلوقاته والتفكير فيها واسترجاع طاقات العقل بما ينفع من أمور الدنيا والآخرة.

٢. الرغبة إلى الله: أي التوجه إليه وقصده وحده بما تجهد فيه نفسك، فإذا أراد الله سبحانه بالعبد خيراً أعانه بالوقت وجعل وقته مساعداً له، وإذا أراد شراً جعل وقته عليه، وناكده وقته حتى يفقد وظيفته في هذه الحياة.

المبحث الثامن

الثورة الاجتماعية

إن من أهم أهداف الرجال الإلهيين إصلاح المجتمع البشري، بتربيته على التعاليم الإلهية، ولا بد للمصلح أن يمر بمراحل من العمل الجاد والمضني في هذا الطريق الشائك:

١. أن يربي جيلاً من المؤمنين على التعاليم الحقة التي جاء بها، والأخلاق القيمة التي تخلق بها، لكي يكونوا له أعواناً على الخير.
 ٢. أن يدخل المجتمع بكل ثقله، ويحضر بين الناس، ويواجه الظالمين والطغاة بتعاليمه، وبلغهم رسالات الله.
 ٣. أن يقاوم الفساد، الذي يبثه الظالمون في المجتمع، بهدف تفكيكه وشل قواه، وتفريغه من المعنويات، وإبعاده عن فطرته السليمة المعتمدة على الحق والخير والجمال، لئلا يصنعوا منه آلة طيعة تستخدم حسب رغباتهم وطوع إرادتهم.
- وقد كان للإمام زين العابدين عليه السلام نشاط واسع في كل هذه المجالات، حتى عد - بحق وجدارة - في صدر المصلحين الإلهيين، بالرغم من تميز عصره بتحكم طغاة بني أمية على الأمة، وعلى مقدراتها وباسم الخلافة الإسلامية، التي تقتل من يعارضها وتهدر دمه بعنوان الخروج على الإسلام.

إن مقاومة الإمام زين العابدين (ع) في مثل هذا الظرف، بل وتمير خططه، وإنجاح مهماته وأهدافه، مع قلة الأعوان والأنصار، يعد معجزة سياسية تحققت على يد هذا الإمام العظيم، الذي سار على خطى جده الرسول الأعظم، في خلقه العظيم.

زين العابدين (ع) والثورة الاجتماعية

كان أهم ما يميز الواقع الاجتماعي في العصر الأموي تفشي الاتجاه المادي المتطرف وبروز الروح المصلحية وتماديها التي أدت إلى ضعف القيم الأخلاقية والاجتماعية لأبناء الأمة الإسلامية مما أفقد الإنسان حالة الاستقرار النفسي فكان كثيراً ما يعاني من فقدان الهوية وضمور الانتماء الاجتماعي، وكان التأثير المحمدي علي بن الحسين (ع) وانطلاقاً مما يملكه من مقومات الزعامة الدينية والدينية قد شخص ذلك مبكراً، فشرع عن ساعده للخوض في مجالات المعرفة المتنوعة بغية ارساء المفاهيم الدينية الصحيحة لما تجلبه من اثر في ادخال الطمأنينة إلى قلوب الناس وتأسيس ارتباطهم بالله تعالى وتعميق شعورهم الإيماني بما يمنحهم رؤية واضحة مفعمة بالأمل.

فإنه يتحمل مسؤولية تطبيق تلك المفاهيم في شؤون الحياة المختلفة تلبية للحاجة الملحة لعموم الناس والطبقات المؤمنة منها على وجه الخصوص.

لقد أدرك الإمام زين العابدين (ع) بحسه الواعي ان أحد أهم اسباب ارتباك المشهد الديني هو فقدان المنهجية العلمية والتي أدت بدورها إلى اضمحلال الابداع والنقد الفاعل البناء، فكان يدعو ثورته الاجتماعية إلى تكامل بناء المجتمع الإسلامي من خلال تكريس الدعوة إلى الاستفادة التامة من مبادئ ومفاهيم القرآن الكريم مستنيرين في الوقت ذاته من هدي السنة النبوية الشريفة بشكل يحقق الاهداف المنشودة.

وكان (ع) يؤكد في منهجيته التي اعتمدها في ثورته الاجتماعية على فكرة ان

محاكاة الموروث الذي لا يقوم على أساس القرآن والسنة الشريفة هو خطأ فكري مفضوح واساءة للعلم والمعرفة والحقيقة.

فهو يرفض فكرة الإيمان بالرسالة الإسلامية عن تقليد وعاطفة دون تفكير وتأمل بل لا بد ان يقع عن بصيرة نافذة واستدلال محكم.

لقد استطاع الإمام السجاد (ع) من خلال منهجية معرفية مقننة ان ينطلق إلى المجال الرحب من الفكر الإسلامي، فكان يؤكد في أكثر من مناسبة على الفكر الأصيل الذي يعمل على تأسيس الحياة الاجتماعية المدنية وفق مرتكزات معرفية يمكن تلخيصها بما يُصطلح عليها بـ (الفطرة السليمة)، وهو يؤمن بان الذات البشرية التي تحمل الاستعداد لتسخير الاشياء لصالحها لذا فهو يرى ضرورة بعث القيم الإنسانية العالية لضمان حركة سليمة مبتعدة عن تيارات الانحراف المختلفة.

فهو يأتي في أكثر من مناسبة ليبين أهمية العقل وضرورة الاستفادة منه بشكل يخدم الحياة الإنسانية، وقد صرح بذلك في أكثر من مناسبة فقال: - آداب العلماء زيادة في العقل... وكف الأذى من كمال العقل - (١).

وهو بذلك يتخذ من اقوال الرسول الأكرم (ص) وأهل بيته (ع) شعاراً علمياً ومنهاجاً عملياً المجال ومن ذلك قوله (ع): - ان لكل شيء آلة وعدة وآلة المؤمن وعدته العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل سفر فسطاط يلجئون إليه وفسطاط المسلمين العقل - (٢). وقول أمير المؤمنين (ع): - من ترك الاستماع إلى ذوي العقول مات عقله -. وقوله (ع): - العقول أئمة الافكار والافكار أئمة القلوب والقلوب أئمة الحواس والحواس أئمة الاعضاء - (٣).

كان الإمام علي بن الحسين (ع) ينطلق في ثورته من مبدأ ان التغيير الفكري

(١) تحف العقول: ٣٦٤، ٢٨٣

(٢) كنز الفوائد ج ١ ص ٥٦.

(٣) كنز الفوائد ج ١ ص ١٩٩-٢٠٠.

والروحي والعاطفي الشامل هو أساس البناء فما لم تتغير افكار الإنسان ووعيه وفهمه وتتكون لديه قناعات فكرية ونفسية لا يمكن للحياة ان تسير بشكلها المطلوب، فحرية الفكر واحترام الراي الاخر ونبذ الأنانية كل ذلك كان من اهداف ثورته المباركة. فكان يسمع من أصحاب الفرق والمذاهب الأخرى دون ان يتعصب لمذهبه أو يحاول فرضه على الاخرين ويتبين ذلك جلياً في أسلوب جوابه وما يتضمنه من مضامين فكرية عالية.

كما كان ذلك واضحاً في انفتاحه على أصحاب الديانات السماوية الأخرى متعاملاً معها بروح إنسانية عامة بعيدة عن مبدأ سد الطريق والاضطهاد الفكرية القائم على أساس العقيدة ركز فيه على عدة عناصر إنسانية وفكرية تشكل البنية الإنسانية التي من خلالها يمكن رسم المعالم الواضحة للهوية الإسلامية في شخصيتها الحضارية.

لقد قامت الثورة الاجتماعية التي قادها الإمام زين العابدين عليه السلام على أساس وجود عناصر تعمل على بناء الفرد والمجتمع وفق اسس عقائدية وأخلاقية وقانونية ومنظوره في ذلك قائم على أمور:

١. إن الدافع الإنساني ووحدة النوع البشري هي الأساس الذي يقوم عليه بناء المجتمع، فالتأثير يعني أن الرسالة الإسلامية لم تأخذ الفرد كوحدة مستقلة في المجتمع بل تعاملت معه ضمن البنية الاجتماعية العامة.
٢. التأكيد على عنصر الترابط في المجتمع القائم على أبعاد إنسانية بحتة بعيدة عن المنافع والمصالح المادية فنراه يحاول تعميق الثقافة الموحدة التي من شأنها ان تعالج ظاهرة التنازع والصراعات العرقية والمذهبية.
٣. ضرورة احترام شخصية الإنسان وحفظ كرامته وحقوقه الإنسانية.
٤. ضرورة العناية بالأخلاق والآداب والوصايا والتعاليم الداعية إلى المحبة والتسامح والرحمة.

كما حملت تلك الثورة الاجتماعية جانباً حيويّاً تحذيرياً يصب في صميم أهداف القرآن الكريم من خلال الاستفادة من الاعتبارات التاريخية النافذة إلى الأمة التي نزل فيها القرآن وإلى لغة تلك الأمة وأسلوبها في التعامل معه وهو يرى أنه يستطيع به أن يدرك الأسباب ويشخص العوامل في كثير من القضايا ليقف من خلال ذلك على جذور الاختلاف واجتهاد الرواية وعرض الآراء السابقة للمسلمين وربطها بالأثار المعاصر له.

الازمة الاجتماعية

يشكل اضطراب العلاقات الاجتماعية إحدى أهم المشكلات التي عانى منها المجتمع الإسلامي حيث نما الشعور بالفردية والتوحد، وحُكمت المصالح الخاصة في كثير من شئون الحياة، مما أدى إلى اضمحلال ضوابط التربية الاجتماعية التي تشكل المحس الجماعي لدى الفرد المسلم مما أشاع الفوضى الفكرية والاجتماعية، وضخم مشاكل المسلمين الاقتصادية لأن عمليات التنمية لا تتم على ما ينبغي في مجتمع واهي الروابط مختلف الأفكار والمفاهيم.

ومن هنا شددت تعاليم الإسلام على ضرورة المحافظة على العلاقات الاجتماعية وإقامتها باستمرار على هدي الرسالة الخاتمة التي تعد استمراراً لدعوات الأنبياء ﷺ.

وتحقيقاً لذلك التوصل قصّ الله تعالى علينا أخبار الأمم السابقة والعواقب الوخيمة التي انتهوا إليها حين شاعت فيهم الانحرافات والمخالفات دون أن يرفع أحد منهم رأساً أو يقول كلمة لأولئك الذين يستعجلون أيام الله لأنفسهم ولأممهم فقال تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١). فقد أجرم القوم مرتين: مرة حين وقعوا في

الآثام، وأخرى حين تركوا المعاصي تشيع فيهم دون أن تسود فيهم روح التناهي عنها.

إن كل مجتمع مهما بلغ من الفضل والرفي لا يستغنى عن شريعة فيه تتمثل فيها المثل العليا لذلك المجتمع تحفظ عليه وجوده المعنوي المتمثل في عقيدته وأخلاقه وضوابط علاقاته وهؤلاء يمثلون الخير في ذلك المجتمع.

وكما لا يشترط لصحة المجتمع جسماً وبيئياً أن يكون كل أفراد من الأطباء كذلك لا يشترط في المجتمع المسلم أن يكون كل أفراد من الدعاة الناصحين ولكن ينبغي أن تتوفر نسبة كافية في المجتمع مسموعة الصوت واضحة التأثير تملأ الفراغ الثقافي وتملك من الوسائل المؤثرة ما يسمح باستمرار وضوح جادة الحق والخير والصواب ويسمح باستمرار سنة المدافعة بين الحق والباطل على وجه مكافئ وهذا ما يشير إليه قوله عز اسمه: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

وقد جرت سنة الله في الابتلاء أن تلقى هذه الفئة الطيبة الخيرة المُخَارِبة دائماً وتلقى الأذية والعنت وما ذلك إلا لأنها تسير في الاتجاه المضاد لأهل الشهوات والأهواء.

الطمأنينة الاجتماعية

تكمُن أهمية الطمأنينة في حياة الإنسان انها تتولد في الأساس من الثقة التي يتبادلها الناس في تعاملاتهم. فتشكل الثقة جزءاً مهماً من رأس المال الاجتماعي والذي إذا فقد يصبح من العسير استرجاعه.

وقد لعبت السياسات الخاطئة للطغمة المتسلطة على بلاد المسلمين والتي ألقت بظلالها وآثارها على الواقع الاجتماعي لعبت دوراً جوهرياً في تراجع الطمأنينة والثقة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي بما اشاعته من أخلاق تنطوي

عليها من المساومة والخديعة، وإخفاء العيوب؛ وخلط المفاهيم وبث الافكار الوثنية والالحادية بثوب إسلامي، فكان لا بد من مواجهة تلك الاخطار بخطاب إسلامي وإع يقدم نموذجاً يساعد على تدعيم الثقة، واستعادة ما فقد منها، وهذا النموذج يقوم على السعي إلى التزام الصدق بشكل مطلق، وخدمة الحقيقة والنصح الخالص للناس فيما يصلح أمور دينهم ودنياهم. وأدنى درجات الصدق يتمثل في موافقة كلام المرء لمعتقدده، فإذا كان صانع الخطاب يعتقد أن الأمة تمر بمرحلة حرجة جداً فعليه أن يجهد بذلك، وإذا كان يعتقد أن الجانب الروحي من حياة المسلمين يحتاج إلى عناية خاصة فعليه أن يعمل على تنمية ذلك.

وهناك إلى جانب هذا درجات من الصدق أسمى وأرقى، وهي تساعد على نحو قوي في تقوية الثقة وإنعاش الطمأنينة الاجتماعية، ومنها:

١. الحرص على أن يكون الكلام مطابقاً للواقع، حيث إن الناس حتى يثقوا بنا لا يحتاجون إلى الاطمئنان إلى أننا نتحرى الصدق في كلامنا فحسب، وإنما يحتاجون إلى شيء آخر؛ وهو الثقة بأننا حيث نتحدث في أمر ما فإننا نعرف عن أي شيء نتحدث، ونعرف مسؤولية الكلمة، ونتحسس الآثار التي تترتب على الخطاب الجماهيري الواسع الانتشار.

٢. الحرص على اختيار المجال الذي يستطيع فيه المرء أن يتحدث عن كل أو جل ما يريد.

٣. إن عمل الخير شيء يعزز الطمأنينة الاجتماعية ويدعم التلاحم الأهلي، خصوصاً حين يصبح سمة ظاهرة في المجتمع، فإنها تخفف من حدة الشعور بارتهاق الناس للمصالح والمنافع الشخصية، والذي كثيراً ما يدفع إلى الكذب والخديعة والقطيعة، ومن هنا نجد النصوص الكثيرة التي تحث الإنسان المسلم على بذل المعروف، وقضاء حاجات إخوانه، ومساعدة ذوي الظروف الصعبة، والاحتياجات الخاصة. كما نجد النصوص التي توضح الثواب العظيم لفاعل الخير ومقدم الخدمة المجانية.

٤. عدم معرفة الإمام، وهي من أبرز سمات الجاهلية التي كانت الأمة تعيشها في العصر الأموي أدت بها ان تتسافل إلى الحضيض ويصل بها ان تخذل إمام زمانها ثم تعدو عليه فتقتله، وهذا رسول الله ﷺ قد صدح بعلو صوته: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية... والأرض لا تصلح إلا بإمام ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وأحوج ما يكون إلى هذا إذا بلغت نفسك هذا المكان - وأشار بيده إلى حلقه - وانقطعت من الدنيا»^(١).

لهذا ورد الحث على ضرورة معرفة الإمام، فنجد أئمتنا ﷺ يعلموننا كيف ندعو ونطلب من الله تعالى ان يوفقنا إلى المعرفة وعدم الضلالة حتى لا نعيش ما عاشته الأمة الإسلامية زمن الإمام زين العابدين ﷺ، ومنه الدعاء في غيبة القائم من آل محمد ﷺ: اللَّهُمَّ! عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك، اللَّهُمَّ! عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللَّهُمَّ! عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني...»^(٢).

٥. التمزق والتشتت من سمات المجتمع الأموي، كل ذلك لانهم اعرضوا عن الثقلين كتاب الله وعتره نبيه ﷺ، فقد احرق الكعبة ثم هدمت ولم يحركوا ساكنا، وأصبحوا احزابا تتلافقهم الالهواء لتهوي بهم في وادٍ سحيق، عقوبة منه سبحانه لما اقترفت ايديهم في ابتعادهم عن المنهج الإلهي الذي اختطه لهم سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسَكُمْ لِسِينًا وَيُزَيِّقَ بَعْضُكُم بِأَسْ بَعْضٍ أَنْتُمْ قُلُوبُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ يَفْقَهُونَ﴾^(٣).

٦. انتشار الرذائل الخلقية، وأوضحها شرب الخمر والغش والكذب والزنا

(١) خلاصة الرجال: ٦١، الفهرست: ١٤٣.

(٢) مصباح المتجهد، للطوسي: ٤١١.

(٣) الأنعام: ٦٥..

والشدوذ الجنسي، وسيطرة القوي على الضعيف دون أي حق وانعدام المثل الأخلاقية النبيلة وتغليب المنافع والمصالح الشخصية، وغياب كل ما له صلة بالله تعالى حتى غدا الإسلام حبراً على ورق، وصاروا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾^(١). وأخذت الموازين والقيم التي يتفاضل بها البشر من الهية حقيقية إلى شيطانية وهمية، فضلاً عن الجمود على المورث الجاهلي الذي ليس هو عنهم ببعيد والذي أدى التمسك به وممارسته في الحياة اليومية إلى فساد التصورات وانحراف الرؤية المثالية للحياة.

الوحدة الإسلامية

لقد وجه الخطاب الإلهي أتباعه إلى سبيل الوحدة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا...﴾^(٢)، فالسبيل هو الاعتصام بحبل الله المتين، والتمركز حول العقيدة الإسلامية. وإن هذه الأمة لن تجتمع حتى تتوحد نظرتها العقدية، وفق فهم السلف الصالح، وتخطط منهاجاً يتفق ونهج النبي ﷺ، مع مراعاة أوجه التغيير ومواكبة تطورات الزمان والمكان، يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِي﴾^(٣).

وحينما شرع الله سبحانه وتعالى الوحدة ودعا إليها، ووجه المسلمين نحوها، شرع ما يؤدي إلى تحقيق هذه الوحدة ويعين عليها، ويعمل على صيانتها، فشرع صلاة الجماعة التي يصلّي فيها المسلمون ضمن حركات متناسقة تنساب كأنها أمواج البحر، لا يشوبها تضارب أو تضاد، وبألفاظ واحدة، خلف إمام واحد، متجهين إلى قبلة واحدة، يدعون إليها واحداً، وشرع الزكاة التي تمثل أكبر مظاهر

(١) آل عمران: ١٤.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) الانبياء: ٩٢.

التكافل الاجتماعي في الإسلام، والتي تظهر فيه معاني التراحم والتعاطف، وشرع الصيام الذي تظهر فيه معاني الشعور نحو الآخرين، والحج الذي يمثل بحق المؤتمر العالمي الإسلامي السنوي، الذي يظهر فيه المسلمون بمظهر واحد يلبون نداء رب واحد.

الفرقة وآثارها

إن للفرقة دوراً كبيراً في تعطيل مسيرة الأمة نحو غاياتها المثلى، وأهدافها النبيلة، لتحقيق كيانه الحضاري للقيام بأمر الله، وتبليغ دينه، وتنزيل منهجه في أرض الواقع لإسعاد البشرية في الدنيا والآخرة. عن آثار الفرقة يحدثنا أمير المؤمنين (عليه السلام): «وأيّم الله لولا مخافة الفرقة من المسلمين وأن يعودوا إلى الكفر ويعود الدين لكنّا قد غيرنا ذلك ما استطعنا»^(١).

فالفرقة تبدد الطاقات وتنأى بها عن استثمارها في مسارها الصحيحة، وتثني النفس عن عزميتها وهمتها، وتجعل نظرة الأمة قاصرة، بعيدة عن التطلع نحو آفاقها ومراميها، منشغلة بوضعها الداخلي، دون الانتباه إلى ما يحوم حولها ويحاك ضدها من الدسائس والمؤامرات التي يقوم بها أعداء هذه الأمة، فعن أمير المؤمنين (عليه السلام): «ياكم والتلون في دين الله، فإن جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل، وإن الله سبحانه لم يعط أحدا بفرقة خيراً ممن مضى، ولا ممن بقي»^(٢).

وقد ركز القرآن الكريم على هذا الجانب الذي يمثل الجانب القصصي والتاريخي من الكتاب العزيز، فضرب القرآن لنا أمثلة واقعية من واقع التاريخ الإنساني من واقع أهل الكتاب ليبين لنا دور الفرقة وخلخلة الصف في زوال الأمم وانهيارها وذهابها، يقول تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُزَيِّنَ بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ أَنزَلَ كَيْفَ تُصَرِّفُ الْأَيَاتِ لَعَلَّكُمْ

(١) امالي المفيد: ١٥٥.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٦.

يَقْفَهُونَ ﴿١﴾، ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (٢). قال الإمام الباقر عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَلِسَ لَكُمْ شِيَعًا﴾ -: وهو اختلاف في الدين وطعن بعضهم على بعض ﴿وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ وهو أن يقتل بعضهم بعضاً، وكل هذا في أهل القبلة (٣).

العدالة الاجتماعية

إن أهمية هذا الموضوع تأتي من أنه مفتاح الحق وجامع الكلمة، والمؤلف بين القلوب، لأن من أقوى أسباب الاختلاف بين العباد هو الظلم والاعتداء وفقدان العدل والإنصاف. ولو جاهد المسلم نفسه لتحقيق صفة العدل على نفسه ومع الناس فإن كثيراً من المشاكل التي تحصل بين المسلمين سواء منها الفردية أو الجماعية ستزول وتحل بإذن الله. وذلك لأن سبب الانحراف عن الحق والإصرار على الأخطاء إما الجهل وإما الظلم، فالجهل علاجه العلم، والظلم علاجه العدل والإنصاف والقسط.

يمكن تلخيص جملة من الأمور المتعلقة بالعدالة بالاتي:

- إن الأمانة العظيمة التي أشفقت من حملها السماوات والأرض لن يستطيع أن يحملها الإنسان إلا بالعلم والعدل.
- إن العدل كلمة يراد بها التوسط في الأمور وذلك بين الإفراط والتفريط، فالجافي والغالي كلاهما قد جانب العدل.
- للعدل صور كثيرة مردها إلى ثلاثة أقسام: العدل الأعظم وهو توحيد الله عز وجل، والعدل مع النفس، والعدل مع العباد.
- للعدل مقتضيات ولوازم كثيرة أهمها ما يتعلق بالتعامل مع الناس من إقالة

(١) الانعام: ٦٥.

(٢) نور الثقلين ج ١ ص ٧٢٤.

(٣) الانعام: ١٥٩.

العثرات، وإحسان الظن، وقطع الطريق على الشيطان الذي يسعى إلى إيجاد الإحن والأحقاد والظلم بين المسلمين.

- إن سبب الاختلاف والتفرق بين المسلمين يرجع إلى أمرين مهمين:

أ - الجهل الناشئ من فقدان أو قلة العلم بدين الله والذي يؤدي بدوره إلى الأخذ بالباطل محسوباً أنه هو الحق.

ب - الظلم الناشئ من الهوى وعدم العدل والإنصاف، ومثل هذا قد يعلم صاحبه أن الحق مع مخالفه، ولكن التعصب والهوى ومجانبة العدل يجعله يصير على الباطل، ولو علم أنه باطل.

- إن وسائل رفع الجهل عن النفس يتم بتعلم دين الله عز وجل وحدوده، والاقتداء بسنة المعصومين محمد واله الميامين (صلوات الله عليهم).

ولما كانت أصول دعوات الأنبياء ﷺ واحدة فإن الأمر بإقامة الموازين والحكم بالعدل والإنصاف ظل الوصية الخالدة التي يوجهها كل نبي إلى قومه؛ لأنه بالعدل قامت السماوات والأرض...

وقد أوصى الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يعلن لأمرته أمر الله له بإقامة العدل فيها، فقال: ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ (١).

وأوصى المؤمنين بإقامة العدل مع الناس كافة حتى الأعداء الذين يبغضونهم ويحاربونهم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٢).

الاقتصاد الإسلامي

يُعرّف الاقتصاد بأنه: العلم الذي يبحث في كيفية إدارة واستغلال الموارد

(١) الشورى: ١٥.

(٢) المائدة: ٨.

الاقتصادية النادرة لإنتاج أمثل ما يمكن إنتاجه من السلع والخدمات لإشباع الحاجات الإنسانية من متطلباتها المادية التي تتسم بالوفرة والتنوع في ظل إطار معين من القيم والتقاليد والتطلعات الحضارية للمجتمع، كما يبحث في الطريقة التي توزع بها هذا الناتج الاقتصادي بين المشتركين في العملية الإنتاجية بصورة مباشرة (وغير المشتركين بصورة غير مباشرة) في ظل الإطار الحضاري نفسه.

إن كل بناء اقتصادي يقوم على شقين رئيسين:

الأول: مادي تقني والثاني: معنوي مذهبي.

فهناك أولاً الجانب المادي والتقني من العملية الإنتاجية، وهو الجانب الذي يتناوله علم الاقتصاد والعلوم الطبيعية الأخرى بالدراسة وهذا الجانب يعرف بالاقتصاد الأساسي أو الأصلي وهو لا يختلف من بلد إلى آخر، مهما اختلف المذهب، ومهما اختلف النظام الاقتصادي المعمول به في كل منها.

وهناك ثانياً الجانب المذهبي وهو الذي يستهدف ضبط السلوك البشري على هذا الاقتصاد الأساسي أو الأصلي، وهذا الجانب ينطوي على تصور عقائدي يحدد الهدف ويعين القيم ويرسم قواعد السلوك التي يلتزم الفرد والجماعة باتباعها.

والنظام الاقتصادي الإسلامي: هو مجموعة الأحكام والقواعد والوسائل التي تطبق على النشاط الاقتصادي في المجتمع المسلم - كما سبق أن طبق على امتداد التاريخ الإسلامي - لحل مشاكله الاقتصادية في النواحي الإنتاجية والتوزيعية والتبادلية كما يتضمن هذا النظام ما يتعلق بتوزيع الثروة وتملكها والتصرف فيها. فقد جاء الإسلام بمبادئ وأصول معينة تنطوي على سياسة اقتصادية متميزة^(١).

وبالنسبة للاقتصاد الإسلامي فإنه يقوم على أساسين أولاً: ضمان «حد الكفاية» لكل فرد يعيش في المجتمع الإسلامي أيّاً كانت عرقه أو دينه كحق إلهي مقدس له كإنسان تضمنه له الدولة الإسلامية، ثم على أساس العمل والملكية ومن

(١) المصدر السابق: ١٠.

ثم فإن أساس التوزيع الإسلامي هو ضمان حد الكفاية أولاً، ثم الكسب بحسب العمل والملكية، تلك الملكية التي هي نتيجة عمل سابق ولو كانت موروثه.

وفي مثل هذا الاقتصاد الإسلامي لا يمكن أن يوجد محروم أو جائع واحد بسبب خارج عن إرادته، كما تتفاوت الدخول بسبب التفاوت في المواهب والقدرات ممثلة في العمل والملكية.

وهذا ما لم نجده على مر التاريخ إلا في عهدين لا غيرهما عهد رسول الله ﷺ، وعهد أمير المؤمنين عليه السلام، وفقدان الرخاء الاقتصادي الذي عاشه أبناء المجتمع الإسلامي في غير هذين العهدين إنما هو راجع إلى الانحراف الذي مُنيت به أمة رسول الله ﷺ بعد شهادته، وتكالب حزب النفاق على وصيه الشرعي الإمام علي عليه السلام، وخصوصاً بعد توليه سدة الحكم الإسلامي، فشنوا عليه حرباً شعواء خوفاً من الإصلاحات الشاملة التي كان قد بدأها فور تسلمه لزام الأمور، فسعوا جاهدين للحيلولة دون ذلك، وإلى ذلك يشير عليه السلام: «لو ثبت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل القرآن بقرآنهم»^(١)، فكان تسلط حكام لا يمتلكون الكفاءة اللازمة على قيادة الأمة أدى إلى فقدان مبدأ التوجيه الإداري للنشاط الاقتصادي، وهو من المبادئ الأساسية التي يقوم عليها الاقتصاد الإسلامي إذ هو قائم في أصوله على نظرية التوازن الاجتماعي التي يعتمدها الإسلام أسلوباً وهدفاً لتحقيق العدالة الاجتماعية. وبمقتضى هذا النظر يخضع النشاط الاقتصادي في حركته وتوجهه لإرادة الدولة بوصفها الممثل الشرعي للمجتمع غير أن هذا الخضوع مقيد بتحقيق الغاية الكبرى التي يستهدفها الإسلام وهي العدالة الاجتماعية من خلال فكرة التوازن الاجتماعي.

ومتى ما كانت إرادة الدولة غير جديرة بتحقيق تلك الغاية يترتب على ذلك إصابة النظام الاقتصادي بضرر كبير يؤدي إلى اختلال توازنه فينتج عنه الفقر

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ج ١٢ ص ١٩٧.

والحرمان والعوز لطبقات المجتمع الكادحة فيما يقابله الترف والتخمة والاستثثار لطبقات أخرى، فيولد حالة من التذمر والرفض للواقع المعاش ينعكس بلا شك على الواقع الإسلامي العام، يجر ذلك بالولايات من أمراض اجتماعية وأخرى فكرية عقائدية... إلخ.

التدهور الاقتصادي

«لقد تصرف الحكّام بالأموال العامة وكأنّها ملك شخصي لهم، فكانوا ينفقونها حسب رغباتهم واهوائهم، على ملذاتهم وشهواتهم وكان للجواري والمغنيين نصيب كبير في بيت المال، كما كانوا ينفقون الأموال لشراء الذمم والضماير، ويمنحونها لمن يشترك في تثبيت سلطانهم أو مدحهم والثناء عليهم، فقد مدح النابغة الشيباني يزيد بن عبد الملك فأمر له بمائة ناقة، وكساه وأجزل صلته^(١).

فتنافس الشعراء فيما بينهم للحصول على مزيد من الأموال كما تنافس المغنّون لنيل الهدايا من الحكّام أو ولاتهم.

وكان الحكّام يعيشون في أعلى مراتب الترف والبذخ، ويبدّرون أموال المسلمين على لهوهم وشهواتهم، وعلى المقربين لهم، في وقت كان كثير من الناس يعيشون حياة الفقر والجوع والحرمان.

وازداد التمييز الطبقي حينما عطلّ مبدأ التكافل الاجتماعي، ولم تكثرث الدولة بمعاناة الناس وهمومهم ولم تتدخل في الحث على الانفاق.

وقد ضاعف الحكّام من الضرائب، فاضافوا ضرائب جديدة على الصناعات والحرف وخصوصاً في عهد هشام بن عبد الملك، الذي كان ينفق ما تجمّع لديه على الشعراء المادحين له^(٢).

وقد وصف سليمان بن عبد الملك حالات الترف والمجون التي وصلوا إليها

(١) الاغانى، ابو الفرج الاصفهاني ج ٧ ص ١٠٩.

(٢) المصدر السابق: ج ١ ص ٣٣٩.

قائلاً: قد أكلنا الطيب، ولبسنا اللين، وركبنا الفاره، ولم يبق لي لذة إلا صديق أ طرح معه فيما بيني وبينه مؤنة التحفظ^(١).

وهكذا انساق الناس - وخصوصاً - أتباع الأمويين وراء شهواتهم ورغباتهم، وانشغل الكثير في السعي للحصول على الأموال بأي وجه أمكن^(٢).

زين العابدين ﷺ والتكافل الاجتماعي

كان المجتمع المسلم وبسبب انحراف السلطة الحاكمة للأمة الإسلامية وسياساتها الخاطئة قد اوجد تفاوتاً طبقياً أدى إلى تفشي الفقر إلى حد يعجز فيه الكثير عن تلبية حاجياتهم الأساسية، فهم بحاجة إلى المال للحفاظ على حياتهم، والإبقاء عليها. مهجة المسلم واجب.

لقد شرع الإسلام التكافل المالي بين المسلمين، ومن المواساة والترابط وسد الحاجات وقد ضرب ائمتنا الطاهرون ﷺ أروع الصور واجمل المصاديق، فقد عمل الإمام زين العابدين ﷺ على رفع المستوى المعيشي لدى أفراد الأمة الإسلامية وخصوصاً الذين كانوا على تواصل مباشر معه، كالعبيد الذين كانوا تحت يديه، وهذا العمل ضروري في ردف الثورة الإصلاحية التي تبناها أهل البيت ﷺ، وقد أدى ذلك إلى تعميق الصلة بين الإمام زين العابدين ﷺ كقائد للثورة وبين قواعده الجماهيرية التي طالما رزحت تحت نير الاستبداد والعوز والحرمان نتيجة للسياسات الظالمة التي تبناها الحكام الأمويون، ولقد كان الإمام زين العابدين ﷺ يزاوّل عملية تموين الناس بدقة فائقة، خاصة الأسر التي تضررت نتيجة معارضتها للسلطة الحاكمة، وقد عُرف عنه ﷺ قيامه بذلك بشكل سري لما يكشف أغلبه إلا بعد استشهاده.

فعن أبي حمزة الثمالي: إن علي بن الحسين ﷺ كان يحمل الخبز بالليل،

(١) مروج الذهب، المسعودي ج ٣ ص ٧٦.

(٢) ينظر: اعلام الهداية (الإمام الباقر)، المجمع العلمي لأهل البيت: ١٠٣-١٠٤.

على ظهره، يتبع به المساكين في ظلمة الليل، ويقول: «إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب».

وعن محمد بن إسحاق، قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين عليه السلام فقدوا ما كان يؤتون به بالليل.

وعن عمرو بن ثابت، قال: لما مات علي بن الحسين عليه السلام وجدوا بظهره أثراً، فسألوا عنه؟ فقالوا: هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل.

اهداف ونتائج.

كان من النتائج والآثار المباركة لتحرك الإمام زين العابدين عليه السلام على المستوى المالي والاقتصادي للأمة الإسلامية:

١. دعم الظواهر العبادية والممارسات الروحية التي تميز بها الإمام زين العابدين عليه السلام حيث يترجم ذلك الأخلاق والمضامين العالية التي دعا إليها الإمام في نتاجه الفكري كالأدعية والاحاديث، فهو عليه السلام يسعى ليعطي الجنبه الروحية بُعداً مادياً يحاكي الحواس كما حاكت افكاره ومبادئه العقول، فكان الانفاق والعطاء هو الذي جسد ذلك.

٢. خدمة الجوانب الأخرى للثورة ك (البكاء) حيث تضيف قوة مؤثرة وفاعلة له إذ يعمل على تبديد الوهم والغموض الذي يمكن ان يكون قد احاط واكتنف ظاهرة البكاء عند الإمام زين العابدين عليه السلام وسر البكاء الدائم وذهاب البعض انه دليل ضعف وانكسار الباكي، فيأتي الانفاق ليثبت ان صاحب البكاء لم يكن بكائه على دنيا رخيصة أو متاع زائل، وانما هو ثورة ضد الظلم والطغيان الذي استشرى في جسد الأمة.

٣. وسيلة ناجحة من وسائل جذب المجتمع وكسب ثقته وهي استراتيجية ممتازة اعتمدها عليه السلام في وقت كانت الأمة تعيش اسوأ كوابيسها واحلك ظروفها،

وقد ساهم الانفاق المتزن والمدرّوس وفق آليات معينة في تخفيف المعاناة، وتقوية زعامة الإمام زين العابدين (ع) وإبراز فضله وأفضليته.

٤. ترسيخ أخلاقيات الانفاق في سبيل الله تعالى في ضمير الأمة الإسلامية ووجدانها، فهو عمل تربوي يهدف لتقرير مبدأ التكافل الاجتماعي وما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون ضمن المجتمع الواحد.

٥. رد فعل ضد موجة الرخاء والترف والانسياق وراء الملذات التي سادت الحياة العامة للمسلمين وأدت إلى نتائج سلبية سلبت الأمة هويتها وأفرغت محتواها الفكري والعقائدي، وجعلها تتخبط في ظلمات الجاهلية العمياء، فساد الفقر وعم التفاوت الطبقي، فغدت أفرادها فريسة ولقمة سائغة للأفكار الدخيلة التي تحاول الاطاحة بصرح الإسلام العتيد.

صور للإنفاق.

«وكان عليّ بن الحسين (ع) إذا كان اليوم الذي يصوم فيه أمر بشاة فتذبح وتقطع أعضاءا وتطبخ، فإذا كان عند المساء أكبّ على القدور حتّى يجد ريح المرق وهو صائم، ثمّ يقول: - هاتوا القصاع اغرفوا لآل فلان اغرفوا لآل فلان ثمّ يؤتى بخبز وتمر فيكون ذلك عشاؤه»^(١)

- وكان عليّ بن الحسين (ع) يقول: لا يعبر على بابي سائل إلّا أطمعتموه فإنّ اليوم يوم الجمعة^(٢).

- عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال: لما كان في الليلة التي وُعد فيها علي بن الحسين (ع) قال لمحمد (ع): يا بني ابغني وضوء قال: فقممت فجئت به وضوء، قال: لا أبغي هذا فإنّ فيه شيئا ميتا قال: فخرجت فجئت بالمصباح فإذا فيه فارة ميتة فجئت به وضوء غيره، فقال: يا بني هذه الليلة التي وعدتها، فأوصى بناقته أن يحظر لها حظار

(١) منتهى المطلب، للعلامة الحلي ج ٩ ص ٤٤٧.

(٢) هداية الأمة، للحر العاملي ج ٣ ص ٢٦١.

وأن يقام لها علف فجعلت فيه. قال: فلم تلبث أن خرجت حتى أتت القبر فضربت بجرائنها ورغت وهملت عيناها، فأتي محمد بن علي فقبل له: إن الناقة قد خرجت فأتاها فقال: صه الآن قومي بارك الله فيك، فلم تفعل، فقال: وإن كان ليخرج عليها إلى مكة فيعلق السوط على الرحل فما يقرعها حتى يدخل المدينة.

قال: وكان علي بن الحسين (عليه السلام) يخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب فيه الصرر من الدنانير والدرهم حتى يأتي بابا بابا فيقرعه ثم ينيل من يخرج إليه فلما مات علي بن الحسين (عليه السلام) فقدوا ذلك، فعلموا أن علياً (عليه السلام) كان يفعل^(١).

- وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه لما أخذ في غسل أبيه علي بن الحسين (عليه السلام) أحضر معه من رعاء من أهل بيته، فنظروا إلى مواضع السجود منه في ركبته وظاهر قدميه وباطن كفيه وجبهته، قد غلظت من أثر السجود حتى صارت كمبارك البعير. وكان يصلي (عليه السلام) في كل يوم وليلة ألف ركعة، ثم نظروا إلى حبل عاتقه، وعليه أثر قد اخشوشن، فقالوا لأبي جعفر: أما هذه فقد علمنا أنها من أثر السجود، فما هذا الذي على عاتقه؟ قال: والله، ما علم به أحد غيري، وما علمته من حيث علم أنني علمته. ولولا أنه قد مات ما ذكرته، كان (عليه السلام) إذا مضى من الليل صدر، قام وقد هدأ كل من في منزله، فأسبغ وضوءه وصلى ركعتين خفيفتين. ثم نظر إلى كل ما فضل في البيت عن قوت أهله، فجعله في جراب، ثم رمى به على عاتقه وخرج مختفياً يتسلل لا يعلم به أحداً. فيأتي به دوراً فيها أهل مسكنة وفقير، فيفرق ذلك عليهم وهم لا يعرفونه، إلا أنهم قد عرفوا ذلك منه فكانوا ينتظرونه وكان إذا أقبل قالوا: هذا صاحب الجراب وفتحوا أبوابهم له ليفرق عليهم ما في الجراب، وانصرف به فارغاً، يبتغي بذلك فضل صدقة السر وفضل صدقة الليل وفضل إعطاء الصدقة بيده ثم يرجع فيقوم في محرابه فيصلّي باقي ليلته، فهذا الذي ترون على عاتقه أثر ذلك الجراب^(٢).

(١) الكافي، للكليني ج ١ ص ٤٦٨.

(٢) دعائم الإسلام، للقاظمي النعمان المغربي ج ٢ ص ٣٣١.

– عن سفيان بن عيينة ان الزهري رأى علي بن الحسين في ليلة باردة مطيرة وعلى ظهره دقيق وحطب وهو يمشي فقال له: يا ابن رسول الله ما هذا؟

قال: أريد سفرا أعد له زادا أحمله إلى موضع حريز، فقال الزهري: فهذا غلامي يحمله عنك، فأبى، فقال: فأحمله عنك فأني أرفعك عن حملة، فقال علي بن الحسين: لكنني لا أرفع نفسي عما ينجينني في سفري ويحسن ورودي على ما أرد عليه سألتك بالله لما مضيت في حاجتك وتركنتي، فانصرفت عنه، فلما كان بعد أيام قال له: يا ابن رسول الله لست أرى لذلك السفر الذي ذكرته اثرا؟ قال: بلى يا زهري ليس ما ظننت ولكنه الموت وله كنت استعد^(١).

– عن حمران بن أعين عن أبي جعفر (ع): انه كان – أي علي بن الحسين – يعول مائة بيت من فقراء المدينة وكان يعجبه ان يحضر طعامه اليتامى والاضراء والزمني والمساكين الذين لا حيلة لهم وكان يناولهم بيده ومن كان منهم له عيال حملة إلى عياله من طعامه، وكان لا يأكل طعاما حتى يبدأ فيتصدق به^(٢).

قال الطائي: إن علي بن الحسين كان إذا ناول الصدقة قبلها ثم ناولها^(٣).

– عن محمد بن إسحاق: انه كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون أين معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به بالليل. وفي رواية: انه كان في المدينة كذا وكذا بيتا يأتيهم رزقهم وما يحتاجون إليه لا يدرون من أين يأتيهم، فلما مات زين العابدين فقدوا ذلك، فصرخوا صرخة واحدة^(٤).

الحرية والعبودية

الحرية غاية يسعى إليها كل إنسان ويتمناها كل متمن، وليسوا كلهم يناuha

(١) مناقب ال أبي طالب، لابن شهر اشوب ج ٣ ص ٢٩٣.

(٢) مناقب ال أبي طالب، لابن شهر اشوب ج ٣ ص ٢٩٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

ويحققها، إلا من أدرك معناها وعرف سبيلها وطلبها من مظانها، ولا حرية حقيقية للإنسان إلا إذا ملك أمر نفسه، وسيطر عليها وعلى مطالبها، وسعى في تغذيتها بما تحتاجه ويصلحها، ولا يكون ذلك إلا في التذلل والتعبد لله تعالى خالق الإنسان وفطرته؛ فمن أراد الحرية الصادقة التي لا يشوبها خداع، ولا يحجبها غش فعليه بالدخول في العبودية لله؛ فمن دخلها وترقى في درجاتها نال من الحرية بقدر ما حقق من العبودية.

فالله تعالى يريد لعباده أن يكونوا أحراراً حقيقة، ولهذا أمرهم بعبادته التي خلقهم لأجلها، وشرع لهم من صنوف العبادات ما يساعدهم على الوصول إلى هذه الغاية المطلوبة، والأمنية المرجوة؛ ولنضرب لذلك أمثلة:

ففي الصلاة التي هي عمود الإسلام وركنه الركين يتحرر المؤمن من سلطان النوم فيصبح هو الذي يتحكم فيه لا العكس، مع أن النوم حاجة فطرية لا يصمد إنسان أمام هجومه وإلحاحه إلا لوقت معلوم، لكن المؤمن المقيم للصلاة والمحافظ عليها ينفلت من نومه وينخلع من فراشه وراحته مستجيباً لنداء ربه، فيؤدي ما أوجه الله عليه من الفريضة في رغبة ومحبة وانشراح صدر وطيب نفس، بل لا راحة له في غيرها، ولا قرار له في سواها.

وفي الزكاة يتحرر المؤمن من رق المال، الدرهم والدينار ونحوهما؛ فهو يقتطع من ماله وكسب يده جزءاً معلوماً يصل به المحرومين وأصحاب الحاجات، طيبة بذلك نفسه، وطالباً تطهير ماله وصونه عن الآفات، وساعياً لتنميته وزيادته بالبركة، وبانفتاح أبواب من الرزق لم يكن يحتسبها.

وفي الصيام يتحرر المؤمن من قيود الطعام والشراب وشهوة الجماع مع أنها حاجات فطرية ليس في وسعه أن يستغني عنها مختاراً، فضلاً عن كونها أشياء مباحة وطيبة ونافعة، لكن المؤمن يترك كله من بزوغ الفجر إلى مغيب الشمس طيلة شهر بأكمله طاعة لله تعالى وإيماناً به واحتساباً للأجر والثوبة. وفي هذا تربية عظيمة، ودربة رائعة، وذريعة لطيفة لترك الحرام الخبيث الضار من الأطعمة

والأشربة والشهوات، وهي التقوى التي شرع الصيام وغيره من العبادات لتحقيقها: ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١).

وفي الحج يتحرر الإنسان من رق العادة؛ حيث يترك ما اعتاده من أساليب في الحياة من طعام وشراب ولباس ونوم، وأعمال وأشغال، وبقاء لدى الأهل والأولاد والأصدقاء وغير ذلك مما يشق عادة تغييره أو مفارقتها إلا بنوع كلفة، لكنه في الحج يترك ذلك كله طاعة لله، فيخرج الناس تاركين دورهم وما اعتادوه، إلى بيت الله الحرام، راجلين وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، ولهذا سمى النبي ﷺ الحج جهاداً، لكن لا قتال فيه.

ثم تأتي أعظم عبادة وأسمائها ألا وهي الجهاد في سبيل الله بالنفس؛ فالنفس أعلى ما يملك الإنسان؛ فهو يحرص عليها كل الحرص، ويعتهد في صونها عن الآفات والتلف، لكن المؤمن يعتبر تقديمها في سبيل الله ذوداً عن حياض الإيمان والأوطان إحياءاً لها، وتخليداً لذكراها، ورفعاً لدرجتها ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾^(٢).

زين العابدين ﷺ وتحرير العبيد

كان من أبرز الظواهر التي لازمت الإمام زين العابدين ﷺ في ثورته التي قادها ضد الظلم والظالمين ساعياً إلى الرجوع بالأمة الإسلامية إلى جادة الصواب، هي ظاهرة تحرير العبيد ومحاربة الرق والعبودية الذي كان تفشى في المجتمع الإسلامي وأخذ يفرز تداعيات خطيرة أخذت تهدد المنظومة الإسلامية بشكل الهوية الدينية في مهب الريح، وكادت تأتي على المتبقي من شعائر الإسلام ومظاهره، لولا وقوف مولانا الإمام زين العابدين ﷺ بوجه ذلك الانحراف فعمل بشكل مقتن اذهل الباحثين في هذا الشأن، حتى عدت خطواته في هذا المجال من

(١) البقرة: ١٨٣.

(٢) آل عمران: ١٦٩.

انجع الاسلحة وامضاها في مواجهة الانحراف، وقد ترتب على ذلك العديد من النتائج والاهداف لعل أهمها:

١. التأكيد على المثل العليا التي نادى بها الإسلام في رعاية حقوق العبيد.
٢. حث المسلمين وتشجيعهم على عتق العبيد كعلاج لازمة ازدياد اعدادهم في المجتمع الإسلامي.
٣. تنمية الاواصر وتقويتها بين العبيد وقادتهم الربانيين الأئمة عليهم السلام، والعمل على استقطابهم إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام ليصبحوا بعد ذلك من المؤمنين الدعاة إلى إمامته.
٤. استثمار العبيد كواسطة لتقوية الصلة بين الإمام زين العابدين عليه السلام وافراد المجتمع الإسلامي الذي كانت ظروف وملابسات تحول بينه وبين الاتصال المباشر بإمامهم عليه السلام.
٥. عكس الصورة المثالية في الكيفية التي ينبغي للمجتمع الإسلامي ان يتعامل بها مع ظاهرة العبيد حيث كان الكثير منهم ممن له تماس مباشر مع هذه المسألة يجهل التفاصيل الشرعية التي تقن التعامل مع العبيد بطريقة لا تتعارض مع ما دعا إليه ديننا الحنيف من الرحمة والإحسان والعطف، والإمام زين العابدين عليه السلام بذلك يقدم لنا الأسوة الحسنة الأمر الذي من شأنه ان يشد نحوه هذه الشريحة الاجتماعية المهمة.
٦. مساواة العبيد بباقي افراد طبقات المجتمع الأخرى وذلك من خلال خطوات عملية أبرزها توفير اللوازم الضرورية لحياة حرة كريمة تبعد العبد بعد عتقه عن ضيق العيش والاضطرار إلى توسل ما في أيدي غيره، كذلك عمل على حثهم للانخراط في المجتمع بشكل طبيعي من خلال ممارسة الاعمال التجارية، لذا كان تمكين العبيد من عناصر ومقومات الحياة ساعد على نشوء طبقة من الموالي ذات تأثير قوي وفعال في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية...إلخ.

أخلاقيات الإعتاق.

ومما حدثنا به التاريخ في ثورته ﷺ في الإعتاق، ما رواه محمد بن عجلان قال: سمعتُ أبا عبد الله ﷺ يقول: كان علي بن الحسين ﷺ إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له ولا أمة، وكان إذا أذنب العبد والأمة يكتب عنده أذنب فلان، أذنبت فلانة، يوم كذا وكذا، ولم يعاقبه فيجتمع عليهم الأدب. حتى إذا كان آخر الليلة من شهر رمضان، دعاهم وجمعهم حوله، ثم أظهر الكتاب.

ثم قال: يا فلان فعلت كذا وكذا ولم أؤدبك أتذكر ذلك؟ فيقول: بلى يا بن رسول الله، حتى يأتي على آخرهم ويقرهم جميعاً.

ثم يقول وسطهم ويقول لهم: ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كل ما عملت، كما أحصيت علينا كل ما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحق، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيت إلا أحصاها، وتجد كل ما عملت لديه حاضراً، كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضراً، واصفح كما ترجو من المليك العفو وكما تحب أن يعفو المليك عنك، فاعف عنا تجده عفواً، وبك رحيماً، ولك غفوراً، ولا يظلم ربك أحداً، كما لديك كتاب ينطق علينا بالحق، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيناها إلا أحصاها.

فاذكر يا علي بن الحسين ذلّ مقامك بين يدي ربك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل، ويأتي بها يوم القيامة، وكفى بالله حسيباً وشهيداً، فاعف واصفح يعفو عنك المليك ويصفح، فإنه يقول: «وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم».

قال: وهو ينادي بذلك على نفسه ويلقنهم، وهم ينادون معه، وهو واقف بينهم يبكي وينوح، ويقول: رب إنك أمرتنا أن نعفو عن ظلمنا فقد ظلمنا أنفسنا، فنحن قد عفونا عن ظلمنا، كما أمرت، فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين، وأمرتنا أن لا نرد سائلاً عن أبوابنا، وقد أتيناك سؤالاً ومساكين، وقد أنخنا بفنائك وببابك، نطلب نائلك ومعروفك وعطاءك، فامنن بذلك علينا، ولا تخيننا فإنك أولى

بذلك منا ومن المأمورين، إلهي كرمت فأكرمي، إذ كنت من سؤالك، وجدت بالمعروف فاخلفني بأهل نوالك يا كريم.

ثم يقبل عليهم ويقول: قد عفوت عنكم فهل عفوتم عني ومما كان مني إليكم من سوء ملكة، فإني ملك سوء، لثيم ظالم، مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن متفضل، فيقولون: قد عفونا عنك يا سيدنا وما أسأت.

فيقول لهم قولوا: اللَّهُمَّ أعف عن علي بن الحسين كما عفى عنا، وأعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرق، فيقولون ذلك، فيقول: اللَّهُمَّ آمين يا رب العالمين، اذهبوا فقد عفوت عنكم، وأعتقت رقابكم رجاء للعفو عني وعتق رقبتي فيعتقهم.

فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في أيدي الناس، وما من سنة إلا وكان يعتق فيها آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين رأساً إلى أقل أو أكثر.

وكان يقول: إن الله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار سبعين ألف ألف عتيق من النار، كلا قد استوجب النار، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق فيها مثل ما أعتق في جميعه، وإني لأحب أن يراني الله، وقد أعتقت رقاباً في ملكي في دار الدنيا، رجاء أن يعتق رقبتي من النار.

وروي أنه ما استخدم خادماً فوق حول، كان إذا ملك عبداً في أول السنة أو في وسط السنة، إذا كان ليلة الفطر أعتق واستبدل سواهم في الحول الثاني، ثم أعتق كذلك كان يفعل حتى لحق بالله تعالى، ولقد كان يشتري السودان وما به إليهم حاجة يأتي بهم إلى عرفات، فيسد بهم تلك الفرج والخلال، فإذا أفاض أمر بعنق رقابهم وجوائز لهم من المال^(١).

وكانت ثورة الاعتاق التي قادها الإمام زين العابدين عليه السلام قد اتخذت صوراً واساليب متعددة مما لفت انظار المتابعين لشأن الإمام لسبب أو لآخر، فهذا الحاكم

الأموي عبد الملك بن مروان يستفهم مستنكراً مدى اهتمام الإمام زين العابدين عليه السلام بشؤون العبيد ومداراتهم ومتابعة حياتهم اليومية، فقد روى زرارة عن أحدهما (الباقر أو الصادق) عليه السلام قال: إن علي بن الحسين عليه السلام تزوج أم ولد عمه الحسن عليه السلام وزوج أمه مولاة فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان كتب إلى: يا علي بن الحسين كأنك لا تعرف موضعك من قومك وقدرك عند الناس تزوجت مولاة وزوجت مولاك بأملك فكتب إليه علي بن الحسين: فهمت كتابك ولنا أسوة برسول الله صلى الله عليه وآله فقد زوج زينب بنت عمه زيدا مولاة وتزوج مولاته صفية بنت حي ابن اخطب^(١).

(١) بحار الانوار، للمجلسي ج ٢٢ ص ٢١٤.

خاتمة

- إن الفكر الإداري السياسي للإمام زين العابدين عليه السلام يمثل مصدراً أصيلاً من مصادر الفكر الإسلامي الذي ينبغي الأخذ به بنظر الاعتبار والعمل الجاد على تسليط الضوء عليه لغرض الوقوف على عناصر ومقوماته، والاستفادة منه في معالجة جملة من المشكلات التي تمر بها أمتنا الإسلامية في وقتنا الراهن.

- إننا إذ نقف على ما أنتجته العبقرية الإلهية للإمام زين العابدين عليه السلام إنما نقف على منظومة متكاملة من النظريات الضخمة في مجال علوم الإدارة والقيادة.

- نجاح الإمام علي بن الحسين عليهما السلام - رغم غيابه عن سدة الحكم - بتفعيل مبدأ أساسي وأصيل من مبادئ الإدارة تمثل بما يعرف بـ (الرقابة الذاتية) فسلطة الضمير واستشعار وجود الله تعالى رقيباً وحاكماً على التصرفات مما عمل عليه الإمام عليه السلام وسعى إلى غرسه وترسيخه في وعي الفرد المسلم، وهذا المبدأ أهم وأعظم تأثيراً من رقابة السلطة. وحرصه عليه السلام نابع من مسؤوليته اتجاه الأمة الإسلامية أمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إن الفكر الإداري للإمام زين العابدين عليه السلام استطاع وببراعة أن يوفر العديد من أدوات النجاح، كالوعي الرسالي والوازع الأخلاقي واشاعة روح المحبة والمودة.

- سعي الإمام عليه السلام لتخطي الحدود التقليدية لمفهوم الدولة والعمل على انشاء دولة أخلاقية تمتلك مقومات الوعي الديني الذي نادى به الإسلام الأصيل ودعا إليه فنراه لا يترك مناسبة إلا ونوه بضرورة التخلق بالأخلاق الفاضلة واجتناب

رذائل الملكات مرغبا كاشفا عن نتائج وآثار الخلق الحسن، ومحذرا من العواقب التي يمكن ان يمتنى بها صاحب الخلق السيء.

وكان أهم ما يميز الإمام (عليه السلام) في هذا المجال هو سيرته العملية إذ أصبح (عليه السلام) مضربا للأمثال في كرم أخلاقه وبذله وعطائه المنقطع النظير وتضحياته في سبيل الحفاظ على أمة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

- إن العقلية الفذة التي تعامل بها الإمام زين العابدين (عليه السلام) مع مجريات الأحداث انما تفضي إلى حقيقة واحدة تتلخص بـ (الإصلاح)، وهو نفس الهدف الذي سعى الإمام الحسين (عليه السلام) إلى تحقيقه.

- يحاول البحث الكشف عن القيم والمثل التي تعامل بها الإمام (عليه السلام) كجزء من منظومة إسلامية متكاملة.

- إدراج الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) قضية السلطة السياسية في سائر القضايا الحيوية، والطبيعية، التي يهتم بها، ويفكر في إصلاحها، ويحاول رفع مشكلاتها التي تستولي على الإنسان، من اقتصادية، وثقافية، ونفسية، ودينية.

وهل لسياسي آخر حضور أقوى من هذا، في مثل ظروف الإمام (عليه السلام) وموقعه، وضمن تخطيطه الشامل لحل المشاكل؟ وهل يصدر مثل هذا من رجل ادعى: أنه ابتعد عن السياسة، أو اعتزلها؟

وإذا كان من أهم واجبات المصلح، وخاصة الإلهي، مقاومة الفساد، ومحاربة المفسدين في الأرض، فإن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قام بدور بارز في أداء هذا المهم.

يمكن الإشارة إلى بعض النتائج والآثار التي تمخّضت عن تدبّر الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) بالدعاء متّخذاً منه منهجاً عملياً في حياته اليومية بأبعادها المتعددة الثقافية والفكرية والاجتماعية:

- اختار الإمام الدعاء سلاحاً بوجه أعداء الدين والإسلام؛ لأنه راح يعدّ العدة لإعداد المجموعة الصالحة المؤهلة لحمل رسالة جدّه المصطفى (صلى الله عليه وآله) في تلك الاجواء العابثة الملبّدة.

- إشعار الناس والمجتمع أن العمل السياسي ليس هو وحده الكفيل بتشكيل النخبة المغيّرة القادرة على قيادة المشروع الإسلامي المغيّب من قبل السلطات الظالمة، وخاصة في زمن ارتجاج المقاييس واهتزاز الثوابت لدى القاعدة الجماهيرية الشعبية التي يعوّل عليها تنفيذ عملية التغيير المطلوبة هذه.

- ترسيخ أو بناء مفهوم جديد للعلاقة مع الله تعالى عبر الدعاء والمناجاة، وإملاء الفراغ الروحي الناشئ عن حالات الإحباط وخيبة الأمل التي خلّفتها سياسة دموية عابثة تلفّعت بشعارات الإسلام، ولكنها لم تنتج إلّا الهوس والسعار، والركض وراء الشهوات والملذّات وزوايا المتعة والمجون.

- تذكير الناس بالله تعالى واليوم الآخر، وإيجاد بدائل لسعادة روحية غيّها الصراع المادي والسياسي للسلطة الحاكمة، وخلق أجواء حميمة لعلاقات صادقة وصفاء روحي قائم على الحبّ في الله والبغض في الله.

- وهذا يعني أن السعادة الروحية يمكن أن تكون أعمق من السعادة المادية، وأن التنافس المحموم على المادّة يمكن تعويضه بسعادة روحية حميمة تقوم على العلاقات الدافئة الحبيبة بين الإخوان المتحابين في الله.

- تسفيه أحلام الحكام الأمويين والتنديد بتكالبهم وتسابقهم على ملذّات الدنيا، عبر إشعارهم بأن السعادة والكرامة لا يتأتّيان دائماً عبر المال والجاه والسلطة، وإنّما عبر الزهد والسموّ والترفع على الدنيا وحطامها، بل إنّ السعادة الروحية أركز وأمتن، وأجلّ في نفوس أهلها من السعادة المادية المعروفة.

ان الحديث عن الإمام زين العابدين عليه السلام وما تمتع به من مآثر وما تركه من آثار بعد مرور ما يقارب اربعة عشر قرنا هو خير دليل على عظمة تلك الشخصية ومدى تأثيرها في الأحداث إلى يومنا هذا، وهو أمر لا يتسنى إلّا لمن اصطفي الله سبحانه وحباه بالطفاه القدسية فغدا منارة وشعلة مضيئة تنير الدرب لمن تاه في غياهب ظلمات الحياة المادية، لا يمكن لمثلي ان يقف على كنه وحقيقة مولانا سيد الساجدين عليه السلام، ولكني بكل حال قد وردت معينه الصافي وارتشفت من قطر نداء

فلم يردني خائباً، فوفقتُ على شيء من تلك الآثار والنتائج الخالدة إلى يوم الناس هذا اجملها بالاتي:

يجب على كلِّ المقتدي أن يتعرّف الأحوال التي كان عليها صاحب السيرة، ثم يقتدي بها، ويفرغ حياته في قلبها.

ينبغي أن تتوفر في السيرة التاريخية النموذجية أربع خصال:

- أ - أن تكون «تاريخية»، أي: أن التاريخ الصحيح الممحّص يصدّقها، ويشهد لها.
- ب - أن تكون «جامعة» أي: محيطة بأطوار الحياة، ومناحيها، وجميع شؤونها.
- ج - أن تكون «كاملة» أي: أن تكون متسلسلة، لا تنقص شيئاً من حلقات الحياة.
- د - أن تكون «عملية» أي: أن تكون داعية إلى المبادئ، والفضائل، والواجبات بعمل الدّاعي وأخلاقه، وأن يكون كلّ ما دعا إليه بلسانه قد حقّقه بسيرته، وعمل به في حياته الشخصية، والعائلية، والاجتماعية، فأصبحت أعماله مثلاً علياً للناس يتأسون بها^(١). وهذا ما لمسناه وعرفناه في طيات الكتاب ومدى انطباق ذلك على شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام.

العقيدة الصادقة.

لقد ضرب الإمام زين العابدين عليه السلام أروع الأمثلة في جهاده الصادق من أجل عقيدة صادقة فأفاض على البشرية عقيدة صافية مدعومة بكل ما هو نبيل رسخت الإيمان وزلزلت الباطل وكسرت اصنام الجور والطغيان حتى بعث الحياة في نفوس المجاهدين واعطى للبسالة والشجاعة معنى آخر، كيف لا وهو سليل الدوحة المحمدية التي أتحفت الإنسانية بهذه التحفة النادرة - عقيدة التوحيد - التي كانت مجهولة مغمورة، مظلومة مغبونة، أكثر من أيّ عقيدة في العالم، ثم ردّد صداها العالم كلّهُ، وتأثرت بها الفلسفات العالمية والدعوات العالمية كلّها في قليل أو كثير.

الإيمان الخالص.

لقد مثل الإمام زين العابدين عليه السلام في سلوكه العملي مع العدو قبل الصديق ومع البعيد قبل القريب حقيقة الإيمان الخالص، فأبرز جميع قيمه ومثله، فلم يبق لون من ألوان الأدب، والبرّ والإحسان إلّا قدّمه، ضارباً أروع الأمثال، ومجسداً أعظم القيم.

إن الإنسانية بجميع قيمها ومثلها لتحنّي إجلالاً وخضوعاً أمام هذه الشخصية الفريدة على ما أبدته من عظيم النبل والتضحية بدافع الإيمان الخالص لله تعالى، ذلك الإيمان الذي تفاعل مع عواطف زين العابدين، وصار عنصراً من عناصره، ومقوماً من مقوماته.

إن الإنسانية بكل إجلال واحترام لتحّي هذه الروح العظيمة التي تألّقت في دنيا الفضيلة والإسلام وهي تلقي على الأجيال أروع الدروس عن الكرامة الإنسانية.

القيادة الربانية.

إنّ المعنويات العالية التي عرف بها الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، وصبره الذي تنأى عنه الجبال الرواسي وإستقامته وصموده الذي يعد مضرب الأمثال، وذكاءه ودرايته الفائقة في التعامل مع مجريات الأحداث، وإخلاصه وتوجهه إلى الله، وتسلّطه وسيطرته على الحوادث، وعدم خضوعه وركوعه أمام الصعاب، له خير نموذج يحتذي به المقتدون والاحرار الشرفاء في شتى بقاع الدنيا.

الإيمان بالقضية.

إن ضمان نجاح أي مشروع لا بد أن يكون مقترنا بمدى القناعة التي يمتلكها صاحبه فـ «قدر الرجل على قدر همته وعمله على قدر نيته»^(١). فالإيمان بالمبدأ والمعاد هو سبب وباعث هذه الحركة في الحقيقة، وذكر الله يعمل على إستمراره،

(١) عيون الحكم والمواعظ: ج ١ ص ٢٥٣.

واقترانه بالعمل الجاد المخلص هو الذي يخرج من حيز الفكرة إلى الوجود الفعلي المؤثر، لأنّ العمل عادةً يعبر عن تجسيد حالة الإيمان العميق للإنسان بما يقوم به، ويكون مجسّداً لأقواله وأفكاره ومتبنياته.

الأسوة الحسنة.

إنّ وجود القدوة في حياة الإنسان أمر ضروري ومؤثر في تربيته وتوجيهه، فيكون موضع هداية من خلال أعماله والتزاماته ومن هذا المفهوم الواسع لا يمكن ان نفهم «الأسوة» إلّا بمعنى التأسّي والإقتداء العملي.

وعليه فإن التأسّي بمولانا زين العابدين (ع) خصيصة يمن بها الله سبحانه على من احبه ولطف به فلا يتصف بها كل من تسمى بالإيمان، بل لابد من التلبس بحقيقة الإيمان وصدق اليقين فيهب الحب لخالقه جاعلاً من العمل الصالح سبيلاً إليه.

أنّ إختيار شخصية تاريخية نموذجية من بين كل البشر إنّما هو من أجل أن يكون قدوة عملية للآخرين ولا نجانب الصواب إذا ما قلنا أنّ أهمّ جانب من جوانب الأسوة الحسنة وأكثرها تأثيراً هو الجانب العملي، والذي يتأكد لنا عن طريق الوقوف على الخصائص المكونة لتلك الشخصية وإذا ما جئنا إلى الإمام علي بن الحسين (ع) لوجدنا الإيمان بالله والتوكّل عليه، والإخلاص في العمل والشجاعة في الموقف، فضلاً عن زهده وتقواه وصدق يقينه، هو الأسلوب البارز في حياته.

يجب اليوم على كلّ المسلمين، وخاصّة الشباب المؤمن، أن يقرؤوا سيرة إمامنا زين العابدين (ع) بدقّة متناهية ويحفظوها، ويجعلوه قدوة وأسوة لهم في كلّ شيء، فإنّ هذا التأسّي والإقتداء به سبيل السعادة، ومفتاح النصر والعزة. فحياته (ع) هي خير ملهم لنا، في دروس العبودية لله، والطاعة والجهاد في سبيله، والوله والحبّ لذاته المقدّسة.

فقد جسّد (ع) الإسلام عملاً، وقولاً، حتّى أصبح شخصية تاريخية تستحق الاقتداء بها في مختلف ميادين الحياة، وأصبحت سيرته: من أفعاله وأقواله، أسوة

حسنة، وحبّة مقنّنة، لكل عشاق الحرية ومريديها يُتخذ منها برنامجاً صحيحاً لحياة الإنسان في أخلاقه وسلوكه ومعاشرته.

الاهداف النبيلة.

لقد عمل الإمام زين العابدين عليه السلام من اجل تحقيق هدفين أساسيين، هما خلاصة البعثة النبوية الشريفة:

١. توفير فرصة الهداية للناس حتى يتم الحجة عليهم. والهدى هو الوصول إلى الحقيقة، ولا يصل البشر إلى الحقيقة إلّا بالعلم بها والتسليم القلبي لها. ذلك لأن العلم الذي لا يشفعه الإيمان لا يكفي، إذ يبقى الجحود والغفلة حاجزاً بين البشر وبين الحقيقة.

٢. إقامة سلطة الحق؛ سلطة العدالة والقانون؛ سلطة القيم والمبادئ، وذلك في مقابل سلطة القوة التي هي شريعة الغاب ومنطق الجبارين. ومن الواضح إن المجتمع إما تسوده شريعة الغاب أو شريعة الله؛ شريعة الحق أو شريعة الباطل، لأن الله تعالى الذي خلق الحياة، منح قدراً من الحرية للناس، إلا أن العقاب هي للحق. ولقد تنامت أمواج الرسالة في العالم منذ انبعث الرسول العظيم محمد بن عبد الله عليه السلام وإلى اليوم. أوليس ذلك دليلاً على تحقق وعد الله في ظهور الإسلام على الدين كله؟

وإلى هذا يشير الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «فبعث الله محمداً عليه السلام بالحق، ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته، يقرآن قد بينه وأحكمه، ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه، وليقرؤا به بعد إذ جحدوه، وليثبتوه بعد إذ أنكروه. فتجلّى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته، وخوفهم من سطوته، وكيف محق من محق بالمثلث، واحتصد من احتصد بالنقمة»^(١).

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٤٧.

الطاعة الصادقة.

ان حاجة الأمة إلى الطاعة المبدئية هي أكبر من حاجتها إلى أي شيء آخر، إذ التعاون والتطوير، والمواجهة مع الأعداء، وبناء وإعداد الجبهة الداخلية.. كل تلك نتيجة مباشرة للطاعة؛ وإنما تتقدم الأمم بقدر تماسكها واندفاعها ووحدة مسيرتها، وهي كلها تأتي من الإيمان بضرورة وجود قائد نموذجي لا يطرأ عليه الخطأ وهذا لا يتحصل إلا إذا كان قائدا ربانياً متصلاً بإرادة السماء.

وصلى الله تعالى على نبيه محمد وعلى آله الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

فهرس المصادر

١. القرآن الكريم

حرف الهمزة

٢. الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
٣. الإحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان، منشورات النعمان النجف الأشرف حسن الشيخ إبراهيم الكتبي ١٣٨٦ - ١٩٦٦م.
٤. إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، نشر: دار المعرفة - بيروت.
٥. الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد (٣٣٦ - ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث دار المفيد طباعة - نشر - توزيع، الطبعة الثانية ١٤١٤ هجرية - ١٩٩٣ ميلادية.
٦. الأصول من الكافي، ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي المتوفى سنة ٣٢٨/٣٢٩هـ، صححه وعلق عليه علي أكبر

- الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية مرتضى آخوندي تهرآن - بازار سلطاني الطبعة الثالثة (١٣٨٨).
٧. اعلام الهداية، المجمع العلمي لأهل البيت، الطبعة الخامسة، مطبعة: مجاب، ١٤٣٠هـ.
٨. الأمالي للشيخ الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ. ق.
٩. الأمالي، لفخر الشيعة أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (ره) المتوفى ٤١٣، تحقيق: الحسين أستاذ ولي - علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم المقدسة.
١٠. الأمالي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ - تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، نشر: دار الثقافة - قم.
١١. الإمام علي بن الحسين عليه السلام دراسة تحليلية: مركز الرسالة.
١٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل: الشيخ ناصِر مكارم الشيرازي، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
- حرف الباء
١٣. بحار الانوار: العلامة المجلسي (ت ١١١١هـ)، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، السنة: ١٤٠٣ = ١٩٨٣م.
١٤. بحث حول الدعاء، السيد عبد الأعلى السبزواري، مطبعة كوثر، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٥. البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧ م، نشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

حرف التاء

١٦. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، ت: مجموعة من المحققين، نشر: دار الهداية.

١٧. تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، عنى بتصحيحه والتعليق عليه: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية ١٣٦٣ ش - ١٤٠٤ ق مؤسسة النشر الإسلامي (التابعة)، لجامعة المدرسين بقم المشرفة (إيران).

١٨. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ، ضبط أحاديثه، وعلق عليه: مصطفى محمد عماره، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م، بيروت - لبنان.

١٩. تفسير الصراط المستقيم: العلامة المفسر النحرير آية الله السيد حسين البروجردي، صححه وعلق عليه الشيخ غلام رضا بن علي أكبر، نشر: مؤسسة أنصاريان، المطبعة: الصدر، قم، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م.

٢٠. تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد رضوان الله عليه، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى ٤٦٠هـ، حققه وعلق عليه سيدنا الحجة السيد حسن الموسوي الخرسان، الناشر دار الكتب الإسلامية تهران بازار سلطاني ١٣٩٠هـ ق.

٢١. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ت: محمد عوض مرعب، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
٢٢. التوحيد: الصدوق أبي جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١هـ صححه وعلق عليه: المحقق البارع السيد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

حرف الثاء

٢٣. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: الشيخ الصدوق، الناشر: منشورات الرضى - قم، المطبعة: أمير - قم، سنة الطبع: ١٣٦٨هـ ش، الطبعة الثانية.

حرف الجيم

٢٤. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي. تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ). تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة. الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. عدد الأجزاء: ٢٠ جزءاً (في ١٠ مجلدات).
٢٥. الجامع الصحيح، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة دار الفكر بيروت لبنان.
٢٦. جامع البيان في تأويل القرآن. تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م. عدد الأجزاء: ٢٤.

حرف الخاء

٢٧. الخصال: الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المتوفى ٣٨١هـ صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، منشورات: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم المقدسة.

حرف السين

٢٨. سنن أبي داود: للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، المتوفى سنة ٢٧٥هـ، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
٢٩. سنن الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة. حقق نصوصه، ورقم كتبه، وأبوابه، وأحاديثه، وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر - للطباعة والنشر والتوزيع. ٢٠٧، - ٢٧٥هـ.
٣٠. سنن النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هجرية - سنة ١٩٣٠ ميلادية دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت
٣١. سيرة رسول الله ﷺ وأهل بيته ﷺ، مؤسسة البلاغ - دار التوحيد، الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

حرف الشين

٣٢. شرح أصول الكافي، للمولى محمد صالح المازندراني، المتوفى ١٠٨١هـ، مع تعاليق الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

حرف الصاد

٣٣. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن

بردزبة البخاري الجعفي طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامة
بإستانبول حقوق الطبع محفوظة للناسر ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م دار الفكر للطباعة
والنشر والتوزيع.

حرف العين

٣٤. علل الشرايع: الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن
موسى بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١هـ، منشورات المكتبة الحيدرية
ومطبعها في النجف ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦ م.

٣٥. العين: الخليل الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي،
والدكتور إبراهيم السامرائي، الطبعة: الثانية، الناسر: مؤسسة دار الهجرة،
قم، ايران، سنة: ١٤٠٩هـ.

حرف الغين

٣٦. الغدير في الكتاب والسنة والأدب: الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا
الأكبر الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي غني بنشره الحاج حسن
إيراني صاحب دار الكتاب العربي بيروت - لبنان الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ -
١٩٧٧ م.

٣٧. غريب الحديث. تأليف: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي
البغدادى (المتوفى: ٢٢٤هـ). تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان. الناسر:
مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن. الطبعة: الأولى،
١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م. عدد الأجزاء: ٤.

٣٨. غريب الحديث. تأليف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
(المتوفى: ٢٧٦هـ). تحقيق: د. عبد الله الجبوري. الناسر: مطبعة العاني
بغداد. الطبعة: الأولى، ١٣٩٧. عدد الأجزاء: ٣.

حرف الفاء

٣٩. الفصول المهمة في أصول الأئمة: الحر العاملي (ت: ١١٠٤هـ)، تحقيق وإشراف: محمد بن محمد الحسين القائني، الناشر: مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا عليه السلام، المطبعة: نكين - قم الطبعة: الأولى، السنة: ١٤١٨هـ.
٤٠. في ظلال الصحيفة السجادية: محمد جواد مغنية، تحقيق: سامي الغريزي، نشر: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي الطبعة الأولى.

حرف الكاف

٤١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. تأليف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ). الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت. الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ. عدد الأجزاء: ٤.
٤٢. الكشف والبيان عن تفسير القرآن. تأليف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ). تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م. عدد الأجزاء: ١٠.
٤٣. كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي (التابعة) لجماعة المدرسين بقم المشرفة (إيران).

حرف اللام

٤٤. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، الطبعة الأولى، الناشر: دار صادر - بيروت - د.ت.

حرف الميم

٤٥. المحلي بالأنار: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، نشر: دار الفكر - بيروت.
٤٦. المحيط في اللغة: الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، الطبعة الأولى، بغداد، السنة: ١٩٨١م.
٤٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون. إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٤٨. مفردات ألفاظ القرآن، العلامة الراغب الأصفهاني، المتوفى في حدود ٤٢٥هـ تحقيق: صفوان عدنان داوودي، منشورات طليعة النور الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.
٤٩. معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، نشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٥٠. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د/ محمود عبد الرحمن عبد المنعم، مدرس أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر - القاهرة دار الفضيلة.
٥١. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، نشر: دار الدعوة.
٥٢. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب (٥٨٨هـ)، تحقيق: تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الناشر: المكتبة الحيدرية، المطبعة: الحيدرية - النجف الأشرف، السنة: ١٣٧٦هـ = ١٩٥٦م.

٥٣. ميزان الحكمة. تأليف: محمد الريشهري. تحقيق ونشر وطباعة: دار الحديث. قم. التنقيح الثاني ١٤١٦هـ. عدد الأجزاء: ٤ أجزاء.
٥٤. الميزان في تفسير القرآن. تأليف: محمد حسين الطباطبائي. تحقيق: اباد باقر سلمان. قدم له: كمال الحيدري. الناشر: دار احياء التراث العربي. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٧ - ٢٠٠٦.
٥٥. موسوعة أدب المحنة أو شعراء المحسن بن علي عليه السلام: السيد محمد علي الحلو، نشر: مؤسسة دارا الكتاب (الجزائري) قم، ايران، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ.
٥٦. موسوعة سيرة أهل البيت، باقر شريف القرشي، مؤسسة الإمام الحسن لآحياء تراث أهل البيت. تحقيق: مهدي باقر القرشي. مطبعة ستار الطبعة: الثانية. ٢٠١٢م.
٥٧. موسوعة المصطفى والعترة: حسين الشاكري، نشر الهادي - قم - خيابان، الطبعة: الأولى - ١٤١٧هـ. ق المطبعة: ستاره.

حرف النون

٥٨. نهج البلاغة، تحقيق: د. صبحي الصالح، مركز البحوث الإسلامية، قم، ١٣٩٥هـ.

حرف الواو

٥٩. الوافي: الفيض الكاشاني، منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة أصفهان، ت: ضياء الدين الحسيني الأصفهاني، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.
٦٠. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (آل البيت): الفقيه المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفى سنة ١١٠٤هـ. تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ١٤١٤هـ.

الفهرس

٥.....	الإهداء
٩.....	مقدمة
١٧.....	مدخل
١٨.....	مفهوم الثورة
٢٣.....	طبيعة الثورة
٢٤.....	اركان العمل الثوري

الفصل الأول

الإمام زين العابدين (ع) ثائراً

٢٩.....	المبحث الأول: شخصيته
٣٠.....	نسبه
٣١.....	كنيته وألقابه
٣١.....	أمّه
٣٢.....	مولده
٣٢.....	أولاده
٣٣.....	شهادته

٣٣	مدة عمره وإمامته وطواغيت عصره
٣٤	أخلاقه
٣٩	مكائنه
٤٨	المبحث الثاني: مقومات الثائر (زين العابدين)
٨٤	أولاً: الإمامة
٣٥	ثانياً: العصمة
٤٥	ثالثاً: العقل
٠٦	رابعاً: الشجاعة
٠٧	خامساً: الروحية
٤٧	سادساً: العبقرية
١٨	سابعاً: الوفاء
٢٨	ثامناً: الحلم
٣٨	تاسعاً: الصبر

الفصل الثاني

الثورة

تغيير - تجديد - إصلاح - احياء

٨٧	ركائز الدعوة إلى الله
٨٩	أهداف الثورة
٩١	هوية الأمة المسلمة
٩٢	واجبنا تجاه المنهج الإسلامي
٩٣	سمات الثائر الرسالي
٩٧	الثورة إصلاح

٩٨.....	بناء الأمة
٩٩.....	الإصلاح العملي
١٠٠.....	الإصلاح والهدفية
١٠١.....	غياب الهدف
١٠١.....	العمل الصالح وضوابطه
١٠٣.....	مقومات نجاح الإصلاح
١٠٧.....	مقومات نجاح المصلح
١٠٩.....	الثورة تجديد
١١٠.....	مظاهر التجديد
١١٠.....	مجالات التجديد
١١٣.....	الثورة تغيير
١١٥.....	التغيير والعلم
١١٦.....	الثورة جهاد
١١٧.....	مفهوم الجهاد
١١٩.....	أهمية الجهاد وفضله
١٢٠.....	هدفية الجهاد
١٢٢.....	أقسام الجهاد
١٢٤.....	موارد الجهاد
١٢٦.....	مرتكزات الجهاد

الفصل الثالث

المنهج الثوري للإمام زين العابدين (ع)

١٣١.....	الثورة والمنهج
----------	----------------

أهمية المنهج.....	١٣١
التقويم والمنهج.....	١٣٢
الهدف والمنهج.....	١٣٣
سمات مطلوبة في الهدف.....	١٣٤
زين العابدين عليه السلام والمنهج الثوري.....	١٣٥
المبحث الأول: ثورة الدعاء.....	١٣٩
آداب الدّعاء.....	١٤٠
أوقات الدّعاء.....	١٤٤
حالات الدّعاء.....	١٤٦
المبحث الثاني: ثورة البكاء.....	١٥٣
فلسفة البكاء.....	١٧١
مشروعية البكاء.....	١٧٤
الآثار الإيجابية للبكاء.....	١٧٩
البكاء علاج.....	١٧٩
بُكاء الأطفال.....	١٨٠
البكاء تكامل.....	١٨٠
الحسين قتيل العبرة.....	١٨١
البكاء ولاء وبيعة.....	١٨٢
المبحث الثالث: الثورة الفكرية.....	١٩٠
أهمية التفكير.....	١٩٠
الأفكار أساس التغيير.....	١٩٠
الازمة الفكرية.....	١٩١

١٩٣.....	الانحراف الفكري
١٩٥.....	الثورة الفكرية أساس الثورات
١٩٦.....	الفكر الرسالي والإصلاح
١٩٦.....	زين العابدين عليه السلام والفكر الرسالي
١٩٩.....	مقومات الوعي الفكري
٢٠١.....	الإصلاح الفكري وبناء الإنسان
٢٠٢.....	الإصلاح والثبات
٢٠٥.....	ثورة الكلمة
٢٠٧.....	أدب الحوار
٢٠٩.....	جهاد الكلمة
٢١١.....	مواقف ثورية
٢١٧.....	المبحث الرابع: الثورة العلمية
٢١٧.....	أهمية العلم
٢١٨.....	خطوات في مجال التعليم
٢٢٠.....	الثورة العلمية
٢٢٠.....	مقومات الثورة العلمية
٢٢٢.....	المواجهة العلمية
٢٢٥.....	المنهج العلمي
٢٢٧.....	ملامح المنهج العلمي
٢٢٨.....	العلم والقرآن
٢٢٩.....	القرآن الثورة العلمية
٢٣٢.....	تدبر القرآن

٢٣٤.....	الاهداف القرآنية.....
٢٣٦.....	القرآن والإصلاح الاجتماعي.....
٢٣٩.....	القرآن وتركيز النفس.....
٢٤١.....	الإعجاز التشريعي.....
٢٤٥.....	مدرسة أهل البيت عليهم السلام العلمية.....
٢٤٦.....	اللغة العربية و الثورة العلمية.....
٢٤٩.....	الخطاب الأدبي.....
٢٥١.....	ثورة الأدب.....
٢٥٤.....	الأدب الهادف.....
٢٦٠.....	مهمة العلماء.....
٢٦٣.....	الاجتهاد والثورة العلمية.....
٢٦٧.....	المبحث الخامس: الثورة العبادية.....
٢٦٧.....	مفهوم العبادة.....
٢٦٨.....	مفهوم الدين.....
٢٧٠.....	الدين مناهج شامل للحياة.....
٢٧١.....	أثر الدين في الحياة.....
٢٧٤.....	الدين القيم.....
٢٧٤.....	الدين الحنيف.....
٢٧٤.....	العبادة والسلوك.....
٢٧٧.....	الفطرة السليمة.....
٢٧٩.....	سنن الفطرة وآثارها التربوية.....
٢٨٠.....	سنن الفطرة نموذج تربوي.....

٢٨١.....	سنن الفطرة وتكريم الإنسان
٢٨٢.....	سنن الفطرة والشخصية الإسلامية
٢٨٣.....	سنن الفطرة والاستقامة الإيمانية
٢٨٣.....	العقيدة
٢٨٤.....	العقيدة وتوجيه السلوك والأخلاق
٢٨٥.....	التوحيد
٢٨٨.....	المبحث السادس: الثورة السياسية
٢٨٨.....	مفهوم السياسة
٢٩٠.....	السياسة والدين
٢٩١.....	الإسلام دين الحق
٢٩٤.....	الإسلام دين الحرية والمساواة
٢٩٥.....	الإسلام دين ودولة
٢٩٥.....	الإمامة والسياسة
٢٩٧.....	مظاهر الانحراف
٣٠٢.....	سياسة المواجهة
٣٠٣.....	زين العابدين عليه السلام والإعلام الثوري
٣٠٨.....	الإجراء الفريد
٣٠٩.....	الأمة والنظام السياسي
٣١٠.....	الشعور بالانتماء
٣١١.....	الإدارة والإصلاح
٣١٢.....	التنظيم والإصلاح
٣١٤.....	أسس التنظيم

٣١٥.....	ملامح الإصلاح السياسي
٣١٨.....	مقاومة العصية والعنصرية
٣١٩.....	المسجد والثورة
٣٢٠.....	المسجد والإصلاح
٣٢٢.....	المسجد والوحدة الإسلامية
٣٢٤.....	المبحث السابع: الثورة الأخلاقية
٣٢٤.....	أخلاقيات القائد
٣٢٥.....	الأخلاق والعقيدة
٣٢٧.....	الأخلاق والتربية
٣٢٧.....	الأخلاق والحق
٣٢٨.....	زين العابدين عليه السلام وثورة الأخلاق
٣٢٩.....	زين العابدين عليه السلام قدوة الزاهدين
٣٤٠.....	التربية أساس الإصلاح
٣٤١.....	العمل التربوي
٣٤٣.....	التربية الإسلامية والإصلاح
٣٤٥.....	الإصلاح والبناء التربوي
٣٤٥.....	التربية دين وعبادة
٣٤٦.....	التربية تأسّ ومتابعة
٣٤٦.....	التربية منهج وسبيل
٣٤٧.....	التربية تكامل وتوازن
٣٤٧.....	التربية بترسيخ الأهداف
٣٤٩.....	أهداف تربوية

٣٥٠.....	الابتلاء والإصلاح
٣٥٢.....	مقومات الثورة الأخلاقية.
٣٥٣.....	أولاً: الإيمان.
٣٥٦.....	ثانياً: القلب السليم
٣٥٧.....	ثالثاً: الإخلاص
٣٦١.....	الرياء آفة الاخلاص
٣٦٢.....	رابعاً: تركية النفس
٣٦٥.....	كيفية المحاسبة
٣٦٥.....	خامساً: الثبات على دين الله
٣٦٨.....	سادساً: الدعاء
٣٦٨.....	سابعاً: ذكر الله
٣٦٩.....	ثامناً: التربية
٣٦٩.....	تاسعاً: الثقة بالله
٣٧٠.....	عاشراً: التمييز بين الحق والباطل
٣٧١.....	التوكل والإصلاح
٣٧٣.....	الاستقامة
٣٧٤.....	الهمة العالية
٣٧٤.....	الصدق
٣٧٦.....	الصدق والإصلاح
٣٧٧.....	الإحسان
٣٧٨.....	القناعة
٣٨١.....	الأخوة الإيمانية

٣٨٣.....	الانحراف الأخلاقي وأثره.....
٣٨٦.....	الآفات الأخلاقية: آفة حب الدنيا.....
٣٨٧.....	آفة الظلم.....
٣٩٦.....	آفة الاستبداد.....
٣٩٦.....	آفة النفاق.....
٣٩٩.....	آفة اللسان.....
٤٠٢.....	آفة الإسراف.....
٤٠٥.....	آفة الحسد.....
٤٠٦.....	آفة البدعة.....
٤٠٨.....	آفة الذل.....
٤١٠.....	آفة التكلف.....
٤١١.....	آفة الفتور.....
٤١٤.....	آفة الفراغ.....
٤١٧.....	المبحث الثامن: الثورة الاجتماعية.....
٤١٨.....	زين العابدين عليه السلام والثورة الاجتماعية.....
٤٢١.....	الازمة الاجتماعية.....
٤٢٢.....	الطمأنينة الاجتماعية.....
٤٢٥.....	الوحدة الإسلامية.....
٤٢٧.....	العدالة الاجتماعية.....
٤٢٨.....	الاقتصاد الإسلامي.....
٤٣١.....	التدهور الاقتصادي.....
٤٣٢.....	زين العابدين عليه السلام والتكافل الاجتماعي.....

٤٣٦.....	الحرية والعبودية.....
٤٣٨.....	زين العابدين عليه السلام وتحرير العبيد.....
٤٤٣.....	خاتمة.....
٤٥١.....	فهرس المصادر.....

